

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

(١٠٢)

لماذا وليد الكعبة وكيف نعرفه ؟

تأليف

السيد صالح عبدالرزاق الموسوي الخرسان

شعبة الإصدارات والمطبوعات

(٧)

لماذا وليد الكعبة
وكيف نعرفه ؟

□ المؤلف: .... السيد صالح عبدالرزاق الموسوي الخرسان

□ الناشر: ...... العتبة العلوية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية / شعبة الإصدارات والمطبوعات

□ الطبعة: .... الأُولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م ـ النجف الأشرف

مقدمة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويُكافئ مزيده ويمتري العظيم من فضله ونداه وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين مصابيح الدجى ومنار الهدى لاسيما بقية الله في الأرضين مولانا قطب دائرة الإمكان صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وبعد..

ففي الوقت الذي يزف فيه قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة هذا الإصدار بحلته هذه الى القرّاء الكرام بالتزامن مع الذكرى القرنية الرابعة عشرة لاتخاذ أميرالمؤمنين عليه السلام الكوفة عاصمة لحكومته الإلهية، فإننا نمد كف الضراعة الى المولى تعالى سائلين اياه ان يسدد يراع زملائنا في شعبة الإصدارات و المطبوعات لتقديم كل ما هو رائع ونافع لخدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله فإنه ما إن انقشعت غيوم الطغيان والدكتاتورية البغيضة عن سماء عراق أهل البيت عليهم السلام

حتى نهدت العتبات المقدسة بقياداتها وإدارتها الجديدة بمهمة النهوض بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء الإسلام العظيم مضطلعة بحمل هذا العبء عن طريق نشر وتحقيق المؤلفات التي تصب في خدمة الإنسان والإنسانية بكل بعد من أبعادها.

وقد حرص قسم الشؤون الفكرية والثقافية على نشر كل ما يخص مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال إصداراته المختلفة والمتنوعة خدمة لطلاب العلم والمعرفة، ونشراً للثقافة الإسلامية الأصيلة.

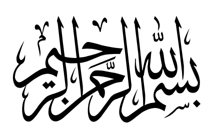
ومن الله نستمدّ العون وهو حسبنا ونعم الوكيل متوسلين بباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون هذه الجهود في ميزان حسناتنا، والله من وراء القصد.

الشيخ علي خضر الشكري

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣٦هـ

***



مقدمة شعبة الإصدارات والمطبوعات

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والإحياء، والآخر بعد فناء الأشياء، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ونور الحق وعلى أهل بيته الهداة الميامين، وبعد..

تتصاغر الكلمات وتتضاءل العبارات عند الحديث عن رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كنفس الرسول بنص الكتاب المجيد.. فتذهب حينها روعة البيان.. وسحر الكلام حين يخوض المرء في هذا البحر اللجي.. الذي لو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً لما استطاعت عدّ فضائله التي حباه الله تعالى بها.

ومن هذا المنطلق تسعى شعبة الإصدارات والمطبوعات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة إلى نشر فكر وتراث الإمام

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام للقـرّاء الكـرام؛ لينهلـوا مـن هـذا المعـين العذب فكراً وثقافة إسلامية صـحيحة بعيـدة عـن التعصّـب أو الغلـو؛ لأنّهـا تنطلق من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ومنه تعالى نسـتمدّ العـون والتوفيق، والله من وراء القصد..

شعبة الإصدارات والمطبوعات

١٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـــ ٢/ ٢/ ٢٠١٥م

***

الإهداء

إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

إلى وجه الحق وصورته الذي أراده الله أن يُترجم عملياً على مسرح الحياة.

إلى دواء النفوس وبلسم الأرواح، ومربّي الأجيال، ومنبع الرحمة والكمال والعدالة.

إلى ذي الاستقامة التي لا تعرف الالتواء، والصراحة التي لا تعرف المراوغة.

إلى الذي دفع دمه الزكيّ من أجل استقامة الرسالة، وثمناً للحق والعدل والكرامة.

إلى ينبوع الروح والرحمة، وكنز الوجود والحكمة، ومعجزة الزمان، وعطر الدهور والعصور.

إلى مَن سخّر قدراته لإحقاق الحق وإقامة صرح العدل، وبذل الرفق والرحمة بالإنسان.

إلى الذي جعل قلبه الكبير حرماً مقدّساً لمحبّة الله، فحبُّهُ لله وكرهه من أجل الله.

إلى مَن نظر إليه المستنيرون أنه العروة الوثقى التي تربط أهل الأرض بالسماء.

إلى مَن جعل التشيّع موئلاً يلوذُ به كلُّ مضطهد ومظلوم ومحروم، وينضوي تحت لوائه كلُّ ثائر في سبيل الحرية والحق المهدور.

إلى الذي خلقه الله بحكمته ليكون الشهيد أبا الشهداء غاسلي الأرض من أرجاسها بدمائهم، فاتحين في السماء أبواباً ليدخلها المؤمنون أفواجاً.

إلى سدرة المنتهى والكمال الإنساني، وليد الكعبة (علي بن أبي طالب عليه السلام) وإلى الأئمة الهداة عليهم السلام، ولكل المعصومين عليهم السلام الذين كانوا نبراساً وأعلاماً للهداية وإلى والديّ الذين ربّياني وأنارا ليّ طريق الحق وصراط العدل، والمودّة.

إلى كل هؤلاء، أُهدي هذا الجهد المتواضع، مع رجاء القبول.

سيد صالح

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ وأهل بيته الطيّبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين إلى يوم الدين. وبعدُ:

إن الكلام عن شخصيةٍ عظيمة جداً كشخصيّة أمير المؤمنين علي عليه السلام وسبر أغوارها، أو الإحاطة بها، أو معرفتها معرفةً حقيقية، عملية صعبة جداً وبعيدة المنال، بل مستحيلة على مثلي وأمثالي، وعلى كل كاتب يروم الكتابة عنها، لأن الوقوف على مثل هذه الشخصيّة المعجزة ومعرفتها معرفةً حقيقيةَ لا يكون إلاّ من قبل الله سبحانه ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقط بدليل قول خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي لا يعرفك حقيقة المعرفة إلاّ الله وأنا)) فكيف يكون بالامكان لمثلي وأمثالي أن يكتب عن شخصيّة وسيرة هذا الإمام المعجزة وسرّه عليه السلام، ويفي بالغرض الحقيقي، ونحن كلنا نقص وباعنا قصيرٌ جداً في هذا المجال؟!

ولكن من باب: لا يُترك الميسور بالمعسور، وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه، لذلك تجرأتُ بعد الإعتذار الشديد من صاحب هذا المقام العظيم، وكتبتُ شيئاً قليلاً جداً متصيّداً إياهُ من الآيات والروايات الكريمة، ومن هنا وهناك، لعلّي أجدُ فيه ضالتي المنشودة، وأذكر شيئاً لله فيه رضاً ولي ولقارئي الكريم فيه فائدة وأجر.

وعلى كلّ حال، فقد عقدتُ العزم بعد التوكّل على الله عزّ وجل وطلب الإعانة منه، والتوسّل بصاحب هذا الشأن العظيم عليه السلام أن يقدح في ذهني ما هو

مثمر ونافع ومفيد بهذا الخصوص، ليكون الجهد في محله، والكلام في موقعه، مصيباً للهدف، ومحققاً للغاية وهي رضا الله سبحانه ونيل شفاعة الإمام عليه السلام، هذا من جهة.

وتأدية جزء يسير جداً من الواجب تجاه هذا الإمام المعجزة، والرجل الثاني في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي غمر الوجود الإسلامي والإنساني بفيض علمه ونوره وبركته وإبداعه وكمالاته وتراثه وآثاره المذهلة والمدهشة والنافعة في كل مجالٍ حيوي من مجالات الحياة الروحية والإنسانية حتى أصبح الجميع مديناً له، من جهةٍ ثانية.

والحقيقة، إنّ الكتابة في هذا الموضوع الأهم، كان بسبب سؤالٍ خطر في ذهني، ورنّ في عقلي، واستولى على مشاعري، ألا وهو: كيف يولد إنسان في بيتٍ عظيم مقدّس لله تعالى ملؤهُ الطهر والطهارة، وتؤمّهُ الناسُ من كل حدبٍ وصوب لأداء الفريضة الواجبة، والدعاء والعبادة، وما للولادة من تداعياتٍ، والتزاماتٍ، وحضورٍ، وأمور لا تخفى على العارفين؟!

وينشقّ الجدار بعد دعاء فاطمة بنت أسد أم الوليد المبارك وتدخل الكعبة، وينغلق الجدار، وتضع وليدها المعجزة، وتتغذّى لمدة ثلاثة أيام من أوراق الجنة وثمارها وأرزاقها، ثم تخرج الأمّ الكريمة حاملةً طفلها العظيم أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ القرآن الكريم، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾... أليس وراء ذلك سرٌّ عظيم؟!

وخصوصاً إذا علمنا أن مريم ابنة عمران سيدة نساء زمانها أُمرت أن تخرج من بيت المقدس لتضع وليدها رسول الله عيسى عليه السلام في مكان قصيّ وهو خامس خمسة أولي العزم عليهم السلام.

إذن، لماذا وليد الكعبة؟ وكيف نعرفه؟ فجاء هذا الجهد المتواضع الذي بين يديك - عزيز القارئ - كشفاً لهذا السرَّ إن أمكن، وجواباً لسؤالنا هذا، وسؤال كيف نعرفه؟ - ولو إجمالاً - وفي الجملة وليس التفصيل نعم، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو شخص عظيم لا يُقاس به أحدٌ من هذه الأمة، فهو سيد الوصيين وأول خلفاء الرسول المهديين، وقد صرّح القرآن الكريم بعصمته وتطهيره من كلّ رجسٍ ودنس، وقد نشأ في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفاره، وتغذّى من معين ريقه وهديه، وتخلّق بخلقه، وتأدّب بآدابه، وتعلّم منه ألف بابٍ من العلم والحكمة ينفتح له من كل باب ألف باب.

وهو عليه السلام عيش العلم وموت الجهل، لا يُخالف الحقَّ ولا يختلفُ فيه، وبه يعمل ويحكم ويسوس العباد والبلاد، وبه عاد الحقُّ في نصابه، وانزاح الباطلُ عن مقامه، وقد عقل الدّين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية.

والإمام عليه السلام، هو موضع سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحامي أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهف كتبه وجبل دينه، وهو عليه السلام من مصابيح الظلم، وأعلام الهداية، وينابيع الحِكَم، ومعادن العلم، ومواطن الحلم، وعلى بيّنةٍ من ربّه، ومنهاج من رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه عليه السلام لعلى الطريق الواضح يلفظهُ لفظاً، وعلى الصراط المستقيم الذي لا عوجَ فيه ولا أمتاً. كما قال هو عليه السلام.

وهو عليه السلام صاحب الحوض، وقسيم الجنة والنار، وعن ولايته وموالاته يُسئل الخلقُ يوم القيامة، وبولايته كمال الدين، ورضا الربّ، ودخول الجنّة، ((وإنّ الجنّة لتشتاق إلى أحبّاء عليّ ويشتدّ ضوؤها لأحبّاء علي عليه السلام وهم في الدّنيا قبل أن يدخلوها))[١] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك.

وقال صلى الله عليه وآله: ((حبُّ علي براءة من النار))[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: ((ألا ومن أحبّ علياً وتولاّه كتب اللهُ له براءةً من النار وجوازاً على الصراط))[٣].

وقد وصف الواصفون أمير المؤمنين علياً عليه السلام بأفضل الصفات وأكمل السمات، لقد وصفه ضرار بن ضمرة الكندي لمعاوية بن أبي سفيان حتى أبكاهُ وهو ألدّ أعدائه، وأبكى القوم وجعلهم يترحّمون عليه، بقوله:

((كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه، ويستوحشُ من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطبُ نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناهُ ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحنُ والله مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نكادُ نكلّمه هيبةً له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم،

---

(١) ثواب الأعمال، ٢/٢٤٧.

(٢) الفردوس، ٢/١٤٢/٢٧٢٣. والمناقب لابن شهرآشوب، ٣/٢٠٠.

(٣) بشارة المصطفى، ص٣٧. بحار الأنوار، ٣٩/٢٧٨، ٥٥ و ٦٨/١٢٥/ ٥٣.

يعظّم أهل الدّين ويقرّب المساكين، لا يطمعُ القويّ في باطله ولا ييأس الضعيفُ من عدله))[1].

ووصفه حجر الكندي الصحابي الجليل لمعاوية بقوله:

((صَهْ يا معاوية لا تذكر رجلاً - يعني علياً عليه السلام - كان لله خائفاً ولما يسخطهُ عائفاً، وبما يرضي الله عارفاً، خميص الضلوع، طويل الركوع، كثير السجود، ظاهر الخشوع، قليل الهجوع، قائماً بالحدود، طاهر السريرة، محمود السيرة))[2] وقد أيّد معاوية حجراً في نعته للإمام عليه السلام كما أيّد من قبل ضراراً، وقد قال: ((إي والله هكذا كان أبو الحسن)).

نعم، كان الإمام علي عليه السلام حسن السيرة وقد جُمعت في صفاته الأضدادُ وفي زهده ضُرب المثل، كما في شجاعته وصبره وتقواه، وبلاغته وفصاحته وحكمته وعلمه وكرمه ومروءته ونقاوته، وقد خطب يوماً على أهل الكوفة فقال لهم:

((دخلتُ بلادكم بأسمالي هذه، وراحلتي هذه، فإذا خرجتُ من بلادكم بغير ما دخلتُ فاني من الخائنين))[3] حاشاك يا مولاي أن تكون من الخائنين، بل من المؤمنين الصادقين المتّقين الذين تسنّموا المجد والعظمة في الدنيا والآخرة..

ويدخل عليه السلام يوماً بيت المال ولم يكن يملك ثلاثة دراهم ليشترى بها إزاراً أو ما يتحاج إليه، فيقسم كل ما فيه على الناس ثم يصلّي فيه، ويقول:

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة، ٤٤/٣، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أشعة الأنوار في فضل حيدر الكرار، ص٣١٤، ط النجف الأشرف.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب، ٣٦٧/١.

((الحمدُ لله الذي أخرجني منه كما دخلته))[١].

ولا غرابة في ذلك أبداً، لأن رسول الله ﷺ قد قال فيه عليه السلام مخاطباً له: ((والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائفُ من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلتُ اليومَ فيك مقالاً لا تمرُّ بملأ من المسلمين إلاّ أخذوا الترابَ من تحت قدميك للبركة))[٢].

وقال ﷺ: ((إن ربّ العالمين عهَد في عليّ إليّ عهداً، أنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، إن علياً أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، بيد عليّ مفاتيح خزائن رحمة ربّي))[٣].

وحتماً وقطعاً، يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام هكذا وأكثر، لأنه مصطفى من قبل الله تعالى، وإنه نفسُ رسوله ﷺ، وقد خُلقا معاً من نور واحد من قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام، وهو عليه السلام الوصي والوزير، والخليفة والإمام، وقاضي دين رسول الله ﷺ ومُنجز عداته، وكاشف الكرب عن وجهه، وأحفظهم لقوله، وجوامع كلمه، وكاتب وحيه، وعضده الأيمن في كلّ شدّة ومعضلةٍ وضرورة، ثمّ هو عليه السلام قبل كل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم..

وقد قيل فيه عليه السلام أنه: ((العالم المجرّب الحكيم، والناقد الخبير، وكان لطيف الحسّ، نقي الجوهر، وضّاء النفس، سليم الذوق، مستقيم الرأي، حسن الطريقة،

(١) المناقب لابن شهرآشوب، ٣٦٤/١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، البحار، ٨١/٤٠. النهاية لابن الأثير. شرح النهج، ٥/٤ وينابيع المودة، ٤٨٧/٢.

(٣) حلية الأولياء، تاريخ دمشق، ٢٧٠/٤٢ وينابيع المودة للقندوزي، ٤٨٥/٢.

سريع البديهة، حاضر الخاطر، عارفاً بمهمات الأمور...))[١].

نعم، هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام، وإن من تبصّر في عبادته تبيّن له أنه متمرّد في عبادته وتقواه، كما هو متمرّد في أسلوبه في السياسة والحكم، حيثُ يقف في هيكل الوجود مطمئناً صافي النفس، ممتلئ القلب حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون تجاوبت وما في كيانه من أصداء وأظلال وموازين، فأطلق هذه الآية الرائعة التي نرى فيها دستوراً كاملاً لتقوى الأحرار وعبادة عظماء النفوس:

((إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ))[٢].

وقد زهد عليه السلام في الدنيا وتقشّف وكان صادقاً في زهده كما كان صادقاً في كل ما نتج عن يمينه أو بدر من قلبه ولسانه، زهد في لذّة الدنيا وعلّة السلطان وكلّ ما يطمح لبلوغه الآخرون، وقد قال عليه السلام:

((والله ما أرزؤكم شيئاً وما هي إلاّ قطيفتي التي أخرجتها من المدينة))[٣].

وكذلك لقد مثّل الإمام علي عليه السلام الفروسية بأروع معانيها وبكل ما تنطوي عليه من ألوان الإباء والشهامة والترفّع حتى ضُرِبَ به المثل وغدا الهروب من سيفه لم يكن عاراً على الفتى والصنديد المبرّز الذي يُضرب به المثل، وكذلك مروءته أندر من أن تُعَدّ وتُحصى، وقد عفا عن ألدّ أعدائه حينما ظفر بهم، وأحسن إليهم.

(١) من مقدمة نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) نهج البلاغة، ط صبحي الصالح.

(٣) بحار الأنوار، ٤٠/٣٣٤، ط الوفاء.

وقد كان عليه السلام صادقاً مخلصاً حتى بلغ به الصدق مبلغاً أضاع به الخلافة ولو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله لما نال منه عدوٌ ولا إنقلب عليه صديق.. وقد رفض أن يقرّ معاوية على عمله، وقال عليه السلام:

لا أداهن في ديني ولا أُعطي الدنية في أمري، ولما ظهرت حيلة معاوية أطلق عبارته الشهيرة التي صحّت أن تكون صيغة للخُلق العظيم: ((وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ))[١].

وقال عليه السلام مشدداً على ضرورة الالتزام بالصدق مهما اختلفت الظروف:

((الإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ))[٢].

وكان عليه السلام بطلاً مقداماً شجاعاً وإنّ شجاعته منهُ بمنزلة التعبير من الفكرة، وبمثابة العمل من الإرادة لأن محورها عن طبع في الحق وإيمان بالخير، والمشهور أن أحداً من الأبطال لم ينهض له في ميدان، وأنه لم يقارع بطلاً إلاّ بعد أن يحاوره لينصحه ويهديه، ودائماً يصرع الأبطال وإن عظموا، وكان عليه السلام يأنف القتال إلاّ إذا حُمِل عليه حملاً، وكان عليه السلام يسعى دائماً أن يسوّي الأمور مع خصومه على وجوه سليمة تحقن الدماء وتحول دون النزال.

وكان عليه السلام عادلاً وليس غريباً أن يكون أعدل الناس، لأن العدالة تجري في روحه حتى أمام أبسط الأمور،وأخبار عدله عليه السلام تراثٌ يتشرّفُ به كلُّ شريف وعادل في الوجود، ويشرّف المكانة الإنسانية والروح الإنساني، وقد انتصر العدلُ في قلبه عليه السلام وقلوب أتباعه وإن ظُلِموا وظُلِمَ.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحِكم، ٤٥٨.

وكان عليه السلام متواضعاً جداً ويعتمد البساطة ويمقت التكلّف حتى أُثر عنه قوله عليه السلام: ((شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ))(١) وكان عليه السلام لا يتصنّع في رأي يراه أو نصيحة يسديها أو رزق يهبه أو مال يمنعه، وكانت هذه الطبيعة تلازمه حتى يسأم أصحاب الأغراض من استرضائه بالحيلة، وإذا هم ينسبون إليه القسوة والجفوة والزهو على الناس والإعجاب بالنفس، ولطالما نهى عليه السلام عن ذلك بقوله: ((إياك والاعجاب بالنفس، واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ))(٢).

وقد تميّز عليه السلام بالنقاوة وسلامة القلب فهو لا يحمل ضغينة على مخلوق ولا يعرف حقداً على ألدّ أعدائه ومناوئيه وإن حقدوا عليه حسداً وكرهاً، وقد كان كريماً لا حدود لكرمه لأن الكرم من خُلقه ويعبّر عن جملة المروءات في نفسه.

وكان عليه السلام يسقي بيده الكريمة النخل لقوم من يهود المدينة حتى تمجل ويستلم أجرته فيهبها لأهل الفاقة والعوز ويشتري بها الأرقاء ويحرّرهم من قيود العبودية، وقد بلغ به الكرم عليه السلام أن شهد معاوية بذلك بقوله:: ((لو ملك عليّ بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه))(٣).

نعم، هكذا كان أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد قال عنه ابن أبي الحديد: ((وما أقول في رجل تُعزى إليه كلُّ فضيلة وتنتمي إليه كلّ فرقة وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها ومجلي حليتها كلّ من بزغ فيها بعده، فمنه أخذ وله اقتضى وعلى مثاله احتذى... وكل فقيه في الإسلام

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحِكم، ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق من كتاب ٣١ رقم ٥٧.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٤١٤/٤٣، ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام.

فهو عيالٌ عليه ومستفيدٌ من فقهه، وعلم تفسير القرآن عنه أُخذ ومنه فرّع... وعلم النحو والعربية قد علم الناس كافّة أنه هو ابتدعه وانشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله... وهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، وفي كلامه قيل: ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)) ومنه عليه السلام تعلّم الناس الخطابة والكتابة فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره... فهو بدل الأبدال وإليه تُشدُّ الرحال... سبق الناس إلى الهدى... ولم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاّ السابق لكلّ خير أخوه وابن عمّه محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم))(١).

عزيز القارئ، هذا الكتاب يتألف من سبعة أبواب تحتوي على عشرين فصلاً تتناول سيرة ومراحل حياة الشخصية الاستثنائية غير العادية أبداً أمير المؤمنين علي عليه السلام، وستكتشف كثيراً من الحقائق التاريخية، والمناقب الساطعة، والأسرار الكبيرة التي غمرتها يدُ التزوير والأقلام المأجورة المعادية لمحمد صلى الله عليه وآله وعليّ وأئمة الهدى والعصمة عليهم السلام التي عطّرت الحياة وألّقتها بعد أن أظلمها وأوحشها الظالمون والمنحرفون والجاهلون أعداءُ علي عليه السلام والحقّ والحقيقة، وستعلم: ما من إمامٍ عادل، أو قاضي يقضي بحق، أو فقيه يملك بفقهه الإسلام الصحيح، أو ثائر يثور من أجل حرية وكرامة الإنسان، وإحقاق الحق وإقامة صرح العدل والبر والإحسان إلاّ وهو تلميذ علي بن أبي طالب عليه السلام لذلك فهو يستحق بجدارة أن يكون وليد الكعبة، وسيّد الوصيين والخليفة والإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يُتبع ويُوالى ويُقتدى بسيرته ومنهجه في الحياة. آملاً أن أكون قد أسهمت بخدمة الإسلام والإمام

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة، ١٦/١ - ٣٠.

عليه السلام واستميحكم العذر عن كلّ هفوة وزلّة، وسلامٌ على الإمام في كل زمان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الجمعة المباركة	من جوار أمير المؤمنين عليه السلام
٧ / ربيع الثاني/ ١٤٣٥هـ	المؤلف
٧ / ٢ / ٢٠١٤م	سيد صالح السيد عبد الرزاق الموسوي الخرسان

هل ترمز الولادة في الكعبة المكرّمة إلى سِرّ عظيم؟

إن الكعبة الشريفة هي بيتٌ مقدّس، ومكان طاهر، وقبلة للمسلمين، يؤمّها الناس من كل حدب وصوب، تنفيذاً لأمر الله سبحانه، وهو القائل: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[1] حيثُ يلتقي العبد مع المعبود، فيطوف ببيته الكريم لابساً ثوب العاشقين وداعياً بلغة العارفين، ومناجياً بلسان السائلين الراجين وذارفاً الدموع وكلّه خشوع من أجل بلوغ مرحلة الكمال والقرب الإلهي.

نعم، الكلُّ يطوف ويدعو: ((اللهم إني إليك فقير، وإني خائف مستجير فلا تغيّر جسمي، ولا تبدّل اسمي... سائلك فقيرك مسكينك ببابك فتصدّق عليه بالجنّة، هذا مقام العائذ بك من النار فاعتقني ووالديّ وأهلي وولدي واخواني المؤمنين من النار يا جواد يا كريم)).

إذن، في مثل هذا المكان المقدّس الطاهر كيف تكون الولادة؟ ولماذا حصلت فيه وهو مخصص حصراً على الدعاء والتوسّل والعبادة؟ وهل ترمز إلى سرّ عظيم وشأن خطير، أم هي شيء عادي ولا ترمز إلى شيء؟ وهل يترتّب عليها أن يكون الشخص الوحيد المولود فيها له من الشأن العظيم ما لا يعلمه إلاّ الله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

سبحانه؟ أو ما هو هذا الشأن؟!، وهل ستكشف الأيام ما بعد وليد الكعبة سراً من الأسرار ولغزاً من الألغاز؟!

وهل هي إلاّ المعجزة في هذه الولادة؟! وخرق الناموس الطبيعي البتة.

وما هو هذا الوليد الذي تشرّفت به الكعبة وانشقّ جدارها من ركنها اليماني لدخول أمّه الطاهرة فاطمة بنت أسد وهي حاملة به لتلدهُ في جوفها المقدّس، وانغلق الجدار الشريف وباءت كل محاولات السدنة لفتحه بالفشل والخيبة؟!

وللعلم إنّ آثار هذا الصدع في الركن اليماني قد بقى ماثلاً للعيان إلى يومنا الحاضر على الرغم من محاولة الحكومات الحاقدة عبر التاريخ رأبه ولم تتمكن، وسيبقى بمشيئة الله جلّ وعلا يحكي منقبة عظيمة لم يظفر بها إنسان قط إلاّ وليد الكعبة المكرّمة.

أقول، وكيف تمّت الولادة، والمرأة تحتاج إلى النساء حين الولادة؟! ومَن أشرف على الولادة؟! والأبواب مغلقة ومحكمة بإذن الله سبحانه؟! ومَن أحضر ملابس الوليد المبارك وعطره الذي فاح وانتشر وأبهج النفوس، وأشرح الصدور، وأدهش الألباب؟!

وتمّت الولادة الميمونة لذلك الوليد المعجزة الذي أضاء بنوره الكعبة وأرجاء مكة وكلّ شعابها، بل أرض شبه الجزيرة والعالم أجمع.

أجل، إنّ ذلك المولود العظيم هو صاحب الشأن والسر الكبير بعد الرسول ﷺ. ذاك هو عليٌ أمير المؤمنين الذي أشرق الوجود بنور علمه الثر الغزير، وبيانه الفصيح البليغ، وعدالته وكماله وقضائه، وحُسن أخلاقه وعبادته،

وجمال صورته وسلوكه، وقوّة شخصيته ورقّة عواطفه، وعظمة إنسانيته وشرف مبادئه، التي ظلّت ساريةً في ساحات الجهاد ومقارعة الأبطال، وإقامة العدل ودكّة القضاء وإنصاف المظلوم من الظالم، والعبد من السيّد، والمستضعف من القويّ، والمفترى عليه من المفتري، ذلكم هو أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب الولاية والراية.

فهو إمام هدى، ومصباح دجى، وسيّد الورى، ولا عجب في ذلك أبداً، لأنه مولى الموحّدين، وإمام المتقين، وسيّد المرسلين وقائد الغرّ المحجلين إلى جنات النعيم، ولا غرو فإن الحديث عن فضائله أوفى من أن تُحصر في كتاب واحد. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كلّه.

فقد روى أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي بإسناده عن جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر عليه السلام عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله تعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تُحصى كثرةً، فمن ذكر فضيلةً من فضائله مُقراً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، ومن كتب فضيلةً من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

(النظر إلى عليّ عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه).

وبعد كل هذا فالعجب كل العجب، أن يبتعد مسلم منصف أو عاقل مدرك عن محمدٍ وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين صلّى الله على محمدٍ وعليهم أجمعين، ويتمسّك بشخصياتٍ (حفاة عراة لا حسبَ لهم ولا نسب)، عبدوا الأصنام والأوثان، وفعلوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وسيرتهم ملأى بالتناقض والتهافت، والفسوق والنفاق، والأنانية والحسد والمصالح الشخصية. والتاريخ الواقعي، وروايات المنصفين والمخلصين والبعيدين عن فتاة وموائد السلاطين المنحرفين والظالمين والحاقدين خير شاهدٍ على ذلك.

أجل، إن السرّ الوحيد لذلك الوليد المبارك إضافةً لما تقدم أنه سيكون إماماً بعد النبي الأكرم ﷺ وسيكون معصوماً ليتمكّن من حفظ الشريعة، لأنها لابدّ لها من حافظ معصوم، يؤمَن من جهته التغيير والتبديل والسهو، ليتمكّن المكلّفون من الرجوع إليه في الأحكام، والعبادات والمعاملات، وفي كلّ ما يحتاجون إليه في الحياة، وقد نُصّب من قبل الله تعالى لا من قبل الأنام، بدليل قوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1].

وقول الرسول الأعظم ﷺ: حينما ردّ على رجل من إحدى القبائل التي عرض نفسه صلّى الله عليه وآله وسلم عليهم ودعاهم إلى الإسلام، والذي قال للنبي ﷺ: أرأيت إن نحنُ بايعناك على أمرك ثمّ أظفرك الله على مَن خالفك، أيكونُ الأمرُ لنا من بعدك؟

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

فقال ﷺ: (الأمر إلى الله يضعه حيثُ يشاء)[1].

وهنا ينبغي الإشارة إلى الإمامة وتعريفها اكمالاً للفائدة.

تعريف الإمامة:

جاء في كتاب الإمامة للسيد عبد الله الحسيني الميلاني، ما نصّه:

(إن الإمام هو المؤتَّم به، أي المتّبع والمقتدى... قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. وأما تعريف الإمامة فالظاهر أن لا خلاف فيه.

قال العلاّمة الحلي (ره) بتعريف الإمامة:

(الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابةً عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم).

وقال المقداد السيوري (ره) بشرحه:

(الإمامة: رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص إنساني. فالرياسة جنس قريب والجنس البعيد هو النسبة، وكونها عامّة فصيل يفصلها عن ولاية القضاة والنوّاب، وفي أمور الدين والدنيا بيان لمتعلّقها، فإنها كما تكون في الدين فكذا تكون في الدنيا. وكونها لشخص إنساني فيه إشارة إلى أمرين:

أحدهما: إنّ مستحقها يكون شخصاً معيناً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق.

وثانيهما: إنّه لا يجوز أن يكون مستحقها أكثر من واحد في عصر واحد.

وزاد الفضلاء في التعريف بحق الأصالة، وقال في تعريفها:

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٦٦/٢. والسيرة الحلبية، ١٥٤/٢.

الإمامة: رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص إنساني بحق الأصالة واحترز بهذا عن نائب يفوّض إليه الإمام عموم الولاية، فإنّ رياسته عامة لكن ليست بالأصالة.

والحق: إنّ ذلك يخرج بقيد العموم، فإنّ النائب المذكور لا رياسة له على إمامه، فلا يكون رياسته عامة.

ومع ذلك كلّه فالتعريف ينطبق على النبوة فحينئذ يزاد فيه بحق النيابة عن النبي ﷺ أو بواسطة بشر)[1].

فالإمامة هي من الأصول كالنبوة وممّا يدل على ذلك الحديث الصحيح المتفق عليه في أنّ: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وهذا الحديث قد جاء بألفاظ متعددة ولكن المعنى واحد، وقد ذكر في شرح المقاصد: ٢٣٩/٥. وقد جاء في مسند أحمد بن حنبل ٩٦/٤ ولكن يلفظ: (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وجاء في سنن البيهقي: ١٥٦/٨ بلفظ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية). ولقد جاء بألفاظ أخرى غير هذه الألفاظ والذي يظهر من هذا الكلام:

الدليل الصريح والبرهان القاطع على وجوب معرفة الإمام والاعتقاد بولايته المنصوص عليها من قبل الله تعالى والرسول الأكرم محمد ﷺ، ووجوب طاعته والانقياد له، وإنّ الشخص الجاهل به والجاحد له يموت على الكفر، كما

(١) النافع يوم الحشر، شرح الباب الحادي عشر، ٤٤.

هو الحال بالنسبة لمن يكون جاهلاً بنبوة محمد ﷺ وجاحداً بها، أو منكراً لها فإنه يموت على الكفر أيضاً.

ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول ﷺ إعداد الإمام علي عليه السلام من بعده والتصريح باسمه، وبيان دوره لتسلّم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود والبقاء من تحريف الجاهلين، وكيد الخائنين والفاسقين والحاقدين، ولتربية الجيل الذي اهتدى بهدي الرسول الأكرم ﷺ واعتنق الرسالة الإسلامية على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة، وتبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها، بمرور الأيام والشهور والسنين.

وقطعاً إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول أئمة أهل البيت الاثني عشر المعصومين عليهم السلام بعد الرسول الأكرم ﷺ، وهو المعصوم الثاني من أعلام الهداية، والذي جسّد الإسلام في كل مجالات حياته الشريفة، وفي كلّ أقواله وأفعاله وسلوكه.

فكان عليه السلام إسلاماً حقيقياً يمشي على الأرض ونبراساً ومتراساً، ومثلاً أعلى للبشرية بعد رسول الإنسانية محمد ﷺ. وكذلك أبناؤه المعصومون الأحد عشر عليهم السلام الذين جاؤوا من بعده عليه السلام هم بهذه الصفات وعلى نفس الشاكلة لأنهم نور واحد اصطفاهم الله عزّ وجل على العباد، لهدايتهم والأخذ بأيديهم نحو الكمال والفوز بالغفران والرضوان على مر العصور والدهور، وحتى يرث الله الأرض ومَن عليها. وهو العالم سبحانه حيث يجعل رسالته.

وقد تجلّى هذا التخطيط الرباني بخصوص أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام وأبنائه المعصومين الأحد عشر سلام الله عليهم أجمعين فيما نصّ عليه الرسول الأكرم محمد ﷺ بقوله الشريف:

(إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[1] وهم عليهم السلام الذين أنزل الله في حقّهم قرآناً:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

إن سيرة الإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد الفترة النبوية، وإنّ معرفة أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقُّ طريقهُ إلى أعماق الأمة، بعد أن أخذت طاقتها الإيمانية، والحرارية، والثورية تتضائل بعد انتقال الرسول الأكرم ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

فأخذ الإمام علي وأبناؤه المعصومون سلام الله عليهم أجمعين يعملون حسبما تقتضيه الظروف والأحوال على توعية الأمة وتحريك طاقاتها وتوحيد قواها، وتوجيهها نحو إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة وحركة الرسول

---

(١) الصحاح والمسانيد.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

ﷺ وثورته الإسلامية المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأمة.

وقد تبلورت حياة أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين الراشدين سلام الله عليهم أجمعين، في استمرارهم على مبادئ ونهج الرسول الكريم ﷺ، وانفتاح الأمة عليهم، والتفاعل معهم كأعلام للهداية والإيمان الحقيقي الواقعي، ومركز إشعاع للمؤمنين والصالحين، ومصابيح ساطعة لإنارة الدرب للسالكين. فهم الأسوة والقدوة والأدلاء على الله ومرضاته، ومغفرته وجناته، والسابقين إلى مراتب السمو وتسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

ولقد حفلت حياتهم بأسمى أنواع الجهاد والصّبر والطاعة لله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح في الأمة وتنفيذ حكم الله في الأرض حتى ختموها بالشهادة، وفازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد قلّ نظيره.

ولم يستطع كاتب أو باحث أو مؤرّخ أن يلمّ بحياة أمير المؤمنين عليه السلام أو أي أحد من أبنائه المعصومين - أئمة الهدى ومصابيح الدجى - من جميع الجوانب لأن حياتهم ملأى باللئالئ والدرر والكمالات الروحية والإنسانية التي تعطّر بشذاها الأيام والسنون والعصور حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. فهم المصطفون من البشر، والرحمة الواسعة لبني الإنسان قاطبة، ولولاهم لساخت الأرض ومن عليها.

نعم، إنهم عليهم أفضل الصلاة والسلام الأمان لأهل الأرض والحجة فيها، فقد ورد عن صادق أهل البيت عليه السلام أنه قال:

(ولم تخلُ الأرض منذ خلقها الله تعالى من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولن تخلو إلى أن تقوم الساعة ولولا ذلك لم يعبَد الله، قيل: كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟!

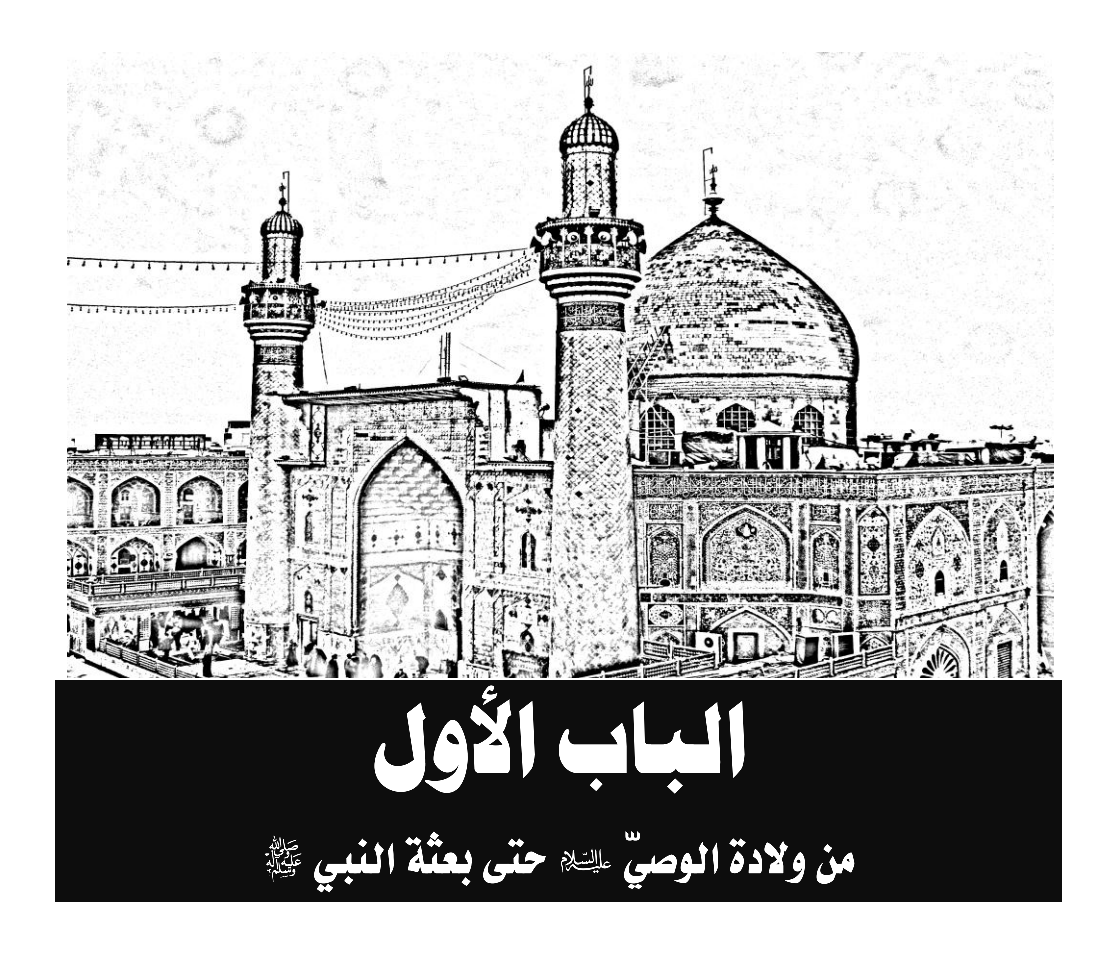
قال عليه السلام: (كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب).

وعن الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه الشريف) أنه قال:

(وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذ غيّبها عن الأنظار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان أهل السماء)(١).

إذن، فالحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أو عن أحد أئمة الهدى، لم يكن إلاّ محاولة متواضعة في إعطاء قبسات من حياتهم، وشذرات من سيرتهم، ولقطات من سلوكهم، ومواقفهم الإنسانية المثالية التي دوّنها المؤرخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والبحث والتحقيق، ونسطّرها هنا عسى الله أن ينفع بها القارئ الكريم، وننتفع بها نحن، ومَن له لبٌّ ووعيٌ وإدراك وإنصاف، أنه المتفضل وولي التوفيق.

(١) انظر أعلام الهداية، ج١٤، ص١٧٦.



الباب الأول

من ولادة الوصيّ عليه السلام حتى بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل الأول:

ولادة أمير المؤمنين عليه السلام ونسبهُ الطاهر

الفصل الثاني:

الإمام علي عليه السلام وخلقته

الفصل الأول من الباب الأول
ولادة أمير المؤمنين عليه السلام ونسبهُ الطاهر

ولد البطل الهمام والعالم المقدام الذي عجزت عن وصفه الأقلام في الثالث عشر من شهر رجب الأصب عام (٣٠) من عام الفيل في جوف الكعبة المكرّمة، حيث لم يبلغ الرسول صلى الله عليه وآله أكثر من ثلاثين عاماً. وعليه يكون عمره الشريف من حين ولادته عليه السلام إلى بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لم يتجاوز العشر سنوات. أي أنه ولد قبل البعثة الشريفة بعشر سنوات.

إن الإمام أمير المؤمنين وسيّد الوصيين هو:

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

جَدُّ أمير المؤمنين عليه السلام

إن جدّ الإمام علي عليه السلام، هو عبد المطلب عليه السلام شبية الحمد، وكنيته أبو الحرث، وعنده يجتمع نسبه بنسب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكان مؤمناً بالله تعالى، ويعلم بأن محمداً سيكون نبياً.

(روى محمد بن سعد بإسناده: قال عبد المطلب لأم أيمن بنت أبي طالب وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فاني وجدته مع

غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون إنّ ابني هذا نبيٌّ هذه الأمة، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلاّ قال: عليّ بابني، فيؤتى به إليه. فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب عليه السلام بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياطته.

مات عبد المطلب فدفن بالحجون، قالت أم أيمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ يبكي خلف سرير عبد المطلب)[١].

قال ابن أبي الحديد: (وقد نقل الناس كافّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة)[٢].

إذن، يحقُّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبكي ويذرف الدموع غزيرةً على عبد المطلب جدّه وجدّ علي عليه السلام لأنه أهل للكمال والخلق السامي والروحية الرفيعة، لذا لم نعجب أنه ساد قومه وأحسن السيادة.

(وقد أعطاه الله في زمانه وأجرى على يديه وأظهر من كراماته ما لا يعرف مثله إلاّ لنبيّ مرسل)[٣].

ولقد تحدّث المؤرخون عنه فقالوا:

(أنه كان جميلاً أبيض وسيماً طويل القامة معتدلها، عظيم الهامة، مقرون الحاجبين، أشم العرينين، مبارك الطلعة يشرق من جبينه نور النبوة، وتحيط به

(١) الطبقات لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، ط. لندن سنة ١٣٢٢هـ، ج١، ص٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، الطبعة القديمة، ج٣، ص٣١٥.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٥، ص٢٠١.

هالة الإمامة فكأنما هيبته هيبة الملوك، ما رآهُ أحد إلاّ أحبّه)[(١)].

وكان عليه السلام هو وأبوه وجدّه من الموحّدين على دين إبراهيم الخليل عليه السلام. وفي طليعة من حرّموا الخمر والسكر والأزلام على أنفسهم[(٢)].

وكان عليه السلام من حكام قريش في الجاهلية[(٣)].

وكان ناسكاً مجاب الدعوة، وهو أول من تعبّد بغار حراء فاستهل رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ورفع مائدته للطير والوحوش، في رؤوس الجبال وسفوح الأودية[(٤)].

وكان متميزاً بشبابه عن بقية أقرانه ولدّاته يسبقهم في كل شوط من أشواط الفخر والسيادة بالرغم من قلة ذات يده لو قيس إلى أبناء التجار وذوي الأموال والترف من قريش.

ثم شبّ وترعرع وفي نفسه الطموح بصورة ذاتية، والامتداد إلى الزعامة العربية والسيادة الاجتماعية، وليس ذلك نشازاً على فتى هاشم، ما دام يتمتّع بشمائل ومزايا وصفات موروثة ومتبنّاة، فلقد تناول السيادة والرفادة والسقاية من عمّه المطلب الملقّب (بفيض قريش) لجوده وكرمه[(٥)].

ومن مآثر عبد المطلب، قال المؤرخون:

---

(١) نهاية الارب للنويري، ج١٦، ص٤٢، وشرح النهج، ج٣، ص٤٥٩، ط قديمة.

(٢) المحبر: للنسابة البغدادي، ص٢٣٥ و ص٢٣٧.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) الكامل لابن الأثير، ج٢، ص٩، وشرح النهج، ج٣، ص٤٦٦.

(٥) الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها، ج١، ص٦٧.

جبرهُ للكسير وفكّه للأسير وغوثه للمستجير وحفره لبئر زمزم وسقاية الحجيج، وهي من المآثر التي تركها له أبوه هاشم وديعة عند عمّه، فكان يضيق خصوصاً أيام القيض في استخراج الماء من الآبار المحيطة بمكة ونقله إلى حياض الإذن التي كان يعدها في مكة وفي مِنى لسقي الحجيج قبل أيام الموسم.

ومن مآثره الاجتماعية التي تنبيء عن عقلية رئاسية تحالفُه مع القبائل ليكوّن حزمة واحدة قوية الأواصر متلاحمة الأجزاء، وأول قبيلة استجابت إلى أوامره (خزاعة) فعقد الحلف مع الرجال البارزين منهم وكتب بنوده في الكعبة المكرمة.

ولا بأس أن نذكر شيئاً من كرامات جدّ أمير المؤمنين عليه السلام ليطّلع القارئ الكريم على عظمة تلك الأسرة وكرامة أصلها وعظيم شأنها، وعراقتها ومجدها، وكبير آثارها في التاريخ والحياة الاجتماعية والروحية والأخلاقية، والسياسية أيضاً، ولا غرو في ذلك لأنهم أصلاب شامخة بالإضافة إلى الأرحام الطاهرة لمن اصطفاهم ربٌّ العزّة والكرامة وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام وأئمة الحق والهدى سلام الله وصلواته عليهم أجمعين.

بعض كرامات عبد المطلب عليه السلام :

إن كرامات جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام كثيرة نذكر منها:

١- إنه عليه السلام قد حفر بئر زمزم ورأى فيه كرامات كثيرة وقد اعترض عليه القرشيون إلاّ أنه لم يعبأ بهم ولا باعتراضاتهم الكثيرة. بل كان عليه السلام يجيبهم بكل ثقة وقوة وكلام صارم:

(أمرني ربي أن أحفرها هنا ما يروي الحجيج الأعظم).

ثم يلتفت إلى ابنه الحارث وهو يواصل عمله:

(يا حارث ذُد عني حتى أحفر، فوالله لأمضينّ لما أُمرتُ به).

فأخذ ولده الحارث يذود القوم عن أبيه فينصرفون وهم على مضض، وما زال عبد المطلب يحفر وأبنه الحارث ينقل التراب على مرأى من قريش طوال ذلك النهار حتى كادت الشمس أن تغيب، بدا لعبد المطلب طي البئر وقعرها فإذا هو بلمعان ذهب وبريق سيوف وأدرع من خلال التراب، فكشف التراب فإذا وراء ذلك اللمعان والبريق غزالان مجسّدان من ذهب وسيوف قليعة من رصاص وأدرع كانت (جرهم) - أي عشيرتهم - يوم كانوا يتولون إدارة البيت قبل (خزاعة) قد دفنت في ذلك المكان من البيت حينما نزحت عن مكة.

فانتشر الخبر بين قبائل قريش بأن عبد المطلب وجد خبيئة نفيسة من خلال عمله. فأخذوا يهرعون إليه أفواجاً وهم ينادون:

يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق، وهو يقول: لا ولكن هلموا إلى أن نتقارع.

فأخذ عبد المطلب يدعو الله في أن يظهر الحق لأهله وسرعان ما فاز عبد المطلب على قريش.

٢- مطالبة قريش عبد المطلب بأن يعطيهم حصة من ماء زمزم حينما وقفوا على رأسه مطالبين قائلين:

يا عبد المطلب أنها بئر أبينا إسماعيل وإنَّ لنا فيها حقاً فأشركنا معك. فأجابهم برد صارم قائلاً:

(ما أنا بفاعل إنّ هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم وأُعطيته من بينكم).

قالوا له:

أنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها.

قال: فأجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه.

قالوا: الحكم بيننا (هذيم كاهنة بني سعد).

فرضي عبد المطلب بذلك - نزولاً على رأيهم - وكانت الكاهنة بمشارف الشام، ونادى منادي قريش: أن يتجهّز من كل حي نفر، فإن الغداة موعد السفر إلى مشارف الشام لمقاضاة عبد المطلب.

وهكذا انتدب عبد المطلب بعض رجال من بني عبد مناف.

وكان الغد فركب رجال قريش وركب رجال عبد المطلب، وخرج الجميع من مكة في ضحوة من نهار والأرض كلها مفاوز وقفار حتى إذا توسطوا الصحراء فإذا بالرمال كأنها ألسنة اللهب من شواظ الهجير، وإذا بالفضاء كأنه غيوم الدخان والبخار. وقطعوا طويلاً من الأشواط المتمادية بين الحجاز والشام وبلغوا موضعاً يقال له: (الفقير) فجفّت أسقية عبد المطلب وأصحابه من الماء فصبروا - في البداية - ولم يستذلوا لطلب الماء من قريش واضطروا - بعد ذلك - إلى طلب اليسير من الماء الكثير عند قريش فأبوا أن يسقوهم وقالوا: إنا في مفازة ونخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

حتى إذا بلغ العطش من عبد المطلب واصحابه مبلغه أمرهم في البداية أن يترجّلوا عن صهوات دوابّهم ويحفروا حفراً في الأرض على عددهم لتكون قبوراً لهم إذا أدركهم الموت.

ففعلوا ما أمرهم عبد المطلب وجعلوا ينتظرون الموت لحظةً بعد أخرى وهنا أطال عبد المطلب التفكير في ذلك المصير فأبت نفسه العالية الاستسلام الرخيص للموت دون أي دفاع ومكافحة، فنهض قائماً على قدميه وأهاب بأصحابه قائلاً:

(واللهِ إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز وخور إرتحلوا فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد).

فارتحل قومه وارتحل هو، وقريش تنظر إليهم عن كثب ما هم فاعلون، وما إن دفع عبد المطلب راحلته إلى السير أمام أصحابه فإذا بعين ماء عذب قد انبجست من تحت قوائمها بحيث لم يعهد لها سابقة في مثل هذا المكان.

فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه معه فنزل عن راحلته ونزل أصحابه فاستقوا من ذلك الماء، وسقوا خيولهم وملأوا أسقيتهم وأوعيتهم وهم على مرأى من قريش.

ثم دعا عبد المطلب رجال قريش إلى ذلك الماء قائلاً لهم: هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فأشربوا واستقوا، فنزلوا عن رواحلهم إلى ما دعاهم إليه عبد المطلب. ثم قالوا له بعد أن لمسوا تلك الكرامة على يديه:

(واللهِ لقد قضى اللهُ لك علينا - يا عبد المطلب - لا واللهِ لا نخاصمكَ في زمزم أبداً، إنّ الذي سقاك الماءَ بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فأرجع إلى سقايتك راشداً).

فرجع عبد المطلب ورجعت قريش معه ولم يصلوا إلى الكاهنة. وآب الفريقان إلى مكة هذا بفوزه وهذا بخسرانه[1].

٣- وهي من أهم الكرامات لعبد المطلب وأنبلها، وأشدُّ نبضاً من عامة كراماته التي يحدّثُ بها التاريخ، وهي قصة الفيل وطير أبابيل، وذلك لما عزم أبرهة الحبشي من اليمن وحلف بنصرانيته المقدسة أن يهدم البيت الذي تحجُّ إليه العرب في مكة فجاء بجيش عظيم وأمامه رعيل من الفيلة وأمامها ملك الفيلة (محمود) فيل النجاشي الخاص، حتى انتهى أبرهة الحبشي بجيشه وفيلته إلى ضواحي مكة في منتصف الليل، وقد ترك أهل مكة منازلهم وهرعوا إلى رؤوس الجبال المحيطة بمكة منجى ومناصاً ولم يبق بمكة غير عبد المطلب أقام على سقاية الحاج و(شيبة بن عثمان بن عبد الدار) قام على حجابة البيت.

ثم أرسل أبرهة (حناطة الحميري) وقال له:

سل عن سيد قريش وزعيم مكة وقل له إني لم آتِ لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تمنعوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم فإن لم يروا فأتني به.

فأنطلق عبد المطلب مع حناطة وقد علم مسبقاً أن قطعات من الجيش الحبشي انتهبو فيما انتهبوا إبله، ولما دخل عبد المطلب على ابراهة، وهو يرفل بجلال الوقار والعظمة، وكان وسيماً جسيماً عظيماً مهيب الطلعة والعارضة.

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٢، ص٧ - ٨. وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٥، ص٢١٦. والسيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص١٤٣ - ١٤٧.

فلما رآهُ أبرهة أجلّهُ وأكرمه ونزل عن سرير الملك إليه، وجلس معه على بساط، وأجلسه إلى جنبه، فلما استقر بعبد المطلب مجلسه قال الملك لترجمانه: قل له ما حاجتك؟

فقال عبد المطلب: حاجتي أن يرد عليّ إبلي المنهوبة من قبل مقدمة جيشه، مائتي بعير.

قال ابرهة: حين سألتك عن حاجتك كلمتني في إبلك ولم تكلمني في بيت عزّكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون وقد جئتُ إلى هدمه.

فانتفض عبد المطلب في وجه ابرهة وقال:

أيها الملك أنا أكلمك في مالي وأنا ربّ إبلي، ولهذا البيت ربٌّ سيمنعه منكَ ولستُ أنا منهُ في شيء.

فارتاع ابرهة من كلام عبد المطلب وتوعيده. قال ابرهة:

ما كان ليمنع مني.

قال عبد المطلب: أنت وذاك، إردد إليّ إبلي.

فأمر ابرهة برد إبله عليه، فتسلمها عبد المطلب فقلّدها وأشعرها وجعلها هدياً للحرم وسيّبها فيه من غير رقيب، في معرض أن يأخذها أو يعتدي عليها أحد من الجيش الحبشي، فيغضب الله لها كما غضب لناقة صالح وفصيلها حينما اعتدى عليها قوم ثمود من قبل.

ثم رجع عبد المطلب من قبل ابرهة وقد توجّه إلى بيت الله وتعلّق بأستار الكعبة، وأخذ بحلقة بابها أو بعضادة الباب وهو يقول متضرعاً:

يــا رب لا أرجــو لهــم ســواكا   فـــــأمنع مــــــنهم حماكـــــــا
إنّ عـــدوّ البيـــت مـــن عاداكـــا   إنّهـــــم لم يقهـــــروا قواكـــــا

ثم عاد عبد المطلب بعد أداء مناسكه وهو يطيل التفكير فيما سيؤول إليه أمر البيت على يد ذلك الملك الحبشي الجبار.

أما ابرهة فقد بات ليلته هو وأصحابه في قلق وصراع واضطراب من خطورة الموقف ينظرون إلى السماء كالحة النجوم مسمّرة الأحداق كأنها تنذرهم بالعذاب القريب.

وعند السحر تقدّم ابرهة بجيشه وفيلته مصممين أن يصحبوا بمكة وأمامهم الفيل العظيم (محمود) فوجّهوه إلى مكة فأقبل عليه (نفيل بن حبيب الخثعمي) فمسك بإذنه وقال:

محمود إرجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فربض الفيل ولم ينهض، فضربوه بالطبر فتمرغ بالتراب وأبى أن ينهض، فوجّهوه نحو اليمن راجعاً فقام يهرول، ووجهوه إلى جهة الشام فكذلك فعل، فعطفوه حين رأوه منطلقاً إلى مكة فربض ولم ينهض، وأخذ يتمرغ بالتراب فلم يزالوا به حتى كادت الشمس أن تشرق. هذا وعبد المطلب فوق جبل أبي قبيس يدعو الله برفع الخطر عن مكة وينتظر الفرج.

وإذا بطير أبابيل قد طلعت عليهم من كلِّ جانب فخيّمت على سماء مكة كأنها الجراد المنتشر ويحمل كل طائر منها أحجار ثلاثة في رجليه ومنقاره، وهي بقدر الحمصة أو العدسة، ثم ألقت تلك الطيور المخيّمة بجميع ما تحمل من

أحجار على رؤوس ذلك الجيش المكثّف، فكانت إذا رحت بأحجارها ترجع وتعود للحظات وهي محمّلة بنفس ما كانت تحمل فترمي بها على ذلك الجيش.

وهكذا استمرت الحالة إلى عدة دفعات حتى شملت عامة أفراد الجيش بالقتل والدمار فكانت لا تقع على رأس إنسان أو بطنه أو أي عضو من أعضائه إلاّ وهشمته وخرقته، وكذلك لا تقع على أي موضع من مواضع الجيش إلاّ ونشرت فيه الوباء المهلك كما تفعل القنابل الجرثومية حتى تحطّم ذلك الجيش العظيم وأصبح كعصف مأكول.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة العظيمة. حيث قال الحق تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1].

وولّى ابرهة دبره خاسئاً منكسراً مذعوراً وقد أصابته بعض الحجارة أو شمله وباؤها فتناثرت أعضاؤه تدريجياً في أثناء رجوعه إلى صنعاء اليمن حتى بقي كالفرخ فأنصدع صدره بعد ذلك عن قلبه فمات في بلاده شرّ ميتة.

ولم يفت الوباء فلول جيشه المذعور المنهزم معه حتى أُبيدوا عن آخرهم. وبعد أن إنجلت السماء عن تلك الكرامة لبيت الله تعالى ينزل عبد المطلب من موضع نسكه ودعائه (غار حراء) تضيء على ثغره ابتسامة النصر باستجابة دعائه وشكره إلى الله في أن يحمي حماه ويمنع رحله.

(١) سورة الفيل: الآية ١ - ٥.

وهذا غيض من فيض مما سجّله التاريخ وكتب السير والتراجم لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام من كرامات ومآثر وما لم يصل إلينا أكثر وأكثر[١] فهو بحق (إبراهيم الثاني) كما سمته قريش[٢].

أجل إنّ عبد المطلب صلوات الله وسلامه عليه قد تألّق في سماء المجد والفضيلة والإيمان وأنار بفيوضات وجوده وإشراقات أخلاقه وسلوكه وكراماته تلك الحياة السائدة آنذاك فجعلها متفائلة مفعمة بالأمل، ومترقّبة لشروق فجر جديد يحمل في ثناياه كلّ ألوان العطاء والخير والحضارة، وقد تجسّد بالفعل على أيدي أحفاده الغر الميامين.

هاشم بن عبد مناف عليه السلام

إنّ هاشم بن عبد مناف هو جدّ النبي الأكرم محمد ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام واسمه عمرو، وعمرو العلى، لمعاليه. وقد سُمّي هاشماً لأنه هشم الخبز بمكة لقومه، وأول من أطعم الثريد للحجّاج فيها. ولذلك قال شاعر من قريش شعراً حسناً نذكر منه:

عمرو الذي هشَمَ الثريدَ لقومِه ... قومٌ بمكةَ مُسنتين عِجافِ
سُنّت إليه الرحلتانِ كلاهما ... سفرُ الشتاءِ ورحلةُ الإيلافِ[٣]

---

(١) انظر كتاب الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها. إضافة إلى كتب التراجم والسير.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.

(٣) الروض الآنف، السهيلي، ج٢، ص٦٤ - ٦٥.

وكان هاشم ذا شخصية فذّة وشهيرة في مكة والجزيرة العربية معروفاً عند الدول المجاورة كدولة الروم والفرس واليمن والحبشة، وقد أكرمه سيف بن ذي يزن في اليمن إكراماً لا يوصف.

وكان متميزاً بين اخوته الثلاث بسمات جسمية وعقلية ونفسية باهرة وصفات ساحرة حتى قيل عنه:

أنه كان غض الشباب وريّق العنق، طيّب النشئ، باسم الثغر، نضير الغصن، أغرّ الجبين، أنف العرنين، صبيح الوجه، مبارك الطلعة، رشيق القوام، مترف الهندام، وكان لهذه السمات يُدعى بالبدر تارةً وبالقمر تارةً أخرى. كما كان أبوه يُدعى بذلك. وهذا مما جاء في مروى التاريخ.

وكان يتمتع بسعة الصدر وسماحة الطبع ولين الجانب ورقّة الشمائل وكبرياء النبل وبذخ الشرف وقوة النفس، وتفهّم الأحداث ووضع الحلول المناسبة، والحكمة والعلم، وكان يتصرف برزانه ووقار وصدق وإيمان ويقين في أحكامه.

بالإضافة إلى أنه يصل الأرحام ويطعم الجائع ويكسو العريان، وينتصف للمظلوم من الظالم، ويجبر الكسير ويمنع المستجير إلى غير ذلك من الصفات والمحاسن والمناقب.

ونتيجةً لذلك أناطت قبائل قريش تلك الزعامات التي كان يتولاها والده (عبد مناف) من النداوة والحجابة والسقاية والرفادة واللواء بولده (هاشم) دون بقية اخوته.

وقد كان هاشم بعد ذلك يقوم برفادة قريش واخوته أحسن قيام، وينفق كل ما عنده عند القحط والجوع، وكثيراً ما يرحل إلى فلسطين من بلاد الشام ليجلب قمحاً ودقيقاً ويقدم به إلى مكة ويأمر بخبزه ونحر الجزر وهشم الثريد وتقديمه إلى قومه وعموم الفقراء والجائعين. وفي ذلك يقول ابن عمه: وهب بن عبد قصي شعراً:

تحمّل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيى أن يقوم ابن بيضِ
أتاهم بالغرائر متأقات ... من أرض الشام بالبر النفيض
فأوسعَ أهل مكة من هشيم ... وشاب الخبزَ باللحم الغريض

وإذا حضر موسم الحج جمع هاشم قبائل قريش وخطب فيها قائلاً:

(يا معشر قريش أنكم جيران الله سبحانه، وأهل بيته، وأنه يأتيكم في هذا الموسم زوّارُ الله وحجّاج بيته، وهم ضيفُ الله سبحانه، وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفُه، فأجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لابُدّ لهم من الإقامة فيها، فإنه - والله - لو كان مالي يسع لذلك ما كلّفتكموه).

فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيُصنع به للحجّاج طعام حتى يصدروا منها[1].

فكان عليه السلام بذلك البيان المشرف يستحث قبائل قريش على الترافد والتلاحم والتعاون لتسير وسائل الضيافة والرفادة لوفوده الموسم، وكانت قريش تستجيب لما ندبهم إليه راضية منقادة. وهاشم بجهوده وبيانه وأمواله الكثير يسدّ عجز

(١) الروض الآنف، ج٢، ص٦٥.

النفقات لمواسم الحج ويقضي حوائج الحجيج من طعام وشراب طيلة أيام الموسم حتى يرحلوا إلى أهليهم وبلدانهم ولم يقتصر الارواء والإطعام على الحجيج فقط وإنما يسع كل من حضر مكة ومنى من الناس أيضاً.

وأن هاشم عليه السلام هو أول من سنّ سنّة الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وإنَّ قرآناً قد نزل بذلك. ولقد اعترف المفسّرون أنَّ نزول سورة الإيلاف في هاشم(١).

يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس عليه السلام:

(والله لقد علمت قريش إنّ أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العيرات لهاشم، والله ما شدّت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ولا أناخت بعيراً بحضر إلاّ بهاشم)(٢).

ويقول النسّابة البغدادي:(وكان هاشم أول من رحل الرحلتين)(٣).

وكان لتلك الشجاعة والهمة العالية التي امتاز بها هاشم أعظم الأثر في انفتاح قريش وزعامتها العربية على تلك البلدان البعيدة فكانت بدايتها بالشام واليمن.

وحينما دخل هاشم إلى الشام بتجارته وفاتحاً الأبواب لعلاقاته فكان يذبح كعادته شاةً أو جزواً في كل يوم ويدعو الناس إلى طعامه فرأى الناس منه خلقاً

(١) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٥٢.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٥، ص٢١٠. العيرات: كل ما حمل عليه من ابل أو حمير.
(٣) المحبر للنسّابة البغدادي، ص١٦٤.

طيباً وكرماً ونبلاً، حتى وصل خبره إلى ملك الروم قيصر فدعاه إليه. فلما دخل هاشم عليه أكرمه وأعلى مجلسه فقال له هاشم فيما قال:

(لعلك أيها الملك تتسع لقريش أن تختلف بمتاجرها إلى هذه المملكة فتصادف رعاياك بما تحمل إليهم ما تحتاج إليه مما عندهم فتصيب التجارة في بلدك بعض الربح المتبادل بينها وبين سلع جديدة، ولعلّ رعيتك أيها الملك تربح من معنويات هؤلاء الوافدين أكثر مما تربح من مادياتهم، فإن لقريش جاهاً في العرب وسلطاناً تستحق أن تختصّها ببعض الود، وتصطفيها لبعض المنافع، ولقريش - رعاك الله - من الوفاء وعرفان الجميل ما تستطيع أن تعتمد عليه وتثق به).

فأعجب الملك بمنطق هاشم عليه السلام وأدرك مبلغ غايته من طلبه الحلف وجعل يرسل عليه كل يوم ويكلّمه ويستمع إليه، ثم توسّط الملك قيصر بطلب من هاشم وإعجاباً به إلى ملك الحبشة باعطاء قريش نفس المعاهدة والمعاقدة اللتين ابرمها لهم)[1].

ولقد قام هاشم عليه السلام بهذا الدور العظيم وهو لا يتجاوز العشرين من عمره إلاّ بنيف على أكثر الروايات. فلا غرابة إذا قلنا أن هاشماً يعتبر عقلية فذّة وشخصية مبدعة غدت نبراساً للأجيال اللاحقة والقرون القادمة. ولهاشم أربعة من البنين: شيبة وهو عبد المطلب، وأبو صيفي واسمه عمرو، وأسد، ونضلة. إلاّ إنّ المفضّل من بنيه هو: عبد المطلب ولم يكن أسنّهم.

---

(١) شرح النهج، ج١٥، ص٢١١. وطبقات ابن سعد، ج١، ص٤٣. تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢١٣.

أجل، هكذا كان هاشم جدّ أمير المؤمنين، في كمال عقله، وحسن أخلاقه، وجمال سيرته، وعمق تفكيره، وبعد نظرته وقوّة إيمانه، وعظمة شخصيته، وسحر بيانه، وروعة منطقه، وكثرة كرمه وسخائه. وحسن صورته. وحبه لقومه والآخرين.

وقد رآه رجل من حضرموت يسمى (أمد بن أبد) فوصفه قائلاً: (رأيتُهُ رجلاً طوالاً حسن الوجه، يقال، إنّ بين عينيه بركة أو غرة بركة)[١].

مما جعله يأخذ بماجمع القلوب، ومؤهلاً لقيادة قومه والسيادة على قريش والعرب جميعاً. ومحبوباً وموثوقاً به عند الملوك والقادة والرؤساء وأعاظم الرجال، وهو لم يزل في عمر يربو على العشرين عاماً بقليل. وقطعاً إنّ هذا من النوادر في الرجال. ولا نستغرب البتة من هذا الأمر لأنه الصلب الشامخ لسيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأئمة الهدى المعصومين سلام الله وصلواته عليه وعليهم أجمعين الذين مدحهم القرآن، وانبهر بهم الخلق، وتعطّر بشذاهم الدهر، وهم الأسوة والقدوة في الوجود ما تعاقب الجديدان.

وبقي هاشم عليه السلام بعد أبيه عبد مناف عليه السلام على الزعامة والسقاية والرفادة ونوره يشع في الآفاق، وبركاته عمّت القريب والبعيد وينعم بها من لم يكن له سعة ولا زاد وبالأخص ضيوف الرحمن، حتى انتقل إلى جوار ربه. ثم تولى الزعامة والسقاية والرفادة اخوه المطلب بن عبد مناف ثم تولاها بعده شيبة بن هاشم المسمى بعبد المطلب[٢].

---

(١) المعمرّون والوصايا، ص١٠٨ للسجستاني. مختصر تاريخ دمشق، ج٥، ص٣١ - ٣٢.

(٢) الروض الآنف، ج٢، ص٦٥ - ٦٦.

والد أمير المؤمنين علي عليه السلام:

إن والد الإمام علي عليه السلام هو: عبد مناف، وقيل عمران، وقيل: شيبة، كنيتهُ: أبو طالب. فهو ابن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف الهاشمي القرشي. وهو سيّد قريش وزعيمها وكريمها وشجاعها بلا منازع.

ولد أبو طالب بمكة المكرمة قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وثلاثين سنة. وكان شريك والده عبد المطلب بكفالة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولما توفي عبد المطلب انفرد أبو طالب عليه السلام بكفالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهت إليه بعد أبيه الزعامة المطلقة.

وكان يروي الماء وفود مكة كافّة، لأن السقاية كانت له. ورفض عبادة الأصنام ولم يسجد لها، ووحّد الله سبحانه وأطاعه، ومنع نكاح المحارم والسرقة وقتل الموؤدة، والزنا، وشرب الخمر، وطواف العراة في بيت الله الحرام، وقد نزل بأكثرها القرآن الكريم، وجاءت بها السنّة الشريفة.

نعم، إنّ أبا طالب كان عزيزاً مؤمناً بالله عزّ وجل، وكريماً في بذل الطعام وإشباع الجائع ومَن لا طعام له.

قال البلاذري: (فكان منيعاً عزيزاً في قريش... وكانت قريش تُطعِم، فإذا أطعَم لم يُطعِم يومئذٍ أحد غيره)[1].

أجل، لقد كان أبو طالب عليه السلام يمتاز بالحكمة والعلم والكمال والجمال والكرم وحسن الخلق والسيرة والشجاعة النادرة. وقد روي إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) أنساب الأشراف بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ج٢، ص٢٣.

قد قال فيه: (لو أن عمي أبا طالب قد أولد العرب لكانوا كلّهم شجعاناً) وخير دليل على ذلك احتضانه للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة والاستماتة في الذود عنهما وشجاعة ولده أمير المؤمنين علي عليه السلام المعجزة في دفع الخطوب وساحات الوغى وتحقيق النصر المؤزّر في غزوات الرسول صلى الله عليه وآله ومعارك الإسلام الخالدة.

إيمان أبي طالب عليه السلام:

من المسلّمات التي لا يشكّ فيها أحد من ذوي الإنصاف والمروءة والعقل: أن أبا طالب كان مؤمناً بالله تعالى وموحّداً له ومطيعاً، هو وآباؤه على دين إبراهيم الخليل عليه السلام. وقد احتضن الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة ودافع عنهما حتى النفس الأخير، وتحمّل الصعاب وأقسى المشاق من أجل استمرارهما وانتصارهما وقد تحقّق ذلك بالفعل.

وقد تنزّه هو وآباؤه الكرام عن الشرك وعبادة الأصنام لأنهم طاهرون، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] والرسول محمد صلى الله عليه وآله يقول: (نُقلنا أنا ووصيّي علي بن أبي طالب من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية)[2].

ولقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي خلقني الله وخلقك من نوره فلما خلق آدم عليه السلام أودع ذلك في صلبه فلم نزل أنا وأنت شيئاً واحداً ثم افترقنا في صلب عبد

(١) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٣٩.

المطلب، ففي النبوة والرسالة وفيك الوصية والإمامة، قال عزّ وجل: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فهل الذي يسجد لله تعالى يكون مشركاً يا تُرى؟![1].

إذن، إن صلب أبي طالب عليه السلام كصلب عبد الله عليه السلام والد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان طاهراً أيضاً. وهذه دلالة واضحة على إيمان أبي طالب عليه السلام وإيمان آبائه عليهم السلام لا تقبل الشك لدى كل عاقل ومنصف.

ولنقرأ معاً - عزيزي القارئ الكريم - ماذا قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حق عمّه أبي طالب عليه السلام. لقد قال صلى الله عليه وآله وسلم:

(إنّ لأبي طالب عندي رحماً سأبلها ببلالها). فهل يجوز للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يصل رحمه المشرك وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك؟

وقد سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يرجوه لعمّه أبي طالب. فقال صلى الله عليه وآله وسلم في جوابه: (كلّ الخير أرجوه من ربي)[2].

فإن لم يكن مؤمناً بالله سبحانه فكيف يرجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ربه لعمّه خيراً كثيراً؟!. وللعلم إنّ الله يغفر إلاّ أن يُشرَك به.

وقد ورد في كتب علماء اخواننا أهل السنّة إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم شيّع جنازة عمه أبي طالب عليه السلام ودعا له، وقال: (وصلتك رحم وجُزيت خيراً يا عم)[3].

---

(١) ينابيع المودة، ص٢٥٦.

(٢) كنز العمال، ج٦، ص٢١٢. الخصائص الكبرى للسيوطي الشافعي، ج١، ص٨٧.

(٣) كنز العمال، ج٦، ص٢٢٩.

وورد أيضاً: إن رسول الله ﷺ قال لعمّه أبي طالب لما مات: (رحمك الله). فهل يترحّم النبي الأعظم ﷺ على مَن لم يكن مؤمناً؟ حاشى أن النبي لم يترحّم على غير المؤمنين[1].

وبالمناسبة: أن الرسول الأكرم ﷺ قد قال لسفانة بنت حاتم الطائي عندما أُسرّت وراحت تعدّد صفات أبيها للنبي ﷺ من أنّه: يطعم الطعام ويفشي السلام ويكرم الجار، فقال لها ﷺ:

(لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه). أي لأنه كان مشركاً بالله لم يترحّم عليه رسول الله ﷺ.

ولنقرأ: ماذا قال أبو طالب في خطبته التي ألقاها عند تزويجه لرسول الله ﷺ بأم المؤمنين خديجة (عليها السلام). والتي ذكرها وأقرّها أغلب المؤرخين نذكر منهم ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال:

وخطبة النكاح مشهورة خطبها أبو طالب عند نكاح محمد ﷺ خديجة وهي قوله:

(الحمدُ لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكّام على الناس، ثم إنّ محمداً بن عبد الله أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح عليه براً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً، وإن كان في المال قِل، فإن المال ظل زائل وعارية مسترجعة، ولهُ في

(١) طبقات ابن سعد، ج١، ص١٢٤.

خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليّ، ولهُ والله بعد نبأ شائع، وخطب جليل).

ثم قال ابن أبي الحديد: قالوا: افتراهُ يعلمُ نبأه الشائع وخطبه الجليل - وهو رسالته وبعثته - ثم يعانده ويكذبه؟ وهو: - أي أبو طالب - من أولي الألباب؟ هذا غير سائغ في العقول[1].

والمتأمل في هذه الخطبة الجليلة المقتظبة لأبي طالب، يرى: أنّ أبا طالب عليه السلام يقسم بالله العظيم أن لمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نبأً شائعاً وخطباً جليلاً، ويقصد بذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم سيبعث نبياً وينشر رسالة الإسلام لذا فإنّ ابن أبي الحديد يقرّ بإيمان أبي طالب وبعلمه وبنبوءته وعقله. وخلاف ذلك غير سائق في العقول البته.

ولا شك في ذلك أبداً لأن أبا طالب كان يقول:

(انبأني أبي عبد المطلب إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو النبي المبعوث وأمرني أستر ذلك لئلاّ يغري به الأعادي)[2].

وقال بنو مدلج: إنّ قدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشابه قدم إبراهيم عليه السلام فقال عبد المطّلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به[3].

جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام إنّه قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٤، ص٧٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤.

(٣) الطبقات لابن سعد، ج١، ص١١٨.

(إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب عليه السلام أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاهُ الله أجره مرتين)[1].

وروي أن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال:

(لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا... وما زالوا كافّين عنه حتى مات أبو طالب - يعني قريشاً عن النبي عليه السلام -.

وكان أبو طالب يحفظه ويحوطه ويعضدهُ وينصرهُ إلى أن مات)[2].

وروى ابن الأثير عن ابن عباس:

((لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[3] خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فصعد على الصفا فهتف يا صباحاه، فأجتمعوا إليه فقال:

يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه فقال: ارأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي؟

قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذباً.

فقال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٤، ص٧٠.

(٢) الطبقات، ج١، ص٧٥ و ٧٧ و ٧٩.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

فقال أبو لهب: تباً لك! أما جمعتنا إلاّ لهذا، ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: ما أحبّ إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فأمضِ لما أُمرت به، فوالله لا أزال أحوطكَ وأمنعك.

وقال:

والله لـن يصلوا إليـكَ بجمعهـم ... حتـى أوسّـد في الـتراب دفينـا
فأنفـذ لأمـركَ مـا عليـكَ غضاضـة ... فكفـى بنـا دنيـاً لـديك ودينـا
ودعـوتني وزعمـتَ أنّـك ناصـحٌ ... فلقـد صـدقتَ وكنـتَ قبـلُ أمينـا
وعرضـتَ دينـاً قـد علمـتُ بأنّـه ... مـن خـير أديـان البريـةِ دينـا[2]

فقال أبو لهب:

هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب: واللهِ لنمنعنّهُ ما بقينا))[3].

وقال في النهاية:

(لما اعترض أبو لهب على النبي ﷺ عند إظهاره الدعوة، قال له أبو طالب: يا أعور، ما أنتَ وهذا؟ لم يكن أبو لهب اعور، ولكنّ العرب تقول للذي ليس

(١) سورة المسد: الآية ١.

(٢) ديوان شيخ الأباطح، ص١٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ط بيروت ١٣٨٥هـ، ج٢، ص٦٠ - ٦١.

له اخ من أبيه وأمه أعور، وقيل: إنّهم يقولون للرديّ من كل شيء من الأمور والأخلاق أعور)[١].

وروى الخوارزمي بإسناده عن محمد بن كعب، قال:

(رأى أبو طالب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يتفل في فيّ عليّ عليه السلام فقال: ما هذا يا محمد؟ فقال: إيمان وحكمة، فقال أبو طالب لعليّ عليه السلام: يا بُني إنصر ابن عمك ووازره)[٢].

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي إسحاق قال: قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضّهم على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ليعلم خيار الناس أنّ محمداً ... وزيرٌ كموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم
وإنّكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث المبرجم
وإنّك ما تأتيك منها عصابة ... بفضلكَ إلاّ أرجعوا بالتكرّم[٣]

وروى ابن أبي الحديد عن أبي بكر بن أبي قحافة:

(إن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، والخبر مشهور: إنّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوهُ العباس ثم

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج٣، ص٣١٩.

(٢) المناقب المطبعة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ، ص٧٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٢٣.

رفع رأسه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن أخي، والله لقد قالها عمّك ولكنّه ضعف عن أن يبلغك صوته)[١].

وفي الحديث المشهور: (إن جبرائيل عليه السلام قال له ليلة مات أبو طالب: أخرج منها، فقد مات ناصرك)[٢].

وروي عن عليّ عليه السلام أنه قال:

(ما مات أبو طالب حتى أُعطي رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا).

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

(قال لي أبي: يا بُنيّ ألزم ابن عمّك فإنّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل. ثم قال لي:

إنّ الوثيقة في لزوم محمدٍ فاشدد بصحبته على أيديكا[٣]

وروى الشنقيطي بإسناده عن أبي إسحاق، إنّ أبا طالب قال لعليّ:

(أي بُنيّ ما هذا الدين الذي أنتَ عليه؟ قال: يا أبتي، آمنتُ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وصدّقتُ بما جاء به وصليتُ معهُ وأتبعتهُ، فزعموا أنه قال: أما أنه لم يدعُك إلاّ إلى خير فإلزمه)[٤].

وروى اليعقوبي في تاريخه بما نصّه:

(١) شرح نهج البلاغة، ط قديمة، ج٣، ص٣١٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) شرح نهج البلاغة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٤، ص٧٠.

(٤) كفاية الطالب، ص١٣.

((لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعاً، ثمّ دخل فمسح جبينهُ الأيمن أربع مرات وجبينهُ الأيسر ثلاث مرات، ثم قال:

(يا عم ربيتَ صغيراً وكفلتَ يتيماً ونصرت كبيراً، فجزاكَ الله عنّي خيراً) ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: (وصلتك رحم وجزيتَ خيراً) وقال صلى الله عليه وآله: (اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيّهما أنا أشدُّ جزعاً) يعني مصيبة خديجة وأبي طالب))[1].

وروى الطبري في تاريخه بإسناده ما نصّه:

((لما نثر ذلك السفيه التراب على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته، والتراب على رأسه، فقامت إليه أحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها:

(يا بنيّة لا تبكي، فإنّ الله مانع أباكِ) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله (ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب))[2].

وروى سبط بن الجوزي الحنفي:

((قال علي عليه السلام: (لما توفي أبو طالب، أخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فبكى بكاءً شديداً ثم قال: اذهب فغسّله وكفّنه وواره، غفر الله له ورحمه) فقال له العباس: يا رسول الله انك لترجو له؟ فقال: (أي والله أني لأرجو له). وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته)).

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ط سنة ١٣٨٤، ج٢، ص٢٨.

(٢) تاريخ الطبري بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، ص٣٤٤.

وروى ابن سعد في طبقاته الكبرى ما نصه:

(قال العباس: يا رسول الله، أترجو لأبي طالب؟ قال: كلّ الخير أرجو من ربي)[(١)].

(وهذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات بسند صحيح، ورجاؤه صلّى الله عليه وآله وسلم محقّق ولا يرجو كل الخير إلاّ لمؤمن)[(٢)].

ومن صحيح الأحاديث ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي كرّم الله وجهه قال: (أخبرت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى وقال: (اذهب فغسّلهُ وكفّنه وواره، غفر اللهُ له ورحمه).

وفي السيرة الحلبية: إن هذا الحديث أخرجه أيضاً: أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي كرّم الله وجهه[(٣)].

وقال شيخ العلماء السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة ما يلي:

قال العلاّمة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه (نجاة أبي طالب): ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى: (شهاب الأخبار) للعلاّمة محمد بن سلامة القضاعي: (إنّ بغض أبي طالب كفر).

---

(١) الطبقات الكبرى، ج١، ق١، ص٧٩.

(٢) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب، ص٦٠ - ٦٤.

(٣) انظر قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص٢٨.

ونصّ على ذلك الشيخ علي الجهوري في فتاويه، والتلمساني في: (حاشيته) على الشفاء، فقال عند ذكر أبي طالب:

(لا ينبغي أن يُذكر إلاّ بحماية النبي صلى الله عليه وآله لأنه حماه ونصرهُ بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذيّة للنبي صلى الله عليه وآله ومؤذيه صلى الله عليه وآله كافر، والكافر يُقتل). وقال أبو الطاهر: (مَن أبغض أبا طالب فهو كافر)[١].

وقال السيد شهاب الدين أحمد ما نصه:

((إن أبا طالب ما مات كافراً على الصحيح، والخلاف ضعيف منشأهُ التعصّب الصريح، لأن بعض أقواله وأفعاله على إيمانه دليل صريح، وقد ذكر الصالحاني عن الأئمة الأعلام ما يدلّ على أن أبا طالب مات على الإسلام، كما نقل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام - والله سبحانه أعلم بالحقائق - أنّ ميله إلى إسلامه يؤول حتى قال:

(كذبوا كيف يكون كافراً وهو الذي يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً   نبياً كموسى خُطّ في أولِ الكتبِ)

وكما نقل عن عبد الله بن عباس الذي لا ريب في فضله أنه قيل له: مات أبو طالب كافراً، فقال: فهذا قوله:

كذبتم وبيتِ الله نسلّم أحمداً   ولمّا نقاتل دونَهُ ونناضلُ
ونتركهُ حتى نُصرّع حولهُ   ونذهلُ عن أبنائنا والحلائلُ))[٢]

سُئل الإمام السجاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب عليه السلام فقال:

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل القسم الثاني، ص٢٤٢.

(وا عجباً إن الله نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات)[1].

وقد ذكر أبو الفداء عماد الدين في تاريخه ما نصّه:

(أسلم أبو طالب قبل موته) وذكر شعره:

دعوتني وعلمتُ أنّك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثم أميناً
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ من خير أديانِ البرية ديناً
واللهِ لن يصلوا إليكَ بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفيناً[2]

هذا وقد ألّف الكثير من علماء الخاصّة والعامّة وغيرهما في إيمان سيدنا أبي طالب عليه السلام حامي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناصرهُ - كتاباً خاصاً ولآية الله الأميني فصل كبير في موسوعته الموسومة (بالغدير) في هذا الخصوص، وقد ذكر:

(إن بعض العلماء من أهل السنة صرّحوا بإيمان أبي طالب مثل: الاسكافي والبلخي والتلمساني والشعراني وسبط بن الجوزي والقرطبي والسبكي والسيوطي)[3] وغيرهم كثير وكثير حتى وصل الأمر إلى المسيحيين المنصفين أن

(١) شرح النهج، المعتزلي، ٦٨/١٤. الدرجات الرفيعة، كتاب الحجة، ص٢٤. الغدير، ج٧، ص٣٨١ - ٣٨٩.

(٢) تاريخ أبي الفداء، ج١، ص١٧٩.

(٣) الغدير، ج٥٧، ص٣٦٩.

يدلوا دلوهم في هذا الموضوع ويؤكّدوا إيمان أبي طالب عليه السلام ومن شاء التفصيل فليراجع.

ونعم ما قال عبد المسيح الأنطاكي بهذا الصدد بقصيدته العلوية المباركة:

لدى أبي طالب قف صاح محترماً ... غرّ الأيادي التي قد كان يسديها
ولا تخل انني أوفي مدائحه ... فإنّ مدحته ما من يوفيها
قد كان أفضل شيء في قريش ... بالمحامد لا في هاشميها
وكان بعد أبيه القرم سيدها ... بلا جدال وحاميها وآسيها
وكان أحكمها رأياً وأفضلها ... حزماً وأكثرها مجداً وتوجيها
وحسبهُ كفلَ الهادي الأمين كفا ... لة جميعُ عبادِ الله تطريها
وكان يعني به براً يفضّلهُ ... على بنيه لكي يزداد ترفيها
وردّ عنه الأعادي عند بعثته ... الزهرا وقد كثرت جهلاً أعاديها
وكان ينشدُ في طه قصائدهُ ... وفي نبوته العصما ويمليها
وكان يدعو إلى محمود دعوته ... جهراً قريشاً وبالأخرى يمنيها
أوصيكم يا بني أمي بكعبتنا ... فإنّ فيها رضاءَ الله ثاويها
وبالوداد صلوا أرحامكم وبذا ... تنال أمتكم أقصى أمانيها
والصدقُ أولى بكم والكذب ... ذو العقل والدين يأبى أن يدانيها
أدّوا الأمانات أدّوها بلا مهلٍ ... إلى ذويها تنالوا شكر أهليها
وإنني اليومَ أوصيكم بأحمد خيراً ... وأسمعوا دعوةً ما انفكَ داعيها
ما من أمين سواه في قريش ولا ... صديق للعرب إلاّهُ يواليها
إني لأنظر في الأيام مقبلةً ... عليه من بعد أن يجلي دياجيها
وقد أجابت مع الإيمان دعوته ... وعظمت أمرهُ تدعوهُ هاديها

والله يـا أمـتي لا يسـعدنّ فتـىً — إلاّ بطاعتـه طـوبى لحاظيهـا
وعمرك هل هذي وصية مشرك — لأمتـه قـد راحَ يوصـيها
وهل يوصّي بطه ذي الوصية إلاّ — مـؤمنٌ شـرعة الإسـلام راضـيها
كذا أبو طالب قد كان أول أنصار — الشـريعة بـل أوفي محبيهـا
وإنّ نفساً أتت تلك الفضائل ما — سـلام سـراً وكـان اللهُ داريهـا
وكم نفوس لقد أبدت شهادتها — زوراً وكذباً وكان الكفرُ غاويها
واللهُ يعلـمُ مـا تخفـي الصـدورُ — إلاهـي يـوم الـدين يجزيهـا
فالمؤمنون لهم رحبَ الجنان إذا — أعمالهم صلحت يثوون هانيها
والمشركون لهم نار الجحيم وفيها — الخالدون وما لأحقاب تطفيها(١)

وقفة تأمل وتدبّر:

أقول: إن الذي يظهر من خلال كلّ ما تقدّم بخصوص موضوع: (إيمان أبي طالب عليه السلام) ومّما قاله النبي الأكرم ﷺ فيه وترحمه ودعائه له بالمغفرة والرحمة والرضوان تارةً على المنبر(٢) وتارةً بين الناس وقد أكّد ذلك الأئمة المعصومون عليهم السلام وجمع كثير من المؤرخين والأدباء والعلماء وأصحاب السنن والأسانيد، إضافةً إلى أشعار أبي طالب عليه السلام وأقواله وأفعاله ودفاعه عن الرسول ﷺ والرسالة واحتضانه لهما وكفالته ورعايته المميزتين لرسول الله ﷺ والاستماتة في الذود عنه ﷺ، ألا يدلُّ دلالةً صريحةً وواضحة على إيمانه الخالص، ودينه النقي، وطاعته لله ورسوله؟

(١) القصيدة العلوية المباركة، ص٥٥، طبعة مصر سنة ١٣٣٨هـ. وقد حذفتُ منها بعد الأبيات.

(٢) عيون الانباء، ص٧٠٥.

وهل يُعقل أن يكون أبو طالب بعيداً عن الإسلام، وهو الذي: (جمع قريشاً قبل موته فقال لهم: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما أتبعتم أمره، فأطيعوه ترشدوا)(١) ولكنهم فلم يقبلوا منه.

وهل يُعقل أن يدلّ قريشاً على الخير والرشد نتيجة الاستماع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتّباع أمره، وإطاعته، وهو يعلم ذلك وينسى نفسه الشريفة؟!

وهل يُعقل أن أبا طالب عليه السلام يأمر ابنه علياً عليه السلام بقوله: (الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل، ثم يقول:

إن الوثيقـــة في لـــزومِ محمـــدٍ　　　فاشـدد بصـحبته علـى أيـديكا(٢)

وهو لّما يزل على غير الإسلام؟!

وهل يُعقل أن يقف أبو طالب عليه السلام كالطود الشامخ بوجه قريش العاتية وأهل الشرك والكفر والفسوق، ويتحمّل أقسى الصعاب وأسوأ حالات المقاطعة في شِعب أبي طالب ومفردات الحياة وهو لم يكن مؤمناً بالدين الجديد؟!

وهل يُعقل أن يُبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت أسد المؤمنة بالله والرسول والرسالة زوجةً لأبي طالب عليه السلام وهو لم يكن مسلماً؟!

وهل يُعقل أن يدعو ويترحّم ويستغفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّه أبي طالب عليه السلام ويخالف القرآن الكريم الذي يقول:

---

(١) سيرة إبن دحلان، ج١، ص٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٠ و ٧١ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١]؟!

وهل يُعقل إنّ أبا طالب عليه السلام الذي أجمع أهل البيت عليهم السلام على إيمانه[٢] بل جاء أنه من الأوصياء[٣]. وقد قال عنه ابن إسحاق في سيرته: كان أحبّ الناس إلى أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حدبّ عليه ونصره ومنعه[٤]. وكان يضع أحد أبنائه في فراشه صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً لانقاذه من أيّ شر محدق به. وقد رجع به صلى الله عليه وآله وسلم من تيماء إلى مكة على وجه السرعة[٥] وترك التجارة حرصاً على سلامته صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سمع من أحد أحبار اليهود في تيماء يقول: (لتقتُلنّهُ اليهود إنّ هذا - أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم - عدوّهم). فهل يُعقل إنّه غير مؤمن؟!!

وهل يُعقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي بكاءً شديداً لما توفي أبو طالب وجعل يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته - كما يقول سبط بن الجوزي الحنفي، ويعظم ذلك في قلبه صلى الله عليه وآله وسلم ويشتد له جزعاً ويمسح على جبينيه سبع مرات ثم يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٣.

(٢) شرح النهج للمعتزلي، ج١٤، ص١٦٥. البحار، ج٣٥، ص١٣٥. التبيان للطوسي، ٣٩٨/٢ ومجمع البيان، ج٢، ص٢٨٧.

(٣) الغدير، ج٧، ص٣٨٩.

(٤) أسد الغابة، ج١، ص١٩.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي، ج١، ص٨٩.

(اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشدُّ جزعاً)[١] وأبو طالب غير مسلم؟!!!

وهل... وهل... وهل...؟!!

تباً وتعساً وجحيماً لا تُطفأ نارها ولا يهدأ عذابها لمن يعقل ذلك ويقول: إنّ أبا طالب مات غير مسلم، واليقين: إنّ من يقول ذلك فهو غير مسلم البتة وحق الحق.

وقد انصف السيد شهاب الدين أحمد عندما قال:

(إن أبا طالب ما مات كافراً على الصحيح، والخلاف ضعيف منشأهُ التعصّب الصريح، لأن بعض أقواله وأفعاله على إيمانه دليل صريح)[٢]. نعم إنه الحقد والحسد والتعصّب الصريح.

وخلاصة القول:

إن أبا طالب عليه السلام هو من الموحدين المتقين على دين إبراهيم الخليل عليه السلام وكان على طريقة آبائه الطاهرين عليهم السلام يتعبّد بحراء، وقد التزم بوصية أبيه عبد المطلب عليه السلام بترك الظلم والبغي والتحلّي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن دنيات الأمور وكفالة ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورعايته والمحافظة عليه من كلّ شرّ لأنه هو النبي المبعوث صلى الله عليه وآله وسلم وقد كتم إيمانه عن قريش كمؤمن آل فرعون وأصحاب

(١) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، القسم الثاني، ص٢٤٢ من المخطوطة.

(٢) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، القسم الثاني، ص٢٤٢ من المخطوطة.

الكهف لينال أجره مرتين ولم يُحْ بنبوة محمد ﷺ قبل البعثة عملاً بوصية والده (أن يستر ذلك لئلا يغري به الأعادي)[1].

وأبو طالب عليه السلام هو شيخ الأبطح وسيدها الجليل، والعالم العَلَم الذي تعلّم منه الكثير العِلمَ والحكمة ومبادئ الرئاسة وسموّ الأخلاق وجمال الأفعال، وقد قيل: لأكثم ممّن تعلمتَ الحكمة والرئاسة والحلم والسيادة؟

فقال: (من حليف العلم والأدب سيدّ العرب والعجم أبي طالب بن عبد المطلب)[2]. وقد ساد قومه على الرغم من قلة المال والولد حتى كانوا يسمونه: (الشيخ) لعظم مقامه وسمو منزلته[3].

وكان أبو طالب عليه السلام على جانب كبير من العلم والمعرفة ببعض الأحكام الشرعيّة والمفاهيم الإسلامية قبل البعثة النبوية المباركة. وقد حرّم على نفسه جملةً من المحرّمات التي حرّمها الإسلام فيما بعد كشرب الخمر والفجور والكذب والسرقة والظلم والبغي وشهادة الزور والطواف حول الكعبة عرياناً.

وهو أول من سنّ القسامة[4] في دم عمر بن علقمة، وإلى جانب ذلك كان لوجوده أثر عظيم في القوة والظفر، وقد كان الناس يلمسون بركاته لروحه النديّة، وقوّته الروحيّة، فكانوا يستمدون منه القوّة والعظمة، والنصر والغلبة،

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤.

(٢) أسد الغابة، ج١، ص١٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٩.

(٤) القسامة - بالفتح - الإيمان تقسّم على أولياء القتيل إذا ادّعوا الدم ثمّ أقرّت في الجملة بعد ذلك في الإسلام.

فمن ذلك أنه كان في أيام (حرب الفجّار) بين قريش وقيس مدار الفتح المبين والظفر الأبلج.

فكان إذا حضر مع قريش وكنانة ظهرت وغلبت وانهزمت قيس واندحرت وإذا غاب عنها - يوماً - تضعضعت مراكزها ولانت مغافرها، ومُنيت بالهزيمة أمام قيس وأحلافها، فكانت قريش تلاحظ ذلك الأثر المبروك بوجوده معهم فرغبت إليه أن لا يغيب عن مواقفهم ما دامت الحرب قائمة فاستجاب لذلك أبو طالب فكانت الحصيلة - في النهاية - النصر لقريش والهزيمة لقيس[1].

إنّ وجود أبي طالب بعد عبد المطلب حاجة ضرورية لابُدّ منها وسيرة مشرقة كهذه لابدّ أن تحمل بين ثناياها إرهاصات تنبئ عن رسالة عظيمة تشرق في أرض الجزيرة العربية ثم تنتشر في افق العالم بنور بهي يبدّد كلّ ظلام، ليهتدي به الساري، ومن هنا لابد من وجود دعامة ضخمة وقوية تكون ركيزة لذلك النور وهو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليتكيء عليها، وتصدّ عنه كلّ حادثة وطارئ مخيف، فهي كالكهف الحصين والسور الواقي.

ونتيجة لهذه المكانة، وما يمتلكه من صفات مثلى فقد دانت له القلوب بالحب، وأحاطته بالإكبار، وتنحّت له عن محل الرئاسة فكان كما كان أبوه توضع له وسادة يجلس عليها وحده فيجيء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويجلس عليها، فيقول: (إنّ ابن أخي ليحس بنعيم - أي بشرف عظيم -...)[2].

---

(١) شرح النهج، ج١٥، ص٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) السيرة الحلبية، ج١، ص١٣٢ والسيرة النبوية، ج١، ص٨٠ والبحار، ج٦، ص١٢٩.

نعم، إنّ أبا طالب سيرة مشرقة وحاجة ضرورية في الحياة الإسلامية والإنسانية، ولابد من وجوده عليه السلام لأنه دعامة ضخمة وعامل أهم في احتضان ونصر الرسول والرسالة. وسبب رئيس في وجود الوصيّ المتمثّل في ابنه علي عليه السلام، الذي بولايته وخلافته تمّت النعمة وكمل الدين ورضي الرب سبحانه وتعالى كما نطق القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1].

وعليٌّ الوصيّ هذا هو مما تنبّأ به والده أبو طالب عليهما السلام حيث روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

... طلقت آمنة بنت وهب عليها السلام وأخذها المخاض بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب فلم تزل معها حتى وضعت فقالت إحداهما للأخرى.

هل ترين ما أرى؟

فقالت: وما ترين؟

قالت: هذا النور الذي سطع ما بين المشرق والمغرب. فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما؟ من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت.

فقال لها أبو طالب: ألا أبشّرك؟ فقالت: بلى.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

فقال: أما أنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود[١].

يا لها من نبوءة صادقة وبشارة عظيمة!! حيث ولد وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أبو الأئمة عليّ أمير المؤمنين المعجزة بعد حين. والذي كان الفدائي الأول للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة، وكاشف الكرب عن الرسول صلى الله عليه وآله والزيغ عن الرسالة، وأعظم به من إمام وأكرم به من وصيّ، صلوات الله وسلامه عليه.

هذا هو أبو طالب عليه السلام. وهذا هو علمه ونبوءته وإيمانه!! وهذه هي شخصيته، وكماله، ودينه وأخلاقه وشجاعته!! وهذه هي مروءته وعطفه وحنانه واحتضانه لرسول الله ورسالته!! فهل يوجد مثله في قريش وصناديدها؟!! وهذه هي مواقفه وأقواله وأفعاله وأشعاره!!

ألا يدل كلّ ذلك على إسلامه وإيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وشريعته؟

وألا يدلّ كل ذلك على ثقل مركزه وأهمية وجوده في نجاح الدعوة الجديدة وسلامة رمزها الأول صلى الله عليه وآله من شرور الدواهي والبلايا، وشحذ همته للانطلاق نحو الإمام بعزيمةٍ لا تلين، وإرادةٍ أقوى من الفولاذ؟!!

أجل، هذا هو شيخ الأبطح وزعيمها المقدام وسيّدها الأجل في إسلامه وإيمانه وإصلاحه وتقواه، ويأتي الحزب القرشي والحزب الأموي ويبذلان المستحيل، وينفقان الكثير الكثير من الجهود والأموال من أجل الحط من منزلة آباء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأجداده وعمّه أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واثبات أنهم ماتوا على الشرك هذا من جهة.

(١) روضة الكافي، ص٣٠٢.

ومن جهة أخرى يسعى هذان الحزبان حثيثاً من أجل إثبات أعداء رسول الله ﷺ وأعداء دعوته الإسلامية أنهم مسلمون وأصحاب فضائل ودرجات رفيعة في الدنيا والآخرة. في حين أنهم حاولوا بأقصى مكرهم وجهدهم من أجل اغتيال الرسول ﷺ والرسالة. وانهم لم يؤمنوا مذ كفروا، والتاريخ الصحيح إضافةً إلى أفعالهم خير شاهد وأقوى دليل على ذلك.

ومن أراد الوقوف على الحقيقة وصحة ما نقول أن يقرأ بتدبّر التاريخ النظيف الذي كتبته الأقلام النظيفة من العامة والخاصة والتي لم تكن مسيّسة أو مأجورةً أو منافقة، مع ملاحظة الوقت والسلطان أو الملك أو الخليفة الموجود في ذلك الزمان. وعندئذ تتوضّح الحقيقة جليّة صريحة، ويظهر الحقُّ واضحاً لكلّ ذي لبٍّ وعينين.

وعند ذلك تسقط الحجُب الكثيفة التي زوّرت التاريخ وغطّت وجه الحقيقة، وعندها تسقط الهالات المقدسة والاقنعة المزيّفة والفضائل المزوّرة التي صنعتها أيدي وأفكار السياسة المنحرفة والأقلام المأجورة، لأن (الحق يعلو ولا يُعلى عليه).

نعم، إن محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام وأباءهما وأمهاتهما لا يُقاس بهم أحد من الناس لأنهم أصلاب طاهرة وأرحام مطهّرة، يأبى الله سبحانه أن تكون ملوّثة لذلك أصطفاهم من بين الخلائق كلها وذلك هو عهد الله تعالى، وإنّ عهد الله لا ينال الظالمين، وإنّهم من نسل الساجدين.

قال رسول الله ﷺ:

(ما افترق الناس فرقتين إلاّ جعلني الله في خيرهما فأخرجتُ من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً)(١).

والقرآن الكريم أكّد طهارة نسب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾(٢).

والآية الشريفة هذه تدلُّ باتفاق المفسّرين على كون آباء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الساجدين المطهّرين.

لذا نرى أن عبد المطلب جدّ محمد وعلي صلوات الله وسلامه عليهما قد سار على خطى آبائه الكرام فحرّم نساء الآباء على الأبناء(٣).

وبالمناسبة إن العلماء بالأنساب في ذلك الوقت هم: عقيل بن أبي طالب وهو سيّدهم، ثم محمد بن الكلبي، ثم هشام بن محمد بن الكلبي ومن هؤلاء أخذت الناس.

وقد قال هشام بن محمد الكلبي: كتبتُ للنبي صلى الله عليه وآله خمسمائة أُم فما وجدتُ فيهنَّ سفاحاً، ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية(٤).

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر، ج١، ص٣٤٩ و ج٢، ص١٦. الدر المنثور، ج٣، ص٢٩٤، و ج٥، ص٩٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) بحار الأنوار، ج١٥، ص١٢٧.

(٤) الطبقات، ج١، ص٦٠. السنن الكبرى، البيهقي، ج٧، ص١٦٠. دلائل النبوة، أبو نعيم، ج١، ص١١. البداية والنهاية، ج٢، ص٢٥٦ وتاريخ جرجان، ص٣٦١.

ومع كلّ هذا التأكيد والحقّ والعلم والبيان والشهادة يحاول الحزبان القرشي والأموي الطعن في شرف آباء النبي ﷺ وعلي عليه السلام والحط من منزلتهم - حقداً وتعصباً ونفاقاً -.

وعلى سبيل المثال إن أبا سفيان قد قال:

(محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن).

فغضب رسول الله ﷺ وقال:

(إن الله عزّ وجل خلق السماوات سبعاً فاختار العُلى منها فأسكنها مَن شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم)[1].

وصرّح رسول الله ﷺ:

قال لي جبريل: (قلّبتُ الأرضَ مشارقها ومغاربها فلم أجد أحداً أفضل من محمد، وقلّبتُ الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم)[2].

وقد ذكر ابن سعد في طبقاته نسب النبي وآبائه وأمهاته بشكل جيّد وموسّع[3].

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٩٥.

(٢) عيون الأثر، ابن سيد الناس، ج١، ص٣٤. ونفس تاريخ إبن الوردي والطبقات، ج١، ص٥٥.

(٣) سنن الترمذي، ج٥، ص٢٤٣ - ٢٤٥. مختصر تاريخ دمشق، ج٤، ص٧٣ وتفسير ابن كثير، ج٢، ص١٧٥ ونظريات الخليفتين للطائي، ج١، ص٣٤.

ولكنّ من المؤسف جداً والمحزن أن كرّر أفرادٌ من الحزب القرشي المنافق في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ما قاله أبو سفيان! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأراد أن يذكر أنسابهم الواقعية - فخافوا من ذلك - وراح أحدهم - ممّن يُشار له بالبنان - يقبّل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وأعاد الشهادة ثانيةً بلا إله إلاّ الله محمد رسول الله! وبرك على ركبتيه قائلاً:

رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، أعفُ عنّا عفا الله عنك، اغفر لنا غفر الله لك، احلم عنّا حلم الله عنك.

ولشدّة الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وآله وغضبه وضع المسلمون رؤوسهم في ثيابهم يبكون خجلاً وحياءً من الله ورسوله[1].

وعلى كلّ حال، فإن بني هاشم قد اختارهم الله عزّ وجل من قريش وانهم أفضل بني أب، ونسبهم أطهر نسب ولا يدانيه نسب ولا يقاس بهم أحد كما قال الله سبحانه ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي عليه السلام وجبريل الأمين عليه السلام.

ولكن كما قال الشاعر:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلة ... لكنّ ما عينُ السخطِ تُبدي المساويا

ونختم بما قاله الله تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[2].

---

(١) تذكرة الفقهاء، ج٢، ص٤٧٠. صحيح مسلم، ج٣، ص١٦٧. صحيح البخاري، ج٨، ص٩٤. تفسير ابن كثير، ج٢، ص١٧٥ ومجمع الزوائد، ج٧، ص١٨٨ ونظريات الخليفتين، ٣٤/١ - ٤١.

(٢) سورة النحل، الآية ١٤.

وقال السدي:

مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة ودُفن بالحجون عند عبد المطلب.

وقال علي عليه السلام يرثيه:

أبـا طالـب عصـمة المسـتجير ... وغيـث المحـول ونـور الظلـم
لقـد هـدّ فقـدك أهـل الحفـاظ ... فصـلى عليـك ولـيّ الـنعم
ولقّـاك ربّـك رضـوانَه ... فقـد كنـتَ للطهـر خـير عـم[1]

نعم فهو كذلك. فقد صلّى عليه ولي النعم، ولقّاه ربه رضوانه... كما تقول: يا أمير المؤمنين. وقد بقى ذكره ومواقفه وأفعاله وأقواله يتعطّر بشذاهُ وشذاها الدهر رغم انوف الشانئين والحاسدين والمتعصّبين.

فهنيئاً لك يا أبا طالب وجزاك اللهُ ورسوله خيراً.

وسلامٌ عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً.

هذا هو والد أمير المؤمنين علي عليه السلام.!

وتلك هي كراماته، وفيوضاته، ونبوءاته وأفعاله!

فهل يوجد لعدوّه أبٌ كمثله؟!

لا وألف لا. وأين الثرى من الثريا؟!

وأين التبن من التبر؟!

وأين الرذيلة من الفضيلة ؟!

فسلامٌ عليك يا صاحب الفضيلة ومَن كلّه فضيلة... وخيرٌ... وعطاء... وإيمان، وإيمان، وإيمان..

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص٨.

السلام عليك يا مَن كتمتَ إيمانك لحكمة، ودافعتَ عن الحقّ بقوةّ، ونجحتَ في حفظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفزت بنصر الإسلام ونيل الجنة والرضوان.

أم أمير المؤمنين فاطمة بنت أسد عليها السلام:

قال الشنقيطي: ((أما أُمه كرّم الله وجهه فهي (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف)، يجتمع نسبها بنسب النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بعد نسب ولدها عليّ في هاشم الجد الثاني، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً)).

وقال الزبير بن بكار: ((هي أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة الزهراء رضي الله عنهما. وقد قيل أنها توفيت قبل الهجرة وليس بشيء، والصواب: أنها هاجرت إلى المدينة وبها ماتت، كما قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر العسقلاني))[1].

كانت فاطمة بنت أسد عليها السلام سيدة عفيفة وصدّيقة طاهرة، وقد تجلّت بأجمل الصفات ومكارم الأخلاق والكمالات الروحيّة، وهي ممّن تميّزت عن غيرها من سيّدات عصرها بالفضل وسمو الذات وقوة الشخصية وخلوص الإيمان، حيث أنها كانت تعبد الله سبحانه على دين جدّها إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقد انتقلت من بيت أبيها أسد بن هاشم جدّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت ابن عمّها أبي طالب مؤمن قريش بزواجها منه عليه السلام. فانتقلت من معدن أصيل إلى معدن مكافئ له في الأصالة والشرف والسؤدد والإيمان والعز والإباء والكرامة،

---

(١) انظر: قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص٣٠.

وكوّنا معاً بيتاً رفيعاً شاء الله سبحانه أن يكون ملاذاً رحيماً وسنداً متيناً ودعامةً ضخمة لرسول الرحمة محمد ﷺ ومنه ينطلق النور الذي بدّد ظلام الجاهلية ودياجير الشرك والجهل والبغي وعمَّ أرض الجزيرة العربية وكل أرجاء الوجود بخيره وعطائه ورحمته.

ولقد رُزقت فاطمة بنت أسد عليها السلام بأربعة من البنين وهم: طالب وهو الأكبر وكان أبوه يكنّى به ثم عقيل ثم جعفر ثم علي عليه السلام وكان السابق أكبر من اللاحق بعشر سنين فعلي عليه السلام أصغر من طالب بثلاثين سنة ولها بنت واحدة كنيتها أم هانيء وتسمى جمانة أو فاختة.

وقد أصبحت هذه الأسرة المؤمنة الكريمة الرافضة لدين الجاهلية وعبادة الأصنام السائدة آنذاك، مصدراً للخير ومنبعاً للتوحيد والهداية والكمال والخلق الرفيع، وهي تعبد الله وتقدّسه.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً وإنما كانوا يعبدون الله ويصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به)[1].

وعندما بشّر رسول الله ﷺ بالإسلام كانت فاطمة أمُّ أمير المؤمنين علي عليه السلام من السابقات إلى اعتناقه وكان إسلامها بعد عشرة أشخاص، ولقد بايعت النبي ﷺ حينما أخذ العهد على السيدات بالعفّة والطهارة واجتناب المنكر.

(١) إكمال الدين للصدوق، ص١٠٤.

وكان إسلامها عن إيمان صادق وظلّت متمسّكةً به، ورعةً إلى أقصى حدود الورع، ولقيت في سبيل ذلك ما لقي الأوائل من الأهل والصحابة، من جور وجوع ومقاطعة وأذى.

وقد أحسنت إسلامها إلى درجة أنها أصبحت من رواة أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث ذكر علماء الحديث ذلك، وعدّوها من الرواة، فقد رووا ستة وأربعين حديثاً عنها، وقد أُخرج لها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه كما هو مدوّن في (أعلام النساء)[1] وغيرها من كتب رواة الحديث.

وحديث آخر روي عن فاطمة بنت أسد: (أنه لما ظهرت أمارة وفاة عبد المطلب، قال لأولاده:

مَن يكفلُ محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه.

فقال عبد المطلب: يا محمد جدّك على جناح السفر إلى القيامة، أي: عمومتك وعمّاتك تريد أن يكفّلك؟

فنظر في وجوههم ثم زحف إلى عمّه أبي طالب.

فقال عبد المطلب: يا أبا طالب إني قد عرفتُ ديانتك وأمانتك فكن له كما كنتُ له.

قالت: فلما توفي أخذهُ أبو طالب))[2].

ومما روته عليها السلام:

---

(١) أعلام النساء، ج٤، ص١١٣.

(٢) الخرائج والجرائح عن البحار، ص١١.

(... قالت فاطمة بنت أسد كنتُ مريضةً فكان محمد يمصّ علياً لسانه في فيه فيرضع بإذن الله)[١].

وقد روت أيضاً عليها السلام:

(إن فاطمة بنت أسد حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان وقت الصبح قالت لأبي طالب عليه السلام: رأيتُ الليلة عجباً يعني حضور الملائكة وغيرهم، فقال: انتظري سبتاً تأتين بمثله، فولدت أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة)[٢].

إذن، ما أعظمها من امرأة؟! كانت ترى حضور الملائكة وبعد ثلاثين سنة تضع وليدها علياً عليه السلام في جوف الكعبة كما قال أبو طالب عليه السلام وتتغذّى من ثمار الجنة وتنعم في رحاب الله سبحانه فأكرم بها من امرأة، فهي بحق عظيمة بمعنى الكلمة وتُعَدُّ من الأعيان كما وصفها الحاكم النيسابوري حيث قال:

((وكانت بمحل عظيم من الأعيان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))[٣].

رعاية فاطمة المميّزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كانت فاطمة بنت أسد سلام الله عليها الأم الحنون بعد آمنة بنت وهب عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحجر الدافئ له وقد احتضنتهُ بكلّ أنواع الرفق والعطف والمودّة بصورةٍ لا مثيل لها.

---

(١) المناقب، ج٢، ص١٨ عن تفسير جابر بن يزيد عن الإمام المعصوم عليه السلام.

(٢) المناقب، ج٢، ص١٩ عن روضة الواعظين برواية النيسابوري.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١١٦.

ولقد حظي صلى الله عليه وآله في ظلّها برعايةٍ قلّ نظيرها وكانت تميّزهُ عن أولادها بل وتفضّله عليهم، وأعطته من الأهمية والعناية كلّ مقدورها حتى غدا صلى الله عليه وآله يراها أنها هي أمّهُ الحقيقية وهو القائل صلى الله عليه وآله واصفاً رعايتها له:

(إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً بي بعد أبي طالب، كانت أمي بعد أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت المرأة تفضل منه كلّه نصيباً فأعود فيه)(١).

نعم، إنها عليها السلام كانت من أحسن خلق الله صنيعاً برسول الله صلى الله عليه وآله كما كان أبو طالب من أحسن خلق الله تعالى حباً له صلى الله عليه وآله ودفاعاً عنه صلى الله عليه وآله، وتضحيةً من أجله صلى الله عليه وآله.

روى أنس بن مالك ونقلها الخوارزمي:

(لما ماتت فاطمة بنت أسد (رض) دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنتِ أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينني، وتعرينَ وتكسينني، وتمنعينَ نفسك طيباً وتطعمينني تريدينَ بذلك وجه الله والدار الآخرة)(٢).

نعم، تجوع فاطمة وأبناؤها وزوجها ويشبع رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرى فاطمة ويُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتمنع نفسها من طيّب الطعام وتُطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأكرم بها من امرأةٍ تؤثر رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسها وزوجها وأبنائها!!

---

(١) الفصول المهمة، ص١٣.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي، ج٩، ص٢٥٦. والمعجم الأوسط للطبراني، ج١، ص٦٧. وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ج٣، ص١٢١.

لذلك أحبّها رسول الله ﷺ وجزاها خيراً وسماها أمه، ودعا لها بالمغفرة وحسن العاقبة ودخول الجنّة ونيل الدرجات الرفيعة، ولا غرو في ذلك البتة، وقد بكى ﷺ عليها حين فقدها.

لأنها أمه بعد أمه، والراضية المرضية، والتقيّة الزكيّة، والصدّيقة النقية، والعالمة المشفّعة، والوعاء الطاهر لأخيه الوصي علي أمير المؤمنين عليه السلام الفدائي الأول لشخصه ﷺ وما جاء به من دعوةٍ مباركة ودين عظيم.

ولأنها كانت من المؤمنات الموحّدات تعبد الله وتقدسه وتحجّ إلى بيته الحرام، ومن السابقات إلى اعتناق الإسلام[1]. وممّن بايعن النبي ﷺ وآمنّ به عن معرفة وإيمان[2] وممّن نزل فيها القرآن حين الهجرة من مكة إلى المدينة تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ حينما أمر بذلك.

وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا على أن علياً عليه السلام هو أول من التحق بالرسول الأكرم ﷺ وهو في المدينة ذلك بعد أن ردّ الودائع والأمانات إلى أهلها وعزم على الخروج من مكة إلى المدينة هو والفواطم، وهم:

فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب يصلّون لله ليلتهم، ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلّى عليٌّ عليه السلام بهم صلاة الفجر ثم سار لوجهه وهم يضعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزّ وجل ويرغبون إليه

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج٣، ص٣١٢ والدرجات الرفيعة للسيد علي خان، ص٤ ومنية الراغب للطبسي، ص٢٩ والبحار، ج٣، ص١١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٤.

كذلك حتى قدموا المدينة. وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم عن يقين.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ...﴾ إلى قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[١].

نعم لقد استجاب لهم ربُّهم وثمّن عملهم الصالح ووقاهم عذاب النار وهم عليّ عليه السلام والفواطم الثلاث سلام الله عليهم أجمعين.

هذه هي فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين!!

إن العظمة تسجد لها، وإنّ الكرامة والجلالة والعزّة تنحني أمامها إكباراً وتقديراً وتعظيماً، فهي أمُّ مَن؟ وزوجةُ مَن؟ وحاضنة من؟ وبنتُ مَن؟!!

عظمة فاطمة بنت أسد عليها السلام

إن فاطمة أم أمير المؤمنين علي عليه السلام هي امرأة جدّ عظيمة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عنها: (... إن جبرائيل عليه السلام أخبرني عن ربّي عزّ وجل: إنها من أهل الجنة، وأخبرني جبرائيل عليه السلام: إنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلّون عليها)[٢].

(١) علي من المهد إلى اللحد، ص٨٢ - ٨٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٠٨.

نعم إن فاطمة عليها السلام من أهل الجنة وأنها الوحيدة التي عوفيت من ضغطة القبر من كل البشر.

روى الشنقيطي بإسناده عن أنس بن مالك:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما عوفي أحد من ضغطة القبر إلاّ فاطمة بنت أسد، فقيل: يا رسول الله ولا القاسم ابنك؟ قال: ولا إبراهيم. وكان أصغرهما)[١].

وروى سبط بن الجوزي عن ابن عباس ما نصه:

(وفيها نزلت: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[٢] قال: وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية وهي أول امرأة بايعت محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بعد خديجة.).

وقال الزهري:

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يُحشر الناس يوم القيامة عراة فقالت: واسوأتاه. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله فإني اسأل الله أن يبعثك كاسية، قال: وسمعته يقول أويذكر عذاب القبر، فقالت واضعفاه، فقال: إني اسأل أن يكفيك ذلك)[٣].

فقد أسند ابن عبد البر عن ابن عباس قال:

(لما ماتت فاطمة أم عليّ بن أبي طالب، ألبسها رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعتَ ما صنعتَ بهذه؟ فقال: إن لم

(١) كفاية الطالب، ص٢٣.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

(٣) تذكرة الخواص، ص١٠.

يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتُكسى من حلل الجنّة، واضطجعت معها ليهون عليها).

وروى الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححّوه عن أنس بن مالك (رض) أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم دخل قبرها وألحدها وقال:

(اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين) وفي رواية: اللهم اغفر لأمي بعد أمي فاطمة بنت أسد ووسّع عليها مدخلها)[1].

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ما نصّه:

(... قال علي بن الحسين عليه السلام: حدّثني أبي، قال: سمعتُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: ((لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قميصه وصلّى عليها وكبّر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسّعه ويسوّي عليها، وخرج من قبرها وعيناهُ تذرفان وحثا في قبرها... إلى آخر الحديث)[2].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نصّه:

(... إن الناس يُحشرون يوم القيامة عراة، ولم أزل أطلب إلى ربي عزّ وجل أن يبعثها - أي فاطمة بنت أسد - ستيرةً والذي نفس محمد بيده ما خرجتُ من قبرها حتى رأيتُ مصباحين من نور عند رأسها ومصباحين من نور

---

(١) كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب، ص٢٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٠٨.

عند يديها ومصباحين من نور عند رجليها وملكيها الموكلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة)[١].

وفي رواية شريفة أخرى:

(إن النبي ﷺ قال: يا عمار إن الملائكة قد ملأت الأفق وفتح لها باب من الجنّة ومهّد لها مهاد الجنّة وبُعث إليها بريحان من رياحين الجنّة، فهي في روح وريحان وجنّة ونعيم، وقبرها روضة من رياض الجنّة)[٢].

هذه هي فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!!

وهذه هي حياتها!! وهذا هو إسلامها!! وهجرتها إلى المدينة المنورة!! وحنانها لرسول الله وحبّها له صلّى الله عليه وآله وسلم!! ووفاتها!! وما قاله الرسول الأكرم ﷺ في فضلها!!

أنها بحق امرأة طاهرة كريمة عظيمة.

واكرم وأعظم بها من امرأة!! لها من الذكر ما يتعطّر بشذاه الدهر والشفاه، فهي أهل لأن تكون زوجةً لأبي طالب مؤمن قريش وأماً رؤوماً وحضيناً دافئاً لسيّد الخلق رسول الله ﷺ وأماً عظيمة لرجل عظيم وسيّد كريم ذاك هو المعجزة علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد ذكرها وأشاد في فضلها كثير من الحفاظ والمؤرخين والمؤلفين في كتبهم.

كابن عساكر وابن الأثير وابن عبد البر وابن حجر ومحب الدين الطبري ومحمد بن طلحة والشبلنجي والسيوطي وابن المغازلي وابن الصبّاغ المالكي وابن

(١) آمالي الصدوق، ص١٨٩ - ١٩٠.

(٢) روضة الواعظين، ص١٢٣.

الجوزي وابن كثير والهيثمي والوصابي والسيد شهاب الدين أحمد ومحمد صدر العالم ومير علي وعمر رضا كحالة وبنت فواز وعبد الكريم الخطيب[1].

وبعد أن أنهت فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها ذلك الشوط الطويل من عمرها المفعم بالإيمان والتقوى والايثار والتضحية وقد تحمّلت الكثير من المتاعب والمشاق والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين الإسلامي الحنيف، والتفاني في خدمة الرسول ﷺ والحفاظ عليه من شر كلّ ذي شر. لبّت نداء ربّها وانتقلت إلى الرفيق الأعلى بجوار ربها راضيةً مرضيّة تنعم بروح وريحان ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أعدّت للمتقين.

فطوبى لها، وسلامٌ عليها يوم ولدت ويوم عاشت ويوم وافاها الأجل ويوم تُبعث حيّة. رزقنا الله تعالى شفاعتها وشكر الله سعيها.

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب، ج١ رقم١٣ ص١٥. أسد الغابة، ج٥، ص٥١٧. الاستيعاب، ج٣، ص١٨٩١. الاصابة، ج٤، ص٣٨٠. ذخائر العقبى، ص٥٥. الرياض النضرة، ج٣، ص١٣٣. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص٢٩. نور الابصار، ص٨٩. تاريخ الخلفاء، ص١٦٦. مناقب علي بن أبي طالب، ص٦. الفصول المهمة، ص٣١. صفة الصفوة، ج٢، ص٥٤ رقم ١٣٥. أنساب الأشراف، ج ص٣٥. البداية والنهاية، ج٧، ص٣٣٢. مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٠. أسنى المطالب، ص٣. توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل القسم الثاني، ص١٤٥. معارج العلى في مناقب ذوي القربى، ص٤. خلفاء محمد، ص١٧٧. أعلام النساء، ج١، ص٣٣. الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ص٣٥٨. علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، ص٩٥.

الفصل الثاني
الإمام علي وخلقته

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي خُلقا من نور واحد:

من الحقيقة بمكان إن مرتبة النور هي أسمى مرتبة في الموجودات كلها. لأن قوام جميع الموجودات به، وقد دلّت الأحاديث والأخبار الشريفة الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم أجمعين، إن ذلك النور هو في الواقع والحقيقة مستمد من نور الله تعالى الذي أشرقت به السماوات والأرض، واستنارت كلٌّ أرجائهما به.

وإليك - عزيز القارئ الكريم - جملةً من هذه الروايات الواردة بهذا الخصوص:

١- جاء في كتاب: (فرائد السمطين، رواية الحمويني بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: ((خُلقتُ أنا وأنتَ من نور الله تعالى))[1].

٢- وجاء فيه أيضاً إنّ الحمويني قد روى بإسناده عن سلمان المحمدي (رض) قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش نسبّح الله ونقدّسهُ من قبل أن يخلق الله عزّ وجل

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٤٠.

آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلقَ الله آدم نُقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء الطاهرات، ثم نُقلنا إلى صلب عبد المطلب وقسمنا نصفين فجعل نصف في صلب أبي (عبد الله) وجعل نصف آخر في صلب عمي: (أبي طالب) فخُلقتُ من ذلك النصف وخُلِق علي من النصف الآخر، واشتقّ الله لنا من أسمائه أسماءً، فالله عزّ وجل محمود وأنا محمد، والله الأعلى وأخي علي، والله الفاطر وابنتي فاطمة، والله محسن وإبناي الحسن والحسين، وكان اسمي في الرسالة والنبوة وكان اسمه في الخلافة والشجاعة، وأنا رسول الله وعلي وليُّ الله))[١].

٣- روى ابن المغازلي بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال:

(إنّ الله عزّ وجل أنزل قطعة من نور فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزئين، جزء في صلب عبد الله وجزء في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً)[٢].

٤- وروى الكنجي بإسناده عن ابن عباس قال:

قال النبي ﷺ: (خلق اللهُ قضيباً من نور قبل أن يخلق الدنيا بأربعين ألف عام فجعله أمام العرش حتى كان أول مبعثي، فشقّ منه نصفاً فخلق منه نبيّكم والنصف الآخر عليّ)[٣].

---

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٤١.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب، ص١٨٩، ح١٣٢.

(٣) كفاية الطالب، ص٣١٤.

٥- وروى الزرندي الحنفي عن ابن عباس (رض) قال:

(سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، ولم يزل الله ينقلهُ من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبد المطلب ثم أخرجه من عبد المطلب فقسّمه قسمين، قسماً في صلب عبد الله وقسماً في صلب أبي طالب، فعليٌّ مني وأنا منه، لحمهُ لحمي ودمه دمي، فمن أحبّهُ فبحبّي أحبّه ومن أبغضهُ فببغضي أبغضه)[1].

٦- وروى أخطب خوارزم بإسناده عن عبد الله بن عمر قال:

(سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سُئِل: بأي لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال صلى الله عليه وآله: ((خاطبني بلغة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أنت أم عليّ؟ فقال: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء لا أُقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقتُ علياً من نورك، وأطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحبّ إليك من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك)[2].

وفي نفس المصدر ص٣١ عن أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((خلق الله تعالى من نور وجه علي ابن أبي طالب عليه السلام سبعين ألف مَلَك يستغفرون له ولمحبّيه إلى يوم القيامة.)).

٧- وروى الحمويني بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

---

(١) نظم درر السبطين، ص٧٩.

(٢) المناقب الفصل السادس، ص٣٧.

((لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سُجّداً وركّعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك.

هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقتُ الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليتُ بعزّتي أنه لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناري ولا أبالي هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجي وبهم أهلك، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل.

فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت))[١].

وهكذا يتضح بجلاء إن الرسول الأكرم محمداً ﷺ والإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد خُلقا من نور واحد مشتق من نور الله عزّ وجل، وإن الوجود وما فيه، والدنيا والآخرة وما فيهما من مخلوق لم يوجد البتة ولم يصبح حقيقةً ملموسة لها قدرة التأثير والتأثّر إلاّ بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، فلولاهم ما كان ولا

---

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٣٦.

يكون ولم يكن وجود لشيء البتة، وذلك بأمر الله سبحانه وقدرته العجيبة وحكمته البالغة وبمحض إرادته النافذة تبارك وتعالى.

أجل أكرم بهم من صفوة، لقد سجدت العظمة تحت أقدامهم وأشرق الوجود بنورهم، وتجلّت مراتب الكمال والجمال بهم، وغدا السموّ والنبل وكلُّ معاني البرّ والإحسان والفضائل لهم ومنهم، فهم المعين الذي لا ينضب والخير الذي لا ينقطع والعطاء الذي لا يساويه عطاء من مخلوق غيرهم فتباً وتعساً لمن ساواهم بمن ناواهم، ولمن يبغضهم أولاً يقتدي بهم أو يعطي ظهره لهم، أو يشايع غيرهم. فسلام الله التام الكامل عليهم في كل آنٍ ومكان وعصرٍ وزمان.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليّ خلقا من شجرة واحدة

لقد أكّدت الروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بصورة قاطعة لا تقبل الشك مطلقاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام قد خُلقا من شجرة واحدة والناس من شجر شتّى. وإليك - عزيزي القارئ - جملةً من هذه الروايات الشريفة الواردة بهذا الخصوص نذكر منها:

١- روى بن المغازلي بإسناده عن ابن عباس قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى)(١).

(١) المناقب، ص٨٧.

٢- روى ابن حجر المكي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال:

(قال رسول الله ﷺ: الناس من شجر شتّى وأنا وعلي عليه السلام من شجرةٍ واحدة)[1].

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٩ ص١٠٠ والخوارزمي في المناقب الفصل الرابع عشر ص٨٧ مع اختلاف بالألفاظ، والمتقي في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج٥، ص٣٢.

٣- روى الحاكم النيسابوري عن جابر بن عبد الله (رض) قال:

(سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعليّ: ((الناس من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[2].

٤- وروى الكنجي بإسناده عن أبي إمامة الباهلي قال:

(قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة فأنا أصلها وعليّ فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها. فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى، ولو أنّ عبداً عبدَ

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٧٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤. في المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٢٤١. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك صحبتنا أكبّهُ اللهُ على منخريه في النار)[١].

٥- وروى الزرندي الحنفي بإسناده عن جابر بن عبد الله (رض) قال:

((سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: ((الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ...﴾ حتى بلغ: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[٢] وقال صلى الله عليه وآله: ((علي منّي وأنا منهُ وهو وليٌّ كلّ مؤمن بعدي))[٣].

إن الذي يظهر من هذه الروايات الشريفة: إن علياً عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله خُلقا من شجرة واحدة وأصلها واحد أيضاً. وهذا دليلٌ قاطع على أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الشخص الذي يأتي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً، فهو عليه السلام أفضل الناس من جميع الجهات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا مما يؤكّد إمامته بصورة يقينية وقطعيّة لامراء فيها أبداً.

وقد روى مثل هذه الروايات الشريفة جمعٌ غفير من علماء السنّة وحفّاظهم في كتبهم وأسانيدهم كأخطب خوارزم والسيد شهاب الدين أحمد، وشهاب

(١) كفاية الطالب، ص٣١٧. وقال هذا حديث حسن عال ثم تلا: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤.

(٣) نظم درر السمطين، ص٧٩.

الـدين الـدولت آبـادي، والمتقـي الهنـدي، والحمـويني، والحـاكم الحسـكاني، والسيوطي، والذهبي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.)[١].

الإمام علي وليد الكعبة

لقد انتقلت فاطمة بنت أسد عليها السلام من بيت أبيها أسد بـن هاشـم جدّ الـنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت ابن عمها أبي طالب عليه السلام نتيجة زواجها منه وهي أول هاشمية تتزوج هاشمياً.

وقـد اسـتقرت حياتهمـا، وغـدت يسـودها جـوٌّ مشـبع بـالاحترام والتـآزر والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد وديانة التوحيد على ديـن إبـراهيم الخليـل على الرغم من إن عبادة الأصنام والأوثان في المجتمع لها حظ كبير.

ونتيجةً لهذا الزواج المبارك الميمون منّ الله عزّ وجل عليهمـا ببنـت واحـدة وأربعة من البنين وهم: طالب وعقيل وجعفر وسيدنا ومولانا أمير المؤمنين علـي عليه السلام الذي تميّز بالولادة المعجزة في جوف الكعبة المكرّمة.

قال الفقيه بن الصبّاغ المالكي المكّي:

(وُلِدَ عليّ عليه السلام بمكّة المشرّفة بداخل البيت الحرام ولم يولـد في البيـت قبلـه أحـد سـواه، وهـي فضـيلة خصّـه الله بهـا إجـلالاً وإعـلاءً لمرتبتـه، وإظهـاراً لتكرمته)[٢].

وجاء عن الحاكم النيسابوري أنه قال:

(١) انظر كتاب: قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص٤٨.

(٢) الفصول المهمة، ص٣٠.

(تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجههُ في جوف الكعبة)[1].

وقال ابن شاذان:

حدّثني إبراهيم بن علي بإسناده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بأزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين وكانت حاملة بأمير المؤمنين لتسعة أشهر وكان يوم التمام، قال: فوقفت بأزاء بيت الله الحرام وقد أخذها الطلق، فرمت بطرفها نحو السماء، وقالت:

(أي رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك الرسول، وبكلّ نبي من أنبيائك وبكلّ كتاب أنزلته، وإني مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنه بنى بيتك العتيق، فاسألك بحق هذا البيت ومَن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلّمني ويؤنسني بحديثه، وأنا موقنة أنه أحدى آياتك ودلائلك لما يسّرت عليّ ولادتي).

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب:

فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا ثم عادت الفتحة وألتزقت بإذن الله فرمنا أن نفتح الباب لتصل إلينا بعض نسائنا فلم ينفتح الباب، فعلمنا أن

(١) المستدرك على الصحيحين. السيرة الحلبية، ج١، ص١٣٩. مروج الذهب، ج٢، ص٢.

ذلك أمر من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، قال: وأهل مكة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدّث المخدّرات في خدورهنّ.

قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح الباب من الموضع الذي كانت قد دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليّ عليه السلام على يديها، ثم قالت:

(معاشر الناس إن الله عزّ وجل اختارني من خلقه وفضّلني على المختارات ممّن كُنّ قبلي وقد اختار الله آسية بنت مزاحم وإنّها عبدت الله سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيها إلاّ إضطراراً، وإن مريم ابنة عمران اختارها اللهُ حيث يسّر عليها ولادتها عيسى فهزّت بالجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط رطباً جنياً وإن الله تعالى اختارني وفضّلني عليهما وعلى كل من مضى من قبلي من نساء العالمين لأني ولدتُ في بيته العتيق وبقيتُ ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنّة وأوراقها، فلما أردتُ أن أخرج وولدي عليّ على يدي هتف بي هاتف وقال:

(يا فاطمة سمّيه علياً، فأنا العليُّ الأعلى، وإني خلقتُه من قدرتي وعزّة جلالي وقسط عدلي، واشتققتُ اسمه من اسمي وأدّبته بأدبي وفوّضتُ إليه أمري ووفّقته على غامض علمي وولد في بيتي، وهو أول من يؤذّن فوق بيتي ويكسر الأصنام ويرميها على وجهها، ويعظّمني ويحمدني ويهللني، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيّي وخيرتي من خلقي محمد رسولي ووصيّه، فطوبى لمن أحبّه ونصره والويل لمن عصاهُ وخذله وجحد حقّه).

قال: فلما رآه أبو طالب سُرّ وقال عليٌّ عليه السلام: السلامُ عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته.

ثم قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله اهتز أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليكَ يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر الآية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(قد أفلحوا بك، وقرأ تمام الآيات إلى قوله ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(أنت واللهِ أميرهم (أمير المؤمنين) تميرهم من علومك فيمتارون وأنت والله دليلهم وبك يهتدون)[1].

وقد قال الشاعر عن هذه الولادة الميمونة في الكعبة المكرّمة:

وخُصّ بمولده في بيتهِ شرفاً للبيت يوم أقام البيت بانيه
لذاك قبله من صلّى لخالقه غدا ومقصد مَن للحج يأتيه

وقال عبد الباقي العمري في قصيدته العينية:

أنت العليُّ الذي فوقَ العلي رفعا ببطن مكة عند البيت إذ وضعا

وللسيد الحميري المتوفي سنة (١٧٣هـ) قصيدة بهذا الخصوص نذكر منها:

ولدتُه في حرم الإله وأمنه والبيتُ حيثُ فناؤهُ والمسجدُ
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولدُ

(١) البحار، ج٣٥، ص٣٦ - ٣٨ عن أمالي الشيخ الطوسي.

مـا لُـفَّ في خـرق القوابـل مثلـه　　　إلاّ إبـــن آمنـــة الـــنبيّ محمّـــدُ

وللعلاّمة الشيخ حسين نجف المتوفي سنة ١٢٥٢ قصيدة نقطف منها:

جعــــل اللهُ بيتــــهُ لعلــــيّ　　　مولــداً يــا لــه عُــلا لا يُضــاهى
لم يشــاركهُ في الـــولادة فيـــه　　　ســيّدُ الرســل لا ولا أنبياهـــا
علــم اللهُ شــوقها لعلــيٍّ　　　علمـهُ بالـذي بـه مـنَ هواهـا
إذ تمنّـــت لقــــاءَهُ وتمنّـــى　　　فأراهـــا حبيبَـــهُ ورآهـــا
مــا ادّعــى مــدّع لــذلك كــلاّ　　　من ترى في الورى يدوم ادّعاها
فاكتسـت مكـة بـذلك افتخـاراً　　　وكــذا المشــعران بعــد مناهــا
بل به الأرض قد علت إذ حوته　　　فغـدت أرضـها مطـاف سماهـا
أو مــا تنظــرُ الكواكــب لــيلاً　　　ونهــاراً تطــوفُ حــول حماهــا
والــي الحشــر في الطـواف عليـه　　　وبـــذاك الطـــواف دام بقاهـــا

وكانت ولادته عليه السلام في ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب الأصب لثلاثين من عام الفيل.

وقال الشبلنجي وابن الصبّاغ المالكي والكنجي الشافعي: (ولد عليٌّ بمكة داخل البيت الحرام يوم الجمعة ثالث عشر من رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة... ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه[1] ولا بعده[2].

(١) نور الأبصار للشبلنجي، ص٧٦. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ، ص٢٩. كفاية الطالب للكنجي الشافعي، ص٤٠٧.

(٢) المستدرك للحاكم، ج٣، ص٤٨٣. أسد الغابة، ج٤، ص٣١. نزهة المجالس، ج٢، ص٢٠٤. الآلوسي في شرح الخريدة الغيبية. شرح الشفا، ج١، ص١٥١. حياة أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر،

وقد اجمع أهل البيت عليهم السلام أنه ولد في الزاوية اليمنى من ناحية البيت، ولم يولد فيه مولود سواه لا من قبل ولا من بعد، لذلك ورد في زيارته: السلامُ على من ولد في الكعبة وزوّج في السماء بسيّدة النساء. فهو عليه السلام ولد طاهر من نسل طاهر ولد في موضع طاهر، وتلك هي المعجزة التي أدهشت العقول، وأنارت العصور، وتعطّرت بشذاها الأيام والسنون والدهور.

ولقد كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يسمّي تلك السنة التي ولد فيها الإمام علي عليه السلام سنة الخير والبركة لأنه شاهد آثاراً عجيبة وكرامات عظيمة لم يشاهد من قبل مثلها، حيث كُشِفَ عن بصره صلى الله عليه وآله وسلم وشاهد أنواراً وأشخاصاً ولم يُخاطب منها بشيء، وهي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتّل والانقطاع والعزلة في غار حراء حتى كوشف بالرسالة الغرّاء ونزول الوحي عليه السلام.

جاء في كتاب من موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني:

(قال الشاعر السريجي الأوالي المتوفي (٧٥٠هـ):

مـن كـان في حـرم الإلـه مولـدهُ وحاطـه اللهُ مـن بـأسٍ وعـدوانِ

((وكان يريد به قصة ولادته صلوات الله عليه في الكعبة المعظّمة، وقد انشقّ جدار البيت لأمه فاطمة بنت أسد فدخلته ثم التأمت الفتحة فلم تزل في البيت العتيق حتى أولدت مشرِّف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنّة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن درّه الدري إلاّ وأضاء الكون بنور محيّاه الأبلج وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس. وهذه حقيقة ناصعة أصفق على إثباتها

ص٣٠. مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلي، ص٧. السيرة الحلبية، ج١، ص١٣٩. تذكرة الخواص، ص١٠. مروج الذهب، ج٢، ص٢. المناقب لمحمد صالح الترمذي.

الفريقان، وتظافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا تعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نص جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الإثارة)[١].

فاطمة بنت أسد تتغذّى من ثمار الجنّة:

من الآيات التي تدلُّ على عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام نزول مائدة من الجنة لتتغذى بها أمه فاطمة عليها السلام. حيث كانت عليها السلام تقول: (بقيتُ فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأوراقها)[٢].

وفي حديث آخر قالت عليها السلام:

(وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها)[٣] تقويةً لها وتكريماً من ربّ العزّة والجلالة، وتعظيماً لشأن وليدها علي عليه السلام الذي شاء الله سبحانه أن يولد في بيته الطاهر ليطهّره من رجس الأوثان والأصنام ويضيفه شرفاً إلى شرفه.

ولا غرابة في ذلك البتّة لأنها المعجزة وهي تشبه معجزة انفتاح ظهر الكعبة المكرّمة لها عليها السلام. وتحديداً الركن اليماني ودخولها فيه، وانفتاحه أيضاً وخروجها منه وهي تحمل وليدها المعجزة الذي يعرف أباه أبا طالب عليه السلام ويسلّم عليه، ويضحك في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ويسلّم عليه بالرسالة والنبوة

(١) الغدير، ج٦ للأميني.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٥، ص٣٧.

(٣) علل الشرائع، ص٥٦ ومعاني الأخبار، ص٦٢.

ويهتزّ له ويتنحنح بإذن الله تعالى ويقرأ آيات من سورة (المؤمن) قبل نزول القرآن الكريم، وهو لمّا يزل طفلاً عمره ثلاثة أيام فقط.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بهذا الوليد المبارك ويرعاهُ رعايةً خاصة، ويساعد والدته كثيراً في تربيته وغسله وتطهيره، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لفاطمة بنت أسد عليها السلام:

(إجعلي مهده بقرب فراشي) وكان صلى الله عليه وآله وسلم يوجزه اللبن. أي (يجعله في فمه عليه السلام). ويحرّك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ويقول:

(هذا أخي ووليّي، وصفيّي، وذخري، وكهفي، وظهري، ووصيّتي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيّتي، وخليفتي... وكان يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وأوديتها)(١).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(... فعليّ عليه السلام منّي وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبَّهُ أحبّني، ومَن أبغضه أبغضني)(٢).

وقد عبّر عن هذه الحقائق كلها أمير المؤمنين علي عليه السلام بنفسه حيث قال:

(وقد علمتُ موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويلفّني في فراشه، ويمسّني جسده ويشمّني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه)(٣).

---

(١) البحار، ج٩.

(٢) إرشاد القلوب للديلمي، ص٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

إذن، فلا غرابة أن تأكل فاطمة بنت أسد عليها السلام من ثمار الجنّة وأوراقها ويتحول إلى لبن وتسقيه ولدها علياً عليه السلام وليد الكعبة وتتغذّى هي منه - أي من الثمار - وهي في جوف الكعبة وليست خارجها وهنا يتّضح أمر أهم وكرامة أبلغ من حيث الولادة لكل من نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وما هو الفرق بين الولادتين المباركتين؟! وأيهما أبلغ؟!

الفرق بين ولادة فاطمة ومريم عليهما السلام

لو أمعنا النظر في معجزة نبي الله عيسى عليه السلام حين ولادته وقد أظهرها الله عزّ وجل لمريم عليها السلام حيث اخضرّ الجذع اليابس وتساقط رطباً جنياً. إلاّ إن مريم ابنة عمران قد أمرها اللهُ تعالى أن تخرج من بيته (بيت المقدس) التي كانت تتعبّد فيه، وتنأى بحملها المبارك لتضعه في أطراف المدينة، - أي في مكان قصي - كما أخبر القرآن الكريم بذلك حيث يقول الله تعالى:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا*فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا*فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(١).

ثم عادت مريم عليها السلام بوليدها رسول الله عيسى عليه السلام إلى مدينة القدس. بينما فاطمة بنت أسد فقد دعاها الله سبحانه من بيتها إلى بيته - الكعبة المقدّسة - لتضع حملها - علياً عليه السلام - فيه. رغم أن سدنة الكعبة لم تكن تسمح لأحد

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٢ - ٢٥.

بالنوم في جوف الكعبة ولا الدخول إليها إلاّ في أوقات محددة. ولما انشقّ الجدار ودخلت فاطمة انغلق وباءت كل محاولات السدنة لفتحه بالفشل والخيبة. ولم يزل آثار الشق ماثلاً للعيان لحدّ الآن يحكي عظمة أمير المؤمنين عليه السلام وعلوّ قدره وسمو شرفه وارتفاع مرتبته وبعد ثلاثة أيام ينشقّ مرةً أخرى لتخرج فاطمة منه.

وسيبقى الشقّ في جدار الكعبة الواقع في الركن اليماني شاخصاً للعيان إلى يوم يبعثون رغم أُنوف الطغاة والحاقدين الذين حاولوا رأب صدعه مراراً وتكراراً إلاّ أنهم لم يفلحوا، ولن يفلحوا لأن الله عزّ وجل شاء أن يبقى علامةً مضيئة وكرامةً ساطعة، ومعجزةً باهرة ودليلاً دامغاً على عظمة هذه الولادة لذلك الرجل العظيم صاحب السر الكبير ذاك هو سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي لا يعرفه حقيقة المعرفة إلاّ الله ورسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا نعرف أيّ الولادتين أبلغ. إضافةً إلى أن العقل يحكم بأن كرامة إطعام فاطمة أعظم وذلك لأن جوف الكعبة المطهّر ليس محلاً للطعام والإطعام بخلاف الجذع ومكانه واخضراره.

هذا هو علي عليه السلام، لا يُقاس به أحدٌ من الناس لأنه ولد في بيت الله وعاش في بيت الله وختم حياته في بيت الله حيثُ استشهد فيه، لذلك قال عليه السلام: (فزتُ وربِّ الكعبة)؟!!

الإمام علي عليه السلام بمنزلة الكعبة

قد يستغرب بعض من الناس - حسداً أو بغضاً أو جهلاً - أن يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام قد بلغ مرتبةً رفيعة من مراتب السموّ والعظمة والكمال والإعجاز، يكون فيها بمنزلة الكعبة المكرّمة. حيث أنها قبلة المسلمين، ومكان عبادتهم واستجابة دعائهم وقبول أعمالهم ومغفرة ذنوبهم وتأدية مناسكهم وأداء فريضة حجّهم التي أوجبها الله تعالى على المستطيع منهم. فهذا حديث صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ مَن كان مؤمناً قد امتحن الله قلبه للإيمان.

ولكنّ الحقيقة خلاف ما يعتقد ذلك البعض المنكر لمنزلة أمير المؤمنين علي عليه السلام لأن العقل والواقع وضرورات الدين تؤيّد ذلك. ولأنه يؤتى ولا يأتي، وأنه معجزة في ولادته وشجاعته وبلاغته، وفصاحته، وصبره، وإيمانه، وزهده، وعلمه، وعدله، وقضائه، وتقواه، وعباداته، وفي كلِّ صفاته ومناقبه، وفي كشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله والذود عن رسالته حتى قال فيه صلى الله عليه وآله مخاطباً له عليه السلام:

(لو أن البحر مداد، والغياض أقلام، والإنس كتاب، والجن حسّاب، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن)[1].

ما شاء الله والحمد لله، وهذا بالفعل ما صدّقته الآيات والروايات، وجاءت به الأخبار الواردة عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله نذكر قسماً من هذه الآيات

(١) المناقب للخوارزمي.

والروايات الكريمة والشريفة ولقد قال ابن عباس: (قد نزلت ثلاثمائة آية في علي عليه السلام)[١].

و (ما نزلت يا أيها الذين امنوا إلاّ وعليّ أميرها وشريفها)[٢].

و (لقد عاتب أصحاب محمد في آيٍ من القرآن وما ذكر علياً إلاّ بخير)[٣].

والآن إليك عزيزي القارئ الكريم جملةً من هذه الآيات التي نزلت في علي عليه السلام:

١- جاء عن ابن عباس أنه قال:

(إنه كان مع علي بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤].

٢- وروى الحمويني بإسناده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عزّ وجل ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٥] قال: عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الواحدي: والمعنى إنهم يُسئلون:

---

(١) الفتوحات الإسلامية، ج٢، ص٥١٦.

(٢) كشف الغمة، ص٩٣.

(٣) ينابيع المودة، ص١٢٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢. ينابيع المودة، ص٩٢.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢٤.

(هل والوهُ حق الموالاة كما أوصاهم به رسول الله ﷺ).

وقال: وروي عن علي عليه السلام أنه قال:

(جُعلت المواة أصلاً من أصول الدين)[1].

٣- وعن ابن عباس أنه قال:

(إنّ علياً تصدّق بخاتمه وهو راكع، فقال النبي ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟

قال: ذلك الراكع، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

٤- وقد اعتبرت آية التطهير[3] وصحيح مسلم فضائل الصحابة علياً من أهل بيت الوحي المطهّرين من كل رجس، واعتبرته آية المباهلة[4] وصحيح الترمذي، ج٢، ص٣٠٠ نفس النبي ﷺ.

٥- وشهدت سورة الإنسان بإخلاص علي وأهل بيته عليهم السلام وخشيتهم من الله، وتضمّنت الشهادة الربانية لهم بأنهم من أهل الجنّة[5].

وقد قال الشاعر بهذا الخصوص:

زهتْ بها أكنافُ مكة مذ غدا ... ميلادُهُ في البيتِ ذي الأستارِ

---

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٧٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥. راجع تفسير الطبري، ج٦/١٦٥ والبيضاوي.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٥) الكشّاف للزمخشري والطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص٢٠٧.

ما البيتُ شرّفهُ ولكن شرف البيت الحـــرام بســـاطع الأنـــوار

نعم لقد شرف البيت الحرام بساطع أنوار أمير المؤمنين علي عليه السلام نتيجة ميلاده المبارك فيه، وقد زهت وأشرقت اكنافه كلها به فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين وسيد المتقين وقائد الغر المحجّلين إلى جناب النعيم.

هذه بعض الآيات وأما الروايات فهي كثيرة نذكر منها:

١- روى المغازلي بإسناده عن أبي ذر (رض) قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل عليّ فيكم - أو في هذه الأمة - كمثل الكعبة المستورة - أو المشهورة - النظر إليها عبادة والحج إليها فريضة)[١].

٢- وروى ابن الأثير بإسناده عن علي عليه السلام قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإنْ أتاكَ هؤلاء القوم فسلّموها إليكَ - يعني الخلافة - فأقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك)[٢].

٣- وعن الحكيم الترمذي أنه قال بعد رواية ذلك:

(فاتّضح منه أن ذلك - يعني جلوسه في بيته - كان منه بإشارة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا لخوف ولا لعجز)[٣].

(١) المناقب، ص١٠٧. تاريخ دمشق، ج٢، ص٤٠٧ رقم ٩٠٥. وروى ذلك ابن عساكر في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣١.

(٣) غاية المرام الباب الثالث والستون، ج١٢ من طريق العامة، ص٥٧٠.

ونكتفي بهذا القدر من الروايات الشريفة ومن قبلها الآيات الكريمة لأن المقصود قد توضّح، وهو لا يخفى على كلِّ ذي دين وعقل وإنصاف.

الفصل الثالث
من سمّى علياً وكيف تربّى وما هي ألقابه وكناه؟

من سمّى علياً عليه السلام بهذا الاسم؟:

لقد اختلفت الروايات في الذي سمّى أمير المؤمنين علياً عليه السلام بهذا الاسم المبارك المشتق من أسماء الله سبحانه وتعالى، لأن الله جلّ وعلا هو العليّ الأعلى وهذا عليّ عليه السلام.

فمنهم من قال: سمّاهُ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ومنهم من قال: سمّتهُ السماء، حيث سُمع هاتف يقول بذلك، ومنهم من يقول: إنّ والده أبا طالب عليه السلام سمّاهُ علياً.

ولكنّ الصحيح: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي سمّاهُ بهذا الاسم الشريف وهو الصادق الأمين والرسول الكريم والذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى(٤)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[١].

جاء في كتاب (خصائص العشرة للزمخشري):

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تولّى تسميته بعليّ وتغذيته أياماً من ريقه المبارك، يمصّه لسانه، فعن فاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام قالت: لما ولدته سمّاه صلى الله عليه وآله وسلم علياً وبصق في فيه، ثم إنّه ألقمهُ لسانه، فما زال يمصّهُ حتى نام)[٢].

---

(١) سورة النجم: الآية ٣ - ٥.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٦٨ والسيرة النبوية لزيني دحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية.

وقال الحلبي نفس هذا القول من حيث التسمية والتغذية وأضاف: قالت فاطمة بنت أسد: فلما كان من الغد طلبنا له مرضعةً فلم يقبل ثدي أحد فدعونا له محمداً ﷺ فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله عزّ وجل عليه السلام).

روى الكنجي الشافعي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال:

(سألتُ رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام. إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عزّ وجل نقلنا من صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية، فما نقلتُ من صلب إلاّ ونُقل عليّ معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد.

وكان في زماننا رجل زاهد عابد يُقال له: (المبرم بن دعيب بن الشقبان) وقد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة، لم يسأل الله حاجةً، فبعث الله إليه أبا طالب، فلما أبصرهُ المبرم قام إليه وقبّل رأسه وأجلسهُ بين يديه ثم قال له:

من أنت؟ فقال: رجل من تهامة.

فقال: من أي تهامة؟ فقال من بني هاشم.

فوثب العابد وقبّل رأسه ثانيةً، ثم قال:

يا هذا إن العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً.

قال أبو طالب: وما هو؟

قال: ولدٌ يولد من ظهرك وهو وليٌّ الله عزّ وجل، فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول:

(أيها الناس ولد في الكعبة وليٌّ الله عزّ وجل، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يــا رب هــذا الغسـقُ الـدجيّ — والقمــر المنبلــغ المضــيّ
بــيّن لنــا مــن أمــرك الخفــيّ — مــاذا تـرى في اسـم ذا الصـبيّ

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يــا أهــل بيــت المصـطفى الـنبيّ — خُصصــتم بالولــدِ الزكــيّ
إن اسمــهُ مــن شــامخ علــيّ — علــيٌّ اشــتقّ مــن العلــيّ)[1]

أجل، إن الهاتف في السماء يقول: إن وليد الكعبة المكرمة اسمه عليّ اشتقّ من العليّ. أي العليّ الأعلى سبحانه وتعالى.

وقد نُقل عن فاطمة بنت أسد عليها السلام أنها قالت:

(إني ولدتُ ولدي في بيت الله العتيق، وبقيتُ ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنّة وأوراقها، فلما أردتُ أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال:

يا فاطمة سمّيه علياً، فأنا العليُّ الأعلى وإني خلقتُهُ من قدرتي، وعزّة جلالي وقسط عدلي واشتققتُ اسمه من اسمي، وأدّبته بأدبي وفوّضت إليه، ووقفته على غامض علمي وولد في بيتي، وهو أول من يوذّن فوق بيتي ويكسر الأصنام ويرميها على وجهها، ويعظمني ويحمدني ويهللني بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي ووصيّه، فطوبى لمن أحبّه ونصره والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقّه)[2].

---

(١) كفاية الطالب، ص٤٠٦.

(٢) البحار، ج٣٥، ص٣٦ - ٣٨ عن أمالي الشيخ الطوسي.

وجاء في خبر طويل نذكره منه:

(فإني (فاطمة بنت أسد) دخلت بيت الله الحرام فأكلتُ من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: سمّيه علياً فهو عليّ، يقول تعالى: ((شققتُ اسمه من إسمي وأدّبته بأدبي ووقفته على غامض علمي))[1].

ولا مانع أن يكون الهاتف الذي سمعته فاطمة بنت أسد عليها السلام - والتي هي من أهل الجنة كما أخبر بذلك جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله - هو نفسه الذي سمعه أبو طالب مؤمن قريش الذي حصل على أجرين لأنه يكتم إيمانه لحكمة ومصلحة تتعلّق بسلامة الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة. فهو عليه السلام كأهل الكهف ومؤمن آل فرعون الذين كتموا ايمانهم فنالوا الأجر أجراً مضاعفاً، كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقطعاً إن الرسول الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله - ومن باب أولى - هو اعلمُ بكل هذا حيث أنه يعلم ويسمع، وهو صلى الله عليه وآله مأمور بتسمية عليّ بهذا الاسم الشريف وتغذيته من ريقه ولعابه ولسانه الشريف.

وهذه كلها كرامات ومعجزات عظيمة لأشخاص يستحقّونها وهم أهلٌ لها، لما يمتازون به من درجة سامية، ومرتبة رفيعة، وشأنية عظيمة، ومسؤولية كبيرة قادمة في مستقبل الأيام.

وقد قال عبد المسيح الانطاكي بهذا الصدد شعراً فريداً نختار منه:

في رحبة الكعبة الزهراء قد انبثقت ... أنوارُ طفلٍ وضاءت في مغانيها

---

(١) أمالي الصدوق، ج٩، ص١١١. معاني الأخبار، ج١٠، ص٦٢.

واستبشر الناسُ في زاهي ولادته ... قالوا: السعودُ له لابدّ لاقيها
هنّوا أبا طالب الجوادَ والدهُ ... والأمّ فاطمة هيّوا نهنيها
إن الرضيع الذي شام الضياء ... ببيت الله عزّته لا عِزّ يحكيها
أما الوليدُ فلاقى الأرضَ مبتسماً ... فما رغا رهباً ما كان خاشيها
إلى النساءِ التي حوله قد نظرت ... عيناهُ نظرة مستجلّ خوافيها
وهنّ أعجبن بالمولود شمنَ به ... شبلاً ببنيته سبحان بانيها
وقلن: فاطمٌ قد جاءت بحيدرة ... يذبُّ عن قومه العدوى ويحميها
وقالت الأم: يا بُشرى بحيدرةٍ ... بشرى أبا طالب وافيت أسديها
أجابها: بل عليّ إنني لأراهُ ... بالغاً ذروة العلياءِ وراقيها
اللهُ أكبر من تلك الفراسة ... بالمولود والوالد المفضال رائيها
قد حققتها الليالي بالوليد فأمسى ... بين أهل العلم والمجد عاليها
وعام مولده العام الذي بدأت ... بشائر الوحي تأتي من أعاليها
فيه الحجارةُ والأشجار قد هتفت ... للمصطفى وهو رائيها وصاغيها
وإذ درى المصطفى فيه ولادةً ... مولانا العليّ غدا بالبشر يطريها
وباتَ مستبشراً بالطفل قال به ... لنا من النعم الزهراء ضافيها[1]

(١) القصيدة العلوية المباركة، ص٦١.

تربية الإمام علي عليه السلام في فترتي: الطفولة والصِبا:

قبل البدء بالموضوع نقول:

من الحقيقة بمكان إن أبا طالب عليه السلام - كما رواه عامّة المؤرخين - قد أحب الرسول الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً جمّاً، وقد تعلّق به ولا يكاد يتركه لحظةً واحدة وخصوصاً عندما علم من أهل الخبرة والدراية من أهل الديانات السابقة، ومن ملاحظاته ومشاهداته الكثيرة لكرامات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوّة شخصيته، وسموّ فكره، وجمال أخلاقه وبركاته، بإن لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم شأناً عظيماً وسيكون رسولاً وخاتم الأنبياء. لذا فقد اعتنى به عنايةً كبيرة وخاصة ليس لها نظير في عالم شبه الجزيرة العربية.

فأصبح ملازماً له في حلّه وترحاله، وقد أصرّ على أخذه معه إلى الشام وعمر النبي الأعظم تسع سنوات فقط، خوفاً عليه من الأعداء وخصوصاً اليهود منهم. ولم يزل أبو طالب يولي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الرعاية والعناية والاهتمام الخاص، حتى بعثه الله عزّ وجل رسولاً لهذه الأمة وللإنسانية كافة.

وعندئذ ازداد اهتمام أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضاعف جهوده من أجل حمايته صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه وعن دينه الجديد بكل ما يملك من جاه وأولاد وقوى عقلية وجسدية ورئاسية حتى وصل به الحال أن يتحمّل كلّ المشاق والصعاب والمقاطعة، وأن يكتم إيمانه به صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه الجديد (الإسلام) حفاظاً على شخصه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته الفتيّة الغضّة الطرية من كل سوء وشرّ وأذى ومكر.

وقد عاش الرسول الأكرم محمد ﷺ مع عمّه الصدّيق اثنين وأربعين عاماً في عنايةٍ وحمايةٍ كاملةٍ ودعمٍ تام.

وتبعاً لتلك الجهود المخلصة والتربية المميّزة والرعاية الخاصة التي حظى بها رسول الله ﷺ من لدن عمّه أبي طالب عليه السلام فقد أخذ الرسول الاكرم محمد ﷺ علياً عليه السلام من عمّه أبي طالب عليه السلام فربّاهُ في حجره الشريف وغذّاه بيده الطاهرة وهذّبه بنفسه الزكيّة، وعلّمه علومه الإلهية وما جاء به الوحي عليه السلام وزوّجه ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء سيدة النساء في الدنيا والآخرة.

جاء عن محمد بن إسحاق أنه قال عن تربية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام:

(كان مما أنعم الله عليه أن كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه (وكان من أيسر بني هاشم): يا عباس إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه لنخفّف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه[1].

قال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما عقيلاً وطالباً فأصنعا ما شئتما.

(١) عيون الأثر، ج١، ص١٢٤ - ١٢٥. الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٩. تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٧.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمّه إليه. فلم يزل الإمام علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تعالى نبياً فاتّبعه الإمام علي عليه السلام وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[1].

فكان الإمام علي بن أبي طالب تلميذاً مخلصاً لرسول الله ﷺ يحذو حذوه حذو القذّة بالقذّة فتعلّم علومه وأخلاقه وآدابه، وأصبح أخاه وختنه ووزيره ووصيّه وخليفته من بعده ﷺ.

وغداً منه مثل هارون من موسى عليه السلام لا يخالف رسول الله ﷺ في نص ولا يعارضه في أمر. وقد قال فيه رسول الله ﷺ: (علي إمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين يوم القيامة)[2].

نعم إنَّ منزلة الإمام علي عليه السلام تختلف عن منزلة سائر الأصحاب، وإن تربيته من نمطٍ خاص وعلى منهج رسالي مميّز، حيث عاش في كنف أستاذ البشرية ومعلمها الفذّ محمد ﷺ واستقى من علومه وتهذّب بسلوكه وأخلاقه التي امتدحها الله سبحانه في كتابه الكريم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فكان معجزةً في كل صفاته عليه السلام فضلاً عن تربيته الفريدة المميّزة.

((وعلى أي حالٍ، فقد اختار الله لعليّ وقُدّر له أن ينال هذا الشرف العظيم، وأن يُربّى في حجر النبوّة، وأن يشهد مطالع الرسالة الإسلامية من

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٣٧. مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٢.

يومها الأول، وأن يتلقّى من فم النبيّ مفتتح الرسالة ومختتمها مما نزل به الوحي من آيات الله، وهكذا قدر لعلي أن يولد وطيب النبوّة يعطّر الأجواء من حوله وأنوارها تفيض عليه من كلّ افق، وتطّلع عليه من كلّ صوب، حتى إذا تحولت مطالع النبوّة إلى أفقها الجديد في دار الهجرة تحوّل عليّ معها إلى هذا الأفق، ثم لم يزل يدور في فلكها حتى غربت شمس النبوة، ولحق النبيّ بجوار ربّه))[١].

هذه هي تربية أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد شاءت القدرة الإلهية أن يحظى بهذا الشرف العظيم وأن يُربّى في حجر الرسالة وأن يشهد انطلاق فجرها الوضّاء من يومها الأول، وأن ينشأ ويتغذّى ويتهذّب ويتعلّم من فم صاحب الرسالة محمّد صلى الله عليه وآله لذا فقد صاغته مبادئ الرسالة وعجنته أخلاق وعلوم صاحبها صلى الله عليه وآله حتى غدا لا يفضله أحد إلاّ صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وآله. لذا كان بحقّ وصياً ووزيراً ووارثاً وخليفةً على الأمة بعد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله.

رضاعة علي عليه السلام وصباه:

لقد مرّ علينا ما جاء في كتاب خصائص العشرة للزمخشري:

(إنّ النبي صلى الله عليه وآله تولى تسميته بعليّ، وتغذيته أياماً من ريقه المبارك يمصّ لسانه، فعن فاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام قالت: لما ولدته سمّاه صلى الله عليه وآله علياً وبصق في فيه، ثم ألقمه لسانه فما زال يمصّه حتى نام)[٢].

---

(١) علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، ص٨١ - ٨٤.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٦٨. والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية.

نعم، إنّ النبي الأعظم ﷺ تولّى تسميته بعلي وتغذيته من ريقه المبارك وبصق في فيه عليه السلام علماً ومعرفةً وحكمةً وتهذيباً، حتى قال فيما بعد: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فأنا أعلم بها من طرق الأرض، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين)(١).

ولقد قال الإمام علي عليه السلام تعريفاً بنفسه:

(ولقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره، ويكفني في فراشه، يمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطله في فعل، وقد قرن الله به ﷺ من لدن مذ كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه إتّباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراهُ غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوّة، ولقد سمعتُ رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟

فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ إنّك لست بنبي ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير(٢).

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٠.

وقد جاء عن ابن أبي الحديد أنه قال:

(وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: كان علي يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت، وقال عليه السلام له: لولا أني خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوّة، فإن لا تكن نبياً فإنّك وصيّ نبي ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء)(١).

وهكذا يتّضح بجلاء إن الإمام علي عليه السلام عاش في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله في صباه مثلما عاش الرسول محمد صلى الله عليه وآله في كنف عمّه أبي طالب وكان ملازماً له في ليله ونهاره يهتدي بهديه صلى الله عليه وآله ويتربّى بتربيته المعصومة عن الخطأ، ويتأدّب بآدابه، ويتخلّق بأخلاقه وكأنه نسخة ثانية لرسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ شيء إلاّ النبوّة، لأنه عليه السلام أصبح كما يريده رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ شيء.

ولا غرابة في ذلك البتة، لأنهما خلقا من نور واحد ثمّ انقسم ذلك النور إلى قسمين: فقسم الرسول محمد صلى الله عليه وآله والقسم الآخر الإمام علي عليه السلام لقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله:

(كنتُ أنا وعلي نوراً واحداً قبل أن يخلق الله تعالى آدم فلما خلق الله تعالى آدم انقسم ذلك النور إلى قسمين فقسم أنا وقسم علي)(٢).

هذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام في تربيته وتسميته وتغذيته وولادته وصباه!!

---

(١) الأميني، الغدير، ج٦، ص٣٧.

(٢) كشف الغطاء، ج١، ص١٠، والثاقب في المناقب، الطوسي، ص٢٨٨. المناقب لابن شهرآشوب، ج٢، ص٢٧٨. فضائل الصحابة لابن حنبل، ج٢، ص٦٦٢. العمدة، بن بطريق، ص٢٠٩.

فهو معجزة في كل مرحلة من مراحل حياته الشريفة، وقد حظى بمنزلة عند الله تعالى ورسوله ﷺ لا تضاهى، فهي كمنزلة رسول الله ﷺ عند الله تبارك وتعالى إلاّ النبوّة. وهذا ما قاله وأكّده الرسول الأكرم محمد ﷺ.

جاء في (المناقب) لابن شاذان عن ابن عمر، قال:

سألنا رسول الله ﷺ عن علي بن أبي طالب عليه السلام فغضب ﷺ وقال: (ما بال قوم يذكرون مَن له منزلة عند الله كمنزلتي، ومقام كمقامي إلاّ النبوّة، ألا من أحبَّ علياً فقد أحبني ومن أحبّني رضي اللهُ عنه وكافأه في الجنة...)(1).

فهل يوجد من الأصحاب أو من الذين تقدّموا عليه عليه السلام ظلماً وإجحافاً وحسداً من يملك ذرة من هذه المنزلة التي حظي بها أمير المؤمنين علي عليه السلام عند الله تعالى وعند رسوله الأكرم ﷺ؟!

وهل حظي أحد من الصحابة من المنزلة والكرامات والمعجزات والكمال وجميل الصفات مثل ما حظي به أمير المؤمنين علي عليه السلام؟! كلا وألف كلا.

إذن، فلماذا قُدِّم غيره عليه؟! أولم يكن هو المقدّم كما ترى؟

أليس في هذا تقديم للمفضول على الفاضل؟!

وهذا عيب كبير وخلاف مشين لمنطق الدين، والعقل، والحكمة، ومصلحة الإسلام والمسلمين. ومعصية كبيرة لله تعالى والرسول الكريم ﷺ. ومن هنا ندرك: لماذا انقسم وتشرذم وتأخّر المسلمون وفقدوا صدارتهم ومركزيتهم في العالم، وأصبحوا يستجدون الحلول، والنظريات، والتكنولوجيا ممن يريد فرض

(١) المناقب لإبن شاذان عن ابن عمر.

هيمنته عليهم واستعبادهم، وتقسيمهم، ونهب ثرواتهم المادية والأدبية والتراثية. أنه لشيءٌ مُحزن وأمرٌ فضيع!!

ألقاب الإمام علي عليه السلام وكناه

إن ألقاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وكناه كثيرة نذكر منها: جاء في كتاب: (قادتنا كيف نعرفهم لآية الله السيد محمد هادي الميلاني) بخصوص ألقاب الإمام علي عليه السلام وكناه، ما نصه:

قال السيد شهاب الدين أحمد:

(أما أسماؤه وكناه وألقابه:

منها: (علي) لم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام علياً.

منها: (حيدر) تسميته بهذا الاسم مشهور وتفاخره في المبارزة...

أنا الذي سمتني أمي حيدرة   كليث غابات كريه المنظرة

منها: (المرتضى)، لأن جبريل عليه الصلاة والسلام قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وبارك وسلم: إن الله تعالى يقول:

(رضيت فاطمة لعلي وعلياً لها، والرضي أي المرضي أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، أو عليّ ذو الرضا عن الله...

منها: (وليُّ الله)، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين قال:

قال رسول الله ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً بالذهب:

((لا إله إلاّ الله محمد حبيب الله علي وليّ الله)).

منها: (حبيب الله):

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وآله وبارك وسلم أنه قال:

(لما عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله عليّ حبيب الله). الحديث.

منها: (وصيّ رسول الله):

عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عن النبي ﷺ قال: (أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام رأيت جناحه فإذا على جناحه مكتوب: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. وعلى الآخر مكتوب: لا إله إلاّ الله عليّ وصيّ رسول الله).

منها: (خليفة رسول الله):

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (معاشر الناس إن علياً خليفة رسول الله).

منها: (عبد الله):

عن علي عليه السلام أنه قال: (أنا عبد الله وأخو رسول الله).

منها: (أسد الله):

أي كان له جرأة الأسد وشجاعته... وما أعطاه رسول الله ﷺ الراية إلاّ فتح الله تعالى على يده، وكان إذا قاتل يقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره.

منها: (سيف الله):

فإنه أهلك الله تعالى به أعداءه، فكان واسطةً وسبباً لإفناء أعداء الله في أرضه، كما أنّ السيف آلة للمحارب في إهلاك قرينه المبارز.

منها: (أخ الرسول):

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (دخلتُ الجنة فرأيت على باب الجنة مكتوب: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله... وفي رواية مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن يخلق السماوات بألفي عام).

منها: (سيّد العرب):

عن عائشة، قالت: كنت مع النبي ﷺ جالسة، إذ أقبل علي بن أبي طالب، فقال: (يا عائشة إن سرّك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب، قالت: قلت يا رسول الله: ألست سيدّ العرب؟ قال ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلي سيّد العرب).

منها: (فتى قريش):

عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال:

((نادى ملك في السماء يوم بدر يُقال له (رضوان): لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي. وفي حديث (لا فتى إلاّ علي) وذلك أنّ قرنه في حالة المبارزة

سأله سيفه لينظر إليه فأعطاه. فقال له قرنه: عجباً أمنت مني فاعطيتني السيف حالة القتال؟! فقال: رضي الله تعالى عنه: (مددت إليّ يد السؤال فكرهتُ أن أردّها بغير نوال) فقال النبي ﷺ: (لا فتى إلاّ علي))).

منها: (ذو القرنين):

قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: (إن لك بيتاً في الجنة وإنك ذو قرنيها، وفي حديث بهذا السياق: إن لك كنزاً في الجنة وإنك ذو قرنيها، يعني هو ملكُ الدنيا فأنتَ ملك الجنة).

منها: (قسيم الجنة والنار):

... عن أبي الصلت الهروي، قال: قال المأمون يوماً للرضا رضي الله تعالى عنه: بأي وجه علي عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ وبأي معنى؟ فقد كثر فكري في ذلك؟

فقال الرضا: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: حبّ علي إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى، فقال الرضا: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه فهو قسيم الجنّة والنار، فقال المأمون، لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله.

منها: (باب مدينة العلم):

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتهِ من بابه).

منها: (أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين):

عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وبارك وسلم: (يا أنس اسكب لي وضوءً فسكبت، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين وخاتم الوصيين).

منها: (الصدّيق الأكبر):

عن معاذة العدوية، قالت: سمعتُ علياً على المنبر يقول: (أنا الصدّيق الأكبر)، الحديث...

وعن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: (أنت الصدّيق الأكبر وأنت الفاروق الذي فرّق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب الدين).

ومن أسمائه وألقابه وكناه التي دعاهُ رسول الله: (أبو الحسن).

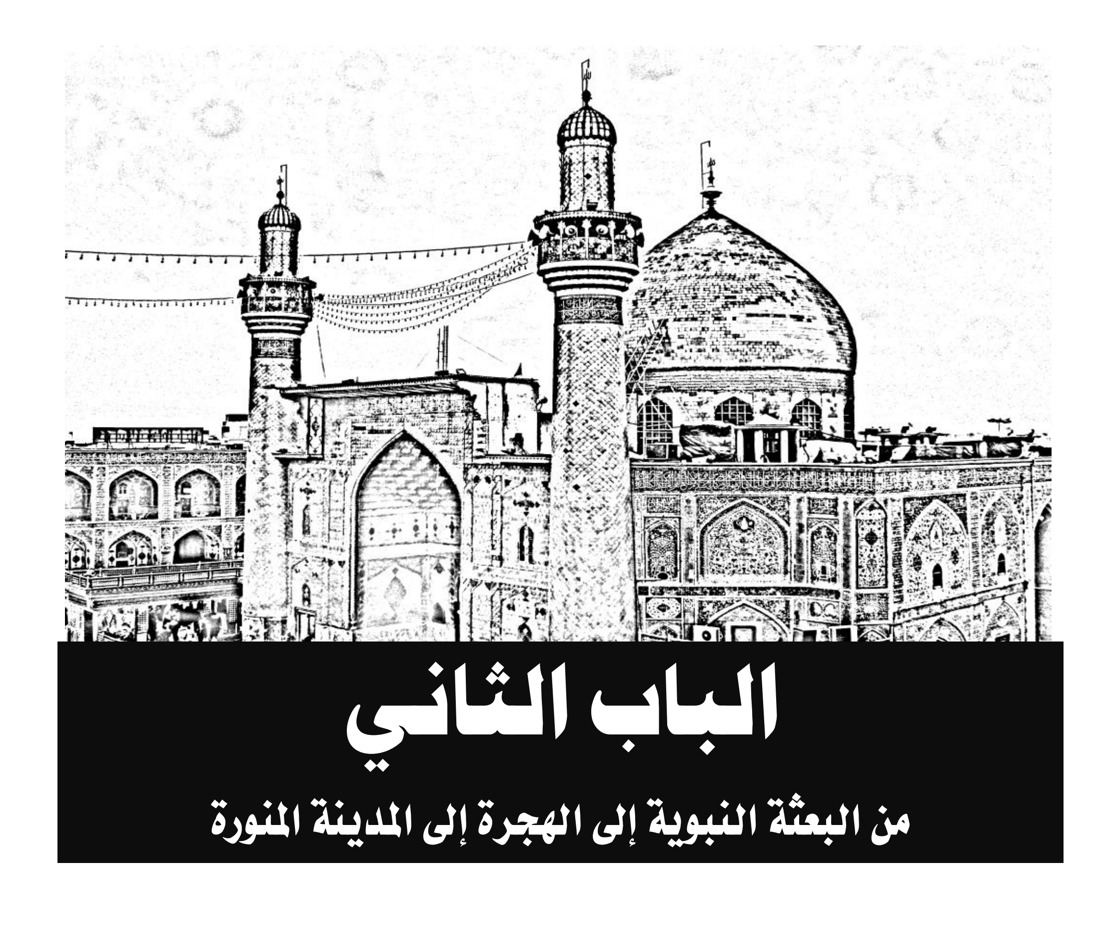
ومنها: (أبو السبطين):

أي أبو الحسن والحسين، وهما سبطا رسول الله ﷺ، والسبط في اللغة بمنزلة القبيلة، وأولاد إسرائيل اثنا عشر سبطاً، وفي الحديث: (حسين منّي وأنا منه وحسين سبط من الأسباط أي يكثر أولاده، وقيل: اشتقاق الأسباط من سبط وهي شجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد، كان رسول الله بمنزلة الشجرة وأولاده بمنزلة الأغصان.

ومنها: (أبو الريحانتين) وهما الحسن والحسين:

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ وبارك يقول لعلي قبل موته بثلاث: سلامٌ عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا[1]. وغيرها.

(١) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، الباب الأول من القسم الثاني، ص٢٤٦ بتلخيص.



الباب الثاني

من البعثة النبوية إلى الهجرة إلى المدينة المنورة

الفصل الأول:

إسلام الإمام علي عليه السلام **:**

الفصل الثاني:

الإمام علي عليه السلام **أوّل من صلّى مع ذكر بعض مميزاته** عليه السلام **:**

الفصل الأول

إسلام الإمام علي عليه السلام

كان الإمام علي عليه السلام من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من أسلم وآمن وصدّق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبرسالته الغرّاء السهلة السمحاء المتمّمة لمكارم الأخلاق. وقد روي ذلك عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، ونصّ عليه مشاهير العلماء الأعلام من أهل السنّة والجماعة، وعلماء ومفكّرون ومؤرخون، نذكر منهم:

١- قال المقريزي ما هذا ملخصه:

(وأما علي بن أبي طالب فلم يشرك بالله قط، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعندما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر خديجة وصدّقت كانت هي وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة يصلّون معه، فلم يحتج عليّ أن يُدعى، ولا كان مشركاً حتى يوحّد فيقال: أسلم! بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عمره ثماني سنين، وقيل: سبع،وقيل: أحدى عشرة سنة، وكان مع رسول الله في منزله بين أهله كأحد أولاده يتّبعه في جميع أحواله)[1].

(١) المقريزي: الامتاع، ١٦. كما في الغدير، ج٣، ص٢٣٨.

٢- قال المسعودي في مروج الذهب:

(ذهب كثير من الناس إلى أن علياً عليه السلام لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام بل كن تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله في جميع أفعاله مقتدياً به، وبلغ على ذلك فعصمه الله تعالى وسدّده ووفقه لتبعيته لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلم)[١].

٣- وقال ابن الأثير في تاريخه:

(فكان الإمام علي بن أبي طالب أول من أسلم وهو القائل: ((أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفترٍ، صليتُ مع رسول الله قبل الناس سبع سنين))[٢].

٤- وقال البعض أن خديجة أول من أسلم وأول مخلوق آمن به كما في السيرة النبوية ولكن الصحيح: إن خديجة أول من آمن من النساء ولكن بعد الإمام علي عليه السلام، والإمام علي أول من آمن به من الناس إذ جاء ذلك عن سلمان وأبي ذر والخبّاب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم والتزمه ابن إسحاق والزهري)[٣].

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٢٧٦.

(٢) تاريخ ابن الأثير، ج٢، ص٥٧.

(٣) عيون الأثر، ج١، ص١٢٤. مناقب الخوارزمي، ص١٨ - ٢٠. السيرة الحلبية، ج١، ص٢٦٨. حلية الأولياء، ج١، ص٦٦. السيرة النبوية، دحلان، ٩١/١. تاريخ بغداد، ٢٣٣/٤. الكامل، ابن الأثير، ٥٧/٢.

وقد أيّد وأكّد ذلك الصحابة الأوائل قبل العهد الأموي[١].

٥- وقد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

(أولكم وروداً عليّ الحوض أولكم إسلاماً الإمام علي بن أبي طالب)[٢].

وقد حاول أعداء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والحاقدون على أهل بيته الأطهار - وعلى الأخص الأمويون - طمس هذه الحقيقة فتارةً يقدّمون أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) وتارة أخرى يقدمون أبا بكر الذي أسلم بعد سنوات من البعثة وتحديداً بعد إسلام أكثر من خمسين رجلاً[٣].

وبالضبط بعد رحلة الإسراء والمعراج التي كانت قبل الهجرة بسنة ونصف برواية الواقدي[٤].

وقد نقل الطبري عن محمد بن سعد قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين[٥].

والحقيقة: إن إسلامه كان متأخراً. والصحيح: دخل أبو بكر في الإسلام متأخراً قبل الهجرة بسنة ونصف، لأنه كان كافراً أثناء حصار شعب أبي طالب،

(١) مستدرك الحاكم، ١٣٦/٣. حياة الصحابة، ٥١٤/٢.

(٢) مستدرك الحاكم، ١٣٦/٣. الاصابة، ٢٨/٣.

(٣) البداية والنهاية، ٢٨/٣١. تاريخ الطبري، ٦٠/٢.

(٤) مجمع الزوائد، ج١، ص٧٦.

(٥) طبقات بن سعد، ج٥، ص٢٤٢. شرح النهج، ج٢٠، ص١٠. قاموس الرجال، ٧. معجم البلدان، ج٥، ص٣٨. مروج الذهب، ج٢، ص٧٢.

ولم يسلم إلاّ بعد موت أبي طالب وإلى زمن معاوية كان الصحابة يعترفون بأسبقية الإمام علي في الإسلام، ولما جاء معاوية سعى لطمس فضائل الإمام علي في كل المجالات وتفضيل الخلفاء عليه. ولعن معاوية الإمام على منابر المسلمين أربعين سنة[١] وقدّم إسلام أبي بكر سنوات عديدة لتفضيله على الإمام علي في حين لم يقُل أبو بكر ذلك في السقيفة، ولم يسمع الصحابة بهذا في عصر الخلفاء.

وقد نزل قول الله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٢].

في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٦- ويقول عبد الكريم الخطيب في كتابه: (علي بن أبي طالب بقيّة النبوّة وخاتم الخلافة) ما نصه:

(إنّ علياً ولد مسلماً على الفطرة إذ كان مربّاه منذ طفولته في بيت الرسول الذي عصمه الله وعصم من كان في بيته من شرك الجاهلية وضلالها)[٣].

٧- قال العقّاد: وكاد علي أن يولد مسلماً. بل لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف

---

(١) طبقات بن سعد، ج٥، ص٢٤٢. شرح النهج، ج٢٠، ص١٠. قاموس الرجال، ٧. معجم البلدان، ج٥، ص٣٨. مروج الذهب، ج٢، ص٧٢.

(٢) سورة الواقعة: الآية ١٠ - ١١. روضة الواعظين، النيسابوري، ص٨٥.

(٣) علي بن أبي طالب بقية النبوة.

قط عبادة الأصنام، فهو قد تربّى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة في صلاة النبي...[١].

٨- قال جورج جرداق في كتابه: (عليّ صوت العدالة الإنسانية) (فإن علي بن أبي طالب قد ولد مسلماً لأنه من معدن الرسول مولداً ونشأةً، ومن ذاته خلقاً وفطرةً، ثم إن الظرف الذي أعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإسلام ومن حقيقته لم يكن شيئاً من ظروف الآخرين ولم يرتبط بموجبات العمر، لأن إسلام علي كان أعمق من ضرورة الارتباط بالظروف، إذ كان جارياً من روحه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من ينابيعها)[٢].

٩- قال العلامة الشيخ خليل:

(ويوم جهر النبي بدعوته كان عليٌّ أول الناس إسلاماً وأسبقهم إيماناً، بل الواقع الصحيح: أنه عليه السلام لم يكن أول الناس إسلاماً وأسبقهم إيماناً، بل كان أول الناس إعلاناً لإسلامه وجهراً بإيمانه لأن ذينك الإسلام والإيمان كانا كامنين في أعماق قلبه في كل كيانه يعيشهما بعمق وتأمّل وهو في كنف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستمدُّ منه هدياً وإيماناً كما يستمد القمر من الشمس نوراً وضياءً، وإذا لعليّ قدر ما لم يُقدّر لسواهُ من البشر...)[٣].

(١) العقاد، عبقرية الإمام علي، ص٤٣ طبعة بيروت.

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج١، ص٦٣، ط بيروت بمقدمة ميخائيل نعيمة.

(٣) جورج جرداق، الإمام علي رسالة وعدالة، ص٢٥، ط بيروت.

١٠- قال محمد بن طلحة الشافعي:

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ وشرّفه الله سبحانه وتعالى بالنبوّة كان علي يومئذٍ لم يبلغ الحلم وكان عمره إذ ذاك في السنة الثالثة عشرة. وقيل: أقل من ذلك وقيل: أكثر وأكثر الأقوال وأشهرها أنه لم يكن بالغاً، فإنه أول من أسلم برسول الله ﷺ من الذكور، وقد ذكر عليه السلام ذلك وأشار إليه في أبياتٍ قالها بعد ذلك بمدة مديدة، نقلها عنه الثقاة ورواها النقلة الاثبات:

هـــذا الـــنبيّ أخـــي وصـــنوي ... وحمــزة ســيّد الشــهداء عمّــي
وجعفــر الــذي يضــحي ويمســي ... يطــير مــع الملائكــة ابــن أمــي
وبنــت محمــد ســكني وعرســي ... منــوط لحمهــا بــدمي ولحمــي
وســبطا أحمــد ولــداي منهــا ... فــأيّكم لــه ســهمٌ كســهمي
ســبقتكم إلى الإســلام طــراً ... غلامــاً مــا بلغــتُ أوان حلمــي
ســبقتكم إلى الإســلام طــراً ... على ما كان من فهمي وعلمي
وأوجــب لــي ولايتــه علــيكم ... رســولُ الله يــوم غــدير خــم
فويــلٌ ثــم ويــلٌ ثــم ويــلٌ ... لم لقــي الإلــه غــداً بظلمــي[1]

وفي رواية الطبرسي يوجد بيت آخر هو:

وصــليتُ الصــلاة وكنــت طفــلاً ... مقــراً بــالنبيّ في بطــن أمــي[2]

---

(١) ابن طلحة، مطالب السؤول، ص١١، ط إيران.

(٢) القصيدة مذكورة في موسوعة الغدير للأميني، ج٢، ص٢٥.

وهذه الأبيات كتبها الإمام علي عليه السلام إلى معاوية لما كتب معاوية إليه: (إني لي فضائل: كان أبي سيداً في الجاهلية وصرتُ ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله وخال المؤمنين وكاتب الوحي).

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(أباالفضائل يبغي عليّ ابن آكلة الأكباد!! أكتب يا غلام: محمد النبي أخي وصنوي... إلى آخره)[1].

١١- روى أحمد والترمذي والحاكم بإسنادهم عن زيد بن أرقم، قال:

(أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي رضي الله تعالى عنه)[2].

١٢- روى المحب الطبري بإسناده عن أبي ذر، قال:

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: (أنت أول من آمن وصدّق)[3].

١٣- روى الخوارزمي بإسناده عن عروة:

(أسلم علي عليه السلام وصدّق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمان سنين)[4].

١٤- روى محمد بن طلحة عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:

(سمعت علياً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع فقال:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي   بـه ربيـت وسـبطاهُ همـا ولـدي

---

(١) نظم الدرر، الحنفي، ص٩٧. النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٦. سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٦. مسند أحمد، ج١، ص٣٧١.

(٣) ذخائر العقبى، ص٥٨.

(٤) المناقب، الفصل الرابع، ص٢١.

جـدّي وجـدُّ رسـول الله منفـرد   وفـاطم زوجـتي لا أقـول ذي فنـدِ
صـدّقته وجميـع النـاس في بُهَـم   مـن الضّـلالة والاشـراكِ والنكـدِ

قال: فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: صدقت يا علي)[1].

١٥- وروى محمد بن يوسف الزرندي عن أبي ذر وسلمان (رض) قالا: (أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: ألا إن هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة)[2].

إذن فإنّ علياً عليه السلام هو أول من آمن وصدّق برسول الله ﷺ.

١٦- وروى الخوارزمي عن عبد الله بن العباس قال:

(سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة فتذاكروا السابقين إلى الإسلام، فقال عمر: أما علي فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال: لوددت أنّ لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، كنتُ أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه، إذ ضرب النبيُّ ﷺ بيده على منكب علي عليه السلام فقال: ((يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى))[3].

١٧- قال الحمويني بإسناده عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله ﷺ: (يا عليّ أخصمك بالنبوّة ولا نبوّة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يجاحدك فيه أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم

(١) الحمويني في فرائد السمطين، ج١، ص٢٢٦، رقم ١٧٦.

(٢) نظم درر السمطين، ص٨٣.

(٣) المناقب، الفصل الرابع، ص١٩.

بعهد الله، وأقومهم بأمر الله عزّ وجل، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعيّة، وأبصرهم في القضيّة، وأعظمهم عند الله مزيّة)[1].

١٨- وروى ابن عساكر بإسناده عن ليلى الغفارية قالت:

(كنتُ أخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مغازيه، فأداوي الجرحى وأقوم على المرضى، فلما خرج عليّ بالبصرة خرجتُ معه فلما رأيتُ عائشة واقفة دخلني شيء من الشك فأتيتُها فقلتُ: هل سمعتِ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة في عليّ؟

قالت: نعم، دخل عليٌّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو على فراش لي وعليه جزء قطيفة - فجلس بيننا، فقلتُ له: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا عائشة دعي لي أخي. فإنه أول الناس بي إسلاماً وآخر الناس بي عهداً عند الموت، وأول الناس بي لقياً يوم القيامة)[2].

١٩- روى الخوارزمي بإسناده عن محمد بن إسحاق قال:

(كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدّق ما جاء من الله علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين يومئذٍ، وكان مما أنعم اللهُ به على عليّ بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الإسلام)[3].

٢٠- ولنعما احتجّ به المأمون العباسي على الفقهاء في فضل أمير المؤمنين: قال المأمون لاسحاق بن إبراهيم القاضي:

---

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٢٢٣ رقم ١٧٤ ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، ج١، ص١١٧. الحديث، ١٦٠.

(٢) ترجمة أمير المؤمنين، ص٨٣، الحديث، ١٣٤.

(٣) المناقب، الفصل الرابع، ص١٤.

(يا إسحاق، أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟

قلت: الإخلاص بالشهادة، قال: أليس السبق إلى الإسلام؟

قلت: نعم، قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠)أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(١) إنما عنى من سبق إلى الإسلام.

فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنّ علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال: أخبرني أيهما أسلم قبل، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلتُ: عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة.

فقال: نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟

قال: فأطرقتُ، فقال لي: يا إسحاق، لا تقُل إلهاماً فتقدّمه على رسول الله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى.

قلت: أجل بل دعاهُ رسول الله ﷺ إلى الإسلام.

قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه؟

فأطرقتُ. فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله إلى التكلّف، فإن الله يقول: ﴿وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾(١).

---

(١) سورة الواقعة: الآية ١٠ – ١١.

قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه الحكم؟

قلتُ: أعوذ بالله، فقال: افتراه في قياس قولك يا إسحاق إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم، وقد كلّف رسول الله ﷺ دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه فهو يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عزّ وجل؟

قلتُ: أعوذ بالله، قال: يا إسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً.

قلتُ: بلى، قال: فهل بلغك أن الرسول ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته، لئلاً تقول أن علياً ابن عمه؟

قلتُ: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال: يا إسحاق، ارأيتَ ما لم تدره ولم تعلمه هل تُسأل عنهُ؟

قلتُ: لا، قال: فدع ما قد وضعه اللهُ عنا وعنك))(٢).

وهكذا يتأكد بصورة قطعيّة، ويتبيّن مما تقدّم إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو أول من آمن بالله وبرسوله ﷺ... وقد رواهُ أئمة الحديث والحفّاظ في

---

(١) سورة ص: الآية ٨٦.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج٥، ص٩٤ طبعة، ١٣٨٥هـ.

مسانيدهم، كالترمذي والبيهقي وأبي حنيفة والسيوطي والمناوي ومنصور علي ناصف وغيرهم[١].

وأورده أرباب السير والمؤرخون في مصنّفاتهم القيّمة، كمحمد بن جرير الطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن هشام والحلبي والسهيلي والمسعودي وابن سيد الناس ونصر بن مزاحم ومحمد بن يوسف الكان دهلوي وأبي الفداء وخالد محمد خالد وابن كثير ومحمد بن يوسف الشامي وابن عبد البرّ وأحمد زيني دحلان وابن حجر العسقلاني والخطيب البغدادي وأبي جعفر الأسكافي وابن أبي الحديد ومحبّ الدين الطبري وابن سعد وأبي نعيم السيوطي والسيد شهاد الدين أحمد ومحمّد رستمالبدخشاني ومحمّد الصدر العالم ومحمّد بن طلحة ومحمود الشيخاني والتلمساني المعروف بالبرّي ومحمّد حسين هيكل.[٢]

(١) سنن الترمذي، أبواب المناقب، ج٥ باب ٩٣ ص٣٠٦. سنن البيهقي، ج٦، ص٢٠٦. مسند أبي حنيفة رقم ٣٦٨، ص١٧٣. الجامع الصغير متن فيض القدير، ج٤، ص١٣٥. فيض القدير، ج٤، ص٣٥٨. التاج الجامع للأصول، ج٣، ص٢٩٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢ ص٣٠٩ وص٣١٠، الكامل في التاريخ، ج٢ ص٥٧، أسد الغابة، ، ج٤ ص١٦، تاريخ ابن خلدون ج٢ ،(بدء الوحي) ص٦، السيرة النبوية ج١ ص٢٦٢، السيرة الجلية، ج١ ص٤٣٢، الروض الأنف ج٣ ص٧، مروج الذهب ج٢ ص٢٨٣، عيون الأثر ج١ ص ٩٢، وقعة صفّين ص٨٥ ص١١٨، حياة الصحابة، ج١ ص٨٧، المختصر في أخبار البشر ج١، ص١١٥، خلفاء الرسول ص٣٨٨، السيرة النبوية،ج١ ص٤٢٨، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٢٢، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٢ ص٤٠٢، الأستيعاب ج٣ ص١٠٩٠ رقم ٨٥٥، السيرة النبوية ، ج١ ص ٩٠، الإصابة في معرفة ج٢ ص٥٠٧، رقم ٥٦٨٨، تهذيب التهذيب، ج٧ ص٢٣٦، رقم ٤٢٦٠، تاريخ بغداد ج٢ ص٨١ ، رقم ٤٥٩، المعيار والموازنة ، ص٦٦، شرح نهج البلاغة، ط مصر، ج٢، ص١٠٢، الرياضي النضرة، ج٣ ص١٤٠، ذخائر العقبى ، ص٥٨، الطبقات ، ج٣ ص١٣، حلية الأولياء، ج٤ ص٢٩٥، تاريخ الخلفاء ص١٩٦، توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل ، ب٣ ص٣٨٨، تحفة المحبّين بمناقب الخفلاء الراشدين، ص١٧٥، نزل الأبرار ، ص١٤٠، معارج العلى في مناقب المرتضى ، ص٧، مطالب السؤول ، ص٢٨، الصراط السوي، ص٣٠٩، الجوهرة ، ص٧، حياة محمّد (ص) ج١، ص١٠٢.

الفصل الثاني

الإمام علي عليه السلام أوّل من صلّى مع ذكر بعض مميزاته عليه السلام:

١- علي عليه السلام أول مَن صلّى:

لقد أكّدت الروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ورواة التاريخ والمحدثون أن الإمام علياً عليه السلام هو أول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى أحمد بإسناده عن إسماعيل بن أياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جدّه، قال: ((كنت إمرءاً تاجراً، فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان إمرءاً تاجراً، فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت قام يصلي، قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي، قال: فقلت للعباس: مَن هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت: مَن هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال: قلت: مَن هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه قال: فقلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلاّ امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر))[1].

---

(١) مسند أحمد، ج١، ص٢٠٩ ورواه النسائي في الخصائص، ص٣. وابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، ج١، ص٥٨ والكنجي في كفاية الطالب، ص١٢٩ وابن سيد الناس في عيون الأثر، ج١، ص٩٣.

وروى الترمذي بإسناده عن أنس بن مالك قال: ((بُعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وصلّى علي عليه السلام يوم الثلاثاء))(١).

وبإسناده عن ابن عباس: ((أول مَن صلى عليّ))(٢).

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن علي عليه السلام قال: ((إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذب، صلّيتُ قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة))(٣).

وروى الخوارزمي بإسناده عن زيد بن أرقم قال: ((أول من صلّى مع النبي علي بن أبي طالب))(٤).

وروى الوصابي عن ابن عمر قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول من صلّى معي علي بن أبي طالب عليه السلام))(٥).

وقد روى مثل ذلك كثير من الحفّاظ في مسانيدهم، كإبن ماجة وأبي داود

---

(١) سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٤ ورواه الحضرمي في وسيلة المآل ب٤ ص٢١٢.

(٢) نفس المصدر، ص٣٠٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١١٢. ورواه المتقي في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج٥، ص٤٠.

(٤) المناقب الفصل الرابع، ص٢٠ والنسائي في الخصائص ص٢ وأحمد في الفضائل ج١ حديث ١٢١ وابن المغازلي في المناقب ص١٤ وابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج١، ص٦٧ الحديث ١٠٩. والبلاذري في انساب الأشراف، ص٩٣، ح١٠.

(٥) أسنى المطالب ص٧ ورواه المتقي بإسناده عن ابن عباس: منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج٥.

الطيالسي ومبارك بن محمد بن الأثير الجزري[١].

٢- عليٌّ عليه السلام فدى نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أ - في الشِعب:

مما لا شك فيه ولا ريب، لقد كان الإمام علي عليه السلام هو الفدائي الوحيد لرسول الله ٠ص)، حيث سخى بنفسه لمن كان أولى بنفسه، وهذا ما أثبته متواتر التاريخ وواقع الأحداث والغزوات أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد:

((وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيات إذا عرف مضجعه، وكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلةً: يا أبتِ إني مقتول فقال له:

اصبرن يا بُني فالصبرُ أحجى … كلُّ حيّ مصيرُهُ لشعوب[٢]
قدّر اللهُ والبلاءُ شديد … لفداء الحبيب وابن الحبيب...الخ

فأجاب عليٌّ عليه السلام قائلاً:

اتأمرني بالصبر في نصر أحمدٍ … ووالله ما قلتُ الذي قلتُ جازعاً
ولكنّني أحببت أن ترى نصرتي … وتعلم أني لم أزل لكَ طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمدٍ … نبيّ الهدى المحمود طفلاً ويافعاً[٣]

---

(١) سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٤، رقم ١٢٠.

(٢) الشعوب: المنيّة.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٣١٤ من الطبعة القديمة، و ج١٤، ص٦٤ من الطبعة الحديثة.

ب – عليٌّ فدى نفسه لرسول الله ﷺ ليلة الهجرة:

روى أحمد بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾(١).

قال: ((تشاورت قريش ليلاً بمكّة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل اخرجوه، فأطلع الله عزّ وجل نبيه على ذلك، فبات علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلّط عليهم فصعدوا أخي الجبل فمرّوا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث ﷺ فيه ثلاث ليالٍ))(٢).

وأورد الإمام الغزالي في كتابه إحياء العلوم: إنّ ليلة بات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ أوحى اللهُ تعالى إلى جبريل وميكائيل: إني آخيتُ بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فأختار كلاهما الحياة وأحبّاها، فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيتُ بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوّه، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٢) مسند أحمد، ج١، ص٣٤٨.

عند رجليه ينادي ويقول: بخٍّ بخٍّ مَن مثلك يا ابن أبي طالب؟ يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وفي تلك الليلة انشأ علي رضي الله عنه:

وقيتُ بنفسي خير مَن وطأ الحصى — وأكلمَ خلقٍ طاف بالبيت والحجر
وبتّ أراعي منهم ما يسوءني — وقد صبرتُ نفسي على القتل والأسر
وباتَ رسولُ الله في الغار آمناً — وما زال في حفظ الإله وفي السترِ[2]

((وقد أجمع على رواية ذلك الخبر أجلّ علماء السنة وأعلمهم كالامام أحمد في مسنده ومحمد بن جرير بطرق مختلفة، وابن سبع المغربي في شفاء الصدور، والطبراني في الأوسط والكبير، وابن الأثير في أُسد الغابة، ج٤، ص٢٥، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة، ص٢٣. والثعلبي والنيسابوري والفخر الرازي والسيوطي في تفاسيرهم، وأبي نعيم الأصفهاني في ما نزل من القرآن في علي، والخطيب الخوارزمي في المناقب، والحمويني في الفرائد والكنجي في كفاية الطالب وابن هشام في سيرة النبي، والحافظ محدث الشام في الاربعين الطوال، والإمام الغزالي في إحياء العلوم ج٣ ص٢٢٣، وأبي السعادات في فضائل العترة الطاهرة وابن أبي الحديد في الشرح، وسبط بن

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٢) نور الأبصار، ص١٠٠.

الجوزي في تذكرة خواص الأمة والشيخ سلمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة))[1].

هكذا هو علي أمير المؤمنين عليه السلام كُلُّه تعظيمٌ وتبجيل واحترام وفداء بالنفس والنفيس لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنه يعرف مقام رسول الله صلى الله عليه وآله عند الله تبارك وتعالى، والواقع إن الإنسان لا يفدي إلاّ مَن يعظّمه فيبذل نفسه له برضا تام وسخاء لا مثيل له، ومن هنا ندرك سرّ مبيت أمير المؤمنين عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب عليه السلام وفي ليلة الهجرة المباركة كي يدفع عنه المكروه والسوء والخطر وكلّ أذىً، وفي هذا دلالة هامة.

دلالة الحديث:

لقد دلّ حديث المبيت والفداء في الشِعب وليلة الهجرة دلالة قوية على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على غيره من المسلمين والناس أجمعين، والأفضلية دليل الإمامة والولاية العامة.

وعلى هذا الأساس اعتبر العلاّمة الحلي (قدس سره) هذا الحديث أحد الوجوه التي استدلّ بها على لزوم اتباع مذهب الإمامية حيث قال:

((إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكمالاته التي لا تُحصى قد رواها المخالف والمؤالف، منها ما قاله عمرو بن ميمون: لعليّ عليه السلام عشر فضائل

(١) الإمام علي، ص٢٨.

ليست لغيره... وثرى علي عليه السلام نفسه ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه فكان المشركون يرمونه بالحجارة))[١] والحديث كلّه صحيح مسند متواتر.

٣- عليٌّ عليه السلام يردُّ الودائع ويقضي دَين رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّ الأخبار متواترة في بقاء أمير المؤمنين عليه السلام في مكة المكرّمة ثلاثة أيام حتى يؤدّي ودائع كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، ويقضي دينه صلى الله عليه وآله بأمرٍ منه صلى الله عليه وآله، وفي هذا قال البلاذري:

((ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة أمر علياً بالمقام بعده بمكّة حتى أدّى ودائع كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله للناس فأقام ثلاثاً ثم لحق به، فنزل معه على كلثوم بن الهدم الأنصاري فآخى بينه وبين نفسه))[٢].

وروى الزرندي بإسناده عن ابن جنادة قال:

((قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقضي دَيني إلاّ أنا أو عليّ))[٣].

وقال العلاّمة المجلسي: ((وروى الثعلبي في تفسيره قال: لما أراد النبي الهجرة خلف علياً لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده))[٤].

وبالإضافة إلى ذلك كان الإمام علي عليه السلام يجهّز النبي محمداً صلى الله عليه وآله حين كان بالغار ويأتيه بالزاد والراحلة وما يحتاج إليه وتنفيذ ما يأمر به وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام أن يلحقه بالمدينة فخرج علي عليه السلام في طلبه بعدما أخرج إليه،

---

(١) منهاج الكرامة، الوجه السادس.

(٢) أنساب الأشراف، ج٢، ص٩١، الحديث ٧.

(٣) نظم السمطين، ص٩٨.

(٤) نفس المصدر السابق.

فكـان يمشـي مـن الليـل ويكمـن بالنهـار حتـى أقـدم المدينـة فلمـا بلـغ الـنبي ﷺ قدومهم (الإمام والفواطم) عليهم السلام قال ﷺ: إدعوا لي علياً عليه السلام فقـالوا: أنه لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ اعتنقه وبكى رحمةً له مما رأى بقدميه من الورم وكانتا تقطران دماً، فتفل النبي ﷺ في يديه ثم مسح بهما رجليه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما عليّ حتى استشهد عليه السلام))[1]؟

٤- علي عليه السلام منجز عِدة رسول الله ﷺ:

روى الخوارزمي بإسناده عن أنس عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: ((علي بن أبي طالب ينجز عداتي ويقضي ديني))[2].

وروى الوصابي بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: ((ألا رضيتك يا علي، أنت أخي ووزيري، تقضي ديني وتنجز موعدي وتبريء ذمتي، فمن أحبّك في حياة منّي فقد قضى نحبه، ومن أحبّك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحبّك بعدي وبعدك ولم يرك ختم الله بالأمن والإيمان وآمنه من الفزع الأكبر، ومَن مات وهو يبغضك يا عليّ مات ميتة جاهلية ليحاسبه الله ما عمل في الإسلام))[3].

أجل إن أمير المؤمنين علياً هو الذي أنجز عداة رسول الله ﷺ وقضى دينه وردّ الودائع لأهلها نيابةً عن رسول الله ﷺ، ولما أدّاها عليه السلام قام على الكعبة

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص١٣٨ الحديث ١٨٩. رواه ابن عساكر عن أبي رافع.

(٢) المناقب، الفصل السادس، ص٢٧.

(٣) أسنى المطالب، الباب الثالث، الحديث ١٠.

فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل مَن له عدة قبل رسول الله ﷺ؟ فلما لم يأتِ أحد لحق بالنبي الأكرم ﷺ فاستحقّ أن يستقبله رسول الله ﷺ ويعتنقه ويبكي عليه رحمةً له ويدعو له، ويوسمه بهذا الوسام الرفيع الذي لم ولن ينله أحد بقوله ﷺ:

((ألا رضيتك يا علي أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز موعدي وتُبرئ ذمّتي... ومن أحبّ: بعدي وبعدك ولم يركَ ختم اللهُ له بالأمن والإيمان وآمنه من الفزع الأكبر ومن مات وهو يبغضك مات ميتة جاهلية...)) وهل وراء الميتة الجاهلية إلاّ الجحيم والعذاب الأليم؟! والخسران المبين في الدنيا والآخرة؟!! ألا يكون كل ذلك دلالةً واضحة على خلافته وإمامته وشجاعته؟

٥- عليّ عليه السلام صاحب سرّ رسول الله ﷺ أوموضع سره ﷺ:

لا شك أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو موضع سرّ رسول الله ﷺ وكذا الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين من بعده هم أيضاً أصحاب سرّ رسول الله ﷺ لروايات شريفة دلّت على ذلك، نذكر منها:

١- روى الكليني بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ((ولاية الله أسرّها إلى جبرئيل، وأسرّها جبرئيل إلى محمد ﷺ وأسرّها محمد إلى عليّ عليهما السلام، وأسرّها علي عليه السلام إلى مَن شاء الله، ثم انتم تذيعون ذلك من الذي أمسك حرفاً سمعه))[1].

(١) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ج٢، ص١٧٨، الحديث ١٠.

٢- روى ابن المغازلي بإسناده عن عبيد الله بن عائشة قال: ((حدّثني أبي قال: كان علي بن أبي طالب مبثّة رسول الله وموضع أسراره))[١].

٣- وروى ابن عساكر بسنده عن أنس بن مالك عن سلمان الفارسي قال: ((قال رسول الله ﷺ: صاحب سرّي علي بن أبي طالب))[٢].

٤- روى المتّقي بإسناده عن أبي سعيد عن سلمان: ((إنّ وصيّي وموضع سرّي وخير مَن أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب))[٣]. ومثل ذلك قال الكنجي الشافعي وغيره من الرواة والمحدثين.

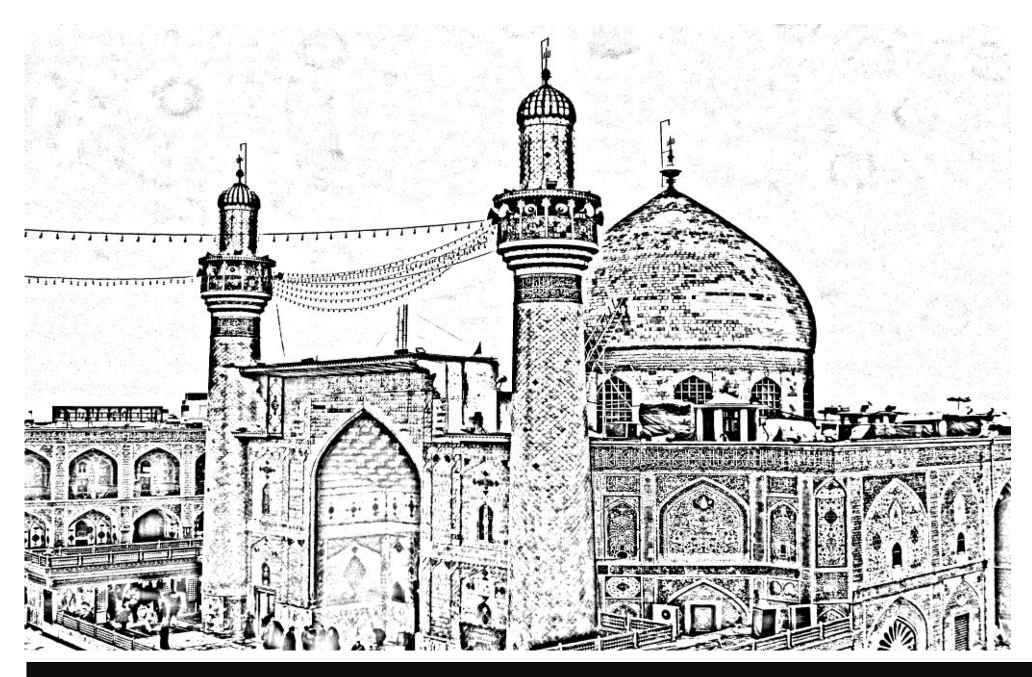
حقاً وصدقاً إنّ الإمام علياً عليه السلام هو مبثة رسول الله وموضع أسراره ومحل ثقته وباب علمه وقد علّمه ألف باب من الحكمة والعلم وينفتح له من كل باب ألف باب، وهو نفسه الشريفة ولا يميّز بينهما إلاّ النبوّة محمد ﷺ هو الرسول والنبي وعلي هو الوصي والإمام والخليفة وكذلك الأئمة الأحد عشر عليهم السلام هم الأوصياء والخلفاء من بعده واحداً بعد واحد.

---

(١) المناقب، ص٧٣ الحديث ١٠٨.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٣١١.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج٥، ص٣٢.



الباب الثالث

علي عليه السلام بين محبيه ومبغضيه

الفصل الأول

الإمام علي عليه السلام ومحبّوه

الفصل الثاني:

الإمام علي عليه السلام ومبغضوه

الفصل الثالث:

أمير المؤمنين وشبهه بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام

الفصل الأول
الإمام علي عليه السلام ومحبّوه

المرءُ مع مَن أحبّ:

لا شك ولا ريب إن المرء مع مَن أحبّ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المرءُ مع مَن أحبّ))[1]، وكما جاء في المأثور عن المعصوم عليه السلام: ((مَن أحبّ عمل قوم أُشرك معهم)) و ((ومن أحبّ قوماً حُشِر معهم)).

وقد جاء عن أنس بن مالك أنه قال:

((جاء رجل من أهل البادية - وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا رسول الله، متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة، فلما قضى صلاته قال: أين السائل؟ عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: فما أعددتَ لها؟ قال: واللهِ ما أعددتُ لها من كثير من عمل، لا صلاة ولا صوم، إلاّ أني أحبُّ الله ورسوله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((المرء مع مَن أحبّ)) قال أنس: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء أشد من فرحهم بهذا))[2].

---

(١) علل الشرائع باب ١١٧ التي من أجلها وجبت محبة الله تبارك وتعالى ومحبة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم على العباد، ص١٣٩.

(٢) علل الشرائع باب ١١٧ التي من أجلها وجبت محبة الله تبارك وتعالى ومحبة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم على العباد، ص١٣٩.

وقال ﷺ: ((أحبوا الله لما يغدو بكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي))[1].

وقال الشيخ محمد صالح المازندراني في شرح قوله ﷺ: ((لكلّ ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله)):

((الأعمال الظاهرة بمنزلة الصورة، والأعمال القلبية بمنزلة الروح، ونظر الصحابة تعلّق بحسن الصورة وكمالها، ونظر النبي ﷺ تعلّق بحسن الروح وكماله، ولا شك في أن الحبّ في الله والبغض في الله، والتولي لأولياء الله، والتبري من أعداء الله من صفات القلب، وأصل الإيمان، وأوثق عراه ومنشأ جميع الخيرات والكمالات وبه يتحقّق العروج إلى مقام القرب، لأن الموصوف به لا يترك شيئاً من الخير غالباً لئلا يقع فيما يفرّ منه ويبغضه، وبالجملة، الأعمال القلبية هي المصحّحة للأعمال الظاهرة، والأعمال الظاهرة امارات ظنّية على كمال فاعلها... ولذلك وجب أن تكون المحبّة للرسول وأئمة الدين والأوصياء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين في غاية الكمال، ومن لوازم محبّتهم متابعة أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم وقوانينهم بقدر الامكان))[2].

أجل، يجب أن تكون المحبّة والمودّة لرسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين، ومتابعة أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم،

---

(١) علل الشرائع باب ١١٧ التي من أجلها وجبت محبة الله تبارك وتعالى ومحبة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم على العباد، ص١٣٩.

(٢) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني، كتاب الإيمان والكفر باب الحب في الله والبغض في الله، ج٨، ص٣٤٠ - ٣٤٢.

والالتزام بأخلاقهم وقوانينهم قدر الامكان والاستطاعة حتى نكون معهم، فإذا حصلت هذه المعيّة بمشيئة الله وتقديره سبحانه تحقّق الأمل والغاية لا في الدنيا فحسب وإنما في الآخرة أيضاً.

كما ينبغي على كل عاقل أن يجعل عرى الإيمان الوثيقة نصب عينيه ويتمسّك بها ولا يفارقها البتة بحيث تصبح جزءاً من حياته العملية وسلوكه الفعلي وخصوصاً عرى الإيمان الأوثق، التزاماً بما قاله الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لكلّ ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان: الحبّ في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبرّي من أعداء الله))[1].

نعم، إنّ الالتزام بعرى الإيمان الأوثق هي المنجاة من الطامّة الكبرى وكل أنواع الشرور والانحراف والأذى وأهوال يوم القيامة، وللعلم إنّ أولياء الله هم الأنبياء والأوصياء وعلى رأسهم خاتمهم وأفضلهم رسول الله محمد وأهل بيته الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا شك أن علياً عليه السلام هو أفضل أهل البيت عليهم السلام وسيّدهم، وحبّه حسنة لا يضرُّ معها سيئة وبغضه سيّئة لا تنفع معها حسنة، ومحبّتهُ مفترضة من قبل الله عزّ وجل على عموم خلقه، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك.

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر باب الحب في الله والبغض في الله، الحديث ٣ و ٦، ص١٠٢.

روى الخوارزمي بإسناده عن أنس بن مالك، قال:

((قال رسول الله ﷺ: حبُّ عليّ حسنة لا يضرُّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لا تنفع معها حسنة))[١].

وبإسناده عن جابر قال: **((قال رسول الله ﷺ: جاءني جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجل بورقة آس خضراء مكتوب فيها ببياض: إني افترضت محبّة علي بن أبي طالب على خلقي عامة، فبلّغهم ذلك عني))**[٢].

أهل العقل والحكمة والدين الحقيقي يتولون علياً عليه السلام ويحبّونه:

من الحقيقة بمكان إنّ كلّ ذي لُبّ سليم، ومنطق حكيم، واعتقاد صحيح غير منحرف، ودين غير مزوّر، ينظر إلى الأمور والأحداث والمعتقدات بنور الحقيقة، فإن تجاوز المعوّقات من أهواء ونفس أمّارة بالسوء، وضبابية وجحود بعد الاستيقان، فإنه يكون ممن أشرقت عليهم شمسُ الهداية، وسلك طريق الاستقامة وصراط الحق المؤدّي إلى إبراء الذمّة ونيل رضا الله سبحانه والنجاة في الدنيا والآخرة، ويتولى أولياء الله تعالى ويتبرأ من أعدائه، ويتمسك بأوثق عرى الإيمان، ويكون حبّه في الله وبغضه في الله، ولا يهمّه لومة لائم أبداً.

(١) المناقب الفصل السادس، ص٣٥ ورواه السيد شهاب أحمد في توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، ص٣٦٨. محمد بن رستم في تحفة المحبّين، ص١٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧.

وطبيعي إنّ مثل هذا النمط من البشر قليل العدد لأن الأكثرية تكرهُ الحقَّ والحقيقة، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بوضوح: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ولكنّ إملاءات الحق والحقيقة تفرض على كل صاحب دين واقعي وحقيقي أن يسلك طريق الحق وإن قلّ سالكوه، كما قال أمير المؤمنين علي عليه أفضل الصلاة والسلام: ((لا تستوحشوا من طريق الحق لقلّة سالكيه)).

وللعلم إن الله عزّ وجل قد أمرنا أن نلتزم بما أمرنا به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وننتهي عمّا نهانا عنه، حيث قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

وعليه أصبح من الواجب وليس المستحب أن نجسّد الأوامر والنواهي النبوية على أرض الواقع، ومن تخلّف عن ذلك يكون مأثوماً وعرضةً للعقاب الدنيوي والأخروي، وبذلك يكون من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، ومآلهم إلى الجحيم والخسران المبين والعذاب الأليم.

ولو استقرأنا الروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص حبّ ومودّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآله الطاهرين لوجدناها كثيرةً جداً قام بنقلها الخاصة والعامّة، وإنْ دلّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقوّة حضوره وأهميته في الساحة الإسلامية الاعتقادية والسياسية والحكمية.

ولا غرو في ذلك البتّة لأنه عليه أفضل الصلاة والسلام يشكّل مع أهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين الثقل الثاني المنصوص عليه من قبل الله

تعالى ورسوله ﷺ بمنطوق الحديث النبوي الشريف: ((إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...)) فعليٌّ عليه السلام وباقي العترة الطاهرة من الأئمة المعصومين عليهم السلام هم الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة، (ومَن تقدّم عليهم هلك ومَن تأخر عنهم هلك)، فهم الإسوة والقدوة، وإمامة الأمة محصورة بهم نصاً وعقلاً وشرعاً، فالواجب إتّباعهم حذوَ القذّة بالقذّة، والعمل في هذه الحياة وفقاً لما كانوا يعملون ويعتقدون وينظرون.

ومن هنا نرى أن أهل العقل والحكمة والدين الحقيقي يتولون الإمام علياً وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ويحبّونهم ويودّونهم، ويقتدون بهم رغم انوف الظالمين والمجرمين الذين نصبوا العداء لمحمد وأهل بيته الطاهرين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين. وكيف لا يُحبّونهم ورسول الله الأعظم ﷺ يقول: ((مَن أحبَّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه اللهُ بيمينه في جنّة عدن فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب وآله))[1] وقال ﷺ: ((لو اجتمع الناسُ على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله عزّ وجل النار))[2].

وجوب حبّ عليّ عليه السلام:

الإمام علي عليه السلام هو أمير المؤمنين وأقرب المقرّبين من رسول ربّ العالمين ﷺ فهو ابن عمّه وزوج ابنته وأبو سبطيه ووصيّه وخليفته من بعده، وقد أكد

---

(١) تذكرة الخواص، ص٤٧.

(٢) المناقب الفصل السادس، ص٢٨، وأورده الخوارزمي أيضاً في مقتل الحسين، ج١، ص٣٨.

ربّ العزّة جلّ وعلا في آية المودّة على مودّته حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. فالمودة لعلي عليه السلام ولأهل البيت عليهم السلام واجبة كما أكّدت الروايات النبوية الشريفة ذلك أيضاً.

ولنقرأ معاً - عزيزي القارئ الكريم - جملةً منها على سبيل المثال لا الحصر، ونتدبّر مضامينها وما أُمرت به من حُبّ وتولية لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت الكرام عليهم السلام: والتبرّي من أعدائهم اللئام:

١- روى الخوارزمي بإسناده عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي:

((يا علي، لو أن عبداً عبدَ الله عزّ وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها))[1].

٢- وبإسناد الخوارزمي عن ابن عمر، أنه قال:

((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَن أحبّ علياً قبل اللهُ صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه، ألا ومَن أحبَّ علياً، أعطاهُ اللهُ بكلِّ عرق في بدنه مدينة في

(١) المناقب، الفصل السادس، ص٣٨، ورواه السيد شهاب أحمد في توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، ص٣٦٨، ومحمد بن رستم في تحفة المحبّين، ص١٩٣. ورواه البدخشي في مفتاح النجاة، ص٩٦.

الجنّة، ألا ومَن أحبّ آل محمد ﷺ أمِنَ الحساب والميزان والصراط، ألا ومَن مات على حبّ آل محمد ﷺ فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ألا ومَن أبغض آل محمد ﷺ جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله))[1].

نعم، مَن لم يوالك يا أمير المؤمنين، ومَن أبغضك وأهل بيتك، ولم يشمّ رائحة الجنّة وجاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ومصيره إلى جهنّم وبئس المصير وإن عبد الله وأطاعه، وهو الشقي وكلّ الشقي.

٣- روي عن معجم الطبراني بإسناده إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله عزّ وجل، باهى بكم وغفر لكم عامّة ولعليّ عليه السلام خاصة، وإني رسول الله إليكم غير هايب لقومي ولا محاب لقرابتي، هذا جبرئيل يخبرني عن ربّ العالمين، إنّ السعيد كل السعيد من أحب علياً عليه السلام في حياته وبعد موته، وإنّ الشقي كلّ الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته))[2].

أجل، إنّ السعيد كلّ السعيد مَن أحبّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام في حياته وبعد موته لأن حبّه عليه السلام يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب.

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٢. وأورده في مقتل الحسين، ج١، ص٤٠ أيضاً.

(٢) المناقب، الفصل السادس، ص٢٨، ورواه البدخشي في مفتاح النجاء، ص٩٦.

٤- روى ابن عساكر بإسناده عن ابن عباس: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حبّ علي يأكل الذنوب كما تأكل النارُ الحطب))[١].

٥- روى محبّ الدين الطبري بإسناده عن عمرو بن شاس الأسلمي، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَن أحبَّ علياً فقد أحبّني، ومَن أبغض علياً فقد أبغضني ومَن آذى علياً فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله عزّ وجل))[٢].

٦- روى البدخشاني بإسناده عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حسبك ما لمحبك، لا حسرة عند موته ولا وحشة في قبره، ولا فزع يوم القيامة، قاله لعليّ))[٣].

٧- وروى الخطيب بإسناده عن علي بن الحزّور، قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول: ((سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: ((يا علي طوبى لمن أحبّك وصدّق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذّب فيك))[٤].

(١) تهذيب تاريخ دمشق، ج٤، ص١٦٢. كنز العمّال، ج١١، ص٦٢١، ط حلب، هامش مسند أحمد، ٣٤/٥ في منتخب كنز العمال. ذخائر العقبى للطبري، ص٩١. وسيلة المآل، ص٢٥٧. جوهر العقدين، ص١٩٤ للسمهودي.

(٢) ذخائر العقبى، ص٦٥.

(٣) تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين، ص١٩١.

(٤) تاريخ بغداد، ج٩، ص٧٢ رقم ٤٦٥٦ والبداية والنهاية لابن كثير، ج٧ ص٣٥٥. ومجمع الزوائد، ج٩، ص١٣٢ للهيثمي. والكنجي في كفاية الطالب، ص٦٦. والطبري في ذخائر العقبى. والرياض النضرة، ج٣، ص٢٤٣.

قال الكنجي: ((ومعنى قوله ﷺ الويل لمن أبغضك وكذّب فيك: يريد الويل (العذاب الشديد، وقيل هو وادي من أودية جهنّم)) لمن أبغضك والويل لِمن لم يؤمن بما ذكر من فضلك وكراماتك وما خصّك الله به من الحلم العلم والمعرفة والفهم والعدل والإنصاف إلى غير ذلك من خلال الخير وما نُسب إليه من الفوائد والمحامد والزوائد... وقوله: طوبى لمن أحبّك، أي جزاء من أحبك طوبى، قيل: معنى طوبى: أي طاب دين عبد أحبّ علياً في الدنيا وطاب مقيله في العقبى))(١).

وباختصار جداً: لما كانت الجنة وريحها وريحانها ونعيمها الوافر الذي ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولم يخطر على قلب بشر لمن يحبُّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ويواليه ويتّبعه ويقتدي به بعد رسول الله ﷺ مباشرةً.

وجهنّم وعذابها الأليم الذي لا يوصف ولا يُطاق للذي أُبغض أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأنصرف إلى غيره في الموالاة والاقتداء والمتابعة والمذهب.

إذن أصبح من الواجب الذي لابُد منه أن نحبّ علياً عليه السلام ونقتدي به في الأقوال والافعال ونواليه لنبرئ ذممنا، وننجو بأنفسنا من كل ذلٍّ وهوانٍ وخسرانٍ وعذاب، ونظفر بكلّ عزّ وكرامة وفوز وعيش رغيد وهذا هو منطق الدين الحقيقي الواقعي ومنطق الحكمة والعقل السليم.

وبالإضافة إلى ما تقدّم نذكر مواضيع هامّة ذات علاقة وثيقة بوجوب حبّ وموالاة أمير المؤمنين علي عليه أفضل الصلاة والسلام والتي ولها من الدلالة

---

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص٦٦.

الواضحة والصريحة على إمامته للأمة بعد رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله ما تُغني ذوي البصائر والعقول وطلاّب الحقيقة، وتكشف زيف الذين ران على قلوبهم والذين هم ممّن جحدوا بها واستيقنتها نفوسهم، وهذه جملة منها:

أولاً: علي عليه السلام خليل الله وخليل رسوله صلى الله عليه وآله:

روى المتّقي الهندي بإسناده عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إذا كان يوم القيامة ضربت لي قبّة من ياقوتة حمراء على يمين العرش وضربت لابراهيم قبّة من ياقوتة خضراء على يسار العرش، وضُربت فيما بيننا لعلي بن أبي طالب قبّة من لؤلؤة بيضاء، فما ظنّك بحبيب بين خليلين؟))[1].

وبإسناده عن حذيفة: ((إنّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فقصري في الجنّة وقصر إبراهيم في الجنّة متقابلان، وقصر عليٌّ بن أبي طالب بين قصري وقصر إبراهيم، فياله من حبيب بين خليلين))[2].

وبإسناده عن أبي ذر:

((لكل نبي خليل وإنّ خليلي وأخي عليّ))[3].

هكذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام هو نفسُ رسول الله محمد صلى الله عليه وآله فهو الإمام على الأمة، وسيّد الأوصياء وصاحب المناقب والمعاجز والأفضلية، ولا يُقاس

---

(١) كنز العمال، ج١١، ص٦١٥ ط حلب.

(٢) نفس المصدر، ص٦١٦.

(٣) نفس المصدر، ص٦٣٤.

به أحد بعد رسول الله ﷺ، وإنّ قصره في الجنّة من لؤلؤة بيضاء بين قصري إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ، فيالَهُ من حبيب بين خليلين رزقنا الله زيارته وشفاعته.

ثانياً: الإمام علي عليه السلام أحبُّ الخلق إلى الله ورسوله:

من الحقائق الثابتة والتي لا يشكُّ فيها إلاّ منافق أو جاحد أو مَن ران على قلبه وعميت بصيرته، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو أحبُّ الخلق إلى الله ورسوله ﷺ ونرى ذلك واضحاً في (حديث الطير):

روى الترمذي بإسناده عن أنس بن مالك، قال: ((كان عند النبي ﷺ طيرٌ فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي عليه السلام فأكل معه))[1].

وقد روى ابن عساكر بإسناده عن عبد العزيز بن زياد: ((انّ الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة وسأله عن علي بن أبي طالب، فقال: أُهدي للنبي ﷺ طائر فأمر به فطبخ وصنع، فقال النبي ﷺ: اللهم ائتني بأحبّ خلقك وإليّ يأكل معي، فجاء عليّ فرددته ثم جاء ثانيةً فرددته، ثم جاء الثالثة فرددته، فقال النبي ﷺ: يا أنس إني قد دعوت ربي وقد أُستجيب لي فانظر مَن كان بالباب فأدخله، فخرجتُ فإذا أنا بعلي عليه السلام فأدخلته، فقال النبي ﷺ: إني قد دعوتُ ربي أن يأتيني بأحبّ خلقه إليّ وقد أُستجيب لي فما حبسك؟ قال:

(١) سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٠ ورواه الشنقيطي في كفاية الطالب، ص٤٠ والخوارزمي في المناقب، الفصل التاسع، ص٥٩ والفصل التاسع، ص٦٥ والبلاذري في أنساب الاشراف، ج٢، ص١٤٣ رقم ١٤١.

يا نبي الله جئت أربع مرات كلٌّ ذلك يردّني أنس قال النبي صلى الله عليه وآله: ما حملك على ذلك يا أنس؟ قال: يا نبيّ الله بأبي أنت وأمي أنه ليس لي أحد إلاّ وهو يحبُّ قومه وإنّ علياً جاء فأحببت أن يصيب دعاؤك رجلاً من قومي! قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله نبيّ الرحمة فسكت ولم يقل شيئاً))(١).

وفي رواية الحاكم النيسابوري بإسناده عن ثابت البنائي عن أنس بن مالك أنه قال... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم جئني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر... إلى آخر الحديث الشريف(٢).

وروى أحمد بإسناده عن سفينة مشابهةً لذلك... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى رسولك ويرفع صوته... إلى آخر الحديث(٣).

فحديث الطير من الأخبار المتواترة وقد رواه أحمد بن حنبل في المسند والحميدي في الجمع بين الصحاح الستة(٤) واستدلّ به العلاّمة الحلي على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: ((أوفي الأنصار أفضل من عليّ؟ وإذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى وجب أن يكون الإمام))(٥).

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، ج٢، ص١٢٠، الحديث ٦٢٥ وروى ذلك بأسانيد عديدة: الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، ص١٤٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣١ - ١٣٢ وروي قريباً من ذلك عن أنس في المستدرك، ج٣، ص١٣٠ والنسائي في الخصائص، ص٥ وابن المغازلي في المناقب، ص١٥٦، و ح١٨٩، ص١٦١.

(٣) فضائل (مناقب) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ج١، حديث ٦٥.

(٤) كشف الحق باب الأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله على إمامته عليه السلام حديث، ١٨، ص١٠٥.

(٥) كشف الحق باب الأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله على إمامته عليه السلام حديث، ١٨، ص١٠٥.

وممّن استقصى أسانيد (حديث الطير): السيد هاشم البحراني حيث ذكر من طريق السنّة (٣٥) حديثاً ومن طرق الشيعة (٨) أحاديث[1].

لذا يُعتبر من أقوى الأدلة سنداً ودلالةً على محبوبية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله من سائر أفراد البشر، وقطعاً أن الأحبيّة تستلزم الأفضلية، وقد تقرّر أن هذه الأفضلية هي دليل الإمامة والولاية العامة لعلي عليه السلام دون غيره من سائر البشر والصحابة.

ثالثاً: علي حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله وصفيّه وأمينهُ:

لقد حظى أمير المؤمنين علي عليه السلام بمنزلةٍ ساميةٍ ودرجةٍ رفيعة عند الله تبارك وتعالى وعند رسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله لأنه راية الهدى وإمام من أطاع الله ونور أوليائه وهو الكلمة التي ألزمها المتقين، ولولاه لم يُعرف حزب الله ولا أولياءه ولا أولياء رسله، فقد اختاره الله سبحانه وأمر رسوله أن يتخذه لنفسه خليفةً ووصياً ونحله علمه وحلمه، وهو أمير المؤمنين حقاً ولم ينلها أحدٌ قبله وليست لأحد بعده، فمن أحبّه فقد أحبّ الله ومَن أبغضه فقد أبغض الله، وهذا مما أكّدته الآيات والروايات كرواية الخوارزمي وغيرها[2].

وقد روى الكنجي بإسناده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:

---

(١) غاية المرام، الباب الحادي عشر، ص٤٧١ والباب الثاني عشر، ص٤٧٤.

(٢) المناقب، الفصل التاسع عشر، ص٢١٥.

((قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني الله عزّ وجل بحبّ اربعة وأخبرني أنه يحبّهم، قال: قلنا يا رسول الله مَن هم؟ فكلنا يُحب أن يكون منهم، قال: إنك يا علي منهم إنك يا علي منهم إنك يا علي منهم.

هذا سند مشهور عند أهل النقل. وقد سألت بعض مشايخي: هذا السائل مَن هو؟ فقال هو علي، قلتُ: مَن الثلاثة الباقون؟ فقال: هم الحسن والحسين وفاطمة.

قلتُ في هذا الخبر دلالة على عناية الحق عزّ وجل بهم صلوات الله عليهم وأمرُ الله سبحانه يقتضي الوجوب، فإذا كان الأمر للرسول فيما لا يقتضي الخصوص دلّ على وجوبه على الأمة، واقتضاء الوجوب دلالة على محبّة الحق عزّ وجل بمتابعة الرسول بدليل قوله عزّ وجل[1]: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2].

أقول: أمر الله تعالى نبيّه بالحمد له والسلام على عباده الذين اصطفى فقال: (قل الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى) فمَن هم هؤلاء العباد الذين يلزم اللهُ نبيّه بالسلام عليهم؟ هل هم الأنبياء الذين اصطفاهم اللهُ واجتباهم واختارهم على بريته[3]. أو الأوصياء، أم آل محمد عليهم السلام ؟[4]

---

(١) كفاية الطالب، ص٩٥ - ٩٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٣) مجمع البيان، ج٤، ص٢٢٨، طبع صيدا.

(٤) تفسير القمّي، ج٢، ص١٢٩.

وهنا نسأل من ابن عباس حبر الأمة وابن عم الرسول، مَن حبيب رسول الله ﷺ وصفيّه من بين الصحابة؟ فيجيب: قال رسول الله ﷺ: ((يا علي أنت صاحب حوضي وصاحب لوائي وحبيب قلبي ووصيّي ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء من قبلي وأنت أمين الله في أرضه وحجة الله على بريّته، وأنت ركن الإيمان وعمود الإسلام، وأنت مصباح الدجى ومنار الهدى، والعلم المرفوع لأهل الدنيا، يا علي من اتّبعك نجا ومن تخلّف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح والصراط المستقيم، وأنت قائد الغرّ المحجلين ويعسوب المؤمنين وأنت مولى مَن أنا مولاه وأنا مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، لا يحبّك إلاّ طاهر الولادة، ولا يبغضك إلاّ خبيث الولادة، وما عرجني ربّي عزّ وجل إلى السماء وكلّمني ربي إلاّ قال: يا محمد:، اقرأ علياً مني السلام وعرّفه أنه إمام أوليائي ونور أهل طاعتي وهنيئاً لك هذه الكرامة))(١).

نعم هنيئاً لك هذه الكرامة من الله ورسوله ﷺ يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين، فأنت أهلٌ لها حقاً وصدقاً، وتستحقها بكل صدقٍ وجدارة وحقّ، فمن اتّبعك نجاو ومن تخلّف عنك هلك، لأنك الصراط المستقيم ومولى المؤمنين ومستودع مواريث الأنبياء والمرسلين، فطاهر الولادة يتّبعك وخبيثها يبغضك.

ونختم الموضوع بما رواه النسائي عن علي (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: ((أما أنت يا علي، أنت صفيّي وأميني))(٢).

---

(١) ينابيع المودة، ص١٣٣.

(٢) خصائص أمير المؤمنين، ص٢٠.

رابعاً: علي عليه السلام وحديث الراية في غزوة خيبر:

قال عمر: لقد أُعطي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إليّ من أن أُعطى حمر النعم: تزوجه بفاطمة (عليها السلام)، وسكناهُ المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحلُّ له ما يحلُّ له، والراية يوم خيبر[١].

قال محمد بن طلحة: ((صحّ النقل في المسانيد الصحيحة بالأسانيد الصريحة للأئمة البخاري ومسلم وغيرهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لأعطيّن الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يُحِبُّ الله ورسوله، ويُحبُّهُ الله ورسولُهُ، فبات الناس يخوضون ليلتهم، أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال صلى الله عليه وآله وسلم: فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاهُ الراية، قال عليه السلام: أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى، فوالله لأن يهدي الله تعالى بكَ رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم، فسار عليّ ففتح الله تعالى على يدِهِ))[٢].

نعم لقد فتح الله تعالى على يد الإمام علي عليه السلام حصون خيبر الواحد بعد الآخر بعد أن قتل قادتهم وفرسانهم وآخرين، فهو عليه السلام كما وصفه رسول الله

(١) مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٣٥.

(٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص٣٨.

ﷺ: (يحبُّ الله ورسولَهُ ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ يفتح اللهُ على يديه، كرار ليس بفرّار).

أجل، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يفرّ من المعركة كما فرّ المسلمون وانهزموا مرتين، مرةً بقيادة أبي بكر والثانية بقيادة عمر وقد أصابهم اليأس والإحباط، فقد أخرج علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس أنه قال: ((بعث رسول الله إلى خيبر أحسبه قال: أبا بكر فرجع منهزماً ومَن معه، فلما كان الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجّبن أصحابه ويجبّنه أصحابُه))(١). إلاّ إن الإمام علياً عليه السلام قاد المسلمين وهزم العدوّ شرّ هزيمة وفتح حصون خيبر وانتصر انتصاراً عظيماً وقتل الأخوة الثلاثة مرحباً والحارث وياسراً الذين طلبوا المبارزة على التوالي(٢).

دلالة حديث الراية:

حديث الراية حديث مهم ذكره المفسّرون في تفاسيرهم، وأئمة الحديث والحفاظ في مسانيدهم وكتبهم، وأورده أرباب السير والمؤرّخون في مصنّفاتهم بألفاظ وعبارات مختلفة.

---

(١) مجمع الزوائد، ١٢٤/٩. تلخيص المستدرك، ٣٧/٣. صحيح البخاري، ٤٦٥/٤ ح١١٥٥، ط دار القلم ومغازي الذهبي، ص٣١٢. انظر سيرة الإمام علي عليه السلام م١ ص٢٨٥.

(٢) عيون الأثر، ١٤٠/٢. مغازي الذهبي، ص٤١١، سيرة ابن هشام، ٣٤٩/٣ وتاريخ الطبري، ٣٠٠/٢ والمنتظم ٢٩٦/٣.

واستدلّ العلامة الحلي بهذه الرواية لإثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في (منهاج الكرامة)[١] و (كشف الحقّ ونهج الصدق)[٢] واستقصى هذه الروايات من طرق الفريقين السيد هاشم البحراني في (غاية المرام)[٣].

والواقع إن حديث الراية يوم خيبر فيه خصوصيات كثيرة، كلٌّ واحدةٍ منها تكفي لأن يكون الحديث دليلاً تاماً على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً، وقطعاً إنّ هذه الخصيصة من خصائص أمير المؤمنين وحدها بأنه عليه السلام: ((يُحبُّ الله ورسولَهُ ويحبّانه)) كما وصفه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تكفي أن تكون دليلاً على أفضليته وانتفاء هذا الوصف عن غيره فيكون هو الإمام على الأمة والخليفة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم.

خامساً: عليٌّ عليه السلام وليُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووليّ كل مؤمن:

أخرج الحاكم النيسابوري بإسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

((أيكم يتولاني في الدنيا والآخرة؟ فقال لكل رجل منهم: أتتولاني في الدنيا والآخرة؟ فقال: لا حتى مرّ على أكثرهم، فقال علي عليه السلام: أنا أتولاك في الدنيا

---

(١) المنهج الثالث في الأدلة المستندة إلى السنة المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديث السابع.

(٢) باب الأخبار المتواترة عن النبي () الدالّة على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، الخبر العاشر، ص١٠٣.

(٣) الباب التاسع، ص٤٦٥ والعاشر، ص٤٧٠، كما تصدّى لجمع هذه الأحاديث آية الله السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله في تعليقاته على إحقاق الحق وإزهاق الباطل في الجزء الرابع.

والآخرة، فقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة))[١].

ورواه جماعة كالمحب الطبري وابن المغازلي عن عبد الله بن مسعود[٢].

ويُعتبر هذا الحديث دليلاً تاماً على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وقد رواه العلاّمة الحلي (قدس سره) واستدلّ به على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

وأخرج أبو داود الطيالسي بإسناده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ: ((أنت وليُّ كلّ مؤمن بعدي))[٣].

وأيضاً يُعتبر هذا الحديث دليلاً تاماً على إمامة الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن كلمة (بعدي) في هذا الحديث الشريف ظاهرة في الزمان وعلى هذا تكون الكلمة هذه قرينة قوية على أن (الولاية) في هذا الحديث ليس بمعنى (الحبّ) و (النصرة) لأن علياً عليه السلام كان محباً للأمة وناصراً لها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا اضطرّ بعضهم على حملها على البعدية في الرتبة، إلاّ أن هذا أيضاً دليل على إمامة علي عليه السلام...[٤].

سادساً: الإمام علي عليه السلام وحديث الغدير: واقعة الغدير وحديثها الأخبار الواردة بهذا الخصوص، مؤيّدات حديث الغدير، دلالة حديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

روى الخوارزمي بإسناده عن أبي سعيد الخدري، أنه قال:

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٥.

(٢) الرياض النضرة، ج٣،ص١٦٧ والمناقب، ص٢٧٧، الحديث، ٣٢٣.

(٣) مسند الطيالسي، ج١١، ص٣٦٠، رقم ٢٧٥٢.

(٤) انظر: قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص١٨٢ من أجل الاطلاع والتوسعة.

((إن النبي صلى الله عليه وآله يوم دعا الناس إلى غدير خم، أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم، وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس إلى علي عليه السلام فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1].

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي، ثم قال: اللهم والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، وأخذل مَن خذله، فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله اتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل ببركة الله تعالى، فقال حسّان بن ثابت: يا معشر مشيخة قريش، اسمعوا شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمٍ واسمع بالرسول مناديا
بأني مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولا تجدن في الخلقِ للأمرِ عاصيا
فقال له: قم يا عليّ فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنتَ مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم والِ وليّه ... وكن للذي عادى علياً معاديا[2]

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) انظر: درر السمطين، ص١١٢ وقادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص١٨٣.

الإمام علي في غدير خم أميراً للمؤمنين:

ولما انصرف النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ومعه تلك الحشود الغفيرة من المسلمين، وصل إلى غدير خمّ من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق أهل المدينة والعراق ومصر، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه الوحي عن الله بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1]، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وقد ضمن الوحي للنبي ﷺ أن يكفيه شرّ الحاقدين والحاسدين من الناس، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله ﷺ أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان الذي لم يكن منزلاً لأحد من قبله، ولم يكن هو ﷺ ينزل فيه لولا خطاب الوحي له، ثم وقف ﷺ بين تلك الجموع وقال بصوت يسمعه الجميع: أيها الناس كأني قد دعيت فأجبت أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

ثم قال: إن الله مولاي أنا وليٌّ كل مؤمن ومؤمنة، وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: ((مَن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه، وأنصر من نصره وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب)).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين الوحي بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي)) ثم القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بخ بخ خلك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[١].

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بنصب خيمة لعلي عليه السلام وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل ذلك كلّهم حتى من كان معه صلى الله عليه وآله من أزواجه ونساء المسلمين[٢].

واقعة الحارث بن النعمان ونزول آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾: لّما شاع وانتشر قول النبي صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه) فبلغ الحارث ابن النعمان الفهري، فأتى النبي على ناقته وكان بالأبطح، فنزل وعقل ناقته وقال للنبي وهو في ملأ من الصحابة: يا محمد: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ثم ذكر سائر أركان الإسلام وقال: ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا وقلت: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه)) فهذا منك أم من الله؟

(١) السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية، ٢٧٤/٣، المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص١٦. والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص٤٠، وينابيع المودّة للقندوزي، ص٤٠ وذخائر العقبى للطبري.

(٢) الارشاد للمفيد، ج١، ص١٧٦.

فقال النبي ﷺ: ((والله الذي لا إله إلاّ هو، هو أمر الله)) فولّى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو إئتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾[1] و[2].

الأخبار الواردة بخصوص حديث الغدير:

لقد ورد حديث الغدير في مصادر كثيرة جداً يضاف لما ذكرناه منها:

١- أسباب النزول للنيشابوري.

٢- مطالب السؤول لكمال الدين الشافعي.

٣- تفسير مفاتيح الغيب للرازي.

٤- تفسير المنار لمحمد عبده.

٥- تفسير ابن شريح.

٦- تذكرة الخواص لابن الجوزي.

٧- مسند الإمام أحمد.

٨- ذخائر العقبى للطبري.

---

(١) سورة المعارج، الآية ١.

(٢) تفسير المنار. تذكرة الخواص، ص٣١ مع اختلاف في اللفظ والفصول المهمّة لابن الصبّاغ، ص٤٢. أبو إسحاق في تفسيره. دعاة الهداة للحسكاني. تفسير القرطبي. فرائد السمطين للحمويني. معارج الوصول ودرر السمطين للزرندي الحنفي. وجواهر العقدين للسمهودي وفيض القدر للمناوي الشافعي وغيرها.

٩- الرياض النضرة لمحب الدين الطبري.

١٠- كفاية الطالب للشنقيطي وغيرها من الجوامع الحديثية والتاريخية والتفسيرية المذكورة في موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني (قدس سره).

مؤيّدات حديث الغدير:

هناك مؤيّدات كثيرة لحديث الغدير نذكر منها مقدار الحاجة:

١- روى محمد بن جرير الطبري في المجلد الأول من كتاب (الدلائل) عن جابر الجعفي، قال: ((قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: لو علم الناس متى سُمّي علي أمير المؤمنين ما أنكروا ولايته، قلت: رحمك الله، متى سمّي علي أمير المؤمنين؟

قال كان ربّك عزّ وجل حيث أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربّكم ومحمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين))[1].

٢- وروى الشنقيطي بإسناده عن عمر بن الخطاب أنه قال: ((علي مولى مَن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولاه)).

٣- وعن سالم قيل لعمر: ((إنّك تصنع بعليّ شيئاً ما تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: أنه مولاي))[2].

٤- روى الحمويني بإسناده عن أبي صادق، قال علي عليه السلام: ((أصول الإسلام ثلاثة، لا تنفع واحدة منهنّ دون صاحبتها، الصلاة، والزكاة، والموالاة.

(١) كتاب اليقين لابن طاووس، ص٤٥.

(٢) كفاية الطالب، ص٣٠.

قال الواحدي: وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّـذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١). وذلك إن الله تعالى أثبت الموالاة بين المؤمنين ثم لم يصفهم إلاّ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ﴾ فمن وإلى علياً فقد وإلى الله ورسوله وقد ذكر ذلك الله تعالى في آية أخرى أنه حبّبه إلى عباده المؤمنين(٢) فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَانُ وُدًّا﴾(٣).

٥- روى الحمويني بإسناده عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله عزّ وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾(٤) قال: ((عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، قال الواحدي: والمعنى أنهم يُسئلون هل والوه حق الموالاة كما أوصاهم به رسول الله ﷺ؟ وقال: وروي عن علي عليه السلام أنه قال: جُعلت الموالاة أصلاً من أصول الدين))(٥).

نكتفي بهذا القدر من المؤيدات لحديث الغدير الشريف.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) فرائد السمطين، ج١، ص٧٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٤) سورة الصافات: الآية ٢٤.

(٥) فرائد السمطين، ج١، ص٧٩.

دلالة حديث الغدير على إمامة علي عليه السلام:

لقد دلّ حديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام دلالةً قطعية ولا غبار عليها البتة، وقد أطال الكلام علماؤنا الأعلام في بيان وجه الاستدلال به على الإمامة العامّة لسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام لأهميته الفائقة، على أثر تواتره سنداً وكثرة وجوه دلالته.

((والمراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة فتعيّن الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه مَن كنتُ أولى به من نفسه فعليّ أولى به، وقد صرّح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن السعيد الثقفي الاصبهاني في كتابه المسمى (بمرج البحرين) فإنه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشايخه، وقال فيه:

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: مَن كنتُ وليّه وأولى به من نفسه فعليّ وليه، فعلم إنّ جميع المعاني راجعة إلى الوجه العاشر، (والعاشر بمعنى الأولى) قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾[1] أي أولى بكم.

ودلَّ عليه أيضاً قوله عليه السلام: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ وهذا نصّ صريح في اثبات إمامته وقبول طاعته، وكذا قوله صلى الله عليه وآله: (وإدر الحقَّ معه حيث ما دار وكيفما دار) فيه دليل على أنه ما جرى خلاف بين علي عليه السلام وبين أحد من الصحابة إلاّ والحق مع علي عليه السلام وهذا بإجماع الأمة))[2].

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٥.

(٢) تذكرة خواص الأمة، ص٣١.

إذاً، إن دلالة حديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام هي دلالة صريحة وواضحة وجازمة وقد اعترف بها وأكدها الموالي وغير الموالي على حدّ سواء خصوصاً وإنّ أحداث الغدير قد حصلت بمرأى ومسمع ما يقارب مائة وعشرين ألف نسمة.

سابعاً: مَن أحبَّ علياً فهو مؤمن ومَن أبغضهُ كافر ومنافق:

لقد وردت روايات عديدة عن النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنّ حُبّ الإمام علي عليه السلام إيمان وبغضه كفر ونفاق، نذكر جملةً منها:

١- أخرج أحمد وابن ماجة والترمذي بإسنادهم عن علي عليه السلام قال: ((عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يُحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق))[1].

٢- وروى الشبلنجي عن أبي سعيد الخدري (رض): ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (رض) حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبّك وأول من يدخل النار مبغضك))[2].

٣- وروى الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من زعم أنه آمن بي وبما جئتُ وهو يبغض علياً عليه السلام فهو كاذب ليس بمؤمن))[3].

---

(١) سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٢. سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٦. ومسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٨٤.

(٢) نور الأبصار، ص٩٣.

(٣) المناقب، الفصل السادس، ص٣٥.

٤- وروى المتّقي عن أنس قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن حسدَ علياً فقد حسدني ومن حسدني فقد كفر))(١).

٥- وروى محمد بن رستم بإسناده عن ابن عمر: ((يا علي، إنّك تقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين))(٢).

دلالة الحديث:

يظهر من هذه الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام: أنه لا يجتمع الإيمان بالله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع بغض أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك يكون حبّه عليه السلام والاقتداء به واتّباعه من الأصول التي يجب الالتزام بها، فيدلّ كل حديث منها على إمامته عليه السلام وولايته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً.

ثامناً: الإمام علي عليه السلام ودعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الدعاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام كدعائه في خيبر ويوم غدير خم وغيرهما، حتى وصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحال أنه لا يسأل الله تعالى من الخير شيئاً إلاّ سأله لعلي عليه السلام ولا استعاذ بالله سبحانه من شرّ إلاّ استعاذ لأمير المؤمنين مثله.

روى محبّ الدين الطبري بإسناده عن عبد الله بن الحرث، قال: ((قلتُ لعليّ بن أبي طالب: أخبرني بأفضل منزلتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم، بينا

(١) كنز العمال، ج١١، ص٦٢٦، ط حلب.

(٢) تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين، ص١٩٤.

أنا نائم عنده وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال: يا علي، ما سألتُ الله عزّ وجل من الخير شيئاً إلاّ سألتُ لك، ولا استعذت الله من الشر إلاّ استعذت لك مثله))[1].

وهذا الحديث أخرجه النسائي والبلاذري وابن عساكر والحمويني وغيرهم[2].

وروى محمد بن يوسف الزرندي عن سويد بن غفلة قال: ((لقينا علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في ثوبين في شدّة البرد، فقلنا له: لا تغتر بأرضنا فإنها أرض مقرة وليست مثل أرضك، قال: أما أني قد كنتُ، فلما بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر، قلتُ له: إني كما ترى لا دفاء لي وإني لأرمد فتفل في عيني ودعا لي، فما وجدتُ برداً ولا رمدت عيناي))[3].

وروى الخوارزمي بإسناده عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال:

((حدّثني أبي موسى بن جعفر: حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدّثني أبي علي بن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن علي، حدّثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي إني سألتُ الله تعالى فيك خمس خصال فأعطاني:

(١) ذخائر العقبى، ص٦١. ترجمة الإمام علي من تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٢٧٤، ح٧٩٧. فرائد السمطين، ج١، ص٢٢١. المناقب لابن المغازلي، ص١٣٥. الخصائص، ص٣٧ - ٣٨ وأنساب الاشراف، ج٢، ص١١٢.

(٢) الخصائص، ص٣٨.

(٣) نظم درر السمطين، ص١٠٠.

أما أولها: فسألت ربّي أن تُشَق عنّي الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني.

وأما الثانية: فسألتُ ربي أن يوقفني عند كفّة الميزان وأنت معي فأعطاني.

وأما الثالثة: فسألت الله أن يجعلك حامل لوائي الأكبر وهو لواء الله الأكبر، عليه المفلحون الفائزون بالجنّة، فأعطاني.

وأما الرابعة: فسألت ربي أن تسقي أمتي من حوضي، فأعطاني.

وأما الخامسة: فسألتُ ربي أن تكون قائد أمتي إلى الجنة، فأعطاني، فالحمد لله الذي منّ عليّ بذلك))[١].

وروي ابن عساكر بإسناده عن جعفر قال: ((سمعتُ أبا ذر وهو مستند إلى الكعبة وهو يقول: أيها الناس استووا أحدّثكم مما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي بن أبي طالب كلمات لو تكون لي إحداهن كان أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: اللهم أعنه واستعن به، اللهم انصره وانتصر له، فإنه عبدك وأخو رسولك))[٢].

نعم، هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يدعو لأمير المؤمنين علي عليه السلام في كلّ شدّة ورخاء وسرّاء وضرّاء لشدّة حبّه له وتعلّقه به، حتى بلغ هذا الحبُّ بينهما درجةً: ((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا عطس قال له عليّ عليه السلام: أعلى اللهُ ذكرك

(١) المناقب، الفصل التاسع عشر، ص٢٠٨ وروى قريباً منه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٣٩.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، ج١، ص١١١ ورواه الخوارزمي، ص٩٢.

يا رسول الله، وإذا عطس علي عليه السلام، قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أعلى اللهُ عقبك يا عليّ))(١).

وقطعاً إن هذا الحبّ المتميّز لم يرد في حقّ غيره من الأصحاب مطلقاً، فيكون عليه السلام الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو الإمام من بعده دون غيره وليتدبّر مَن عقل.

تاسعاً: علي عليه السلام وولايتهُ في ميثاق الأنبياء عليهم السلام:

عجيب غريب أمر أمير المؤمنين علي عليه السلام وكم هو عظيم وذو مرتبة رفيعة لا توصف. ولم يحظ بها أحدٌ من البشر قط إلاّ أخوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل فاقها لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله وخاتم النبيين وسيد المرسلين.

وقد دلّت نصوص شريفة كثيرة في كتب الفريقين على أن الله تعالى قد أمر الأنبياء السابقين بإبلاغ ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أممهم وأخذ الميثاق منهم عليها، ومن هذه النصوص ما يلي:

١- روى الحافظ الكنجي بإسناده عن عبد الله قال: ((قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمد (واسأل مَن أرسلنا من قبلك) على ما بعثوا؟ قال: قلت على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب))(٢).

---

(١) المناقب، الفصل التاسع عشر، ص٢٢٣.

(٢) كفاية الطالب، ص٧٥، ورواه الخوارزمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود في المناقب ف١٩ ص٢٢١.

٢- روى السيد شهاب الدين أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أُسري بي ليلة المعراج فاجتمعت مع الأنبياء في السماء فأوحى الله إليّ: سلهم يا محمد، بماذا نُبئتم؟ فقالوا: نُبئنا على شهادة أن لا إله إلاّ الله، وعلى الإقرار بنبوّتك والولاية لعلي بن أبي طالب))[1].

إن في هذين الحديثين الشريفين دلالة واضحة وصريحة في ثبوت الإمامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، وقد استدل العلاّمة الحلي بولاية علي عليه السلام في ميثاق الأنبياء عليهم السلام مباشرة، وقد استدل العلاّمة الحلي بولاية علي عليه السلام في ميثاق الأنبياء عليهم السلام لاثبات إمامته عليه السلام قائلاً: ((قال ابن عبد البر وأخرجه أبو نعيم أيضاً قال: إن النبي ليلة أُسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء عليهم السلام ثم قال: سلهم يا محمد علامَ بعثتم؟ قال: فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: على ماذا بُعثتم يا أنبياء الله؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلاّ الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب وهذا صريح في ثبوت الإمامة لعلي عليه الصلاة والسلام))[2].

---

(١) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل، ص٤٤٩.

(٢) منهاج الكرامة البرهان ١٩ الدال على إمامة علي عليه السلام ص٩١ وكشف الحقّ ونهج الصدق، ص٩١.

الفصل الثاني

الإمام علي عليه السلام ومبغضوه

لقد أكّدت الروايات النبويّة الشريفة أن مَن مات وهو مبغض لأمير المؤمنين فهو منافق كافر وقد ساء مولده، وإنه لغير رشده ومصيره إلى جهنم وبئس المصير، وإليك - عزيزي القارئ - جملة منها:

١- أمير المؤمنين علي عليه السلام لا يُحبّه منافق:

أخرج الترمذي بإسناده عن المساور الحميري عن أمه، قالت: ((دخلتُ على أم سلمة فسمعتها تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يُحبُّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن))[١].

وأخرج أحمد بإسناده عن أبي الزبير، قال: ((قلت لجابر: كيف كان عليّ فيكم؟ قال: ذاك خير البشر، ما كنا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم إياهُ))[٢].

وروى الحمويني بإسناده عن أبي الزناد قال: ((قالت الأنصار: إن كنّا لنعرف الرجل لغير أبيه ببغضه علي بن أبي طالب عليه السلام))[٣].

---

(١) سنن الترمذي، ج٥، ص٢٩٩. كفاية الطالب للكنجي، ص٦٩. الفضائل لأحمد، ج١، ص١٧٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٩. أسنى المطالب للجزري، ص٨ والوصابي في أسنى المطالب، ب١١ ص٧٢.

(٣) فرائد السمطين، ج١، ص٣٦٥.

وروى ابن الجزري بإسناده عن عباده بن الصامت، قال: ((كنا نبور أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب، فإذا رأينا أحدهم لا يُحبّ علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا وأنه لغير رِشده...))(١).

٢- مَن آذى أمير المؤمنين عليه السلام فقد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الشنقيطي: ((ومن مناقبه عليه السلام قوله عليه السلام: مَن آذى علياً فقد آذاني، أخرجه أحمد، وأخرجه أبو حاتم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَن أحبّ علياً فقد أحبّني ومَن أبغض علياً فقد أبغضني، ومَن آذى علياً فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى الله تعالى. أخرجه أبو عمر ابن عبد البر، وأخرج نحوه المخلص.

وعن ابن عباس قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ بن أبي طالب فقال له: أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة. مَن أحبّك فقد أحبّني، وحبيبك حبيب الله وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله، الويل لمن أبغضك أخرجه أحمد في المناقب))(٢).

وروى الخوارزمي بإسناده عن زيد بن علي، وهو آخذ بشعره قال:

((حدّثني علي بن الحسين وهو آخذ بشعره، قال حدّثني الحسين بن علي، وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره، قال:

---

(١) أسنى المطالب، ص٨. ومعنى الغير رشده، ابن زنا، نبور: نختبر ونمتحن.

(٢) كفاية الطالب، ص٤١.

حدّثني رسول الله وهو آخذ بشعره قال: يا عليّ مَن آذى شعرةً منك فقد آذاني، ومَن آذاني آذى الله، ومن آذى الله لعنه ملأ السماوات وملأ الأرض))(١).

دلالة الحديث:

قطعاً إن مَن يؤذي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يكبّه في نار جهنم ويعذبه العذاب الشديد، وكذلك هو الحال لمن يؤذي أمير المؤمنين علياً عليه السلام، لأن مَن آذاه فقد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا قول واضح الدلالة فإن حبّ علي سبب لدخول الجنّة وإيذاءهُ سبب لدخول النار، فقد ثبت وجوب الاقتداء به والاتّباع له بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمنع من تقديم غيره عليه.

وقد استدلّ العلاّمة الحلي (قدس سره) والقاضي نور الله بهذا الحديث على إمامة الإمام علي عليه السلام(٢).

٣- مَن سبّ الإمام علياً عليه السلام فقد سبّ الله ورسولَه:

روى محب الدين الطبري، بإسناده عن ابن عباس (رض) قال: ((أشهد بالله لسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَن سبّ علياً فقد سبّني ومَن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجل أكبّه الله على منخريه في النار))(٣).

---

(١) المناقب، الفصل التاسع عشر، ص٢٣٥.

(٢) كشف الحق ونهج الصدق، ص١٠٥، وإحقاق الحق، ص٣٣٤.

(٣) ذخائر العقبى، ص٦٦. وسيلة المآل للحضرمي، ص٢٢٠. وتوضيح الدلائل، ص٣٦٩ للسيد شهاب الدين أحمد.

وروى البدخشي بإسناده عن الحسين بن علي، إن النبي ﷺ قال: ((لا تسبّوا علياً فإنه مَن سبَّ علياً فقد سبّني، ومَن سبّني فقد سبّ الله ومَن سبَّ الله فقد عذّبه الله))[١].

وروى الحاكم بإسناده عن أبي مليكه عن أبيه قال: ((جاء رجل من أهل الشام فسبَّ علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس، فقال: يا عدوّ الله، آذيت رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٢]. لو كان رسول الله ﷺ حياً لآذيته))[٣].

دلالة الحديث:

لما كان سبّ علي عليه السلام هو سبٌّ لله ورسوله ﷺ، وسبب للكفر ودخول النار فأصبح من الواجب حبّ عليّ عليه السلام والاقتداء به والاتباع له عليه السلام بعد النبي الأكرم ﷺ والمنع من تقديم غيره عليه لأنه الأفضل بعد رسول الله ﷺ إذن فهو الإمام من بعده دون غيره، لأن الأفضلية دليل الإمامة عند الجمهور.

أضف إلى ذلك إن الإمام علياً عليه السلام كرسول الله ﷺ لا يوجد في شخصه أي موضع لأن يُطعن عليه أو يتكلّم فيه، فحقيقة وجودهما واحدة وشؤونهما متحدة.

---

(١) مفتاح النجاء، ص٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢١. كنز العمّال، ج١١، ص٦٠٢. ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد، ج٥، ص٣٠.

٤- مَن فارق علياً عليه السلام فقد فارق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله:

روى الخوارزمي بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((مَن فارق علياً فارقني ومَن فارقني فارق الله عزّ وجل))[(١)].

وأخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذرك (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يا علي من فارقني فقد فارق الله ومَن فارقك يا علي فقد فارقني))[(٢)].

روي الهيثمي عن بريدة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ((ما بال أقوام ينتقصون علياً، مَن تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومَن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً منّي وأنا منه، خُلق من طينتي وخلقتُ من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)].

دلالة الحديث:

حقاً وعقلاً إن هذا الحديث النبوي الشريف (حديث: مَن فارق علياً...) الوارد بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام يوجب ملازمة الإمام علي عليه السلام والاقتداء به، ويحرّم مفارقته لأن في مفارقته عليه السلام مفارقة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وحتماً إنّ

(١) المناقب، الفصل الثاني، ص٥٧. فرائد السمطين للحمويني، ج١، ص٢٩٩. المناقب، ص٢٤٠ لابن المغازلي، وكنز العمال، ج١١، ص٦١٤ طبع حلب للمتقي.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٣، الفضائل لأحمد، ج١، ص٨٢، فرائد السمطين، ج١، ص٣٠٠ ومجمع الزوائد للهيثمي، ج٩، ص١٣٥، وسيلة المآل للحضرمي، ص٢٢٠، كفاية الطالب، ص١٨٩ وذخائر العقبى، ص٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٤، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٢٨.

الذي يفارق الله ورسوله هو كافر بالضرورة ومآله إلى جهنم والعذاب الأليم، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن وجوب الملازمة وعدم المفارقة لأمير المؤمنين عليه السلام يستدعي وجود العصمة له عليه السلام وهو كذلك، وعليه فإنه عليه السلام هو الأفضل والواجب اتباعه حصراً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة: إذن فهو الإمام على الأمة دون غيره من الناس.

٥- مَن أبغض علياً عليه السلام أبغضه الله تعالى ورسولُهُ صلى الله عليه وآله وسلم:

روى ابن حجر بإسناده عن سلمان قال: ((رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب فخذ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وصدره وسمعته يقول: محبُّك محبّي ومحبّي محبّ الله، ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله))[1].

وروى الهيثمي عن أبي رافع: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: مَن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّه الله، ومَن أبغضه فقد أبغضني ومَن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجل))[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن أحبّني فليحب علياً ومَن أبغض علياً فقد أبغضني ومَن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجل، ومَن أبغض الله أدخله النار))[3]

(١) لسان الميزان، ج٢، ص١٠٩.

(٢) مجمع الزوائد، ج٩، ص١٣١.

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٢١٣، ج٧٠٨.

وروى الحمويني بإسناده عن أبي الزبير المكّي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعرفات وعلي عليه السلام تجاهه فأومى إليّ وإلى عليّ عليه السلام فأتيناه، فقال: أدنُ مني يا عليّ فدنا علي منه، فقال: إطرح خمسك في خمسي (يعني كفّك في كفّي) يا عليّ، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة، يا علي لو أنّ أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبّهم الله تعالى في النار))[1].

دلالة الحديث:

لقد دلّ هذا الحديث الشريف على أن كلّ شخص يُبغض أمير المؤمنين علياً عليه السلام فإن الله عزّ وجل يُبغضه وكذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يُبغضهُ أيضاً، وقطعاً إن مثل هذا الشخص سيكبّه اللهُ سبحانه في نار جهنم لا محالة، إذن وجب حبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وحرم بغضه كما هو الحال بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه فإن هناك مساواة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام في وجوب الحب والطاعة وحرمة البغض والمخالفة، وإنّ مثل هذا لم يرد في حقّ أحدٍ من الأصحاب بالاتفاق.

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٥١ ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص١٣٤، ح١٨٤.

إذن إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الإمام على الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة لدلالة الحديث الشريف على أفضليته وعصمته عليه أفضل الصلاة والسلام دون غيره من الصحابة.

٦- مَن عصى أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

روى ابن عساكر بإسناده عن عمرو بن عبد الله الثقفي عن أبيه عن جدّه يعلى بن مرة الثقفي، قال: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني ومَن عصاني فقد عصى الله... لا يُحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر ومنافق))(١).

أخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذر (رض) قال: قال رسول الله: ((مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله، ومَن أطاع علياً فقد أطاعني، ومَن عصى علياً فقد عصاني))(٢).

وروى الحمويني بإسناده عن حذيفة قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي))(٣).

دلالة الحديث:

إن هذا الحديث النبوي الشريف في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام فهو منقبة عظيمة له عليه السلام ، وهو كغيره من الأحاديث المتقدمة الذكر يدل على أفضلية أمير

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، ج٢، ص١٨٨، بحديث ٦٧١.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢١ و ص١٢٨.

(٣) فرائد السمطين، ج١، ص١٧٩، الحديث: ١٤٢.

المؤمنين على الأصحاب والناس من جهة، وعصمته من الوقوع في الخطأ فضلاً عن المعصية، فهو كرسول الله صلى الله عليه وآله في الاقتداء والاتّباع والطاعة وحرمة المخالفة من جهة أخرى، وكما علمنا إنّ الأفضلية دليل الإمامة عند الجمهور، فكيف وإن العصمة متحققة أيضاً. فأمير المؤمنين علي عليه السلام هو الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة من دون منازع، وقد خاب مَن افترى.

حاصل الكلام:

وحاصل الكلام في وجه الاستدلال بهذه الأحاديث والأحاديث المتقدمة هو: إنّ كلّ آية أو حديث صحيح دلّ على وجوب إطاعة شخص وحرمة معصيته بصورة مطلقة، فهو لا محالة دليل على عصمة ذلك الشخص، فمثلاً: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يدلّ على عصمة أولي الأمر وإلاّ لم يأمر بإطاعتهم إطاعة مطلقة، وقوله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا..) دليل قطعي على عصمة عترته وأهل بيته وإلاّ لم يقرنهم بالقرآن ولم يأمر بالتمسّك بهم في جميع الأمور، بحيث كانت الهداية والضلالة يدوران مدار اتّباع الكتاب والعترة وإطاعتهما في كل الاحوال، ومن هنا اعترف مثل الفخر الرازي بدلالة تلك الآية على العصمة، واعترف غير واحد من العلماء بدلالة حديث الثقلين على عصمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الأحاديث كذلك لأن مَن وجبت طاعته على الإطلاق وحرمت مفارقته ومخالفته كذلك لا يقع منه الخطأ فضلاً عن المعصية وإلاّ وجب إتّباعه في

معصيته وخطئه وهو غير جائز، وأيضاً فإن هذه الأحاديث تدلّ على اتحاد طاعة أمير المؤمنين مع طاعة النبي وطاعة النبيّ واجبة لكونه معصوماً، فلابدّ وأن يكون عليّ معصوماً كذلك وإلاّ لم يجز وحدة الطاعتين.

فكانت هذه الأحاديث الواردة في اطاعة علي وحرمة مفارقته ومخالفته ومعصيته في جميع الاحوال دليلاً على إمامة علي بعد رسول الله من جهة المساواة بينه وبين النبي في وجوب الطاعة وحرمة المخالفة والمفارقة معه والبغض له، ومن جهة الدلالة على العصمة، ومن جهة الدلالة على الأفضلية.

كلُّ هذا.. مع عدم ورود شيء من هذا القبيل في حقّ أحدٍ غيره من الأصحاب بالاتفاق[1].

(١) انظر: قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص٢٤٦.

الفصل الثالث

أمير المؤمنين عليه السلام وشبهه بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما خاطب أمير المؤمنين علياً عليه السلام قائلاً: ((... يا عليّ لا يعرفك حقيقة المعرفة إلاّ الله وأنا)) حقاً إن الإمام علياً عليه السلام هو معجزة الإسلام ومفخرة الدهور والعصور والأيام، ويفتخر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلُّ مؤمن وتقيّ وإنسانٍ شريف.

روى الحمويني بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يفتخر يوم القيامة آدم بإبنه شيث، وأفتخرُ أنا بعلي بن أبي طالب))[1].

وقال محمد بن طلحة: ((قال البيهقي في كتابه المصنّف يرفعه بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد أثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوى تشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبة تشبه هيبة موسى وعبادة تشبه عبادة عيسى عليهم أجمعين الصلاة والسلام، وفي هذا تصريح لعلي بعلمه وتقواه وحلمه وهيبته وعبادته، وبعلوّ هذه الصفات إلى أوج العلى حيث شبهه

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٢٣٢.

بهؤلاء الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله أجمعين في الصفات المذكورة والمناقب المعدودة))[1].

ونذكر الآن شبه أمير المؤمنين علي عليه السلام بجملةٍ من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

١- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي آدم عليه السلام:

قال العاصمي: ((وقد وقعت المشابهة بين المرتضى وبين آدم عليه السلام بعشرة أشياء: أولها: بالخلق والطينة، والثاني: بالمكث والمدّة، والثالث: بالمصاحبة والزوجة، والرابع: بالتزويد والخلعة، والخامس: بالعلم والحكمة، والسادس: بالذهن والفطنة، والسابع: بالأمر والخلافة، والثامن: بالأعداء والمخالفة، والتاسع: بالوفاء والوصيّة، والعاشر: بالأولاد والعترة[2].

٢- الإمام علي عليه السلام يشبه الرسول نوحاً عليه السلام:

روى الخوارزمي بإسناده عن الحرث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في جمع من أصحابه فقال: أريكم آدم في علمه ونوحاً في فهمه وإبراهيم في حكمته فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول الله، أقسمت رجلاً بثلاثة من الرسل بخّ بخّ لهذا الرجل من هو يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أولا تعرفه يا أبا بكر؟ قال:

(١) مطالب السؤول، ص٥٦.

(٢) الصراط المستقيم، ج١، ص١٠٠.

اللهُ ورسوله أعلم، قال: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن))(١).

قال العاصمي: وقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أولها: بالفهم، والثاني: بالدعوة، والثالث: بالإجابة، والرابع: بالسفينة، والخامس: بالبركة، والسادس: بالسلام، والسابع: بالشكر، والثامن: بالإهلاك.

٣- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي إبراهيم الخليل عليه السلام:

روى الحمويني عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام))(٢).

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين إبراهيم الخليل عليه السلام بثمانية أشياء: أولها: بالوفاء، والثانية: بالوقاية، والثالثة: بمناظرته أباه وقومهم، والرابعة: بإهلاكه الأصنام بيمينه، والخامسة: ببشارة الله تعالى إياه بالوالدين الذين هما من أصول انساب الأنبياء عليهم السلام، والسادسة: باختلاف أحوال ذريتهما بين محسن وظالم، والسابعة: بابتلاء الله تعالى إياه

(١) المناقب، الفصل السابع، ص٤٥ وتوضيح الدلائل للسيد شهاب الدين أحمد، ص٤٥٩.

(٢) فرائد السمطين، ج١، ص١٧٠ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٢٨٠ لابن عساكر.

بـالنفس والولـد والمـال، والثامنـة: بتسـمية الله إياهُ خليلاً حيث لم يؤثر شيئاً عليه)).

٤- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي يوسف عليه السلام:

روى محبّ الدين الطبري باسناده عن ابن عباس (رض) إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب))[1].

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين يوسف الصدّيق صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أولها: بالعلم والحكمة في صغره، والثاني: بحسد الأخوة له، والثالث: بنكثهم العهود فيه، والرابع: بالجمع له بين العلم والملك في كبره، والخامس: بالوقوف على تأويل الأحاديث، والسادس: بالكرم والتجاوز عن اخوته، والسابع: بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم، والثامن بتحويل الديار.

٥- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي موسى عليه السلام:

روى محمد بن رستم عن أبي سعيد (رض): ((مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام))[2].

---

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، ج١، ص١٠٠.

(٢) تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين، ص١٨٧.

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين موسى الكليم صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أولها: بالصلابة والشدّة والثاني: بالمحاجّة والدعوة، والثالث: بالعصا والقوة، والرابع: بشرح الصدر والفسحة، والخامس: بالأخوة والقرابة، والسادس: بالود والمحبّة، والسابع: بالأذى والمحنة، والثامن: بميراث الملك والإمرة...)).

٦- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي داود عليه السلام:

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين داود عليه السلام بثمانية أشياء: أولها: بالعلم والحكمة، والثاني: بالتفوّق على اخوانه في صغر سنّه، والثالث: بالمبارزة بقتل جالوت، والرابع: بالغدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه، والخامس: بإلانة الحديد له، والسادس: بتسبيح الجوامد معه، والسابع: بالولد الصالح، والثامن: بفصل الخطاب...)).

٧- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي سليمان عليه السلام:

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين سليمان بثمانية أشياء: أولها: بالفتنة والابتلاء في نفسه، والثاني: بتسليط الجسد على كرسيه، والثالث: بتلقين الله تعالى اياه في صغره وما استحق به الخلافة، والرابع: برد الشمس لأجله بعد المغيب، والخامس: بتسخير الهواء والريح له،

والسادس: بتسخير الجنّ له، والسابع: بعلم الحكل[1] وكلام الجوامد إياه، والثامن ؛ بالمغفرة ورفع الحساب عنه...)).

٨- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي ايوب عليه السلام:

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين أيوب صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أحدها بالبلايا في بدنه، والثاني: بالبلايا في ولده، والثالث: بالبلايا في ماله، والرابع: بالصبر على الشدائد، والخامس: بخروج الجميع عليه، والسادس: بشماتة الأعداء، والسابع: بالدعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التوالي فيها، والثامن: بالوفاء للنذر والاجتناب عن الخبث...)).

٩- الإمام علي عليه السلام يشبه النبي يحيى عليه السلام:

روى المتّقي عن أنس في حديثٍ: ((مَن أحبّ أن ينظر إلى يحيى بن زكريا في جهادته فلينظر إلى علي في طهارته))[2].

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين يحيى صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أولها: بالحفظ والعصمة، والثاني: بالكتاب والحكمة، والثالث: بالتسليم والتحية، والرابع: ببر الوالدين والحرمة،

(١) الحكل: ما لا نطق له كالنمل وغيره (مهذّب الأسماء، الحكل ما لا يُسمع له صوت يقال: تكلّم كلام الحكل: أي كلاماً لا يُفهم (المنجد).

(٢) كنز العمال، ج١١، ص٦٣٤، طبع حلب، ورواه البدخشي في مفتاح النجاء، ص٧٦.

والخامس: بالقتل والشهادة لأجل امرأة مفسدة، والسادس: بشدّة الغضب والنقمة من الله على قتلته، والسابع: بالخوف والمراقبة. والثامن: بفقد السمي والنظير له في التسمية..)).

١٠- الإمام علي عليه السلام يشبه الرسول عيسى عليه السلام:

روى الخوارزمي بإسناده عن أبي الحمراء مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى موسى في شدته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى هذا المقبل فأقبل علي))[1].

وبإسناده عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتحتُ خيبر: يا عليّ، لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين إلاّ وأخذوا تراب نعليك وفضل طهورك يستشفون به...))[2].

ورواه ابن المغازلي بإسناده عن جابر بن عبد الله[3].

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين عيسى صلوات الله عليه بثمانية أشياء: أولها: بالإذعان لله الكبير المتعال، والثاني:

(١) المناقب: الفصل التاسع عشر، ص٢١٩.

(٢) المناقب، الفصل الثالث عشر، ص٧٥ ورواه القندوزي في ينابيع المودّة الباب الثالث عشر، ص٦٣.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب، ص٢٣٧، حديث، ص٢٨٥.

بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ مبلغ الرجال، والثالث: بعلمه بالكتابة ووجوه الانفصال والاتصال، والرابع: بهلاك الفريقين فيه من أهل الضلال، والخامس: بالزهد في الدنيا، والسادس: بالكرم والافضال، والسابع: بالإخبار عن الكوائن في الاستقبال، والثامن: بالكفاية والاشكال...)).

١١- الإمام علي عليه السلام يشبه رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله:

روى محمد صدر العالم بإسناده عن محمد بن اسامة بن زيد عن أبيه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أشبه خلقي خلقك، وأشبه خلقك خلقي، فأنت منّي ومن شجرتي))[1].

وقال: أخرج الخطيب عن علي قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشبهت خلقي وخُلُقي، وأنت من شجرتي التي أنا منها))[2].

وروى محبّ الدين بإسناده عن أنس بن مالك، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من نبيّ إلاّ وله نظير في أمته وعليّ نظيري))[3].

قال العاصمي: ((وقعت المشابهة بين المرتضى رضوان الله عليه وبين نبيّنا محمد المصطفى صلوات الله عليه عدد الحصى والثرى: وعدد ما في الآخرة والأولى باثنين وعشرين شيئاً.

---

(١) معارج العُلى في مناقب المرتضى، ص٩٢.

(٢) معارج العلى في مناقب المرتضى، ص٩٣ وأسنى المطالب للوصابي، ب٨ فصل فضائل متفرقة، ص٤٥.

(٣) الرياض النضرة، ج٣، ص١٥٣.

أولها: بالخلق والطينة، والثاني: بالأخوة والقرابة، والثالث: بالعمر والمدّة، والرابع: بالاستسقاء في الجدوبة، والخامس: باسم الرق والعبودية، والسادس: بالعفو والمغفرة، والسابع: بالاذن الواعية، والثامن: بالحفظ والعصمة، والتاسع: بالأمر والطاعة، والعاشر: بالأذى والمحنة، والحادي عشر: بالحبّ والمودّة، والثاني عشر: بالشنآن والبغضة، والثالث عشر: بالخلاف والمفارقة، والرابع عشر: بالشتم والمسبّة، والخامس عشر: بالسؤدد والرفعة، والسادس عشر: بالأولى والحقيقة، والسابع عشر: بالمولى والولاية، والثامن عشر: باللواء والراية، والتاسع عشر: بالأول والسابقة، والعشرون: بالصاحب والصحبة، والحادي والعشرون: بالتشبيه بالشجرة، والثاني والعشرون: بالتسمية في حال الولادة...)).

١- أما الخلق والطينة: فقوله صلى الله عليه وآله: ((كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام.

٢- وأما الأخوة والقرابة: قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث المعراج ناداني منادٍ من وراء الحجاب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي فاستوصي به خيراً، وعن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكة قال لعلي بن أبي طالب: يا علي أنت مولى الله ومولى رسوله، يا علي أنت مني وأنا منك، وأنت أخي وصاحبي...

٣- وأما العمر والمدة: فإن النبي صلى الله عليه وآله خرج من الدنيا وهو ابن ثلاث وستين سنة كما ذكره أصحاب المغازي والتواريخ. فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، عن عامر بن سعد قال: قُتل أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة.

٤- وأما الاستسقاء في الجدوبة: فإن النبي ﷺ كان يستسقي إذا اصاب الناس جدب فيسقيهم الله ببركته.

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه في استسقائه، روي لنا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه قال: اجتمع إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قوم فشكوا إليه قلة المطر فقالوا: يا أمير المؤمنين ادعُ لنا بدعوات في الاستسقاء فدعا علي بن أبي طالب الحسن والحسين رضي الله عنهم فقال للحسن ادعُ بدعاء في الاستسقاء... ثم قال للحسين: ادعُ بدعاء في الاستسقاء... قال: فما فرغا من دعائهما حتى صبّ اللهُ تعالى عليهم السماء صبّاً.

٥- وأما اسم الرق والعبودية: فإن الله تعالى سمّى رسوله ﷺ عبد الله قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾(١) الآية وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾(٢) من نظائرهما من الآيات، وقد روي أن النبي عليه السلام لم يفرح بشيء مما سمّاه اللهُ تعالى به من أسمائه كفرحه إذ سمّاه عبد الله.

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه... عن عباد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه، قال: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذب...

(١) سورة الجن: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

٦- وأما العفو والمغفرة: فإن الله سبحانه أطلق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة وبشّره بها قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه أطلق له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة وبشّره بها... عن علي بن موسى الرضا قال: حدّثني موسى بن جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب كرّم الله وجوههم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: ((يا علي إن الله جلّ ثناؤه قد غفر لك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ومحبّي شيعتك ومحبّي محبّي شيعتك فأبشر فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشرك بطين من العلم...

٧- وأما الأذن الواعية: فإن الله سبحانه حكى عن المنافقين أنهم سمّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أُذناً ثم أثبت ذلك له وجعله أذن خير فقال ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾(٢).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُذناً واعية... عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٣). فالتفت إلى علي وقال: (يا علي سألت الله أن يجعلها أُذنك) وكذلك روي عن ابن عباس: الأُذن الواعية علي عليه السلام.

(١) سورة الفتح: الآية ٢.
(٢) سورة التوبة: الآية ٦١.
(٣) سورة الحاقة: الآية ١٢.

٨- وأما الحفظ والعصمة: فإن الله سبحانه عصم نبيّه عليه السلام عن كل ذنب... وكذلك صانه عليه السلام عن أن يضرّه أحد من الأعداء، كما قال عزّ وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾(١).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه صانه الله تعالى من صغره إلى كبره عن كل ذنب... وكذلك الله صانه في صغره عن عبادة الأوثان.

٩- وأما الأمر والطاعة: فإن الله سبحانه جعل طاعة رسوله عليه السلام نفسه عزّ وجل فقال: ﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٢).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه جعل الرسول عليه السلام طاعته طاعة نفسه... عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (رض): (مَن أطاعني فقد أطاع الله ومَن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني).

١٠- وأما الأذى والمحنة: فإن الله سبحانه قرن أذى رسوله عليه السلام بأذى نفسه عزّ وجل فقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٣).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه جعل الرسول عليه السلام أذاه أذى نفسه عليه السلام، وجعل لمن آذاه اللعنة... عن سعد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من آذى علياً

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

فقد آذاني...) وعن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله).

١١ - ١٢- وأما الحب والبغض: فإن الله تعالى علّق محبّته عزّ وجل بمحبّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومتابعته فقال عزّ وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حُبّه حبّ نفسه وبغضه بغض نفسه... عن ابن عباس إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى علي فقال: مَن أحبك فقد أحبني ومَن أبغضك فقد أبغضني وبغيضك بغيض الله والويل لمن أبغضك بعدي..

عن نعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((مَن قرأ قل هو الله أحد مرةً فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومَن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثاً فكأنما قرأ القرآن كلّه، ألا ومَن أحبَّ علياً بقلبه أعطاهُ الله ثلث ثواب هذه الأمة، ومَن أحبّه بقلبه وبدنه أعطاهُ الله ثلثي ثواب هذه الأمة، ومَن أحبّه بقلبه وبدنه ولسانه أعطاهُ الله ثواب هذه الأمة كلّها))..

١٣- وأما الخلاف والمفارقة: فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل مفارقة المرتضى رضوان الله عليه مفارقة نفسه... عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي مَن فارقني فقد فارق الله ومَن فارقك فارقني)).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

١٤- وأما الشتم والمسبّة: فإن النبي ﷺ جعل مسبّة المرتضى مسبّة نفسه عليه السلام... عن أم سلمة... قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَن سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله عزّ وجل)).

١٥- وأما السؤدد والرفعة: فإن الله سبحانه سمّى رسوله عليه السلام سيداً، بقوله: ﴿يس(١)وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[1] يريد يا سيّد الأنبياء والمرسلين في أحد الأقاويل فيه، وسمّى الرسول عليه السلام نفسه سيداً... عن أنس إن الناس ذكروا يوم القيامة عند رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: ((والذي نفسي بيده وإني لسيد الناس يومئذ...)).

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه سمّاه رسول الله ﷺ سيداً... عن ابن عباس: إن النبي ﷺ نظر إلى علي فقال: ((أنت سيّد في الدنيا والآخرة، مَن أحبك فقد أحبني ومَن أبغضك فقد أبغضني)).

١٦- وأما الأولى والحقيقة: فإن الله تعالى جعل رسوله عليه السلام أولى الناس وأولى بالمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[2] وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[3].

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه جعله رسول الله ﷺ أولى الناس عن وهب بن حمزة قال: صحبت علياً إلى مكّة فرأيت منه بعض ما أكره. فقلت لئن

---

(١) سورة يس: الآية ١ - ٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت إني رأيت من علي كذا ورأيت منه كذا فقال: ((لا تقل هذا لعلي وهو أولى الناس بكم بعدي)).

١٧- وأما المولى والولاية: فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه))...

١٨- وأما اللواء والراية: فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذكر إنّ وِلد آدم عليه السلام كلّهم يكونون تحت رايته ولوائه... عن حذيفة قال: قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله، إبراهيم خليل الرحمن وعيسى كلمة الله وروحه وموسى كلّم الله تكليماً فماذا أعطيت أنت؟ قال: ولد آدم يوم القيامة كلّهم تحت رايتي وأنا أول من يُفتح له باب الجنة.

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن لواء الحمد يكون بيده.

١٩- وأما الأول والسبقة: فإن الله سبحانه أمر رسوله عليه السلام بأن يقول: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١] قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢]. عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول مَن ينشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول مَن يأخذ بحلقة باب الجنة.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٣.

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه جعله المصطفى صلوات الله عليه أول مَن ينفض رأسه من التراب يوم القيامة... عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: (أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب...

٢٠- وأما المصاحب والصحبة: فإن الله تعالى سمّى رسوله عليه السلام صاحباً بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[١].

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، سمّاه الرسول عليه السلام صاحباً... عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكّة قال لعلي بن أبي طالب: (يا علي أنت مولى الله ومولى رسوله، يا علي أنت منّي وأنا منك وأنت أخي وصاحبي).

٢١- وأما التشبيه بالشجرة: فإن الله سبحانه شبّه رسول الله عليه السلام بالشجرة، قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[٢] في أحد القولين. فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، شبّهه الرسول عليه السلام بالشجرة.. عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: ((أنا شجرة الهدى وعليّ أغصانها، وفاطمة فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، فمن أبغضهم فلا يستظل بظل لوائي يوم القيامة)).

٢٢- وأما تشبيه التسمية في حال الولادة: عن محمد بن إسحاق قال: ويزعمون فيما يحدث الناس والله أعلم إن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم رسول الله ﷺ كانت تحدّث أنها انبئت حين حملت برسول الله ﷺ

(١) سورة التكوير: الآية ٢٢.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

فقيل لها: إنّك قد حملت بسيّد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذهُ بالواحد من شرّ كل حاسد ثم سمّيه محمداً...

فكذلك المرتضى رضوان الله عليه، لما ولدته أمّهُ واختلف في اسمه قال قائلهم: يا رب ذا الغسق الدجى وقد ذكرناه في آخر فصل مشابهته بيحيى عليه السلام وهذا نصّ ما أشار إليه مما ذكره في مشابهته بيحيى عليه السلام قيل: لما ولد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، أرادت أمه أن تسمّيه بأسد وأراد أبوه إسماً آخر فلم يقع اتفاقهم على واحد، فطاف أبو طالب بالبيت يدعو الله عزّ وجل ليلته كلها أن يُلهم الصواب فيه وقال:

يا ربّ ذا الغسق الدّجى ... والقمر المنبلج المضي
بيّن لنا من حتمك المقضي ... ماذا ترى من أمر ذا الصبي

فوقع على صدره لوح مكتوب فيه:

خصصتما بالولد الزكي ... الطيّب المهذّب الرضيّ
إن اسمه من شامخ عُلويّ ... عليّ اشتقّ من العليّ

فرجع إلى أهله وسمي علياً وقع الاتفاق منهم عليه(١).

قال البياضي: ((محمد خاتم النبيّن وسيّدهم، وعلي خاتم الأوصياء وسيّدهم، ركب النبي البراق وركب علي كتف النبي، علامة الرسالة في كتف النبي، علامة الشجاعة في ساعدي علي عليه السلام))(٢).

(١) زين الفتى، ص٥٢٨.

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، ج١، ص١٠٣.

أقول: بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أعلى درجات الكمال الإنساني، فاجتمعت فيه خصال الأنبياء والرسل كلّهم، وصار مرآة لتجلّي تلك الفضائل التي اختصّ بها كلّ من هؤلاء الأنبياء، ولذلك شبهه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بهم[1]، وأعتبره الوجه المعبّر عنهم.

وقد راح الشعراء يعطّرون قصائدهم بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام الجليلة ويجتهدون في بيانها بأحسن وجه، إلاّ إنّهم قد اعترفوا بالعجز عن ايفاء الموضوع حقّه، والقصور عن بلوغ الغاية، والشعراء كثيرون نذكر منهم ابن أبي الحديد المعتزلي الذي يقول في أحدى قصائده السبع العلويات، نذكر أبياتاً منها:

يا برقُ إن جئتَ الغريّ فقل لهُ ... أتراك تعلمُ مَن بأرضك مودعُ
فيك ابن عمران الكليم وبعده ... عيسى يقفّيه وأحمدُ يتبع
بل فيكَ جبريلُ وميكال واسرافيل ... والملأ المقدّسُ أجمع
بل فيك نورُ الله جلّ جلاله ... لذوي البصائر يستشف ويلمع
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي ... المجتبى فيك البطينُ الأنزع
الضارب الهام المقنع في الوغى ... بالخوف للبهم الكماة يقنّع
ومبدّد الأبطال حيث تألّبوا ... ومفرقَ الأحزاب حيث تجمعوا
والحبرُ يصدعُ بالمواعظ خاشعاً ... حتى تكادُ لها القلوبُ تصدّع
هذا ضميرُ العالم الموجود عن ... عدم وسرّ وجوده المستودع
هذا هو النورُ الذي عذباته ... كانت بجبهة آدم تتطلّع

---

(١) جمع أحاديث الأشياء وأقوال الحفاظ العلاّمة الأميني في كتابه الغدير، ج٣، ص٣٥٥ والسيد الحائري في الإمامة الكبرى، ج٢، ص١٥٧.

وشهابُ موسى حيث أظلمَ ليلُه — رفعــت لــه لألاؤهُ تتشعشــعُ
يـا مَـن لـه رُدّت ذكـاءُ ولم يفـز — بنظيرهـا مـن قبـل إلاّ يوشـع
يـا هـازم الأحـزاب لا يثنيـه عـن — خـوض الحمـام مـدجّجٌ ومـدرّع
يـا قـالع البـاب الـذي عـن هـزّه — عجـزت أكـف أربعـونَ وأربـع
مـا العـالم العلـويّ إلاّ تربـة — فيهـا لجثّتـك الشـريفة مضـجع
مـا الـدهر إلاّ عبـدك القـنّ الـذي — بنفـوذ أمـرك في البريّـة مولـع
أنـا في مـديحك ألكـن لا أهتـدي — وأنـا الخطيـبُ الهبـزري المصـقع
أأقـولُ فيـك سميـدع كـلاّ ولا — حاشـا لمثلـك أن يُقـال سميـدع
بـل أنـت في يـوم القيامـة حـاكم — في العـالمين وشـافع ومشـفّع
وفقدتُ معرفتي فلستُ بعارف — هل فضل علمك أم جنابك أوسع
والله لـولا حيـدر مـا كانـت — الـدنيا ولا جمـعَ البريـة مجمـعُ
مـن أجلـه خُلِق الزمـان وضوّئت — شـهب كنسـن وجـنّ ليـلٌ أدرع
علـم الغيـوب إليـه غـير مـدافع — والصـبحُ أبـيض مسـفر لا يـدفع
إليـه في يـوم المعـاد حسـابنا — وهـو المـلاذ لنـا غـداً والمفـزع
هـذا اعتقـادي قـد كشفتُ غطاءهُ — سـيفرٌ معتقـداً لـه أو ينفـع(١)

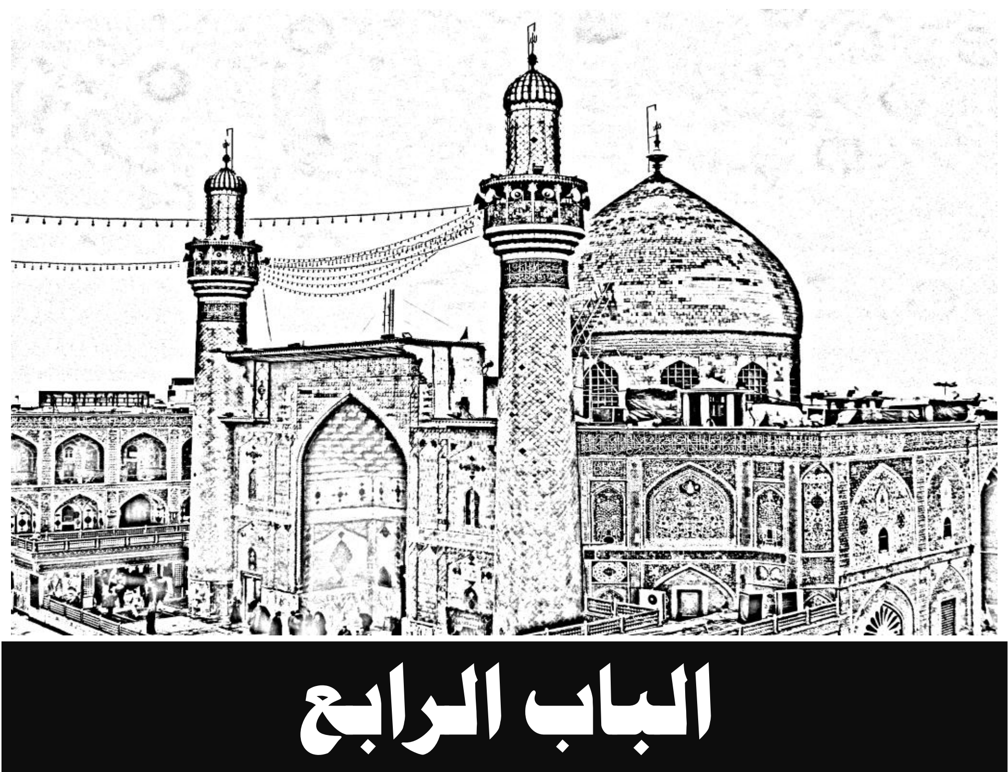
دلالة أحاديث تشبيه الإمام علي عليه السلام بالأنبياء:

فقد ذكر العلماء في كتبهم المفصّلة في مباحث الإمامة والولاية وجوه دلالة تلك الأحاديث على ما يذهبون إليه، وخلاصة ذلك: أن الأنبياء عليهم السلام أفضل

(١) القصائد السبع العلويات، ص٤٢ – ٤٤.

من سائر الناس بلا كلام، ومَن كان يشبههم فهو مثلهم في الأفضلية من غيرهم، بل لقد ذكروا بأن مقتضى تلك الأحاديث كون علي عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء - عدا نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم - لأنه قد اجتمع فيه ما تفرّق فيهم من الصفات الجليلة، وقد أورد الفخر الرازي في تفسيره بذيل آية المباهلة هذا الاستدلال...

وتلخّص: دلالة الأحاديث على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد النبي مباشرةً من باب الأفضلية ولاشتماله على بعض الخصوصيات الأخرى.



الباب الرابع

الإمام علي عليه السلام في المدينة المنوّرة

الفصل الأول

حالة الإمام علي عليه السلام أثناء الهجرة وبعدها

الفصل الثاني:

حالة الإمام علي عليه السلام الاجتماعية

الفصل الثالث:

الإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جهاده

الفصل الأول

حالة الإمام علي عليه السلام أثناء الهجرة وبعدها

لقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة نتيجةً لما كانوا يلاقونه من عذاب وتعذيب قاسٍ على يد طغاة قريش ومشركيها، ولنشر الدعوة والهداية في مجتمع المدينة، فهاجر إليها عدد من الصحابة، وكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حشمة ثم عبد الله بن جحش ومعه اخوه وجميع أهله وتتابع الصحابة[١].

وقد استمرّت محاولات قريش لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقضاء على دعوته الإسلامية المباركة، فاجتمعت على قتله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره، وقد مات ناصره عمّه أبو طالب: فحضروا في دار الندوة فاجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قبائل قريش.

فطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الإمام علي عليه السلام المبيت في فراشه والنوم ببردته فنام في مكانه ليحسبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ((فكان الإمام علي عليه السلام موطّناً نفسه على القتل))[٢] وقد باهى الله تعالى به الملائكة لقول جبريل عليه السلام: ((بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب مَن مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات)).

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ١٢١/١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي، ٦٢/٢، البحار، ٥٦/١٩.

((وصار ﷺ إلى الغار فكمن فيه وأتت قريش فراشه، وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله ﷺ وهو يتضوّر (أي يتقلّب) وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح فهجموا عليه.

فلما بصر بهم الإمام علي عليه السلام قد انتضوا السيوف واقبلوا عليه يقدمهم خالد بن الوليد، وثب الإمام علي عليه السلام فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر[١] ويرغو رغاء الجمل، وأخذ من يده السيف وشدّ عليهم بسيف خالد، فاجفلوا أمامه إجفال النعم إلى خارج الدار، وتبصّروه فإذا الإمام عليّ. قالوا: وإنّك لعليّ؟

قال: أنا علي، قالوا: لم نردك، فما فعل صاحبك؟[٢]

قال: قلتم له: إخرج عنّا، فخرج عنكم.

قال الخطيب: ونوم الإمام عليه السلام في فراش محمد ﷺ وارتداؤه لباسه والتصرّف على أنه رسول الله ﷺ أكبر دليل على خلافة الإمام علي عليه السلام لخاتم الأنبياء[٣].

((وقد نزلت في مبيت الإمام علي في فراش النبي ﷺ: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾[٤].

---

(١) يصرخ من الألم.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٣٩/٢. ابن الصبّاغ المالكي الأصل المطبوع بكراجي، أمالي الشيخ الطوسي، ٨٢/٢.

(٣) علي بن أبي طالب، عبد الكريم الخطيب، ص١٠٥ - ١٠٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٧. شرح النهج، المعتزلي، ٢٦٢/١٣.

الإمام علي عليه السلام يؤدّي الأمانات:

لما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة المكرمة إلى المدينة المنورة (يثرب) سابقاً اهتمّ أشد الاهتمام بردّ الأمانات إلى أهلها على الرغم من الخطورة المترتبة على هذا العمل.

وكان المضحّي بهذا الدور الخطير الإمام علي عليه السلام إذا أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينادي صارخاً بالأبطح غدوةً وغشيّاً: ((من كان له قِبل محمد أمانة فليأتِ فلنؤدّ له أمانته)).

وبعد ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نادى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((من كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدّة أو دَين فليأتني)).

واستمرّ الإمام عليه السلام في ندائه المذكور كلّ عام عند العقبة يوم النحر وتولّى ذلك بعده الإمام الحسن عليه السلام ثم الإمام الحسين عليه السلام فلا يأتي أحد من خلق الله تعالى إلى الإمام علي عليه السلام بحق أو باطل إلاّ أعطاه[١].

والواقع إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخل بتعهداته أو يخون أماناته حتى ولو كانت الظروف المحيطة صعبة والخطورة تهدّد حياته الشريفة في تلك اللحظات المتسارعة التي يطير لبُّ العاقل فيها. ولم ينسَ النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يوكل هذه المهمّة إلى رجل بطل شجاع يقوم بها خير قيام، ولم يكن إلاّ الإمام علي عليه السلام لأنه الأعرف بشؤون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبالمودعين وأموالهم وهو القويّ الأمين، والمخلص الحريص على سلامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة المباركة.

(١) الطبقات، ابن سعد، ٢/ القسم الثاني، ص٧٩.

١- الطريق إلى قُبا:

إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعد أن أدّى الأمانات إلى مَن كان من أصحابها أقام على الكعبة منادياً بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عِدة له قبل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فلما لم يأتِ أحد لحق بالنبي صلى الله عليه وآله وكان مقام علي بن أبي طالب بعد النبيّ بمكّة ثلاثة أيام[١].

وقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قُبا بسلام واستقبلته جموع الأنصار، ومن هناك بعث بكتابه إلى علي عليه السلام يأمره فيه بالمسير إليه والإسراع إلى اللحاق به وكان قد أرسل إليه أبا واقد الليثي، وحين وصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله أعدَّ العدّة عليه أفضل الصلاة والسلام للهجرة واللحاق برسول الله (ص) في قُبا، وقد تحمّل عليه السلام كثيراً من الشدائد والأذى من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله ونجاح رسالته المباركة.

٢- الإمام علي عليه السلام هاجر بالفواطم إلى المدينة:

في اللحظة التي وصل فيها كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام بواسطة أبي واقد الليثي يأمره باللحاق به (اشترى علي عليه السلام الركائب وأعدّ العدّة للخروج، وأمر مَن بقي معه من ضعفاء المسلمين أن يتسلّلوا ويتخفّفوا[٢] إذا ملأ الليل بطن كل وادٍ إلى ذي طوى[٣]، وبدأت المهمة الشاقّة الثالثة أمام

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب، ٥٨/٢، ومروج الذهب للمسعودي، ٢٨٥/٢.

(٢) يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئاً يثقل عليهم.

(٣) ذي طوى: موضع قرب مكّة.

علي عليه السلام وهي الرحيل برفقة النساء نحو يثرب، وخرج هو ومعه الفواطم: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمّهُ فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة، وتبعهم أيمن مولى رسول الله وأبو واقد الليثي)[١].

وتولّى أبو واقد الليثي سوق النياق ولشدّة خشيته كان يحثّ الخطى سريعاً حتى لا يلحق بهم الأعداء.

وعزّ على علي عليه السلام أن يرى نساء بني هاشم على تلك الحالة من الجهد والعناء من سرعة الحركة، فقال عليه السلام: ارفق بالنسوة أبا واقد إنهنّ من الضعائف، وأخذ بنفسه يسوق الرواحل سوقاً رقيقاً، وهو ينشد ليبعث الطمأنينة في نفوس مَن معه.

وليس إلاّ الله فارفع ضنكا   يكفيك ربُّ الناس ما أهمّكا

واستمر علي عليه السلام على هدوئه في قيادة الركب حتى شارف على قرية في الطريق تُسمى ((ضجنان)) وهناك أدركته القوّة التي أرسلتها قريش للقبض عليه ومَن معه وإعادتهم إلى مكة، وكانوا سبعة فوارس من قريش ملثّمين معهم مولى لحرب ابن أمية اسمه (جناح) فقال علي عليه السلام لأيمن وأبي واقد: أنيخا الإبل وأعقلاها، وتقدّم هو فأنزل النسوة ثم استقبل الفوارس بسيفه فقالوا له: أضننت يا غدّار أنك ناجٍ بالنسوة ارجع لا أباً لك.

---

(١) أمالي الطوسي، ٧٤/٢ وعنه بحار الأنوار، ٦٤/١٩.

فقال عليه السلام فإن لم أفعل؟... فازدادوا حنقاً وغيضاً منه، فقالوا له: لترجعنّ راغماً أو لنرجعنّ بأكثرك شعراً وأهون بكَ من هالك.

ودنا بعضهم نحو النياق ليفزعوها حتى يدخلوا الخوف والرعب إلى قلوب النسوة، فحال علي عليه السلام بينهم وبين ذلك، فأسرع نحوه جناح وأراد ضربه بسيفه فراغ عنه علي عليه السلام وسارعه يضربه على عاتقه فقسمه نصفين حتى وصل السيف إلى كيف فرس جناح(١)، ثم شدّ على بقيّة الفرسان وهو راجل، ففرّوا من بين يديه فزعين حائفين.

وقالوا: احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب، فقال لهم: فإنّي منطلق إلى أخي وابن عمّي رسول الله، فمَن سرّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ منّي، فهرب الفرسان على أدبارهم خائبين.

ثم أقبل عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقال لهما: اطلقا مطاياكما فواصل الركب المسير حتى وصلوا (ضجنان) فلبث فيها يوماً وليلة حتى الحق به نفر من المستضعفين، وبات فيها ليلته تلك هو والفواطم يصلّون ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلّى بهم علي عليه السلام صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله حتى قدموا المدينة.

وقد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم وما أعدّه الله لهم من الثواب والأجر العظيم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى

---

(١) بحار الأنوار، ٦٥/١٩.

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ... فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ... وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ... وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في (قُبا) نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يصلي الخمس قصراً يقولون له: أتقيم عندنا فنتخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول صلى الله عليه وآله: لا إني انتظر علي بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله(٢).

وحين وصل علي عليه السلام كانت قدماه قد تفطّرتا من فرط المشي وشدّة الحرّ، وما أن رآه النبي صلى الله عليه وآله على تلك الحالة، حتى بكى عليه إشفاقاً له، ثم مسح يديه على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك(٣).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم عليه علي عليه السلام تحوّل من قباء إلى بني سالم ابن عوف وعلي معه، فخطّ لهم مسجداً، ونصب قبلته، فصلى بهم فيه ركعتين، وخطب خطبتين، ثم راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعليّ لا يفارقه، يمشي بمشيه، وأخيراً نزل رسول الله صلى الله عليه وآله عند أبي أيوب الانصاري وعلي معه حتى بنى له مسجده وبنيت له مساكنه، ومنزل علي عليه السلام فتحولا إلى منازلهما(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١ - ١٩٥. راجع بحار الأنوار، ٦٦/١٩ - ٦٧.

(٢) روضة الكافي، ص٢٣٩.

(٣) بحار الأنوار، ٦٤/١٩، المناقب لابن شهرآشوب، ١٨٢/١، والكامل لابن الأثير، ١٠٦/٢.

(٤) روضة الكافي، ص٣٣٩ - ٣٤٠.

٣- مسلموا المدينة المنوّرة يستقبلون رسول الله ﷺ:

ولّما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ إلى بلدهم كانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة ينتظرون قدومه ﷺ حتى يردّهم حرّ الظهيرة.

ولما أوصل رسول الله ﷺ المدينة، استقبله الناس وقال النساء والولدان شعراً جاء فيه:

طلعَ البدرُ علينا — من ثنّيات الوداع
وجب الشكرُ علينا — ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع[1]

وقد فرح مسلموا المدينة بقدوم رسول الله ﷺ فرحاً لا يوصف، ولقد تمنّى أهلُ كلّ دار أن ينزل عندهم رسول الله ﷺ، وببركة رسول الله ﷺ ((انتشر الإسلام في المدينة المنوّرة بصورة سريعة في السنة الأولى من وصول رسول الله ﷺ إليها فأسلم أهلها إلاّ ما كان من خطمة وواقف. ووائل وأُمية وتلك أوس الله وهم حي من الأوس فإنهم أقاموا على شركهم، ثم أسلموا))[2].

٤- بناء مسجد المدينة المنوّرة:

لما وصل رسول الله ﷺ المدينة ركب ناقته وأرخى لها الزمام فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلاّ دعاهُ أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلمّ يا

(١) دلائل النبوّة للبيهقي، ٢/٢٣٣، فتح الباري، ٧/٢٠٤، السيرة الحلبية، ٢/٥٤، وتاريخ الخميس، ١/٣٤١.

(٢) الروض الآنف، ٤/٢٣٩.

رسول الله إلى العدد والعُدّة والمنعة فيقول لهم ﷺ: ((خلّوا زمامها فإنها مأمورة حتى انتهت إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده))[١]. فعوّضه الله تعالى محبّة الأنصار بدل بغض قريش.

وكان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجّار وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به.

فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلاّ ما عند الله، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبشت، وكانت القبور دارسة، وتولّى النبي ﷺ بناء مسجده بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار[٢].

واشتغل الصحابة من مهاجرين وأنصار ببناء المسجد النبويّ، ولما أثقلوا عمّار بن ياسر باللبن لبناء المسجد قال: يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون.

فنفض النبي ﷺ وفرته بيده وهو يقول: ((ويح ابن سُميّة ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية))[٣].

وكانت مشادة حدثت بين عمار بن ياسر وعثمان بن عفان في غبار نال عثمان من بناء المسجد بعدما مرّ وهو واضع كمّه على انفه.

---

(١) سيرة ابن هشام، ١٤٠/٢.

(٢) تاريخ الطبري، ٢/ص١١٦ – ١١٧.

(٣) الروض الآنف، ٢٣٥/٤. سيرة ابن هشام، ١٤٢/٢.

فقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

لا يستوي مَن يبتني المساجدا يظل فيها راكعاً وساجداً
كمن يمرّ بالغبار حائداً يعرض عنه جاهداً معانداً

٥- المؤاخاة بين المسلمين:

أ - المؤاخاة قبل الهجرة:

حين شرع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتكوين نواة المجتمع الإسلامي وأراد أن يزيد من تماسك عرى العلاقات بين أفراد المجتمع آخى صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين في موقف صريح بيّن ليرسّخ مبدأ أساسياً من مبادئ الإسلام الحنيف، وهو ما تتطلبه الدعوة الإسلامية في مرحلتها السرية والعلنية فوقعت أول مؤاخاة في الإسلام في مكّة قبل الهجرة ..وحين تتفحّص عملية المؤاخاة نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضمّ الشكل إلى الشكل والمثل إلى المثل[١] لأن الأخوة عملية استراتيجية واسعة ذات معاني ودلالات حركيّة في مسيرة الدعوة الإسلامية، فعبر جسر الأخوة تتماسك العلاقات بين المسلمين كما تنضج الأفكار ويتحقق الإبداع.

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما آخى بين أصحابه آخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، ولم يؤاخِ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم[٢].

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي، ص١٩٤.

(٢) الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي، ص٣٨. والغدير للعلاّمة الأميني، ١١٢/٣.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله: لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت بغيري، فإن كان هذا من سخطٍ عليّ! فلك العُتبى والكرامة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلاّ لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي وأنت أخي ووارثي.

فقال عليه السلام: وما أورث منك؟ قال صلى الله عليه وآله: ما ورّث الأنبياء من قبلي، كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، وأنت معي في قصري في الجنّة.

ب - المؤاخاة بعد الهجرة:

وفي السنة الأولى من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين إلى المدينة وبعد مضي خمسة أشهر على وصولهم المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وآله أولاً بين المهاجرين أنفسهم[1] فاشتهرت هذه المؤاخاة في كتب المسلمين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار[2] ثانياً.

وكانت المؤاخاة بين كلّ ونظيره في الدّين فقد آخى بين نفسه صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام فالإمام نفس النبي صلى الله عليه وآله[3].

وآخى بين أبي بكر وعمر، وآخى بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة[4] وآخى بين الزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد

(١) الطبقات لابن سعد، ج١، قسم ٢ ص١.

(٢) البحار، ١٢٢/١٩، فتح الباري، ٢١٠/٧، تاريخ الخميس، ٣٥/١، والسيرة الحلبية، ٩٢/٢.

(٣) السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان، ١٥٥/١، تاريخ الخميس، ٣٥٣/١. فتح الباري، ٢١١/٧.

(٤) المستدرك، ١٤/٣. السيرة الحلبية، ٢٠/٢. فتح الباري، ٢١١/٧.

الله، وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة[١] وآخى بين سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان[٢].

جاء في الرواية: لما آخى رسول الله بين المسلمين بقي الإمام علي عليه السلام فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ((آخيت بين أصحابك وتركتني)).

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدّعيها بعدك إلاّ كذّاب، والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلاّ لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي))[٣].

والتآخي بينهم كان على الحق والمواساة، وكان عددهم يومها تسعين رجلاً خمسة وأربعون رجلاً من الأنصار ومثلهم من المهاجرين.

واهتم رسول الله صلى الله عليه وآله بالمؤاخاة بين المسلمين فقد أجراها في مكة والمدينة ثم أجراها بين المهاجرين والأنصار[٤].

---

(١) الطبقات لابن سعد، ١٠٢/٣.

(٢) المستدرك، ١٤/٣. السيرة الحلبية، ٢٠/٢. فتح الباري، ٢١١/٧.

(٣) تفسير البرهان، ٩٣/٢. السيرة النبوية لأبي حاتم، ١٤٧/١. أعلام النساء، ١١٥/٤ والإمامة والسياسة، ١٣/١.

(٤) تذكرة الخواص لابن الجوزي، ص٢٢ - ٢٤. ينابيع المودة، ص٥٦ - ٥٧. السيرة الحلبية، ٢٠/٢، ٩٠. المستدرك، ١٤/٣. البداية والنهاية، ٢٢٦/٣. جامع الترمذي، ١٣/٢. الإصابة، ٥٠٧/٢. كنز العمال، ٢٩٤/٦، ٢٩٩.

والمؤاخاة أفضل عمل اجتماعي عمله رسول الله ﷺ لوحدة المسلمين تحت راية الإسلام ولأهميته كرّرهُ ﷺ في مكة والمدينة وقد أرسى بذلك قواعد الأخوة والانسجام والمحبّة والتآلف الراقي الذي مكّن المسلمين من الانتصار في الحياة الاجتماعية والثقافية والعسكرية والسياسية.

الفصل الثاني
حالة الإمام علي عليه السلام الاجتماعية

زواج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة (عليها السلام) سيدة نساء العالمين:

بعد أن استقر المقام بالمسلمين وبدأت مبادئ الإسلام وتعاليمه تترسّخ في نفوس المسلمين وظهرت يدهم القويّة في الدفاع عن الرسول والرسالة تفتّحت العلاقات بين المسلمين في صورة مجتمع متمدّن ونهضة ثقافية اجتماعية شاملة، يتزعّمها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذي عصمه الله في الفهم والتلقي والإبلاغ والتربية والتنفيذ، وها هو علي عليه السلام قد تجاوز العشرين من عمره الشريف وهو يصول في سوح الجهاد والدفاع عن العقيدة والدعوة الإسلامية، ويقف مع الرسول في كلّ خطواته، وقد بلغ من نفس الرسول أعلى منزلة يعيش معه وهو أقرب من أي واحد من المسلمين، وبعد أن انقضت سنتان من الهجرة وفي بيت الرسول بلغت ابنته الزهراء (عليها السلام) مبلغ النساء، وشرع الخُطّاب بما فيهم أبو بكر وعمر[1] يتسابقون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلبونها منه وهو يردّهم رداً جميلاً ويقول: إني أنظر فيها أمر الله، وكان عليّ من الراغبين في الزواج منها.

ولكن كان يمنعه عن مفاتحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحياء وقلّة ذات اليد، فلم يكن علي عليه السلام من الذين يملكون الأموال وبتشجيع من بعض أصحاب الرسول تقدّم عليّ

(١) كشف الغمة، ٣٥٣/١.

لخطبة الزهراء فدخل على النبي وهو مطرق إلى الأرض من الحياء، فأحسّ النبي ﷺ بما في نفسه فاستقبله ببشاشته وطلاقة وجهه الكريم، وأقبل عليه يسأله برفق ولطف عن حاجته، فأجابه عليه السلام بصوت ضعيف: يا رسول الله تزوّجني من فاطمة؟

فردّ النبي ﷺ قائلاً: مرحباً وأهلاً، ودخل على بضعته الزهراء ليعرض عليها رغبة علي عليه السلام فيها فقال ﷺ لها: لقد سألتُ ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد عرفت علياً وفضله ومواقفه، وجاءني اليوم خاطباً فما ترين؟ فأمسكت ولم تتكلّم بشيء، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: سكوتها رضاها وإقرارها.

ثم إنّ الرسول ﷺ جمع المسلمين وخطب فيهم، فقال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي(١).

ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال:

لقد أمرني ربّي أن أزوّجك من فاطمة... أرضيت هذا الزواج يا عليّ؟ فقال علي عليه السلام رضيته يا رسول الله، وخرّ ساجداً لله.

فقال النبي ﷺ: بارك اللهُ فيكما، وجعل منكما الكثير الطيّب.

وجاء علي عليه السلام بالمهر الذي هيّأه من بيع درعه فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فأمر الرسول أبا بكر وبلالاً وعماراً وجماعة من الصحابة وأُم أيمن لشراء

---

(١) كنز العمال، ٦٠٠/١١، ح٣٢٨٩١. المعجم الكبير للطبراني، ٤٠٨/٢٢، ح١٠٢٠، الصواعق المحرقة، ١٢٤.

جهاز الزواج، ولمّا تمّ الجهاز وعُرض على الرسول، جعل يقلّبه بيده ويقول: بارك الله لقوم جُلّ آنيتهم من الخزف.

وبيسرٍ وبساطة ودون تكاليف تمّت الخطبة والزواج، وكان الجهاز من أبسط ما عرفته المدينة واحتفل النبي وبنو هاشم بهذا الزواج الميمون(١).

وروي أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عوتب في زواج فاطمة (عليها السلام) فقال: ((لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب لما كان لفاطمة كفؤ)).

وفي خبر آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال مخاطباً علياً عليه السلام: ((لولاك لما كان لها كفؤ على وجه الأرض))(٢).

لماذا يخطبُ أشراف قريش فاطمة؟

فاطمة الزهراء وما أدراك ما فاطمة الزهراء سلام الله عليها وصلواته وبركاته!!

كفاها من عظيم شأنها وقدرها ((لو لم يُخلق الإمام علي ما كان لفاطمة كفؤ)) مطلقاً من كلّ المسلمين لأن السرّ العظيم مستودع فيها، وهي حوراء إنسية، وصدّيقة طاهرة، وأمّ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم. وقد كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه إذا قدم من كلّ غزوة أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثم يخرج فيأتي فاطمة فيبدأ بها

---

(١) كشف الغمّة، ٣٤٨/١. بحار الأنوار، ٩٢/١٣ ودلائل الإمامة للطبري، ص١٦ – ١٧.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب، ١٨١/٢.

قبل بيوت أزواجه، وتقول الرواية: ((فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي))[(١)].

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة (عليها السلام) وأول من يدخل عليها إذا قدم فاطمة عليها السلام))[(٢)].

وفي يوم من الأيام ((أن فاطمة سلام الله عليها شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبي ﷺ سبيٌ فأنطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها. فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إليها))[(٣)].

وبعد نزول آية التطهير بقي رسول الله ﷺ ستّة أشهر يمرُّ على بيت فاطمة (عليها السلام) ويقول: ((السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة))[(٤)].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((فاطمة أمّ أبيها))[(٥)].

وقد روى ابن عباس، إن النبي ﷺ كان إذا قدِم من سفر قبّل ابنته فاطمة (عليها السلام)))[(٦)].

---

(١) المستدرك، الحاكم، ١٦٩/٣ ح٤٧٣٧، حلية الأولياء، ٣٠/٢. المعجم الكبير للطبراني، ٢٢٥/٢٢، ح٥٩٥.

(٢) مسند أحمد، ٢٧٥/٥. سنن أبي داود، ٨٧/٤، ح٤٢١٣. الصواعق المحرقة، ص١٠٩ وسنن البيهقي، ٢٦/١.

(٣) صحيح البخاري، ١٣٥٨/٣، ح٣٥٠٢. صحيح مسلم، ٢٦٢/٥، ح٢٧٢٧. حلية الأولياء، ٤١/٢.

(٤) سنن الترمذي، ٢٩/٢. تفسير الطبري، ٥/٢٢. مسند أحمد، ٢٥٢/٢.

(٥) أُسد الغابة، ٢٢٠/٧. الاستيعاب، ٣٨٠/٤.

(٦) أُسد الغابة، ٢٢٤/٧. مجمع الزوائد، ٤٢/٨. ذخائر العقبى، ص٣٦.

وقد خاطب رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام قائلاً: ((يا عليّ أُوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهن أحدٌ ولا أنا: أُوتيت صهراً مثلي ولم أُوتَ أنا مثلي، وأُوتيت (زوجة صدّيقة مثل فاطمة) ولم أُوت مثلها زوجة، وأُوتيت الحسن والحسين من صلبي ولم أُوتَ من صلبي مثلهما ولكنكم منّي وأنا منكم))[١].

وفاطمة سلام الله عليها هي البنت الوحيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما زينب ورقيّة فهما ربائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك رغب الصحابة في الزواج منها مع وجود زينب بعد طلاقها من أبي العاص.

وقد قال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل بني أنثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أبوهم، وأنا عصبتهم))[٢].

ولقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة واضحة وصريحة منزلة فاطمة (عليها السلام) السامية في الدنيا والآخرة حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاطمة سيّدة نساء العالمين وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة))[٣].

لذلك فإن الذي يكون زوجاً لها عليه السلام فهو كفؤ لها وسيّد في الدنيا والآخرة، وهذه المنقبة العظيمة لم تكن موجودة إلاّ في علي أمير المؤمنين عليه السلام حصراً دون غيره من الصحابة وجميع المسلمين، لذلك رفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ مَن تقدّم لخطبتها عليها السلام إلاّ علياً عليه السلام، بأمر الله سبحانه.

---

(١) الرياض النضرة، ٢٠٢/٢. نظم الدرر، الحنفي، ١١٢. جوهر المطالب، ابن الدمشقي، ٢٠٩/١.

(٢) ذخائر العقبى، ص١٦٩.

(٣) سنن البخاري، ٢٥/٥، ٣٦. سنن الترمذي، ٣٧٨١/٥. مسند أحمد، ٣٩١/٥.

ولقد قال العلاّمة المعتزلي: ((إن إنكاحه (علياً) إياها ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة))[1].

وقال النبي ﷺ لفاطمة (عليها السلام): ((فوالله ما زوّجتك أنا، بل اللهُ زوّجكِ به...))[2].

أضف إلى ذلك إن فاطمة الزهراء أبوها ﷺ سيد الرسل عليه السلام وأمها خديجة أم المؤمنين. خديجة وما أدراك ما خديجة، تلك المرأة الصالحة ذات الحسب والنسب الوضّاء الذي يلتقي مع حسب ونسب رسول الله ﷺ، وكانت تُلقّب في الجاهلية: (بالسيّدة) و (الطاهرة) و (الجليلة) لعِظَم شخصيتها، وسموّ منزلتها، وكرم أخلاقها، وجمال آدابها، ودماثة خُلقها، كيف لا، وقد أصطفاها الله سبحانه أن تكون زوجةً لخاتم النبيّين وسيّد المرسلين، ورحماً لسيدة نساء العالمين، وأُماً للمؤمنين، وعضداً أيمناً لرسول رب العالمين، وسبباً قوياً في إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وهزيمة الكفر والشرك، وانتصار العقيدة الإسلامية والدين الجديد.

نعم، إنّ السيدة المبجّلة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) كانت من أثرى أثرياء العرب قبل الإسلام وتجارتها ممتدّة بين الحجاز والشام واليمن، وقد اشتغل الكثيرون في تجارتها الضخمة حتى رسول الله ﷺ الذي توّجها وبارك فيها وأدرّ عليها أرباحاً طائلة عندما كان في بداية عقده الثالث من عمره الشريف.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٩٣/٩.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص٢٠٥ - ٢٠٦.

وقد آثرت هذه المرأة العظيمة وهي في سن الثامنة والعشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها الشريف أن تمهّد الطريق لتصبح زوجةً للصادق الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن رفضت كلّ مَن خطبها ورغب في الزواج منها من أشراف العرب وزعمائهم. وقد أحبّته وأخلصت له، وأعانته قبل الدعوة المباركة وبعدها، وقد جعلت كل أموالها في خدمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنجاح الرسالة حتى وصل بها الحال عليها السلام إلى أن تفترش الأرض وتلتحف السماء وتشدّ الحجارة على بطنها من شدّة الجوع كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيت النبوّة، خصوصاً في شِعب أبي طالب عليه السلام أيام الحصار الظالم لهم من قبل مشركي قريش وطواغيتهم البغاة العصاة.

لذلك عندما فقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزن حزناً شديداً وتألم عليها ألماً عظيماً حتى سمّى ذلك العام الذي توفيت به هي وأبو طالب عليهما السلام (عام الحزن) وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً))[1].

وقد ألبسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه أو ملابسه التي كان مرتديها أثناء نزول الوحي عليه السلام عليه والمخاطبة له، تنفيذاً لما طلبت عليها السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزل في قبرها ودعا لها بالمغفرة والرحمة والجنّة وقد بشّرها صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق جبرئيل عليه السلام إن الله تعالى قد بنى لها بيتاً في الجنة، فلا تحزن ولا تخشى، تكريماً لها عليها السلام ولما أسدته للرسول والرسالة من خدمات جليلة.

(١) تاريخ اليعقوبي، ٣٥/٢، عيون الأثر، ١٧١/١.

ومع كل هذه المناقب العظيمة التي تحلّت بها أم المؤمنين خديجة أم فاطمة سيّدة النساء في الدنيا والآخرة، حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته الحنون التي ما فتئ رسول الله ﷺ يذكرها بخير، ويمتدحها، ويترحّم عليها كلّما ذكرها، إلاّ أنّ بني أميّة أنزلوا نقمتهم وحقدهم عليها ولم يذكروها بخير.

وعلى كل حالٍ فإن السيدة الجليلة خديجة سلام الله تعالى عليها تبقى شامخة في سماء المجد والعزّة والشرف، ومتألقة في دنيا الإسلام والإيمان والفضيلة، وهي (عليها السلام) في غنىً عن مدح المادحين من بني أميّة أو غيرهم، بعد أن بوّأها ربّها مبوأ صدقٍ ورفعها مكاناً علياً، ولها البشرى وهي من الآمنين، والخالدين في جنّات النعيم.

نعم، هكذا هي خديجة سلام الله عليها، نِعمَ المرأة الصالحة ذات الحسب والنسب والمثل العليا، ونعمَ الزوجة المؤمنة المضحّية المجاهدة التي آزرت زوجها رسول الرحمة ﷺ في تبليغ الدعوة ونشر الإسلام وإعانة المسلمين والمجاهدين، وهي الساعد الفاعل في إدخال السرور على رسول الله ﷺ والترويح عنه، ومشاطرته آلامه وأحزانه ومعاناته، وقد عملت بجدٍّ في بث النشاط فيه ﷺ كي لا يشعر بالتعب لذلك كان ﷺ يسكن إليها ويشاورها في المهم من أموره.

هذه هي أم فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأكرم بها من أم!! وأعظِم!!

الاهتمام الرباني والعناية الإلهية في خلق فاطمة (عليها السلام):

لقد اقتضت المشيئة الإلهية والحكمة الربانية في إيجاد البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصدّيقة الزكية فاطمة (عليها السلام) فقد ترعرعت في بيت الإيمان ومدرسة الرسالة وقيم السماء، وكانت تتغذى من أخلاق أبيها عليه السلام وعلومه وشخصيته، وسموّ ومجد أمها حتى غدت (عليها السلام) فريدةً من نوعها، ولا غرو في ذلك البتة لأن تاريخها قد اقترن بتاريخ الرسالة، بل هكذا شاءت قدرة الله وحكمته في خلقها ووجودها سلام الله عليها.

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مسألة خلقها في مواطن عديدة:

((فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام فناداه: ((يا محمد! العليُّ الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمركَ أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً)) فبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وأخبرها بالأمر الإلهي، وأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً يصوم نهاراً ويقوم ليلاً، فلما كان تمام الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: (يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيته وتحفته)).

فبينما النبي كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطّى بمنديل سندس، فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال:

((يا محمد يأمرك ربّك أن تجعل الليلة افطارك على هذا الطعام)) فأكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبعاً وشرب من الماء رياً، ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: ((الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتى تأتي منزل خديجة فإن الله - عزّ وجل -

آلى على نفسه أن يخلق من صلبَك في هذه الليلة ذرية طيبة)) فوثب رسول الله ﷺ إلى منزل خديجة (رض).

قالت خديجة (رض): وكنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنّني الليل غطيت راسي، واسجفت ستري وغلقت بابي، وصليت وردي، واطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي، فلما كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمتبهة، إذ جاء النبي فقرع الباب فناديت:

((مَن هذا الذي يقرع حلقه لا يقرعها إلاّ محمد ﷺ))؟

قالت خديجة: فنادى رسول الله ﷺ بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: ((افتحي يا خديجة، فأني محمد)) وفتحتُ الباب ودخل النبيّ المنزل، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنّي النبي ﷺ حتى أحسستُ بثقل فاطمة في بطني))[1].

فاطمة النسمة الطاهرة وأنس أمّها بها:

لما تزوجت خديجة بنت خويلد رسول الله ﷺ هجرتها نُسوة مكّة وكنّ لا يكلمنها ولا يدخلن عليها، فلما حملت بالزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت إذا خرج رسول الله ﷺ من منزلها تكلّمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدّثها وتؤانسها، فدخل يوماً رسول الله ﷺ وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها: ((يا خديجة مَن تكلّمين؟ قالت: يا رسول الله إنّ الجنين الذي

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٧١ - ٨٠ وروى هذا المضمون: الذهبي ف يميزان الاعتدال، ج٣، ص٥٤٠ والخطيب البغدادي في تاريخه، ج٥، ص٨٧ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى، ص٥٤ - ٥٥.

أنا حامل به إذا أنا خلوتُ به في منزلي كلّمني وحدّثني من ظلمة الأحشاء، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

((يا خديجة! هذا أخي جبرئيل عليه السلام يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهّرة، وإن الله تعالى أمرني أن أُسميها (فاطمة) وسيجعل اللهُ تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون))(١).

وروي أنه لما سال الكفّار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يريهم انشقاق القمر - وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر - قالت خديجة: واخيبة مَن كذّب محمداً وهو خير رسول ونبي، فنادت فاطمة من بطنها: ((يا أمّاه! لا تحزني لا ترهبي فإن الله مع أبي))(٢).

أجل، إن فاطمة الزهراء سلام الله عليها لها شأنٌ عظيم وسيجعل الحقُّ تعالى من ذريتها أئمةً معصومين يهتدي بهم المؤمنون وهم: الحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذرية الحسين سلام الله عليهم أجمعين، أعلام هداية ومصابيح دجى من تمسّك بهم نجا في الدنيا والآخرة، ومَن تخلّف عنهم خسر وهوى في حياتيه: الآخرة والأولى.

---

(١) عن الثاقب في المناقب للطوسي، ص١٨٧. راجع مسند فاطمة عليها السلام للتويسركاني، ص٧٥.

(٢) الروض الفائق: ص٣١٤. والجنّة العاصمة، ص١٩٠. مسند فاطمة عليها السلام ص٧٧. انظر إعلام الهداية، ج٣، ص٥٨.

مريم بنت عمران وصاحباتها عليها السلام يحضرن ولادة فاطمة (عليها السلام):

انقضت أيام الحمل واقترب موعد الولادة ولم تزل خديجة تأنس بجنينها وتعيش الأمل على الفرحة بالولادة، فلما حضرتها الولادة أرسلت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم أن يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء في مثل هذا الظرف، فأرسلن إليها:

عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شيئاً، فاغتمت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنّ، فقالت إحداهن:

لا تحزني يا خديجة، فإنّا رسلُ ربك إليك، ونحن أخواتكِ، أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم اخت موسى بن عمران، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها والأخرى عن يسارها والثالثة من بين يديها والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة (عليها السلام) طاهرة مطهّرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكة، فتناولتها المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشهادتين ثم

سلّمت عليهن وسمّت كل واحدة منهنّ باسمها، واقبلن يضحكن إليها، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها(١).

فهنيئاً لكِ يا سيدتي ومولاتي هذه الولادة المباركة، يا أيتها الطاهرة المطهّرة الزكية الميمونة، يا مَن أشرق الكونُ بنورك وقد دخل بيوتات مكة، لقد بدأتِ الحياة بالاقرار بوجود الله والوحدانية له والتسليم لأمره وأن أباكِ عبده ورسوله جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والكافرون والحاقدون.

فهنيئاً لكِ وقد خاطبتِ أمك وأنت لا تزالين جنيناً: لا تحزني ولا ترهبي فإن الله مع أبي!!

مَن مثلك يا فاطمة: يا سيّدة نساء الجنة والدنيا والآخرة.

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمة (عليها السلام) لم يرضعها أحد غير خديجة(٢).

---

(١) دلائل الإمامة، ص٨ - ٩. نزهة المجالس، ج٢، ص٢٢٧. بحار الأنوار، ج١٦، ص٨٠ - ٨١. آمالي الصدوق، ص١٧٥.

(٢) عوالم العلوم، ١٦/١١ عن البداية والنهاية، ٣٠٧/٥ (طبع مصر).

تاريخ ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة فاطمة (عليها السلام) إلاّ إنّ المشهور بين مؤرخي الإمامية أنه في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادي الآخرة في السنة الخامسة من البعثة المباركة.

وقد روى أبو بصير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ قال:

((ولدت فاطمة في جمادي الآخرة يوم العشرين سنة خمس وأربعين من مولد النبي ﷺ، فأقامت بمكّة ثمان سنين وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً، وقبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة أحدى عشرة من الهجرة))[1].

ومن أسمائها: الصدّيقة هي الكثيرة التصديق، وقد كانت سلام الله عليها مصدّقة لأبيها صادقة في أقوالها صدوقة في أفعالها ووفائها، فهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها الصادق عليه السلام[2].

والمباركة باعتبار الخير الكثير الذي يأتي من قِبلها، وقد وصفها القرآن الكريم بالكوثر حينما قال الله تعالى مخاطباً رسوله الأكرم ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢)إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[3]. باعتبار أن النبي ﷺ قد انقطع نسله إلاّ منها.

(١) دلائل الإمامة، ص١٠.

(٢) بحار الأنوار، ١٠٥/٤٣. راجع المناقب، ٢٣٣/٣.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١ - ٣.

فهي أم الأئمة الأطهار وأم الذرية الطاهرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكثرة الذرية - التي دافعت عن رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحمّلت أعباء الوقوف أمام الظالمين والمنحرفين عنها - وهي الخير الكثير أو أهم مصاديقه التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما نصّ عليه في سورة الكوثر.

وعن ابن عباس، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال:

((ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث، وإنما سمّاها فاطمة لأن الله قطعها ومحبّيها عن النار))(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أن فاطمة حوراء إنسية كلما اشتقت إلى الجنّة قبّلتُها))(٢).

وقالت أم أنس بن مالك: (كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبهاً)(٣).

ولقّبت بالطاهرة لطهارتها من كل دنس وكلّ رفث، وأنها ما رأت قط يوماً حمرةً ولا نفاساً(٤) كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام. وقد شهد القرآن بطهارتها من الدنس في آية التطهير.

وكانت سلام الله عليها راضية بما قدّر لها من مرارة الدنيا ومشاقّها ومصابها وثوابها، مرضية عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها في

(١) تاريخ بغداد، ٣٣١/١٢، ح٦٧٧٢. كنز العمّال، ١٠٩/١٢.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي، ٨٧/٥. والغدير، ١٨/٣.

(٣) مستدرك الحاكم، ١٦١/٣.

(٤) بحار الأنوار، ١٩/٤٣.

سورة الدهر، إذ ارتضى ربها سعيها وآمنها من الفزع الأكبر، وهي ممن ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1] وخشي ربه دون شك كما نلاحظ ذلك في سيرتها.

والمحدّثة هي التي تحدّثها الملائكة، كما حدّثت الملائكة مريم ابنة عمران وأم موسى وسارة امرأة إبراهيم إذ بشّرتها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

وكنّاها رسول الله ﷺ: (بأم أبيها) تعظيماً لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازيها في محبّته لها ورفعة مكانتها لديه، وكان يعاملها معاملة الولد لأمّه كما كانت تعامله معاملة الأم لولدها، إذ كانت تحتضنه وتضمد جروحه وتخفّف من آلامه.

كما كُنّيت: (بأمّ الأئمة) إذ أخبر الرسول ﷺ: ((أن الأئمة من ولدها وأنّ المهدي من نسلها))[2].

الزهراء (عليها السلام) عند الله وعند رسوله ﷺ:

لقد سمت الزهراء في مكانتها وجلالة قدرها وعظيم شأنها ورتبتها عند الله تعالى وعند رسوله الأكرم ﷺ حتى أصبحت إنّ بارئها يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فمن رضت عنه فهو مرضيّ عند الله ورسوله، ومن غضبت عليه فهو في زمرة المغضوب عليهم من قبل الله تعالى ورسوله في الدنيا والآخرة، بدليل قول النبي الأعظم ﷺ فيها حيث قال:

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.

(٢) ينابيع المودة، ٢/٨٣. منتخب الأثر، ص١٩٢. كنز العمال، ١٣/١٠٥.

((إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها))[١].

((فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبّها فقد أحبّني))[٢].

((فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ))[٣].

((فاطمة سيّدة نساء العالمين))[٤].

لقد تواترت هذه الشهادات وأمثالها في كتب الحديث والسيرة[٥] عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتأثر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وهو الذي صلى الله عليه وآله قد ذاب في دعوته المباركة وأصبح أسوةً وقدوةً للناس.

نعم، لقد أصبحت كلُّ خفقات قلبه المبارك ولمسات يديه الشريفتين وخطوات سعيه المباركة والفاعلة، واشعاعات فكره الثاقب في كل قوله وفعله وتقريره معلماً من معالم الدين ومصدراً للتشريع ومصباحاً للهداية وسبيلاً للنجاة.

---

(١) كنز العمال، ١١١/١٢. ومستدرك الصحيحين، ١٥٤/٣. وميزان الاعتدال، ٥٣٥/١.

(٢) الصواعق المحرقة، ص٢٨٩. الإمامة والسياسة، ص٣١. كنز العمال، ١١١/١٢. خصائص النسائي، ص٣٥. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) فرائد السمطين، ٦٦/٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين، ١٧٠/٣.ابو نعيم في حلية الأولياء، ٣٩/٢. الطحاوي في مشكل الآثار، ٤٨/١.

(٥) مسند أحمد، ٢٦٦/٦ و ٣٢٣. وصحيح البخاري كتاب الاستئذان. وصحيح الترمذي، ٥، الحديث ٣٨٦٩. والاستصحاب، ٧٢٠/٢ و ٧٥٠.

أجل، إنّ أقواله ﷺ في فاطمة (عليها السلام) هي أوسمة منه ﷺ على صدرها الشريف تزداد نوراً وضياءً ساطعاً على كرّ الدهور ومرّ العصور. وقد قيل:

((إنها أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء، تزداد تألقاً كلّما مرّ الزمن، وكلّما تطورت المجتمعات، وكلما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه ﷺ لها: يا فاطمة اعملي لنفسك فإني لا أغني عنك من الله شيئاً))[١].

وأقوال رسول الله ﷺ في ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كثيرة، حيث قال ﷺ:

((كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)[٢].

وقال ﷺ:

((إنما فاطمة شجنة منّي يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها[٣] وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري...))[٤].

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال:

---

(١) فاطمة الزهراء وترفي غمد من مقدمة السيد موسى الصدر.

(٢) رواه صاحب الفصول المهمة، ٢٧. تفسير الوصول، ٥٩/٢. شرح ثلاثيات مسند أحمد، ٥١١/٢.

(٣) الشجنة: الشعبة من كل شيء كالغصن يكون من الشجرة. راجع مستدرك الحاكم، ١٥٤/٣. وكنز العمال، ١١١/١٢. الحديث: ٣٤/٢٤٠.

(٤) مسند أحمد، ٣٢٣/٤ و ٣٣٢. والمستدرك، ١٥٤/٣ و ١٥٩.

((مَن عرف هذه فقد عرفها ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله))(١).

وقال صلى الله عليه وآله: ((فاطمة أعزُّ البرية عندي))(٢).

هذه هي فاطمة (عليها السلام) لا تغضب إلاّ لله ولا ترضى إلاّ له، ومَن آذاها فقد آذى الله ورسوله ومن أحبّها فقد أحبّ الله ورسوله فهي الكاملة من النساء، والطاهرة من الرجس والأعز من الخلق عند الله والرسول صلى الله عليه وآله.

فهل هذه النصوص الشريفة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ دليل واضح على عصمتها وعظمتها وهي شاهدة على ذلك؟!!.

نعم ثمّ نعم، بل هي شاهدة على عصمتها عليها السلام ودالّة على جليل قدرها، وسموّ مرتبتها، وعظيم شأنها.

فتبّاً لشانئها، وظالمها، وغاصب حقّها وفدكها!!!

فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة عليهم السلام والصحابة والمؤرخين:

لما كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) عظيمة الشأن جليلة القدر، رفيعة المرتبة عند الله سبحانه وعند رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله فهي كذلك عند الأئمة عليهم السلام

---

(١) الفصول المهمة، ١٤٤ ورواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي، ١٣٣.

(٢) آمالي الطوسي، مجلس ١ حديث ٣٠ والمختصر، ١٣٦.

والصحابة والمؤرخين، وقد قالوا فيها أقوالاً تتناسب مع سموّ مرتبتها وشخصيتها وجلالة قدرها وقداستها، ومهما تكن الأقوال عظيمةً وهامّةً من غير المعصوم عليه السلام فإنها قاصرةٌ عن الايفاء لها، والتوضيح بمعالم شخصيتها المقدّسة، وشأنيتها المميّزة والفريدة من نوعها.

وعلى كل حال نذكر بعضاً من هذه الأقوال التي صدرت من أئمة معصومين، وصحابة ومؤرخين، وكتّاب منصفين:

١- جاء عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال:

((لم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة على فطرة الإسلام إلاّ فاطمة))(١).

٢- وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام إنه قال:

((والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم))(٢).

٣- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

((إنما سُميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها))(٣).

٤- وعن ابن عباس أنه قال:

((إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: (اللهم إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحبب مَن أحبّهم وأبغض من أبغضهم ووالِ من والاهم وعادِ من عاداهم، وأعن مَن

---

(١) روضة الكافي، حديث ٥٣٦.

(٢) كشف الغمة، ١/٤٦٣.

(٣) بحار الأنوار، ٤٣/١٩.

أعانهم وأجعلهم مطهّرين من كل رجس معصومين من كلّ ذنب وأيّدهم بروح القدس منك))[١].

٥- وعن أم سلمة أنها قالت:

((كانت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ))[٢].

٦- وعن عائشة أنها قالت:

((ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلاّ أن يكون الذي ولدها[٣]. وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها، وكان الرسول دائماً يختصّها بسرّه ويرجع إليها في أمره[٤])).

٧- وعن الحسن البصري أنه قال:

(أنه ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تورّم حتى تورّمَ قدماها)[٥].

(١) بحار الأنوار، ٦٥/٤٣ و ٢٤.

(٢) كشف الغمة، ٤٧١/١.

(٣) ذخائر العقبى، ص٥٤.

(٤) أهل البيت، ص١٤٤ لتوفيق أبو علم.

(٥) بحار الأنوار، ٨٤/٤٣.

٨- دخل عبد الله بن حسن على عمر بن العزيز وهو حديث السن، وله وقرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عكنة[١]، من عكنة فغمزها حتى أوجعه، وقال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لامهُ أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديث السن، فقال: إنّ الثقة حدّثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله ﷺ قال: (إنما فاطمة بضعة مني يسرّني ما يسرّها) وأنا أعلم أن فاطمة عليها السلام لو كانت حيةً لسرّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، وقولك ما قلت؟ قال: إنه ليس من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، فرجوتُ أن أكون في شفاعة هذا[٢].

٩- قال ابن الصبّاغ المالكي:

(... وهي بنت مَن أنزل عليه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد)[٣].

١٠- وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني عنها:

(من ناسكات الاصفياء وصفيّات الاتقياء فاطمة - رضي اللهُ تعالى عنها - السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول... كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة)[٤].

١١- وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي:

---

(١) وقرة: رزانة وحلم، العكنة: الطي الذي في البطن من السمن (المختار، باب عكن).

(٢) الاغاني، ٣٠٧/٨، مقاتل الطابيين، ص١٢٤.

(٣) الفصول المهمة، ص١٤١ طبعة بيروت.

(٤) حلية الأولياء، ٣٩/٢ طبعة بيروت.

وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه... حتى خرج بها، عن حبّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّة واحدة في مقامات مختلفة لا في مقام واحد:

((إنها سيدة نساء العالمين وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد)).

وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وكم قال لا مرّة:

((يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها، وإنها بضعة مني يريبني ما رابها))[1].

١٢- وقال المؤرخ الدكتور علي حسن إبراهيم:

(وحياة فاطمة هي صفحة فذّة من صفحات التاريخ نلمسُ فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كيلوبطرة استمدّت كلٌّ منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نادر، وهي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش وتتحدّى الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنما تجارب الدهر المليء بالتقلبات

(١) شرح نهج البلاغة، ١٩٣/٩.

والمفاجـآت، وجـلال لـيس مسـتمداً مـن ملـك أو ثـراء وإنمـا مـن صـميم النفس...))[١].

فاطمة (عليها السلام) وما أدراك ما فاطمة؟!

نعم، هذه هي فاطمة، وما أدراك ما فاطمة، فالحديث عنها (عليها السلام) يتجاوز الفسحة التي امتدّت بين اللحظة التي ابصرت فيها نور الحياة، واللحظة التي انطفأت من عينيها لمعة الحياة.

فإنها (عليها السلام) ابنة نبيّ أكرم هزّ جذور الفكر في الإنسان وقفز به فوق الأزمان والأجيال، وأرسى دعائم بناء العدل، وشيّد جدران المشروع الإنساني وصنعَ الحضارة، وأصلحَ البناء الذاتي للإنسان، وجسّد القيم الرفيعة في الحياة.

لقد حازت (عليها السلام) على كمال العقل، وجمال الروح، وبديع الصفات، وطيب الصفاء والسجايا، وكرم المحتد، وعاشت في جوّ ملؤه الحبّ والإيمان والنقاء، والايثار والصفاء، وشعّت عليه، وحلّقت به وامتدت وعبّرت عنه فكراً وانتاجاً وروعة وبهجة، حتى غدت خطاً في الرسالة الغراء التي انطلقت ثورةً وبناءً، فكانت هي سلام الله عليها ركناً من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرسالة من دون فهم تاريخها.

وقد مثّلت فاطمة الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأة من كرامة وإنسانية، وصيانة وقدسية، ورعاية وتربية، وسخاء وعناية، بالإضافة إلى ما

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ص٢١.

تملكه من ذكاء وقّاد، وفطنة حادّة، وعلم غزير، وشخصية عبقرية يندر وجود مثلها في عالم الخليقة. وكفاها فخراً أنها تربّت في مدرسة النبوّة وتخرّجت من معهد الرسالة، وتغذّت من تهذيب وعلوم أبيها ما لم تتعلمه طفلة في زمانها سواها سلام الله عليها.

لقد سمعت القرآن ونشأت نشأة اليقين والإيمان، والوفاء والزهد والاخلاص حتى غدت سليلة شرفٍ لا منازع لها فيه البتّة من أبناء وبنات جنسها، فوثقت بكفاية هذا الشرف الذي لا يُدانى.

لقد عاشت عليها السلام وهي تحذو حذوَ أبيها في كل كمال وجمال وانسانية ورحمة، حتى أصبحت وكأنها رسول الله صلى الله عليه وآله في خَلقه وخُلقه وعذوبة منطقه وحلاوة حديثه، لذلك قالت عائشة عنها: ((ما رأيتُ احداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وآله... ما رأيت احداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلاّ أن يكون الذي ولدها صلى الله عليه وآله)).

وهكذا صارت فاطمة الزهراء، صورة الانوثة الكاملة التي يتخشّع بتقديسها المؤمنون والأولياء والصالحون.

لذلك رغب في خطبتها الكثيرون إلاّ إنهم لم يفلحوا وباؤوا بالخيبة لأنهم ليسوا أكفاءً لها وأمر تزويجها بيد الله سبحانه، فهو أعلم بمن يكون كفؤاً لها، وهي كفؤ له، وكلاهما نسيجٌ لا يتكرر، ونور متماثل لا يتباين ولا يتعارض قط.

كيف لا يخطبونها وهي من أهل بيت اتّقوا الله وعلّمهم الله سبحانه!!

كيف لا يخطبونها وهي قد فُطمت بالعلم فسمّيت فاطمة، وانقطعت عن النظير فسمّيت بالبتول!!

وقد ((كانت فاطمة عليها السلام كريمة الخليقة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءة، غرّاء المكارم، فيّاحة نفّاحة، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها ماديّ الخيلاء، ولا يثني أعطافها الزهو والكبرياء))(١).

لقد كانت عليها السلام سبطة الخليقة في سماحة وهوادة إلى رحابة صدر وسعة أناة في وقار وسكينة ورفق ورزانة وركانة ورصانة وعفة وصيانة، عاشت قبل وفاة أبيها متهلّلة العزّة، وضّاحة المحيّا، حسنة البشر، باسمة الثغر، ولم تغرب بسمتها إلاّ منذ وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

كانت لا يجري لسانها بغير الحق ولا تنطق إلاّ بالصدق لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تحفظ السرّ، وتفي بالوعد، وتصدق النصح، وتقبل العذر، وتتجاوز عن الإساءة، فكثيراً ما أقالت العترة وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح...(٢).

((لقد كانت عزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها صادقة في نيّتها ووفائها وكانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل، عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكانت إذا ما كلّمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها وبينهم ستر يحجبها عنهم عفّةً وصيانة.

---

(١) أهل البيت، ص١٣٢ - ١٣٤.

(٢) انظر: إعلام الهداية، ٣/٣٦.

ومن عجيب صوتها أنها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يُطرح على المرأة الثوب فيصفها))[1].

وكانت الزهراء (عليها السلام) زاهدة قنوعة، موقنة بأن الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر، متمسكة بما قاله لها أبوها: (يا فاطمة: إصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد) فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة، قانعة بالقليل من الحلال، راضية مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها ﷺ: (إنما الغنى غنى النفس).

إنها السيدة البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها، وعزفت عن زخارفها، وصدفت عن غرورها، وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤولياتها، وهي تعاني شظف العيش ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان هم الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا وهي ترى إعراض أبيها ﷺ عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعُرِفَ عنها صبرها على البلاء وشكرها عند الرخاء ورضاها بواقع القضاء، وقد روت عن أبيها ﷺ: ((إن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه))[2].

(١) أهل البيت، ص١٣٢ - ١٣٤.

(٢) أهل البيت، ص١٣٧.

هذه فاطمة البتول، فطوبى لها، ولولا علي عليه السلام لم يكن كفؤ لها فهو عليه أفضل الصلام والسلام كفؤها الكريم فقط، لذلك أمر الله سبحانه نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتزويجها منه عليهما أفضل التحية والسلام.

قال الطبراني عن ابن مسعود:

((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ))(١).

الإمام علي عليه السلام يتقدّم لخطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

كان الإمام علي عليه السلام يفكّر في خطبة الزهراء، ولكنّه بقي عليه السلام بين الحالة التي يعيشها هو والمجتمع الإسلامي من فقر وفاقة وضيق في المعيشة، يصرفه عن التفكير في الزواج ويشغله عن نفسه وهواجسها في بناء الأسرة، وبين واقعه الشخصي وقد تجاوز الواحد والعشرين من العمر، وآن له أن يتزوّج من فاطمة التي لا كفؤ لها سواه، ولا كفؤ له سواها وهي نسيج لا يتكرر.

ذاتَ يوم وما أن أكمل الإمام عليه السلام عمله حتى حلَّ عن ناضحه وأقبل يقوده إلى منزله فشدّه فيه، وتوجّه نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان في بيت السيّدة أم

---

(١) كنزل العمّال، ٦٠٠/١١، ح٣٢٨٩١ و ٦٨٤/١٣، ح٣٧٧٥٣. والمعجم الكبير للطبراني، ٤٠٨/٢٢، ح١٠٢٠. الصواعق المحرقة، ص١٢٤. مجمع الزوائد، ٢٠٤/٩. فيض القدير، ٢١٥/٢، ح١٦٩٣ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٥٦/١، ح٣٠٠. ذخائر العقبى، ص٣٢ وكنز الحقائق المناوي، ص٢٩.

سلمة، وبينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو: (أن يزوّج النور من النور، أي فاطمة من علي)[1].

فدقَّ علي عليه السلام الباب، فقالت أم سلمة: مَن بالباب؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ((قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبّهُ اللهُ ورسولُه ويحبُّهما)).

فقالت أم سلمة: فداك أبي وأمي، من هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟

فقال: ((مَه يا أم سلمة فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ)).

قالت أم سلمة: فقمت مبادرةً أكاد أعثر بمرطي، ففتحتُ الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ((السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته)) فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ((وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس)) فجلس علي عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبيّنها، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله فكأن النبي صلى الله عليه وآله علم ما في نفس علي عليه السلام فقال له: ((يا أبا الحسن، إني أرى إنك أتيت لحاجةٍ، فقل حاجتك وأبدِ ما في نفسك، فكلّ حاجة لك عندي مقضيّة)).

---

(١) معالي الأخبار، ص١٠٣. الخصال، ص٦٤٠. آمال الصدوق، ص٤٧٤. وبحار الأنوار، ج٤٣، ص١١١.

قال علي عليه السلام: (فداك أبي وأمي إنّك أخذتني عن عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذّيتني بغذائك، وأدّبتني بأدبك، فكنتَ إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة، وإنّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك، وإنّك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة يا رسول الله، فقد أحببتُ مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة اسكن إليها، وقد أتيتُك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل انتَ مزوجي يا رسول الله؟)).

فتهلّل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحاً وسروراً، وأتى فاطمة فقال: ((إنّ علياً قد ذكرك وهو مَن قد عرفتِ)) فسكتت عليها السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهُ أكبر سكوتها رضاها)) فخرج، فزوّجها[1].

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلّل فرحاً وسروراً، ثم تبسّم في وجه علي عليه السلام فقال: ((يا عليّ فهل معك شيء ازوّجك به؟)) فقال علي عليه السلام: (فداك أبي وأمّي، والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أملكُ سيفي ودرعي وناضحي، وما أملك شيء غير هذا).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تتضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوجتك بالدّرع ورضيتُ بها منك)).

(١) ذخائر العقبى، ص٣٩.

((يا أبا الحسن، أأُبشّركَ؟!)) قال علي عليه السلام قلتُ: ((نعم فداكَ أبي وأمي بشّرني، فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلّى اللهُ عليكَ)).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أبشّرك يا علي فانّ الله عزّ وجل قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض، ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني مَلك من السماء فقال:

((يا محمد إن الله عزّ وجل إطّلع إلى الأرض إطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانيةً فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوّجه أبنتك فاطمة عليها السلام وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يا محمد إن الله عزّ وجل أمرني أن آمرك أن تزوّج علياً في الأرض فاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة، يا علي! فواللهِ ما عرج الملك من عندي حتى دققتَ الباب))[1].

أمر زواج فاطمة الزهراء من علي عليه السلام من السماء:

قال ابن أبي الحديد: وإنّ إنكاحه علياً إياها ما كان إلاّ بعد أن أنكحه اللهُ تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة[2].

وعن جابر بن عبد الله قال:

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٢/١٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٩٣/٩ وبنص آخر في ذخائر العقبى، ص٤٠ - ٤١.

لما زوّج رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام كان اللهُ مزوّجه من فوق عرشه[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما أنا بشر مثلكم، أتزوّج فيكم وأزوّجكم إلاّ فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء)[2].

خطبة العقد:

قال أنس: بينما أنا قاعد عند النبي ﷺ إذ غشيه الوحي، فلما سري عنه، قال: ((يا أنس! أتدري ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟))

قلتُ: الله ورسوله أعلم بأبي وأمي ما جاء به جبرئيل.

قال ﷺ: ((إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة علياً، فانطلق فادعُ لي المهاجرين والأنصار)).

قال: فدعوتهم، فلما أخذوا مقاعدهم قال النبي ﷺ:

((الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرغوب إليه فيما عنده، المرهوب عذابه، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد، ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهراً، فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، فلكل قدر أجل، ولكلّ أجل كتاب ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ

(١) بحار الأنوار، ٤٣/١٤٢.

(٢) بحار الأنوار، ٤٣/١٤٥.

أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ثم إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة بعليّ، فأشهدكم أني قد زوّجته على أربعمائة مثقال من فضة إن رضي بذلك علي)).

وكان علي غائباً قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجته، ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (انتهبوا). فبينا نحن ننتهب إذ أقبل علي عليه السلام فتبسّم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

((يا علي! إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة، فقد زوّجتكها على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت)).

فقال علي عليه السلام: ((قد رضيت يا رسول الله)).

ثم إنّ علياً مال فخرّ ساجداً شكراً لله تعالى وقال:

((الحمدُ للهِ الذي حبّبني إلى خير البرية محمد رسول الله)).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بارك اللهُ عليكما، وبارك فيكما وأسعدكما، وأخرج منكما الكثير الطيّب)).

قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيّب(١).

نعم لا شك في ذلك ولا ريب البتة، لقد أخرج من علي وفاطمة الكثير الطيب من خير وبركة والذرية الصالحة الطاهرة المطهّرة كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

---

(١) كفاية الطالب، الباب ٧٨، ص٢٩٨. والمناقب، ٣٥١/٣. فصل تزويجها عليها السلام، وكشف الغمة، ٣٤٨/١ - ٣٤٩. وذخائر العقبى، ص٤١.

((إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذرّيتي في صلب علي بن أبي طالب))[1].

وهذا حسبما قدّر الله سبحانه وتعالى واقتضت مشيئتُه أن يكون نسلُ رسول الله ﷺ وذريته من فاطمة سلام الله عليها، وأكرم بها من ذرية وأعظم!!! فالأب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأمُّ فاطمة بنتُ محمد رسول الأكرم ﷺ ورحمته الواسعة المهداة إلى الخليقة كلها والوجود كلّه..

ما أعظمك يا علي! وما أدراك يا فاطمة! قدّر اللهُ تعالى أن تكون ذرية رسوله الأكرم ﷺ وحبيبه الأعظم منكما، فطوبى لكما هذا المقام المقدّس وهذه المرتبة السامية، والشأنية العظيمة، والدرجة الرفيعة، والوجود المبارك الطيّب.

فطوبى لكما هذا الاقتضاء الإلهي، والمشيئة الربانية والارتباط المقدّس بالله والرسول الأكرم وهنيئاً لكما هذه النتيجة المباركة، والعاقبة المحمودة المثمرة الحسنة...

مهر فاطمة الزهراء (عليها السلام) وجهازها:

جاء علي عليه السلام بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان أربعمائة درهم سود هجرية، فقبض الرسول الأكرم ﷺ الدراهم وأعطاها لبعض أصحابه ونسائه ليشتروا متاعاً للبيت الجديد، فكان الجهاز:

((١- قميصاً بسبعة دراهم. ٢- خماراً بأربعة دراهم. ٣- قطيفة سوداء خيبرية. ٤- سريراً مزّملاً بشريط. ٥- فراشين من خيش مصر حشو أحدهما

---

(١) تاريخ بغداد، ج١، ص٣١٦. كنز العمال، ١١، ح٣٢٨٩٢.

ليف، وحشو الآخر من جزّ الغنم (صوف). ٦- أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر. ٧- ستراً من صوف. ٨- حصيراً هجرياً. ٩- رحاءَ اليد. ١٠- سقاءً من أدم. ١١- مخضباً من نحاس. ١٢- قعباً للبن. ١٣- شناً للماء. ١٤- مطهرة مزفّتة. ١٥- جرّة خضراء. ١٦- كيزان خزف. ١٧- نطعاً من أدم. ١٨- عباء قطراني. ١٩- قربة ماء)).

قالوا: وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال:

((اللهم بارك لقومٍ جَلّ آنيتهم الخزف))[1].

جهّز علي عليه السلام داره، وفرش عليه السلام بيته بالرمل الليّن ونصب خشبة من حائط إلى الحائط لتعليق الثياب عليها، وبسط على الأرض إهاب كبش ومخدّة ليف.

وعن أبي يزيد المديني قال: لمّا أُهديت فاطمة إلى علي عليه السلام لم تجد عنده إلاّ رملاً مبسوطاً ووسادة وجرّة وكوزاً[2].

(١) المناقب ابن شهرآشوب، ٣/٣٥٣. كشف الغمة، ١/٣٥٩. الشريط: ورق مفتول يشترط به السرير. الخيش: نسيج خشن من الكتان. والإذخر: حشيش طيب الريح. والمخضب: وعاء لغسل الثياب أو خضبها. والقعب: القدح العظيم الغليظ والشن: القربة الصغيرة. والزفت نوع من القيمر تطلى به الآنية كي لا يترشح منها الماء، انظر أعلام الهداية، ص٨٢.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ٤٧٧ نقلاً عن المناقب لأحمد بن حنبل.

وليمة العرس:

قال رسول الله ﷺ: ((يا علي لابُدّ للعرس من وليمة)).

فقال سعد: عندي كبش، وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة، وأخذ رسول الله ﷺ من الدّراهم التي سلمها إلى أم سلمة عشرة دراهم فدفعها إليّ وقال: ((إشترِ سمناً وتمراً واقطاً)) فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله ﷺ، تحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم، وجعل يشدخ[1]، ثم قال: ((يا عليّ ادعُ من أحببت)).

فخرجت إلى المسجد وهو مشحن بالصحابة فاستحييت أن أشخص قوماً وأدع قوماً، ثمّ صعدتُ على ربوةٍ هناك وناديت: ((أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس ارسالاً[2]) فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام، فعلم رسول الله ﷺ ما تداخلني فقال ﷺ:

((يا علي إني سأدعوا الله بالبركة، فجلّل السفرة بمنديل، وقال: أدخل عليّ عشرة بعد عشرة ففعلت، وجعلوا يأكلون ويخرجون ولا ينقص الطعام)). وكان النبي يصبّ الطعام بيده، والعبّاس وحمزة وعلي وعقيل يستقبلون الناس.

قال علي: ((فأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي، ودعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل)).

---

(١) الشدخ: كسر الشي الرطب أو الأجوف. الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض، راجع كشف الغمة، ج١، ص٣٦١.

(٢) إرسال جمع (رسل) وهو القطيع من كل شيء، الجماعة.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً، وقال: ((هذه لفاطمة وبعلها))(١).

... ولما كان ليلة البناء قال صلى الله عليه وآله: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بإناء فتوضأ فيه ثُمَّ أفرغه على علي عليه السلام ثم قال: ((اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما))(٢).

وعن ابن عباس، قال:

(لما زُفت فاطمة سلام الله عليها إلى علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله أمامها، وجبريل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك خلفها، يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر)(٣).

احتفال الملائكة بزواج علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام:

عن عبد الله بن مسعود قال:

أصابت فاطمة عليها السلام صبيحة يوم العرس رعدة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يا فاطمة زوجتك سيداً في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لما أراد الله تعالى أن أملّكك بعلي عليه السلام أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٠٦، ١٣٧/١١٤.

(٢) طبقات ابن سعد، ٢١/٨. أُسد الغابة، ٢٢٢/٧. الصواعق المحرقة، ص١٦٢. السنن الكبرى للنسائي، ١١٤/٥. ذخائر العقبى، ص٣٣. ورواه ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة ١٢١/٥ مختصراً.

(٣) خصائص النسائي، ١٤١/٥. المستدرك على الصحيحين، ١٧٣/٣، ح٤٧٥٢. طبقات ابن سعد، ٢٣/٨. مجمع الزوائد، ٢٠٩/٩. الرياض النضرة، ١٢٧/٣ - ١٢٨. ذخائر العقبى، ص٢٩.

فصفّ الملائكة صفوفاً ثم خطب عليهم فزوّجك من علي عليه السلام ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذ أكثر مما أخذه غيره افتخر به إلى يوم القيامة)).

قالت أم سلمة:

(لقد كانت فاطمة عليها السلام تفتخر على النساء لأن أول من خطب عليها جبريل عليه السلام)[1].

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

((أتاني مَلك فقال: يا محمد إنّ الله تعالى يقول لكَ: قد أمرتُ شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والياقوت والمرجان وأن تنثر على من قضى عقد نكاح فاطمة من الملائكة والحور العين، وقد سُرّ بذلك أهل الجنة وشبابها، وقد تزيّن أهل الجنة لذلك، فأقرر عيناً يا محمد فإنك سيد الأولين والآخرين))[2].

زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة في صبيحة العرس:

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن فقال: ((اشربي فداكِ أبوك)) ثم قال لعلي عليه السلام: ((اشرب فداكَ ابن عمّك))[3].

ثم سأل علياً: ((كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت: (خير بعل)[4].

(١) تاريخ بغداد، ١٢٩/٤، رقم ١٨٠٥. حلية الأولياء، ٥٩/٥.

(٢) ذخائر العقبى، ص٣٢.

(٣) كشف الغمّة، ٣٦٨/١.

(٤) بحار الأنوار، ١١٧/٤٣.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة عليها السلام بعدما زوّجها من أمير المؤمنين عليه السلام:

((زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة، وأنه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً))[1].

تاريخ زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء (عليها السلام):

كلُّ الروايات التي وردت عن أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين تنصّ على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

((تزوّج علي فاطمة عليهما السلام في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر))[2].

وروى أيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل بفاطمة عليها السلام بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوّال السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة[3].

وروي في أول يوم من ذي الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة علياً عليه السلام[4].

---

(١) بحار الأنوار، ١٣٢/٤٣.

(٢) كشف الغمة، ٣٦٤/١. بحار الأنوار، ١٣٤/٤٣.

(٣) آمالي الطوسي، ٤٣، مجلس ٢ حديث ٤٧.

(٤) مصباح المتهجّد للطوسي، ص٦١٣.

بيت علي عليه السلام وفاطمة الزهراء (عليها السلام) من أفاضل بيوت الأنبياء عليهم السلام :

قال السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1].

وأخرج بن مردويه وبريدة، قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال:

أي بيوت هذه يا رسول الله؟

قال: بيوت الأنبياء.

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها علي وفاطمة؟

فقال: نعم من أفاضلها[2].

مميزات زواج الزهراء (عليها السلام) بعلي عليه السلام :

لقد امتاز زاج السيدة فاطمة سلام الله عليها بما يلي:

١- إنه زاج من السماء وبأمر من الله تعالى قبل أن يكون نسباً أرضياً، ومجرد ارتباط عاطفي، ويكفينا في ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب إذ قال:

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

(٢) الدر المنثور للسيوطي. المعجم الكبير للطبراني، ٤٣/٣. تاريخ بغداد، ٢١٦/١. الصواعق المحرقة، ص١٢٤. وفيض القدير، ٢٢٣/٢.

نزل جبريل فقال: ((يا محمد إن الله يأمرك أن تزوّج فاطمة ابنتك من علي))[(١)].

٢- إن الله تعالى قد جعل الذرية النبويّة الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك، ومن طريق هذين الزوجين، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل بني أنثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أبوهم وأنا عصبتهم)[(٢)].

٣- إن الزهراء (عليها السلام) وحيدة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي لم يكن لها أخت في النسب الأبوي، أما زينب ورقية وأم كلثوم - وإن اشتهرت بنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم - فهنّ بنات هالة اخت خديجة، وقد كنّ في بيت خديجة حينما اقترنت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يؤيّد التحقيق التاريخي بنوتهنّ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم[(٣)].

٤- إن جهاز السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين رائعاً في بساطته لأفضل زوجين عظيمين مكرّمين، بعيدين عن بذخ الدنيا وترفها وتعقيدها وقد ولد منهما في هذه الدار البسيطة الحسنان الإمامان المعصومان سيدا شباب أهل الجنة فتلقا أفضل تربية وأكبر رعاية.

---

(١) ذخائر العقبى، ص٤١. شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٩٣.

(٢) كنز العمال، ج٣٧٥٨٦/١٣ وقريب منه ما في شرح نهج البلاغة، ١٠٦/١٢.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب سيرة وتاريخ، ص٢٧ الشيخ محمد حسن آل ياسين. الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي، المتوفى سنة ٣٥٢، ص٨٠ - ٨٢، ط دار الكتب العلمية - قم.

٥- كان زواج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الزهراء (عليها السلام) على سُنّةٍ بسيطة زاهدة في الدنيا طامعة في الآخرة رغم أن والد فاطمة هو رسول الله وزعيم المسلمين وأعظم شخصية في التاريخ صلى الله عليه وآله وسلم.

في حين كانت زيجات طغاة مكّة معروفة بالبذخ والترف في المراسم والأثاث والمنزل.

وقد تعجّب الكافرون ودهش المسلمون لهذه السُنّة الإلهية الرائعة فأصبحت مناراً للآخرين، وقدوةً يُحتذى بها للراغبين.

في حين كانت زعامات مكّة تستورد البضائع المتنوّعة والشهيرة من امبراطورية الفرس والروم.

الإمام علي عليه السلام والزهراء (عليها السلام) في بيت الزوجيّة:

لما تزوج علي من فاطمة (عليها السلام) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: (أُطلب منزلاً)، فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قليلاً فبنى بها فيه. وبعد مدّة قليلة (حولّها رسول الله إلى بيت حارثة بن النعمان)[1].

انتقلت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجي وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والولاية، فهي تعيش في جوّ تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته.

(١) الطبقات لابن سعد، ج٨، ص٢٢، ط دار الفكر.

كـان علـي عليه السلام يحترم السـيدة فاطمـة الزهـراء احتراماً لائقـاً بهـا، لا لأنهـا زوجتـه فقـط، بـل لأنهـا أحـبّ الخلـق إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأنهـا سـيّدة نسـاء العالمين، ولأن نورها من نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأنها مجموعة الفضائل والقيم.

ولم يُعلم بالضبط مدة إقامة الإمام علي والسيدة فاطمة عليه السلام في دار حارثة بن النعمان، إلاّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله والمجاور لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تعهّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الغرس النبوي ورعاهُ واحتضنه وعنى به عنايةً متميزة، فعاش الزوجان عليّ وفاطمة في ظله صلى الله عليه وآله وسلم وكنفه وقد منحهما ما لم يمنحه لأحدٍ من الحب والنصيحة والتوصية والمعرفة والعلم والحكمة فقد علمهما معنى الحياة وأوحى لهما بأن الإنسانية جوهر الحياة، وأنّ السعادة الزوجية القائمة على الإيمان الخالص والقيم الإسلامية الرفيعة هي أسمى من كل متع الحياة المادية المزخرفة.

وقد عاش الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام سعيدين قريري العين لا تفارقهما البساطة ولا تبرح بيتهما خشونة الحياة فهما الزوجان المثاليان، اللذان كانا حقاً بمستوى مهمتهما التي اختارها الله تعالى لهما فكانا القدوة الصالحة للمؤمن الرسالي والمرأة النموذجية المؤمنة، وقد صبرا على قساوة الحياة ورسالة الدعوة الصعبة.

ولا يخفى أن علياً عليه السلام هو بطل المسلمين والساعد الأيمن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووزيره ومشاوره الأول وحامل لواء النصر والجهاد، وعلى فاطمة عليها السلام أن

تكون بمستوى المسؤولية الخطيرة وأن تكون لعلي عليه السلام كما كانت أمها خديجة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشاركه في جهاده وتصبر على الشدائد والصعاب.

الزوجان النموذجيان في الإسلام:

إن البيت الوحيد الذي كان يضمُّ بين جدرانه شخصين معصومين مطهّرين منزّهين عن ارتكاب الذنوب والخطايا واكتساب المآثم ويتّصفان بأنبل الأخلاق، وأعظم الفضائل، والكمال الإنساني هو بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها سلام الله.

فعليٌّ عليه السلام نموذج الرجل المسلم المؤمن الكامل في الإسلام، وفاطمة عليها السلام نموذج المرأة المؤمنة الصالحة الكاملة في الإسلام. لأنهما عاشا وترعرعا في ظلِّ تعاليم الإسلام النقي والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي غذاهما بالعلم والحكمة والفضائل، حيث استأنست نفساهما منذ الصغر بالقرآن الكريم، وهما يسمعان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرتّلهُ في الليل والنهار، وأطلاّ على الغيب وأرتشفا رحمة الإسلام ومعارفه الأصيلة وحكمته البالغة وخلقه الكريم من منبعها العذب ومعينها الأصيل، حيث رأيا الإسلام الحقيقي الواقعي يتجسّد ويتحرك في شخص هبة السماء والرحمة الإلهية المهداة إلى البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف لا يكونان النموذج الأمثل للزوج والزوجة؟

كان بيت علي وفاطمة عليهما السلام أروع بيت في الإسلام يسوده الصفاء والاخلاص، والمودة والرحمة، والتعاون المثمر البنّاء، في إدارة شؤونه وانجاز

أعماله، وقد نفّذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله القاضي بأن تكون خدمة فاطمة عليها السلام في البيت دون الباب، وخدمة علي عليه السلام بما خلفه.

وقد قالت فاطمة عليها السلام:

(فلا يعلم ما داخلني من السرور إلاّ الله بكفايتي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال)[1].

نعم، لقد داخل فاطمة السرور وتهلّل وجها بالبشر بما قضى به أبوها صلى الله عليه وآله لأنها خرّيجة مدرسة الوحي وتعلم أن معقل المرأة من المواقع المهمة في الحياة الإسلامية، وتكوين الأسرة الصالحة، وتربية الجيل والأبناء، وإذا ما تخلّت عن ذلك - لا سامح الله - وسرحت في الميادين الأخرى عجزت عن القيام بوظيفتها الأساسية ومسؤوليتها التي أناطها الله تعالى بها.

لذلك نراها قد بذلت قصارى جهدها لإسعاد أسرتها وخدمة زوجها، وتربية أبنائها، ولم تستثقل أداء مهام البيت رغم كلّ الصعوبات والمشاق، حتى أن أمير المؤمنين رقّ لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بني سعد:

(ألا أحدّثك عني وعن فاطمة؟ إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله صلى الله عليه وآله إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلتُ لها: لو أتيت أباك فسألتيه

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص٨١.

خادماً يكفيك ضير ما أنتِ فيه من هذا العمل، فأتت النبي ﷺ فوجدت عندها حدّاثاً[(١)] فاستحت وانصرفت).

قال علي عليه السلام: (فعلم النبي ﷺ أنها جاءت لحاجة، قال عليه السلام: فغدا علينا رسول الله ﷺ ونحن في لِفاعنا، فقال ﷺ: السلام عليكم، فقلتُ: وعليك السلام يا رسول الله أدخل، فلم يعد أن يجلس عندنا، فقال ﷺ: يا فاطمة، ما كانت حاجتك امس عند محمد؟ قال عليه السلام: فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، فأخبرهُ علي بحاجتها، فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله أنها استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل، فقال ﷺ: أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّراً أربعاً وثلاثين).

وفي رواية: أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله ﷺ فقال: (يا فاطمة والذي بعثني بالحق، إنّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام وثياب ولولا خشيتي لأعطيتك ما سألتِ يا فاطمة وإني لا أُريد أن ينفك عتك أجرك إلى الجارية، واني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب عليه السلام يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجل إذا طلب حقّه منك ثم علّمها صلاة التسبيح).

(١) أي جماعة يتحدثون معه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (مضيتِ تريدين من رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة)[١].

وفي ذات يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على علي فوجده هو وفاطمة عليهما السلام يطحنان في الجاروش، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((أيكما أعيى؟)) فقال علي عليه السلام: ((فاطمة يا رسول الله)) فقال صلى الله عليه وآله: ((قومي يا بنيّة)) فقامت وجلس النبي صلى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السلام فواساه في طحن الحبّ[٢].

وروي عن جابر الانصاري أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ((يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة)) فقالت: ((يا رسول الله، الحمدُ لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه)) فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾[٣].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

((كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز))[٤].

وعن أنس: إن بلالاً ابطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وآله: (ما حبسك) قال: مررتُ بفاطمة تطحن والصبي يبكي، فقلتُ لها: إن شئتِ كفيتكِ الرحى

(١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص٨٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٠.

(٣) سورة الضحى: الآية ٥. المصدر السابق، ج٣، ص٨٦.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص١٥١.

وكفيتني الصّبي، وإن شئتِ كفيتكِ الصبي وكفيتني الرحى، فقالت: (أنا أرفق بأبني منك).

فذاك الذي حبسني، قال ﷺ: (فرحمتها رحمكَ الله)(١).

وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

((إن الرسول ﷺ أتى يوماً فقال: أين إبناي؟)) يعني حسناً وحسيناً، قالت: ((أصبحنا وليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق)).

فقال علي عليه السلام: ((اذهب بهما إلى فلان))

فتوجه إليهما رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال ﷺ: ((يا علي ألا تقلب إبنيّ قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما؟)).

فقال علي عليه السلام: ((أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات)) فلما اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثم عاد إلى البيت(٢).

هكذا كانت حياة أمير المؤمنين علي وفاطمة عليهما أفضل الصلاة والسلام يتقاسمان العمل في المنزل، ويشتركان في المعاناة وتحمّل المشاق ومتاعب الحياة ولكنّها ممزوجة بحلاوة الصبر، وندى الايثار والتضحية، لأن وراء ذلك نعيماً لا انتهاء له، حيث يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب.

---

(١) ذخائر العقبى، ص٦١.

(٢) نفس المصدر، ص٥٩.

ولكنّ حياتهما لم تتغيّر حتى بعد حصولهما على المال - خصوصاً بعد فتح بني النظير وخيبر وتمليك فاطمة (فدكاً) وغيرها - إذ روي أن (فدكاً) كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار، وفي رواية سبعين ألف دينار سنوياً[1].

فإنّ علياً والزهراء سلام الله عليهما لم يعمّرا الدور ولم يبنيا القصور، ولم يلبسا الحرير والديباج، ولم يقتنيا النفائس والدرر بل كانت الأموال كلها تُنفَق على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وفي سبيل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام وتثبيت أركانه.

وبالإضافة إلى ذلك فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد أوقف على الحجاج (مائة عين استنبطها في ينبع)[2] وقد بلغت صدقات أمواله في السنة (اربعين ألف دينار) وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل أنها تكفي أمة كبيرة من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أن ثلاثين درهماً كافية لشراء جارية للخدمة، وكان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة حينذاك[3].

طيب معاشرة كلٍّ منهما للآخر عليهما السلام:

لا شك أن أمير المؤمنين علياً عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، وهمته حمل راية الإسلام والدفاع عنه والجهاد في سبيل الله وتدمير قوى الشرك والكفر والنفاق

(١) سفينة البحار، ج٧، ص٤٥.

(٢) المناقب، ج٢، ص١٢٣. بحار الأنوار، ج٤١، ص٣٢.

(٣) أعلام الهداية، ج٣، ص٩٧.

والظلم والبغي، وتحقيق العدل والإنصاف وكرامة الإنسان وحريته وإنسانيته في دنيا الحياة.

ولا يخفى أن الظروف السياسية آنذاك كانت حساسةً جداً وفي غاية الخطورة، حيث أن الجيش الإسلام في حالة إنذار دائم، وكثيراً ما كان يشتبك في حروب ضروس في كل عام، والإمام علي عليه السلام هو بطلها الأوحد وحامل راية النصر والفتح فيها.

وقد كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تشجّع زوجها وتمتدح شجاعته وتضحيته، وفداءه، وتشدُّ على يده للمعارك القادمة، وتضمّد جراحاته وتمتصّ آلامه، وتسري عنه أتعابه، وتوفّر له جوّاً ملؤه الدفء والحنان والتعاطف والتآزر وحسن التبعّل، وبذلك تُجلي عنه الهموم والغموم والأحزان، حتى قال عليه السلام:

((ولقد كنتُ أنظر إليها فتنجلي عني الغموم والأحزان بنظرتي إليها))[1].

أجل، إن علياً وفاطمة عليهما أفضل الصلاة والسلام حريصان كلّ الحرص في القيام بمهام الزوجية وإبداء طيب المعاشرة، والمشاركة في الأفراح والأتراح، والشدّة والرخاء، ولم يسخط أحدهما الآخر أبداً.

إنّ سيدة النساء فاطمة عليها السلام ملازمة لبيتها، مشغولة بعملها وعبادة ربّها ولم تخرج إلاّ بإذن زوجها، وما خالفته يوماً وما كذبت في بيته وما خانته وما عصت له أمراً.

(١) المناقب للخوارزمي، ص٣٥٣، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

وقد ذكرت ذلك في آخر لحظات عمرها عليها السلام حينما أرادت أن توصيه عليه السلام حيث ذكر عليه السلام أنها قالت:

((يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني؟)). فقال عليه السلام: ((معاذَ الله، أنتِ أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً منه، واللهِ جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتكِ وفقدكِ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون))[1].

وقد قابلها أمير المؤمنين علي عليه السلام بنفس المشاعر والعواطف والأحاسيس، والاحترام والودّ، وهو يعلم مقامها العظيم، ومنزلتها الرفيعة وعلمها وكمالها، حتى قال عليه السلام:

((فوالله ما اغضبتها ولا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها اللهُ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً))[2].

وكيف تعصي وهي العالمة والمهذّبة المعصومة؟!... وكيف تعصي وهي الزوجة المطيعة، والمخلصة الحنونة ظ!!

جاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال:

أصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً فقال:

((يا فاطمة هل عندكِ شيء تغذينيه؟)) قالت: ((والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه مذ يومين

(١) روضة الواعظين، ج١، ص١٥١.

(٢) المناقب للخوارزمي، ص٣٥٣.

إلاّ شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين (الحسن والحسين) فقال علي عليه السلام:

((يا فاطمة ألا كنتِ أعلمتني فأبغيكم شيئاً)) فقالت:

((يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه))(١).

نعم، هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان المؤمنان الكاملان الصالحان في الإسلام، وأديا واجباتهما، وقاما بالمسؤولية خير قيام، وضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية الرفيعة والإنسانية السامية، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

((لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ))(٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام في ليلة زفاف فاطمة عليها السلام إليه عليه السلام:

((يا علي نِعمَ الزوجة زوجتك)) وقال لفاطمة: ((يا فاطمة نِعمَ البعلُ بعلك))(٣).

الأسرة الطاهرة:

لم تمض فترة من الزمن تقدّر حوالي بالتسع سنوات على الزواج المبارك الميمون الذي ضمَّ علياً وفاطمة عليهما أفضل الصلاة والسلام حتى رزقهما الله تبارك وتعالى: إمامين معصومين وهما الحسن والحسين عليهما السلام وزينباً

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٩.

(٢) كشف الغمة، ج١، ص٤٧٢.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١١٧، ص١٣٢.

المجاهدة العالمة غير المعلّمة، وأُم كلثوم المرأة المؤمنة الصالحة، في حين أُسقط الجنين (المحسن عليه السلام) قبل ولادته[١].

وقد قدّر اللهُ سبحانه وتعالى أن يكون نسلُ رسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيته من فاطمة عليها السلام كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: ((إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريّتي في صلب علي بن أبي طالب))[٢].

ولا شك أن أمير المؤمنين والزهراء عليهما أفضل التحية والسلام هما خريجان مدرسة الوحي والنبوّة، ويعرفان جيداً مناهج التربية الإسلامية وقد تجلّت هذه التربية المميّزة لمثل الحسن عليه السلام الذي أعدّاهُ لتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين وتجرّع الغصص في أحرج اللحظات وأحلك الظروف من تاريخ الرسالة المقدّسة، ويصالح معاوية على مضض حفاظاً على سلامة الدين الإسلامي والفئة المؤمنة، ويعلن للعالم أن الإسلام هو دين المحبة والسلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخلية لضربه وإضعافه، فيسقط ما في يد معاوية ويُفشل خططه ومؤامراته لاحياء الجاهلية، ويكشف تضليله لعامة الناس ولو بعد برهة، ويقضي على اللعبة التي أراد معاوية أن يمررّها على المسلمين.

وقد ربّى علي وفاطمة عليهما السلام مثل الحسين عليه السلام ذلك الثائر العظيم والمجاهد القوي الذي لا تأخذه في الله لومة لائم الذي اختار التضحية بنفسه

---

(١) لأن المحسن ولد ميتاً من ضربة المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع علي عليه السلام من البيعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقد عدّ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسن - أولاد السيدة الزهراء - وأورد المحسن قائلاً: مات في حياة أبيه. فراجع.

(٢) تاريخ بغداد، ٣١٦/١. كنز العمال، ١١، ح٣٢٨٩٢.

وجميع أهله واعزّ أصحابه في سبيل الله وإحياء شريعته، وإظهار الحق والحقيقة والزيف والانحراف الأموي، ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين، ليُرويّ بدمه الطاهر ودماء المجاهدين الزكية وشجرة الإسلام الباسقة التي ظلّت صلبةً قوية تقاوم أعاصير الشرك والنفاق والانحراف الجائر الذي تبنّاه العتاة الطغاة اللكّع من رجال الحزب الأموي ومن لفّ لفهم من منحرفين ومجرمين وظالمين وإلى يومنا هذا.

حيث أن الإمام الحسين عليه السلام أصبح مدرسةً للأجيال الثائرة من أجل الحرية وإحقاق الحق، ونشر الفضيلة ودرء الرذيلة، وتحقيق العدل والانصاف والسلام، والعزّة والكرامة في الحياة.

ولقد ربّت الزهراء وعلي عليهما أزكى التحية والسلام مثل زينب وأم كلثوم اللتين أصبحتا مثلاً أعلى في التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين وقد قالتا الحق أمام جبروت بني أمية بكل جرأة وصراحة، لتتضح خطورة المؤامرة الشرسة على الدين وعلى أمّة سيد المرسلين. وعلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين نزلت فيهم آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] بإجماع المسلمين[2].

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سنن الترمذي، ٥/٣٢٨. مستدرك الحاكم، ٣/١٧٢. مسند أحمد، ٤/١٦٧. تفسير الطبري، ١٢/٦.

وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

نعم لقد عاش في هذه الأسرة الطاهرة، والبيت الطاهر الإمام الحسن عليه السلام الذي عُرف بالسخاء والعلم والحلم والشجاعة وحبّ العبيد والفقراء[٢]. والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ((من آذى هذا فقد آذاني))[٣] وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: ((الحسن مني وأنا منه))[٤].

لذلك حاول الأمويون بكل الوسائل الجاهلية من الكذب والافتراء وتزييف الحق والحقيقة من أجل الحط من منزلة الإمام الحسن عليه السلام في قلوب الناس مثلما فعلوا بجده من قبل فوصموه بالجبن - يُجلُّ عن ذلك عليه السلام - ومخالفته لأبيه عليه السلام وكثرة زيجاته وأنه رجل مطلاق وغير ذلك، وانتشر هذا الزيف في كتب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام[٥].

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١. تفسير الزمخشري، ٤٣٤/١. تفسير الرازي، ٨٠/٨. الدر المنثور، ٣١١/٣.

(٢) تاريخ بغداد، ٣٤/٦. ذخائر العقبى، ص١٣٨. الصواعق المحرقة، ص٨٣. البداية والنهاية، ٤٢/٨. تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص١٤٨. تهذيب التهذيب، ٢٩٨/٢.

(٣) كنز العمال، ٢٢٢/٦. المعجم الكبير للطبراني، ٤٢/٣، ح٢٦٢٧.

(٤) كنز العمال، ١٠٧/٧. ذخائر العقبى، المحب الطبري، ص١٣٣.

(٥) راجع تاريخ الطبري، ج٤، ص١٢٣ و ص١٤٥.

ولما فشلت أعمالهم تلك توسّل معاوية بالاغتيال، فوعدوا زوجته جعدة بنت الأشعث بالمال الكثير وزواجها من يزيد بن معاوية فقتلته بالسم[١].

وعاش في هذا البيت الطاهر الإمام الحسين عليه السلام الذي ولد بعد سنة على ولادة الإمام الحسن عليه السلام في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة[٢]. وأذّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليسرى، وبكى عليه وسمّاه رسول الله (حسيناً) وعقّ عنه كبشاً وحلق شعره وتصدّق بوزنه فضّة وختنه في اليوم السابع من ولادته، ولم يسمِّ الناس في الجاهلية أولادهم بالحسن والحسين عليهما السلام فأسماهما من أسماء الجنة[٣] ولم يولد مولود لستة أشهر عاش غير عيسى والحسين عليهما السلام[٤].

وكان الحسين عليه السلام مثالاً ضخماً للتضحية في سبيل الإسلام والحرية فتأثّر بحركته المسلمون والكافرون والثائرون من أجل المبادئ والحرية والكرامة وهذا

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام. الاصابة، ترجمة الإمام الحسن، ٢٢٧/٣٧ وقاموس الرجال، ٢٨٤/٢.

(٢) الإصابة، ٣٣٢/١. أُسد الغابة، ١٨/٢. الاستيعاب بهامش الإصابة، ٣٧٨/١. تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين، ١٢، ٢٣، ٢٥، ٢٢٨. صفة الصفوة، ٧٦٢/١. تذكرة الخواص، ٢٣٢. المناقب ابن شهرآشوب، ٧٦/٤. مقتل الحسين، الخوارزمي، ١٤٣/١. تاريخ بغداد، ١٤١/١. مجمع الزوائد، ١٦٤/٩.

(٣) ذخائر العقبى، ص١١٩. تاريخ الخميس، ٤١٧/١ - ٤١٨. مسند أحمد، ٥٥٧/٢. البحار، ٢٥٢/٤٣.

(٤) المناقب ابن شهرآشوب، ٥٠/٤.

غاندي زعيم الهند يقول: تعلّمتُ من ثورة الإمام الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فانتصر..

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه:

((حسين مني وأنا من حسين))(١).

و ((حسين أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء))(٢).

وأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل الحسين عليه السلام والأرض التي يُقتل فيها وأعطاه تربة حمراء من تربة كربلاء(٣). وأعطى رسول الله تلك التربة لأم سلمة قائلاً: ((إذا تحوّلت هذه التربة دماً فأعلمي أن ابني الحسين قد قتل))(٤).

ويوم مقتل الحسين عليه السلام لم يُقلب حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط(٥).

وقال الزهري وعبد الملك بن مروان: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين ابن الإمام علي عليه السلام إلاّ عن دم(٦).

لذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) سنن الترمذي، ٣٠٧/٢. سنن ابن ماجة، ٥١/١.

(٢) أُسد الغابة، ٢٣٤/٣. كنز العمال، ٨٦/٦. مجمع الزوائد، ١٨٦/٩.

(٣) مستدرك الصحيحين، ٣٩٨/٤. كنز العمال، ٢٢٣/٦. مجمع الزوائد، ١٨٨/٩.

(٤) تهذيب التهذيب، ٢٣٧/٢. مجمع الزوائد، ١٨٩/٩. سنن الترمذي، ٣٠٦/٢. مستدرك الصحيحين، ٣٩٧/٤.

(٥) تهذيب التهذيب، ٣٠٥/٢٠. تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين، ٢٤٧.

(٦) سنن البيهقي، ٣٢٧/٣. ذخائر العقبى، ١٤٥. تفسير الطبري، ٧٤/٢٥. فيض القدير، ٢٤٠/١ وحلية الأولياء، ٢٧٦/٢.

((مَن زار قبر الحسين عارفاً بحقّه كتب اللهُ لـه في عليين)) و ((إنّ حول قبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يكون عليه إلى يوم القيامة))[1].

إن الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمصداق من كتاب الله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٤)وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾[2]. فعيسى من ذرية إبراهيم من جهة أمه مريم عليها السلام والحسن والحسين من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة فاطمة عليها السلام وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الحسنين عليهما السلام:

((الحسنان سبطا هذه الأمة))[3].

والحسنان صفوة الله والحسنان خير الناس جدّاً وجدّة وأباً وأماً[4].

وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين:

((أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق))[5].

---

(١) ذخائر العقبى، ص١٥١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٤ - ٨٥.

(٣) كنز العمال، ٢٢١/٦. ذخائر العقبى، ص١٥١.

(٤) كنز العمال، ٢٢١/٦. ذخائر العقبى، ص١٣٠.

(٥) مستدرك الصحيحين، ٣٤٣/٢، وكنز العمال، ٢١٦/٦.

الفصل الثالث

الإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله في جهاده

أولاً: غزوة بدر الكبرى:

وهي أول معركة عظمى للمسلمين ضدّ قوات قريش المشركة وفيها حاول كلٌّ منهما - المسلمين والمشركين - الانتقام من مناوئه ومحاربته والانتصار عليه، لأن نتائج المعركة ستكون حاسمة وذات منعطفٍ خطير في رسم الحياة المستقبلية وخصوصاً بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة الغرّاء.

وتبعد أرض المعركة عن المدينة المنوّرة حوالي (مائة وستين كيلومتراً) جنوب المدينة، وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله فيها (٥٥ سنة) وعمر الإمام علي عليه السلام (٢٥ سنة).

قال ابن دحلان:

وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وخرجت معه الانصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، وكان عدّة البدريين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وسبب هذه الغزوة التعرّض للعير التي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته، فلم يزل مترقباً أي رجوعها من الشام، فعند قفولها ندب المسلمين أي دعاهم(١).

(١) السيرة الحلبية، ج٢، ص١٥٤. دلائل النبوة، ج٣، ص١٠٨.

وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعلّ الله أن ينفلكموها، فانتدب ناس أي أجابوا وثقل آخرون، ولم يحفل بهم رسول الله ﷺ أي لم يهتم بهم، بل قال: من كان ظهره أي ما يركبه حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه.

وكان أبو سفيان لقي رجلاً فأخبره أنه ﷺ قد كان عرض لعيره في بدايته، وإنه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقربت العير من أرض الحجاز صار يتجسّس الأخبار ويبحث عنها، ويسأل من لقي من الركبان تخوّفاً من رسول الله ﷺ، فسمع من بعض الركبان أنه استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفاً شديداً فاستأجر (ضمضم بن عمرو الغفاري) بعشرين مثقالاً ليأتي مكة وأن يجدع بعيره ويحوّل رحله ويشقّ قميصه من قبله ومن دبره، إذا دخل مكة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أن محمداً قد تعرّض لعيرهم هو وأصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة(١).

وكانت تلك العير فيها أموال قريش، حتى قيل أنه لم يبقَ بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلاّ بعث به في تلك العير إلاّ حويطب بن عبد العزّى.

ويقال إن في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير، وتقدّم أن قائدها أبو سفيان وكان معه (مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص، وكان جمله من معه سبعة وعشرين رجلاً)(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ٣٥٨/١. والبحار، ٦٩/٤١.

(٢) سيرة الإمام علي، المجلد الأول، ص١٨٠ للطائي.

أجل، لقد فتح رسول الله ﷺ بهجرته عهداً جديداً في تاريخ البشرية بشكل عام وفي تاريخ الرسالة بشكل خاص، وبدأت معالم الدولة تتوضّح ومظاهر قوة المسلمين تبدو للعيان، وفي الجانب الآخر تتوقف قريش ومن والاها من المشركين ويهود المدينة الذين أظهروا السلم نفاقاً وتغطية على التخطيط السري للقضاء على الإسلام وأهله، وكان رسول الله ﷺ يعالج الأمور بحكمة ورويّة.

ومن الطبيعي أن لا يقف النبيّ ﷺ من مؤامرات أعداء الإسلام وتحرّشاتهم موقف الضعيف المتخاذل، فأخذ يرسل السرايا ليهدّدهم ويطاردهم أحياناً.

ولما كان للمدينة موقع استراتيجي مهم في طرق التجارة والمواصلات في الجزيرة العربية، فقد أصبح المسلمون بعد تزايد عددهم قوة ضغط لابد من وضعها في الحسبان، ومنذ أن وطأت قدم علي عليه السلام مدينة الرسول ﷺ بدأ العمل في كل جوانب الحياة وما تتطلبه الرسالة الإسلامية جنباً إلى جنب الرسول ﷺ من بناء الدولة، ونشر الرسالة، مندفعاً بطاقة ذاتية هائلة بما وهبه الله من قوة وعزيمة لا توازيها قوة وطاقة مجموعة كبيرة من الأفراد، فكان الدرع القوي التي يضرب بها رسول الله ﷺ.

ونجد هذا واضحاً جلياً في كل وقعة ومعركة دخل فيها علي عليه السلام وكان من طبيعة المعارك أنها تتوقف في العادة على الجولة الأولى، فمن يفوز فيها تُحسَم المعركة لصالحه كما في معركة بدر(١). التي كانت عنواناً لبداية أفول كل القوى

(١) يقال لها: معركة بدر العظمى وقعت في السنة الثانية للهجرة في السابع عشر من شهر رمضان، وقيل: في التاسع عشر منه.

العسكرية في الجزيرة وخصوصاً قريش، ومنطلقاً للانتصارات والفتوحات التي حققها المسلمون.

وروي أن عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة خرجوا ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم في البداية عوف ومُعوِّذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة وكلّهم من الأنصار، فقالوا: مَن انتم؟

قالوا: من الأنصار.

فقالوا: أكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا اكفاؤنا من قومنا. فأمر النبي ﷺ عمّه حمزة وعبيدة بن الحارث وعلياً بمبارزتهم، فدنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز عليّ عليه السلام الوليد، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وقتل علي عليه السلام الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعلي عليه السلام على عتبة فقتلاه[1].

ثم نشبت المعركة بين طرفين غير متكافئين بالموازين العسكرية جبهة المسلمين وعددها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً تقاتل عن إيمان وعقيدة، تدافع عن الحق وتدعوا إليه، وجبهة قريش وعدها تسعمائة وخمسون رجلاً تقاتل عن حميّة وعصبية جاهلية، وهنا دخلت في الحرب منها: دعاء الرسول ﷺ وثباته وبسالة حمزة وقوّة علي عليه السلام فغاص علي وحمزة وأبطال المسلمين في وسط قريش، ونسي كل واحد منهم نفسه وكثرة عدوّه، فتطايرت الرؤوس عن الأجساد،

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٣٤ - ١٣٥ ط مؤسسة الأعلمي، وتاريخ الطبري، ج٣، ص٣٥.

وامدّ الله المسلمين بالقوة والعزيمة والثبات، وأسّر المسلمون كل من عجز عن الفرار حتى بلغ عدد الأسرى سبعين رجلاً وعدد القتلى: اثنين وسبعين رجلاً.

وتنصّ الروايات على أن علياً عليه السلام قتل العدد الأكبر منهم، فعلى أقل التقادير أنه عليه السلام قتل أربعة وعشرين، وشارك في قتل ثمانية وعشرين آخرين، ويبدو أن الذين قتلهم علي عليه السلام هم أبطال قريش وصناديدها[1].

في هذه المعركة المهمة كان علي عليه السلام صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله إضافةً إلى دوره الحاسم لنتيجة المعركة[2].

وروي أن رجلاً من بني كنانة دخل على معاوية ابن أبي سفيان فقال له: هل شهدتَ بدراً؟ قال: نعم، قال: فحدّثني ما رأيت وحضرت قال: ما كنّا إلاّ كغياب، وما رأينا ظفراً كان أوشك منه، قال فصف لي ما رأيت:

قال: (رايتُ علي بن أبي طالب غلاماً شاباً ليثاً عبقرياً يفري الغري، لا يثبت له أحد إلاّ قتله ولا يضرب شيئاً إلاّ هتكه، ولم أرَ من الناس أحداً ق أنفق منه يحمل حملته ويلتفت التفاته، كأنه ثعلب روّاغ، وكأنّ له عينان في قفاه، وكأنّ وثوبه وثوبُ وحش)[3].

قال ابن أبي الحديد:

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص٦٤. الفصل ١٩، الباب ٢. وكشف الغمة، ج١، ص١٨٢.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة، ج٣، ص٣٣. وتاريخ دمشق لابن عساكر، ج١، ص١٤٢.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج٩، ص١٤٥.

((وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحدٍ من الناس إلاّ له؟ وقد عرفت أن اعظم غزاة غزاها رسول الله ﷺ وأشدها نكايةً في المشركين بدر الكبرى قُتِل فيها سبعون من المشركين، قتل علي عليه السلام نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك. دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما. وهذا الفصل لا معنى للأطناب فيه، لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما))[1].

وما أجدر أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول القائل:

لكَ خلّتان مسالماً ومحارباً ... كفلا الثناء لسيفك المخضوب
فرقت ما بين الذوائب والطلى ... وجمعت ما بين الطلا والذئب

وقال الشيخ جعفر نقدي:

((واقتتل الناس قتالاً شديداً وكان من قتل من المشركين يصيح: قتلني علي بن أبي طالب، فسأل النبي ﷺ فقال: يريهم الله الملائكة على صورة علي لأن ذلك أهيب لقلوبهم[2].

قال الصاحب بن عبّاد:

هو البدرُ في الهيجاء بدرٌ وغيره ... فرائصه من ذكره السيف ترعدُ
وكم خبر في خيبر قد رويتم ... ولكنكم مثل النعام تشردوا

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٨، طبع مصر.

(٢) الغزوات والفضائل والمناقب، ص٨٩ أو نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين.

وفي أحــد ولّــى رجــال وســيفه ... يســوّد وجـه الكفـر وهـو مسـودُ
ويـوم حـنين حـنَّ للغـلّ بعضـكم ... وصـارمه غضـب الغـوار مهنّـدُ[(١)]

وله في قصيدةٍ أخرى:

مَــــنْ كمولانــــا علــــي ... والـــوغى يحمـــي لظاهـــا
اذكــــروا أفعــــالَ بــــدرٍ ... لســـتُ أعـــني مـــا ســـواها
اذكــــروا ظلمــــة أحــــدٍ ... إنـــه شمـــسُ ضـــحاها[(٢)]

وقال بن شهرآشوب: ((ووجدتُ في كتاب المقنع قول هند:

أبــي وعمــي وشــقيق بكــري ... أخـي الـذي كـان كضـوء البـدرِ

بهم كسرت يا عليّ ظهري))[(٣)]

نعم هكذا كان علي أمير المؤمنين في البسالة والشجاعة والتضحية، حيث كلُّ مقتول من المشركين يصيح قتلني علي بن أبي طالب، وهو الحامل للواء، والمحرّك للطاقة في الحرب والعطاء. وقد كثرت كراماته وفضائله فأصبح قدوةً للموحّدين والشارين، وقصةً حضارية في التجسيد الكامل والتطابق التام بين الصورة والسيرة الإنسانية المثلى.

---

(١) العضب: القطع، والسيف والغوار: حد الرمح والسهم والسيف.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج٣، ص١١٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٢١.

فبسيفه ذي الفقار، وشجاعته التي أدهشت المشركين والكفار والملائكة، وبمنهج رسول الله المخلص ﷺ وتوجيهاته وخططه ودعائه والتزام المؤمنين بها، يكمن سر الانتصار في معركة بدر الكبرى.

وبهذا الانتصار العظيم انتشر الإسلام في الحجاز والعالم أجمع وقد جعل القبائل تنظر للمسلمين باحترام، وقد هبطت منزلة قريش في أذهان الكثيرين، وبدأ العدّ التنازلي لطغاة مكة وجبابرتها.

وبقيت هذه المعركة الخالدة وصمة عار في جبين المشركين والكافرين والمنافقين والفارّين منها، وفضيلةً في سجلّ الموحّدين والمؤمنين والمخلصين، وقد حاول الجمع الكافر وأولادهم الانتقام لذلك مرات عديدة ولم يفلحوا وفي كل مرة تزداد موبقاتهم، وتهبط منزلتهم، لأن النصر حليف المؤمنين والدعاة الصادقين المخلصين، والسالكين صراط الحق والطريق المستقيم.

وفي هذا الانتصار الحضاري الذي حقّقه المسلمون في بدر هو في معاملتهم الحسنة للأسرى في حين كانت المعاملة سيئة جداً قبل ذلك، وقد أطلق رسول الله ﷺ سراح الشاعر أبي عزة عمرو الجمحي من أجل بناته، رغم بقائه على الكفر! وأطلق سراح من علّم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة وأقرّ مبدأ الفدية لمن يُفدى عنه، وهذه مبادئ إنسانية وحضارية، وثقافية لم تكن مألوفة قبل الإسلام. يسنّها نبي الرحمة محمد ﷺ والشريعة الإسلامية الغرّاء المتممة لمكارم الأخلاق لينعم في ظلها العدو والصديق باطمئنان وأمان وسلام ورخاء على حدٍّ سواء، إلاّ أن يشهر الكافر الحربي سيفاً للقتال.

ثانياً: معركة أُحد:

عندما أُصيبت قريش بتلك الهزيمة النكراء، وخسرت تلك الخسارة الكبيرة، حيث قُتِل صناديدها، وانخرم كبرياؤها، وامتلأ القليبُ بجثث قتلاها وجبابرتها بسيف علي عليه السلام والمسلمين الأشاوس تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة بدر الكبرى الخالدة، راحت تلملم شملها، وتجمع قواها، وتثأر لحظّها العاثر، وحالها الخاسر، لعلّها تسترجع نصيباً وقسماً من كبريائها واعتبارها الذي فقدته.

ولم يمضِ سوى عام حتى استكملت قريش عدّتها، واجتمع إليها أحلافها من المشركين واليهود، وانضمّ إليهم كل حاقد وناقم على الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة الفتية، فاتفقت كلمة الكفر، واتحدت قوى الباطل لمواجهة الحق، وخرج جيش الكفر باتجاه المدينة المنورة وقد تجاوز عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وذلك في أوائل شوال من السنة الثالثة للهجرة المباركة.

وما إن سمع الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بخبر قدومهم نحوهم حتى جمع المسلمين واستشارهم في الموقف المناسب والردّ الحاسم الذي يجب أن يتخذوه، ثم خطب فيهم صلى الله عليه وآله وحثّهم على القتال والجهاد والصبر والثبات ووعدهم بالنصر والأجر الجزيل.

وتجهّز صلى الله عليه وآله للخروج والمواجهة التي لابد منها بمن معه من المسلمين وقد بلغوا ألفاً واحداً أو يزيدون، ودفع لواءه للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ووزّع الرايات على وجوه المهاجرين والأنصار.

وقد أبى المنافقون إلاّ أن يأخذوا دورهم الخبيث في إضعاف المسلمين ووأد الرسالة الحقّة والدين الإسلامي الجديد، فرجع عبد الله بن أُبي بمن تبعه في منتصف الطريق وكان عددهم يناهز الثلاثمائة[1].

واستمر النبي ﷺ في مسيره قدماً حتى بلغ أُحداً، فأعدّ أصحابه القتال، ووضع تخطيطاً سليماً محكماً للمعركة يضمن لهم النصر، حيث أمر خمسين رجلاً من الرماة أن يكونوا من وراء المسلمين إلى جانب الجبل، وأكّد عليهم بأن يلزموا أماكنهم ولا يتركوها حتى لو قُتِل المسلمون جميعاً[2]. وقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة.

ووصلت قريش إلى (أُحد) وأعدّوا انفسهم للقتال، فقسّموا الأدوار ووزّعوا المهام كما بدا لهم، وأعطوا لواءهم لبني عبد الدار، وأول من استلمه منهم طلحة بن أبي طلحة.

وفي اللحظة التي كمل فيها التنظيم انطلقت شرارة المعركة عندما برز كبش الشرك وحامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة الذي كان يُعدّ من شجعان قريش، يتقدّم نحو المسلمين رافعاً صوته، متحدياً لهم مستخفاً بجمعهم قائلاً: يا معشر أصحاب محمد! إنّكم تزعمون أن الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحدٌ منكم يعجّله سيفي إلى الجنة أو يعجّلني سيفه إلى النار؟

(١) الكامل في التاريخ، ١٥٠/٢. وسيرة ابن هشام، ٦٤/٣.

(٢) مغازي الواقدي، ٢٢٤/١. والكامل في التاريخ، ١٥٢/٢. وسيرة ابن هشام، ٦٦/٣.

فخرج إليه عليّ عليه السلام[(١)]. وبرزا بين الصفّين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في عريش أُعدّ له يشرف على المعركة ويراقب سيرها، فضرب عليٌّ طلحة فقطع رجله وسقط على الأرض وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فكشف عورته وناشده الله والرحم، فتركه علي عليه السلام فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر معه المسلمون فرحاً بنتيجة هذه الجولة.

فتقدّم عثمان بن أبي طلحة وأخذ الراية فقتله الإمام علي عليه السلام وقيل: حمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه فقتله.

ثم أخذ الراية أبو غدير بن عثمان بن أبي طلحة فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذ الراية عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذ الراية أبو سعد بن أبي طلحة، قائلاً:

أنا قاصم من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلانا في النار كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم، فخرج إليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأختلفا ضربتين، فضربه الإمام علي عليه السلام فقتله[(٢)].

وهو ثاني مَن كشف عورته أمام علي عليه السلام[(٣)].

ثم أخذها ارطأة بن شرحبيل فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله.

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٩/٢، ط الأعلمي.

(٢) سيرة ابن هشام، ٢٢٢/٣ وسيرة ابن كثير، ٣٩/٣. وتاريخ الخميس، ٤٢٧/١.

(٣) المصدر السابق.

ثم أخذ راية الكفار شريح بن قانط فقتله الإمام علي عليه السلام.

وسقطت الراية إلى الأرض فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها، وبلغ أصحاب اللواء المقتولون أحد عشر رجلاً.

قال الطبري وابن الزبير: كان الذي قتل حاملي اللواء الإمام علي عليه السلام ولولا الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن البخس[1].

نعم، لقد سقطت راية الكفار ولم يجرؤ أحدٌ من الرجال أن يحملها خوفاً من سيف علي عليه السلام لأنه البتّار والموت الأحمر، لذلك حقدت قريش وأعداء الإسلام على الإمام علي عليه السلام واستمرّ هذا الحقد يغلي في الدماء وحتى يومنا هذا. لذا لم نستغرب ما حدث في كربلاء وغيرها من المواطن المأساوية التي يندى لها الجبين.

وقد قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): إنّ ما جرى عليهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان بسبب الأحقاد البدرية والتراث الأحدية[2].

وعلى كل حال فإن الالتزام بالحقّ والصدق والإنسانية لابد له من ضريبة باهضة يدفعها أهل الحق والمثل العليا، يتألقون بها في عالم الكمال والسموّ والمجد والجنّة، وينحطّ أعداؤهم إلى عالم التسافل والخسّة والحقارة والرذيلة والنار وسوء الحساب والعقاب واللعنة.

أجل، بعد أن سقط لواء المشركين ونُكِّس على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام دبّ الرعب في قلوبهم وانهارت معنوياتهم وفرّوا فراراً مراً وانكشفوا لا يلوون

---

(١) تاريخ الخميس، ٤٢٧/١. تفسير القمي، ١١٣/١.

(٢) المناقب ابن شهرآشوب، ٢٠٣/٢ والبحار، ١٥٦/٤٣.

على شيء حتى أحاط المسلمون بنسائهم وبدت المعركة وكأنها قد حُسمت لصالح المسلمين.

وهنا عصفت النازلة العظمى بالمسلمين حيث ترك الرماة موقعهم فوق الجبل - وعصوا أمر رسول الله ﷺ القاضي بعدم الترك في كل الأحوال - وانحدروا يشاركون اخوتهم غنائم المعركة، ولم يثبت على الجبل إلاّ عشرة رماة.

فنظر خالد بن الوليد - وكان على كتيبة من خيل المشركين - خلوّ الجبل وقلّة الثابتين صاح بخيله، وكرّ يحملُ على الرماة وتبعه عكرمة فقتلوهم، وهنا تغيّر ميزان القوة ورجحت كفّته لصالح المشركين، فاستطاعوا أن ينفذوا ويشقّوا صفوف المسلمين(١).

وكانت المأساة التي لم يعرف المسلمون لها مثيلاً، فارتبك المسلمون وضاع صوابهم، فكانت هزيمة بعد نصر، وانكساراً بعد انتصار، وتفرّق الناس كلهم عن رسول الله ﷺ وأسلموه إلى أعدائه بعد أن استشهد عمّه حمزة وصاحب بن عمير، ولم يبقَ معه إلاّ علي ونفر قليل من المهاجرين والأنصار.

في هذه اللحظات الحاسمة والحرجة سجّل التاريخ موقف الصمود والفداء الذي وقفه علي عليه السلام من رسول الله ﷺ، وقف ليدافع عن النبي ﷺ بكل قوة وبسالة وهمّة سلامة الرسول والرسالة، إذ كان يحمل الراية بيد والسيف بالأخرى يصدُّ الكتائب ويردُّ الهجمات عن الرسول ﷺ، وكأنه جيش بكامل عدده وعُدّته، وكان الرسول كلما رأى جماعة تهجم عليه ﷺ قال لعلي عليه السلام:

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٤/٢. ط مؤسسة الأعلمي.

يا علي احمل عليهم، فيحمل عليهم ويفرّقهم، فلم يزل علي عليه السلام يقاتل حتى أثخنته جراحات عديدة في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه[1].

فأتى جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّ هذه لهي المواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إنه منّي وأنا منه) فقال جبرئيل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً في السماء ينادي: (لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي)[2].

وهكذا استطاع أمير المؤمنين عليه السلام أن يحافظ على حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ويدفع عنه كيد الأعداء والمنافقين والمشركين والمتربّصين به الدوائر، وأن يوصل نتيجة المعركة إلى حالة من التوازن دون أن يحرز أحد الطرفين نصراً حاسماً، ويُفشل مخططات الكافرين والمنافقين، ويجعل أحلامهم تذهب أدراج الرياح، وينصرفون من المعركة خائبين تلاحقهم اللعنة والخيبة حيث قالوا عندما بلغوا (الروحاء): لا الكواعب أردفتم ولا محمداً قتلتم. ارجعوا كما قال أبو رافع بطرق كثيرة رويت عنه.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٥٤. وأعيان الشيعة، ج١، ص٢٨٨. وبحار الأنوار، ج٢، ص٥٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ١٥٤. وفرائد السمطين للحمويني، ج١، ص٢٥٧. الحديث، ١٩٨ و ١٩٩. وتاريخ دمشق لابن عساكر، ج١، ص١٤٨. وروضة الكافي، ج٩٠.

مواقف بعد معركة أُحد:

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، بعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فقال: اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة.

قال علي عليه السلام: فخرجت في آثارهم فرأيتهم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل يريدون مكة(١).

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة عليها السلام وقال: ((اغسلي عن هذا دمه يا بنية)) وناولها علي عليه السلام سيفه وقد خضّب الدم يده إلى كتفه، فقال لها رسول الله ﷺ: ((خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل اللهُ بسيفه صناديد قريش))(٢).

وقد روى الإمام الحافظ أحمد البيهقي بإسناده عن محمد بن إسحاق بن يسار، قال: ((قال علي بن أبي طالب حين ناول سيفه فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

أفاطمُ هاكِ السيف غير ذميم ... فلستُ برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد أعذرتُ في نصر أحمد ... ومرضاة ربّ بالعباد رحيم

قال ابن إسحاق: وسمع في ذلك اليوم - وهاجت ريح - فسمع منادٍ يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ... ولا فتى إلاّ علي

---

(١) أعيان الشيعة، ٣٨٩/١. والسيرة النبوية لابن هشام، ٩٤/٣.

(٢) أعيان الشيعة، ٣٩٠/١.

فـــــإذا نـــــــدبتم هالكـــــــاً فــابكوا الــوفي واخ الــوفي))[1]

كانت معركة أحد قاسية نتيجتها، شديدة وطأتها، باهضة مكلّفة خسارتها، ورغم مرارة المعركة نلمح فيها ومضات ساطعة من مواقف عليّ عليه السلام فقد امتاز بأمور دون أن يشاركه أحد:

١- أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي لم تسقط إلى الأرض رغم فرار أغلب المسلمين.

٢- قتله عليه السلام أصحاب راية المشركين الذين تصدّوا لحملها، وقد أظهر بذلك حنكة عسكرية وشجاعة فذّة، واحدث بذلك شرخاً كبيراً في صفوف المشركين كان سبباً في هزيمتهم في أول المعركة.

٣- ثباته عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم فراره بعدما فرّ عنه الناس يدلُّ على إيمانه المطلق بالمعركة، والذي يكشف عن عمق العقيدة ورسوخها في نفسه عليه السلام.

٤- إنه كان هو المحامي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدافع عنه كتائب المشركين الذين قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليه السلام يمثّل الدرع التي تقي رسول الله عن وصول مكروه إليه، وهذا يدلّ على عظيم حبّه للرسول وتفانيه في الحرص على سلامته.

٥- إن أكثر المقتولين من المشركين يومئذٍ قتلاه[2] وهذا يدلُّ على فاعليته القتالية العالية وقوته وشجاعته عليه السلام.

---

(١) فرائد السمطين، ج١، ص٢٥٢.

(٢) الإرشاد، ص٨٢ الفصل ٢٣ الباب ٢.

٦- الأخلاق والقيم العالية التي عكسها في المعركة حيث ترك الإجهاز على طلحة بن أبي طلحة عندما كشف عن عورته حياءً منه عليه السلام وتكرّماً.

٧- إنه عليه السلام كان قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله ملازماً له حيث كان الرسول يوجّهه ليرد الهاجمين عليه، وأيضاً هو الذي أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله لما سقط في أحدى الحفر التي حفرها أبو عامر الراهب في ساحة المعركة ليقع فيها المسلمون[1].

كما أنه هو الذي حمل الماء بدرقته إلى النبي صلى الله عليه وآله ليغسل الدم والتراب عن وجهه ورأسه.

٨- ورغم الجراحات التي تعرّض لها علي عليه السلام والجهد الذي بذله، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وآله بعد انصراف قريش عن المعركة ليستطلع أخبارهم، وهذا يدلّ على ثقة الرسول بقدرة علي ودقّة ضبطه للمعلومات وحنكته في معالجة الأمور الطارئة، فالمعركة لم تنته بعد تماماً[2].

إضاءات ساطعة:

قال ابن شهرآشوب: ((روى سفيان الثوري عن واصل عن الحسن عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾[3]. قال: صاح

(١) سيرة ابن هشام، ج٣، ص٨٠.

(٢) هذه الامتيازات لعلي عليه السلام ذكرها العلاّمة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ج١، ص٣٩٠ فراجع.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٤.

إبليس يوم أُحد في عسكر رسول الله ﷺ أن محمداً قد قُتِل: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قال: والله لقد أجلب إبليس على أمير المؤمنين كل خيل كانت في غير طاعة الله، والله إنّ كل راجل قاتل أمير المؤمنين كان من رجالة إبليس))[1].

نعم، إنّ مَن يحارب علياً عليه السلام هو من رجالة إبليس وحزبه، وقد استطاع عليه السلام بحنكته العسكرية وشجاعته المعجزة أن ينكّس ألويتهم ويقتل صناديدهم، ويهزم جمعهم المشرك البائس ويحفظ الرسول والرسالة.

قال: ((وروى عن أبي رافع بطرق كثيرة أنه: لما انصرف المشركون يوم أُحد بلغوا الروحاء قالوا: لا الكواعب أردفتم ولا محمداً قتلتم، ارجعوا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم علياً في نفر من الخزرج فجعل لا يرتحل المشركون من منزل إلاّ نزله علي عليه السلام فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[2].وفي خبر أبي رافع: أن النبي تفل على جراحه ودعا له وبعثه خلف المشركين فنزلت فيه الآية))[3].

وقال محبّ الدين الطبري: ((كُسرت يد علي (رض) يوم أُحد فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: ضعوه في يده اليسرى، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة)).

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٥.

وروى الشيخ المفيد بإسناده عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود: ((دفع رسول الله ﷺ لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وجاء حتى وقف تحت لواء الانصار... إلى أن قال:

قلتُ له: إن ثبوت علي في ذلك المقام لعجب، فقال: إن تعجّبت من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أن جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي.

قلتُ: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟ فقال: سمع الناسُ صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبي ﷺ عنه، فقال: ذاك جبرئيل))[١].

وروى البدخشي بإسناده عن قيس بن سعد عن أبيه: ((أنه سمع علياً كرّم الله وجهه يقول: أصابتني يوم أُحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ، فجاءني رجل حسن الوجه طيّب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثم قال: أقبِل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله وهما عنك راضيان، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته فقال:

(يا علي أتعرفُ الرجل؟ قلت: لا ولكن شبّهته دحية الكلبي فقال: يا علي أقرّ اللهُ عينيك، كان جبرئيل))[٢].

وبناءً على ما تقدّم وعلى ما بذله أمير المؤمنين علي عليه السلام من بطولة نادرة وشجاعة فائقة، ومواقف مشرّفة، وفداءٍ لا يوصف، وتضحية ليس لها نظير من

---

(١) الارشاد، ص٣٨.

(٢) مفتاح النجاة، ص٤١.

أجل الحقّ والرسول والرسالة. وهبهُ اللهُ ورسولُه تاج الكرامة ووسام الشرف ومنزلةً لم يحظ بها أحدٌ من الخلائق أجمع.

لقد جاء عن القندوزي بإسناده عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

((يا أبا الحسن، لو وُضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان ووضع عملك يوم أُحد على كفّة أخرى لرجح عملُك على جميع ما عمل الخلائق، وإنّ الله باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحُجب من السماوات السبع وأشرفت إليك الجنة وما فيها، وابتهج بفعلك ربُّ العالمين، وأن الله تعالى يعوّضك ذلك اليوم ما يغبط كل نبي ورسولٍ وصدّيق وشهيد))[1].

فهل يوجد وسام أرفع من هذا الوسام الذي تقلّد به عليٌّ أمير المؤمنين على مدى العصور والدهور وإلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة؟!!

فهنيئاً لك يا أبا الحسن على هذا الوسام وعلى هذه المنزلة السامية والدرجة الرفيعة التي يغبطك عليها كلُّ نبي ورسولٍ وصدّيق وشهيد!!

وطوبى لك ولعملك وجهادك الذي باهى اللهُ به ملائكته المقربين!! ورفعت الحُجب وأشرفت إليك الجنة وما فيها من نعيم وحور عين، وابتهج بفعلك ربُّ العالمين!! فهنيئاً لك ثم هنيئاً ثم هنيئاً يا أمير المؤمنين!!!

وعلى كل حال، فقد انتصر الحق وانهزم الباطل، إن الباطل كان زهوقا، وخابت آمال أبي سفيان بن حرب الذي جمع أصحاب العِير بأحابيشها ومَن

---

(١) ينابيع المودّة، الباب الثالث عشر، ص٦٤.

أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة[١]. الذين خرجوا معهم بالظعن (النساء خمس عشرة امرأة يضربن بالدفوف) التماس الحفيظة ولئلا يفرّوا[٢]. والذي كان يقول:

يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال (مال التجارة) على حربه لعلّنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا. وقد فعلوا.

وكانت هند بنت عتبة - زوجة أبي سفيان - في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا[٣] وكانت تقول والنساء يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرّضنهم:

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار

ضرباً بكل بتّار

وتقول أيضاً:

إنْ تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق[٤]

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٣، ص٦٤.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠١.

(٣) تفسير القمي، ١/١١٦.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي، ٣/٢١٣. المعارف، ١٥٩.

وكلما مرت هند بوحشي (العبد الحبشي الذي ضرب الحمزة عم النبي ﷺ) أو مرّ بها قالت: إيه أبا دسمة (كنيته) ((اشفِ واستشفِ))[1].

ورغم كل هذه الجهود والأموال التي بلغت خمسين ألف دينار ذهب وألف بعير وسبعمائة درع ومئتي فرس، وسيوف ورماح وأقواس وأوتار ونبل وغيرها، قد باءت بالفشل، حيث أن رسول الله ﷺ بقى حياً والرسالة مستمرة، والدين الإسلامي يدخل القلوب ويهتك أستار الشرك والكفر والنفاق والرذيلة. وينشر الهداية والفضيلة، بشجاعة رسول الله ﷺ الذي قاتل في أُحد قتالاً شديداً فرمى بالنبل حتى فنى نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره[2] وبصمود وفداء وتضحية علي عليه السلام المذهلة التي سجّلها التاريخ بأحرف من ذهب وتغنّى فيها الأبطال والشعراء والمجاهدون، وتعطّر بها المجد والدهور والعصور.

وقد انزل اللهُ سبحانه قرآناً في أموال أبي سفيان والمشركين التي أُعدّت وأنفقت في حرب المسلمين بأُحد، حيث اخبر سبحانه وتعالى أنهم يُنفقونها ليصدّوا عن سبيل الله ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون وإنَّ مصير الكافرين الذين يحاربون الله ورسوله إلى جهنّم والعذاب الأليم.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠١ - ٥١٤.

(٢) الواقدي في المغازي، ج١، ص٢٤٩.

حيث يقول تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(١).

وهنا يجب أن نفهم ونتيقّن إن النصر في إتّباع طريق الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والإنفاق يجب أن يكون لله وفي سبيل الله ونشر دين الله عزّ وجل الأصيل المحمدي، لا الانفاق في الصدّ عن سبيل الله ومحاربة دينه الحقيقي ومحاربة رسول الله وأهل البيت صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، لأن في هذه المحاربة والصد يكون الفشل والخزي والخسران المبين لا في الدنيا فحسب وإنما في الحياة الآخرة أيضاً. والعاقل من وعى وفكّر وتدبّر ونجا.

بعض ما قيل في ذلك شعراً:

١- قال أبو العلاء السروري:

وهل عرفنا وهل قالوا سواهُ فتى ... بذي الفقار إلى أقرانه زلفا
يدعو النزال وعجل القوم محتبس ... والسامري بكف الرعب قد ترفا
مفرج عن رسول الله كربته ... يوم الطعان إذا قلب الجبال هفا

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٦.

٢- وقال السوسي:

وفي أُحـد سـل عنـه تخـبر إذ أتـى إليه أبو سفيان في الشوكِ والشجرِ
فوافـاهُ جبريـل عـن اللهِ قـائلاً أبا قاسم ألقِ الحديدَ على الحجرِ
فنادى الهزبر الليث حيدر في الوغى وقـال لهـذا اليـومَ مثلـكِ انتظـرِ
وشـبهته إذ ذو الفقـار بكفّـه كبدرِ الدجى في كفّه كوكب السحرِ

٣- وقال السيد الحميري:

ولـهُ بـلاءٌ يـومَ اُحـد صـالحٌ والمشـرفيةُ تأخـذُ الأدبـارا
إذ جـاء جبريـلُ فنـادى معلنـاً في المسـلمين واسمـعَ الأبـرارا
لا سـيفَ إلاّ ذو الفقـار ولا فتـى إلاّ علـيّ إنْ عـددتَ فخـارا

٤- وقال نصر بن المنتصر الانصاري:

ومـن ينـادي جبرئيـلُ معلنـاً والحربُ قد قامت على ساق الورى
لا سـيف إلاّ ذو الفقـار فـاعلموا ولا فتـى إلاّ علـي في الـوغى[1]

نعم، لا فتى إلاّ عليٌّ في الوغى، وقد خاب مَن افترى، فطوبى لمن هو هكذا، وكيف لا يكون هكذا، وقد باهى به ربُّ العُلا ملائكة السما؟!! فكان كهارونٍ من موسى إلاّ النبوّة فلا، فهو الوصيُّ حقاً، وهو الخليفةُ حصراً على الملأ،

(١) المناقب لابن شهرآشوب، ج٣، ص١٢٥.

واللعنةُ تُتابع مَن نأى!!! وقال خلافاً لذلك وغوى، والجنّةُ والرحمةُ لمن ﴿آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

ثالثاً: معركة الخندق أو الأحزاب:

لقد أصبح من الوضوح بمكان - بل حقيقة واقعة - أن المشركين وطغاة قريش لم يستطيعوا القضاء على الرسول والرسالة، ولكنّها الجاهلية والعناد والإصرار على الكفر، فعادت قريش تتهيأ مرةً أخرى لتوجيه الضربة القاضية للمسلمين وذلك بالتحالف مع اليهود الحاقدين والقبائل الجاهلية الأخرى والمنافقين، حتى بلغ عددهم عشرة آلاف يقودهم أبو سفيان[2].

ومما أثار حفيظة قريش وحلفائها، وزاد حقدهم وغيظهم حينما رأوا التكتيك الحربي الجديد الذي اتخذه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بعد أن استشار أصحابه فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رض) بحفر الخندق بالإضافة إلى الاندفاع والحماس والغرور بالعُدّة والعدد الذي كان قوياً جداً في نفوس المشركين والأحزاب المجتمعة معهم لقتال المسلمين والقضاء على الدين الجديد نهائياً.

وقد تمكّن بعض فرسان قريش وعلى رأسهم عمرو بن عبد ودّ العامري الذي يُعَدّ بألف فارس من عبور الخندق من مكان ضيّق فيه، فأصبحوا هم

---

(١) آمن بالله والرسول والرسالة وأحكامها وعمل الصالحات، ثم اهتدى إلى ولاية علي عليه السلام.

(٢) السيرة الحلبية، ج٢، ص٦٣١.

والمسلمون على صعيد واحد فأزداد بذلك خوف المسلمين، فخرج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي عبروا منها.

فوقف عمرو بن عبد ودّ العامري يطلب المبارزة وهو بطل العرب وفارس يليل الذي هزم فوارس وادي يليل العائدين لقبيلة بني بكر الذين تصدّوا له ولصحبه في أثناء طريقهم للمدينة لذلك سُمّي بفارس يليل[1].

لقد وقف هذا الفارس المغوار وطلب المبارزة وهو مقنّع بالحديد كما يقول البيهقي في دلائل النبوّة عن ابن إسحاق: فنادى مَن يبارز؟

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أنا له يا نبيّ الله. فقال: أنه عمرو أجلس. ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنّبهم ويقول: أين جنّتكم التي تزعمون أنه مَن قُتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟

فقام الإمام علي عليه السلام فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: إجلس ثُم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بُححت في النداء ... بجمعكم هل من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشيّعُ ... موقفَ القرنِ المناجز
ولذلك إني لم أزلْ ... متسرِّ قبلَ الهزائز
إنَّ الشجاعةَ في الفتى ... والجود من خير الغرائز

(١) تفسير الطبرسي، ج٢، ص٣٤٠.

فقام عليٌ - والمسلمون من صيحاته وكأن على رؤوسهم الطير - فقال عليه السلام: يا رسول الله أنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمشى إليه، بعد أن عمّمه رسول الله ◦ص) بعمامته، وقلّده بسيفه وألبسه درعه، ثُمّ رفع يديه وقال: ((اللهم إنّك أخذتَ عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أُحد وهذا عليّ أخي وابن عمّي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين))[(١)].

وبرز علي عليه السلام إلى ساحة المعركة بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((برز الإيمان كلّه على الشرك كلّه))[(٢)].

وهذا وسام رفيع قلّدهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوصية أمير المؤمنين علي عليه السلام يبقى محفوراً في التاريخ الإسلامي والضمير والوجدان، يحكي عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقوّة إيمانه وشجاعته، وصلابة موقفه وتضحيته من أجل الرسول والرسالة، حيث به عليه السلام كفى الله المؤمنين شرّ القتال، وانهزم الشرك والمشركون والأعداء والحاقدون، وانتصر الإيمانُ والمؤمنون، يا لَهُ من موقف مشرّف في الإسلام، وعظيم في حياة المسلمين وديمومة بقائهم وانتصاراتهم.

نعم، لقد انحدر علي عليه السلام نحو عمرو والثقة بنصر الله تملأ قلبه، أما عمرو فقد كان لقاؤه مع علي عليه السلام مفاجأةً له، وفي هذا الموقف تردّد عمرو في مبارزة الإمام علي عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام:

---

(١) السيرة الحلبية، ١٨٠/٢. موسوعة التاريخ الإسلامي، ٤٩١/٢ - ٤٩٢. المناقب للخوارزمي، ص١٤٤. شرح نهج البلاغة، ٦١/١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٦١/١٩. ينابيع المودّة الباب الثالث والعشرون وقد رواه عن ابن مسعود. الدميري رواه في حياة الحيوان، ٢٤٨/١. ورواه الميلاني في قادتنا، ١٠٨/٢. ورواه الفضل بن روزبهان.

يا عمرو إنك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاثة إلاّ قبلتُها أو واحدة منها، قال: أجل.

قال علي عليه السلام: فإني ادعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، وأن تسلم لرب العالمين، قال: أخّر عني هذه. قال علي عليه السلام: أما إنها خير لك لو أخذتها، ثم قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تتحدّث نساء قريش بهذا أبداً.

قال علي عليه السلام: تنزل تقاتلني.

فغضب عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه وعقرها، ثم أقبل على علي عليه السلام فتقاتلا، وضربه عمرو بسيفه فأتقاهُ علي عليه السلام بدرقته، فأثبت فيها السيف وأصاب رأسه، ثم ضربه علي عليه السلام على عاتقه فسقط على الأرض يخور بدمه، وعندها كبّر علي عليه السلام وكبّر المسلمون خلفه، وأنجلت الواقعة عن مصرع عمرو، وفرّ أصحابه من هول ما شاهدوه، فلحق بهم علي عليه السلام فسقط نوفل بن عبد الله في الخندق فنزل إليه علي فقتله[1]. وهو يقول عليه السلام:

أعليّ يقتحمُ الفوارسُ هكذا ... عنّي وعنهم أخّروا أصحابي
اليومَ يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
إلاّ ابن عبد حين شدّ إليه ... وحلفت فاستمعوا من الكتاب
أنّي لأصدق من يهلل بالتقى ... رجلان يضطربان كلّ ضراب

(١) تاريخ دمشق، ج١، ص١٥٠. موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٢، ص٤٩٥.

فصــدرتُ حــين تركتــه متجــدّلاً كالجــذع بــين دكــادك وروابــي
وعففــتُ عــن أثوابــه ولــو أنّــني كنــتَ المقطــر بزنــي أثــوابي
عبـد الحجـارة مـن سـفاهة عقلـه وعبــدتُ ربَّ محمــد بصــواب(1)

وهكذا ينهزم الجمع الكافر، وتتشرذم الأحزاب المشركة والحاقدة والمنافقة والخائنة للعهود، والناقضة للمواثيق بصمود علي عليه السلام وشجاعته النادرة، ومواقفه الصلبة والمشرّفة التي سجّلها التاريخ بماء من ذهب.

نعم، لقد تلقّت الأحزاب هذه الضربة القاسية بدهشة واستغراب شديدين لأنها لم تكن تتوقع أن أحداً من المسلمين يجرؤ على قتل عمرو بن عبد ودّ العامري، وبقتله دبّ الخوف في نفوسهم. وانتشر الرعب في صفوفهم من سيف علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يجرؤ أحد منهم على تكرار المحاولة وبعد برهة كرّوا منهزمين خائبين وباءت جهودهم وخططهم واستعداداتهم بالفشل الذريع بنصر الله وجهود رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبسيف علي عليه السلام ذي الفقار.

(1) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٣٢ – ٣٣. وقد قال علي عليه السلام شعراً عندما برز إلى عمرو بن عبد ود:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نبهةٍ وبصــــيرة والصدق منجا كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحــــــة الجنائز
من ضـــربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وعندما سمعت عمرة بنت عبد ودّ العامري بمصرع أخيها على يد علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يسلبه درعه الثمين وسيفه المشهور وأثوابه، أنشدت تقول راثيةً له:

لو كان قاتلُ عمرو غير قاتلهِ ... بكيتُهُ ما أقامَ الروحُ في جسدي
لكنّ قاتله مَن لا يعاب به ... وكان يُدعى قديماً بيضة البلدِ[1]

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقلّد علياً وساماً رفيعاً:

نتيجةً للحزم والإقدام، والجهود النضالية والإنسانية المبذولة من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الخندق، ومواجهته للطوارئ في ساحة المعركة، وسدّ الثغرة، ومبارزته لعمرو بن عبد ودّ في وقتٍ حجم فيه المسلمون جميعاً عن مبارزته، وقتله وهزيمة جيشه، وكفى الله المؤمنين شرّهُ بسيفه عليه السلام. استحقّ عليه السلام بجدارةٍ وامتياز أن يُكافَأ ويُقلّد بأرفع الأوسمة لتحكي عظمة هذا الإمام المعجزة، ومواقفه البطولية والجهادية عبر الزمن وحتى نهاية الدنيا ومن عليها.

نعم، نتيجةً لذلك كلّه يقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رؤوس الأشهاد - وهو صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى(٤)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يقفُ صلى الله عليه وآله وسلم فرحاً مستبشراً مفتخراً مشيداً بموقف أمير المؤمنين علي عليه السلام مقلداً إياه بأرفع أوسمة الإيمان والفداء والفروسية:

(١) تاريخ الخميس، الدياربكري، ج١، ص٤٨٨. المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٣٢ - ٣٣.

((لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة))(١).

فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين على هذا الوسام الخالد الذي يتعطّر بشذاه العصور والدهور، والجهاد والفداء ما بقى الجديدان وتعاقبا.

وطوبى لك هذا الشرف الرفيع الذي نلته بشهادة الرسول الأكرم حين قال ﷺ عند المبارزة: (برز الإيمانُ كلُّه إلى الشركِ كلّه)(٢).

وكيف لا تستحق كلّ ذلك وأنت الذي كنتَ السبب في إعادة الثقة للمسلمين في نفوسهم بعدما فقدوها عند رؤيتهم للجموع الكبيرة لقريش وأحلافها، وإلحاح عمرو بن عبد ودّ بالمبارزة، وإظهار الاستخفاف بجمع المسلمين المتواضع.

نعم، تستحق كل ذلك وأكثر لأنك الإسلام الحقيقي الذي تجسّد على أرض الواقع يا سيدي يا أمير المؤمنين وانك صاحب الأخلاق العالية، والإنسانية والواقعية التي تميّزت بها في كل المواقف، الحربية والسلمية وبذلك أبرزت بوضوح عظمة الرسول والرسالة، وقيم السماء المثالية الأخرى.

---

(١) مستدرك الحاكم، ج٣، ص٣٢ نقلاً عن هامش تاريخ دمشق، ج١، ص١٥٥. وفرائد السمطين، ج١، ص٢٥٥، حديث ١٩٧. والخوارزمي في مقتل الحسين، ج١، ص٤٥ ورواه محمد صدر العالم في معارج العلى في مناقب المرتضى، ص٩٥. والبدخشي في مفتاح النجاء، ص٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦١/١٩. ينابيع المودة، ب٢٣ مروي عن ابن مسعود. حياة الحيوان، ٢٤٨/١٠.

فأنت الوسام، وأنت الحياة، وأنت الفضائل والمُثل العليا، وكلٌّ ما يُقال في حقّك فهو النزر اليسر، والغيض من الفيض!!! لأن الذي يعرفك معرفةً حقيقية هو الله والرسول ﷺ كما قال المصطفى الأمين ﷺ، وقد خاب من افترى.

وقد نطق القرآن الكريم في فضل علي عليه السلام يوم الأحزاب.

روى ابن شهرآشوب عن ابن مسعود والصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي بن أبي طالب وقتله عمرو بن عبد ودّ.

وقد رواهُ أبو نعيم الأصفهاني في ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين بالإسناد عن سفيان الثوري عن رجل عن مرة عن عبد الله.

وقال جماعة من المفسّرين في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾[1] انهانزلت في علي بن أبي طالب يوم الأحزاب[2].

ثم روي عن زياد بن مطرب قال: ((كان ابن مسعود يقرأ ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي. وسبب نزوله: إن عمرو بن عبد ود كان فارساً مشهوراً...)).

نعم، لقد كفى اللهُ المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب عليه السلام. وهذه هي المفخرةُ العظمى، والنعمةُ الكبرى، والنصرُ المؤزّر الذي تحقّق على يد علي عليه السلام وبه فقد أبو سفيان واليهود والأحلاف صوابهم، وخابت آمالهم، وقُتل فارس

(١) سورة الأحزاب: الآية ٩.

(٢) المناقب، ج٣، ص١٣٤.

يليل وابنه حسل ونوفل بن عبد الله المخزومي بسيف ذي الفقار، وانهزم الأشرار، وكفى الله المؤمنين القتال، والحمدُ لله رب العالمين.

وانقطع الحصار الذي دام نيفاً وعشرين يوماً على المدينة المنوّرة، وحينها قال أبو سفيان، بعد أن نكّس عليٌّ الأبطال:

واللهِ ليست بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع، وأجدب الجناب، واخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون، واللهِ ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل[١].

وكما عادت قوات قريش وجدت غطفان مكان قريش خالياً فتراجعت إلى مساكنها[٢].

وبقي يهود قريظة وحدهم في الميدان مقابل قوات رسول الله ﷺ فخاب سعيهم ومكرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣].

وفي النتيجة، ينتصر الحقُ ويُزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وإن كُثر أنصارُه، وتعددت أحلافه، وقويت عدّته ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) مغازي الواقدي، ج٢، ص٤٩٠.

(٢) مسيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٤٤. تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٤٠. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٠ - ٥١. المغازي، الواقدي، ج١، ص٤٤٠ - ٤٤٩.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

رابعاً: صلح الحديبية:

نتيجةً للأحداث المتغيّرة وما رافقها من آلام ومعارك دامية خاضها الرسول الأكرم ﷺ ووصيّه الإمام علي عليه السلام وعامة المسلمين مع قريش واليهود والمنافقين، تمكّنت الرسالة الإسلامية أن تخطو خطوات مهمة بعيدة المدى، تحقق من خلالها للمسلمين كياناً واضحاً ووجوداً متميزاً ومستقلاً، وقوّةً لابُدّ من حسابها في ميادين شتى وأصعد متعددة.

وكان المسلمون قد قتلهم الشوق والرغبة الجامحة لزيارة الكعبة المكرّمة والطواف حولها، والتعبّد فيها، وهي لا تزال في وجدانهم وعقولهم، ويتذكرونها كلما وقفوا لتأدية صلاتهم متجهين نحوها.

وفي هذا الوقت بالذات من عمر الرسالة الإسلامية العظيمة عزم النبيُّ الأعظم ﷺ على أداء فريضة من فرائض الإسلام بأمر من الله العزيز، فقرّر الحج واتخذ كل الإجراءات والتدابير اللازمة لتحقيق مثل هذه الخطوة حتى أعلن ﷺ أكثر من مرّة أنه لا يرغب في الحرب ضد قريش أو غيرها لأنه ﷺ يريد السلم وتحقيق الهداية والأمان والإيمان بالدين الجديد من دون إكراه وقتال وحروب دامية، لأن الإسلام دين محبّة وسلام وهناء.

ولكنّ قريش حينما علمت بالخبر اجتمعت كلمتهم على منعه ﷺ والمسلمين من دخول مكّة المكرّمة مهما كلفهم ذلك من جهود وخسائر، فأرسلوا جماعةً من الفرسان يقودهم خالد بن الوليد ليقطع الطريق على رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين.

وحين نزل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والمسلمون منطقة (الجحفة) كان الماء قد نفد لديهم ولم يجدوا ماءً، فأرسل صلى الله عليه وآله الروايا فلم يتمكنوا من جلب الماء لترددهم وخوفهم من قريش، عندها دعا صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأرسله بالروايا وجلب الماء، وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من رجوع مَنْ تقدّمه، فخرج علي عليه السلام حتى وصل (الحرار) واستقى ثم أقبل بها إلى النبي صلى الله عليه وآله ولها زجل، فلما دخل كبّر النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بالخير[1].

نعم، إنّ الإمام علياً عليه السلام هو رجل المهمات الصعبة والمواقف العظيمة وكاشف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وملقّن الأعداء دروساً لا ينسونها أبداً.

ثم إن قريشاً اضطرت النبي أن يعدل عن الطريق المؤدي إلى مكة، وانحرف به رجل من (أسلم) إلى طريق وعرة المسالك خرجوا منها إلى ثنية المراد فهبط الحديبية، وحاولت قريش أكثر من مرة التحرّش بالمسلمين ومهاجمتهم بقيادة خالد بن الوليد، لكنّ علياً عليه السلام وجماعة من المسلمين الأشداء كانوا يصدّون تلك الغارات ويفوّتون الفرصة على قريش في جميع محاولاتها العدوانية[2].

وأضطرت قريش أن تفاوض النبي صلى الله عليه وآله بعدما رأت العزيمة والإصرار منه ومن المسلمين على دخول مكة، فأرسلت إليه مندوبين عنها للتفاوض، وكان آخرهم (سهيل بن عمر وخويطب من بني عبد العزّى) ويبدو أن المفاوضات لم

(١) الإرشاد، ص١٠٨، الفصل ٣٠ الباب ٢. وكشف الغمّة، ج١، ص٢٨٠. باب المناقب مثله.
(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر للحسني، ج١، ص٢١٧ نقلاً عن ابن إسحاق.

تنحصر بخصوص قضية الدخول إلى مكة في ذلك العام[1]. بل تناولت أموراً أخرى لصالح الطرفين.

فقد روي أن علياً عليه السلام قال:

((لما كان يوم الحديبية، خرج إلينا ناس من المشركين فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد! خرج إليك أناس من أبنائنا واخواننا وارقائنا وليس لهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من من أموالنا وضياعنا فأرددهم إلينا.

فقال صلى الله عليه وآله: ((إذا لم يكن لهم فقه في الدين كما تزعمون سنفقّههم فيه، وأضاف إلى ذلك: يا معشر قريش! لتنتهنّ أو ليبعثنّ اللهُ عليكم من يضرب رقابكم بالسيف قد امتحن اللهُ قلبه بالإيمان)).

فقال له أبو بكر وعمر والمشركون: من هو ذلك الرجل يا رسول الله؟!

فقال صلى الله عليه وآله: ((هو خاصف النعل، وكان قد أعطى نعله لعلي عليه السلام يخصفها))[2].

أجل إن الإمام علياً عليه السلام هو في خدمة الرسول والرسالة وقد امتحن الله قلبه بالإيمان وهو المنزل الرعب في قلوب المشركين واليهود والمنافقين وكل اعداء الله والدين الحق، والقاطع لرقاب الكفر والشرك والباطل وهو الذي يتوعّد به رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً وملّة الشرك بالعقاب الصارم وقطع الرقاب إن لم يكفّوا عن التحرّش والاعتداء.

---

(١) كنزل العمال، ج١٠، ص٤٧٢، غزوة الحديبية.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي، ص٥٩ وكنز العمال، ١٧٣/١٣ وفضائل الخمسة للفيروزآبادي، ٢٣٧/٢.

فطوبى لك يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن على هذه المنزلة العظيمة، والمكانة الرفيعة، والدرجة السامية التي لم يكن لها نظير!!

وبعد أن تمّ الاتفاق بين الطرفين على بنود الصلح، دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال له:

((اكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، لكنّ اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: واللهِ لا نكتبها إلاّ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، هذا قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو كُنّا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: أني لرسول الله وإن كذّبتموني، ثم قال لعلي عليه السلام: إمح رسول الله، فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنّ يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوّة، فأخذه رسول الله فمحاه، ثم قال له: (أما إن لك مثلها وستأتيها وأنت مضطرٌ لذلك))[١].

وكلام رسول الله ﷺ هذا من الغيب حيث يخبر علياً عليه السلام أنه سيتعرض إلى مثل هذا الموقف الصعب ويقبل به مضطراً، وهذا ما حصل بالفعل في نهاية معركة صفين وإجراء التحكيم الجائر وتغلّب عمرو بن العاص الماكر على الحاقد الجاهل أبي موسى الأشعري وتثبيت حكم الفئة الباغية معاوية ورهطه على سدّة الحكم والخلافة بدلاً من أمير المؤمنين علي عليه السلام الخليفة الشرعي، وخروج المارقين عليه المدعويين بالخوارج الذين أصروا على التحكيم وعصوا علياً في

(١) تاريخ الطبري، ٢٨٢/٢، ط مؤسسة الأعلمي، والكامل لابن الأثير، ٤٠٤/٢.

ذلك بل عصوا الله ورسوله ﷺ ومن ثم طلبوا نقض العهد ورفض نتيجة التحكيم والرجوع إلى الحرب وإلاّ الحرب مع الشيطان ضد علي عليه السلام. علي الحق والوفاء والالتزام بالمبدأ والميثاق.

وحينما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية ابن أبي سفيان فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررتُ أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته، وقال ابن العاص: بل نكتب اسمه واسم أبيه، ولما أصرّ أهل العراق على ما كتب، قال: أنه أميركم وليس بأميرنا، فأعادوا الكتاب إلى أمير المؤمنين وأخبروه بذلك، فأمر بمحوه، فقال له الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك فإني اتخوّف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أشبه هذا اليوم بيوم الحديبية، حين كتب الكاتب هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمر.

فقال له سهيل: لو أعلم انك رسول الله لم أخالفك، وإني إذاً لظالم لك أن منعتك أن تطوف في البيت الحرام ولكن اكتب بدلاً من ذلك محمد بن عبد الله.

فقال لي رسول الله: يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله ولن تُمحى عني الرسالة إذا كتبت لهم محمد بن عبد الله فامح ما أرادوا محوه، أما أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد.

أجل، إن علياً عليه السلام كرسول الله ﷺ لأنه نفسه كما في آية المباهلة ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ إلاّ النبوة فلا. فهو الوصي والخليفة والوارث والوزير... فلابد أن يتحد معه ويشابهه في الخطوب والحروب والمواقف والمحن، ومواجهة الأحداث

وأهل الشرك والشنآن والضلال والانحراف ويبقى رسول الله ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً، ويبقى أمير المؤمنين هو حقاً وصدقاً أمير المؤمنين وإن محا معاوية وابن العاص والفئة الباغية اسمه من الإمارة للمؤمنين.

والواقع، إن علياً عليه السلام هو أمير المؤمنين وخليفة للمسلمين، وقائدٌ للغر المحجلين إلى جنات النعيم، وإن النواصب الذين نصبوا له ولأولاده المعصومين عليهم السلام العداءَ والشنآن هم ليسوا من المسلمين ولا من المؤمنين، وبعيدين كل البعد عن جنات النعيم، وهذا ما قاله اللهُ رب العالمين وأكده رسوله الأمين صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين وعلى أصحابه الغرّ الميامين.

ويظل علي شامخاً وإماماً خالداً لقوله ﷺ: ((من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من ولاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهدُ الغائب)).

نعم، فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، والعالمُ الجاهلَ، والمؤالفُ المخالف إلى يوم القيامة.

خامسا: معركة خيبر:

خيبر: واحة في طريق الشام بينها وبين المدينة اثنان وثلاثون فرسخاً أي ستة وتسعون ميلاً[١] ومشي ثلاثة أيام إلى جهة الشام[٢] وخيبر بلسان اليهود:

---

(١) التنبيه والإشراف، ص٢٢٢. والسيرة الحلبية، ج٣، ص٣٠.

(٢) تاريخ الخميس، ٤٣/٢.

الحصن، وقيل سُمّيت باسم خيبر بن قانية[١] وفيها مزارع وأربعون ألف نخلة. وكان الله تعالى قد وعد النبي ﷺ إياها في الحديبية في قوله تعالى: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢]. ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾[٣]. فارس والروم[٤].

فبعد اتفاق رسول الله ﷺ مع قريش على صلح الحديبية تفرّغ لحرب يهود خيبر الذين جهّزوا جيوش الأحزاب ضدّه واستمروا في حربه منذ وصوله المدينة المنورة.

ولقد عاد رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي الحجة سنة ست فأقام فيها ذا الحجة والمحرم ثم ذهب إلى حرب يهود خيبر في محرم سنة سبع[٥] وأخذ معه أم سلمة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة[٦].

وخرج الرسول ﷺ في ألف وستمائة من المسلمين وأعطى الراية لحاملها في حروبه كلها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٧] ومضى يجد السير باتجاه خيبر فوصل إليهم ليلاً ولم يعلم به أهلها، فخرجوا عند الصباح، فلما رأوه عادوا

(١) معجم البلدان، ٤٦٧/٢.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٨. عيون الأثر، ١٣٣/٢.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢١.

(٤) عيون الأثر، ١٣٣/٢، ١٤١.

(٥) مغازي الواقدي، ٦٣٤/٢. تاريخ اليعقوبي، ٥٦/٢.

(٦) مغازي الواقدي، ٦٣٤/٢. سيرة أبي حاتم، ٣٠٠/١.

(٧) سيرة ابن هشام، ٣٤٢/٣ - ٣٥٠. ذخائر العقبى، ٧٥. تاريخ الخميس، ٤٣٤/١. المنتظم ٢٩٣/٣. الروض الآنف، ٤٩٩/٦. عيون الأثر، ١٤٤/٢.

وامتنعوا في حصونهم، فحاصرهم النبي وضيّق عليهم ونشبت معارك ضارية بين الطرفين حول الحصون، وتمكن النبي ﷺ من فتح بعض حصونهم - رغم أن المقاتلين من اليهود عشر آلاف أو أكثر - واستمر الحال هذا من الحصار والقتال بضعاً وعشرين يوماً، وبقيت بعض الحصون المنيعة، فبعث النبي ﷺ برايته أبا بكر فرجع ولم يصنع شيئاً، وفي اليوم الثاني بعث بها عمر بن الخطاب فرجع خائباً كصاحبه يجّبن أصحابَهُ ويجّبنهُ أصحابُه[1].

وهنا عزّ على رسول الله ﷺ أن يعقد بيده لواءً فيرجع خائباً، أو يوجّه أحداً نحو هدف فيرتدّ منهزماً، فأعلن ﷺ كلمةً خالدة تتضمن معاني عميقة ومغازي جليلة، فقال بصوتٍ رفيع يسمعه أكثر المسلمين:

((لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، كرّار غير فرّار يفتح اللهُ عليه، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله))[2].

فأشرأبّت الأعناق وامتدّت وتمنى كل واحد أن يكون مصداق ذلك، حتى أن عمر بن الخطاب قال: ما أحببتُ الإمارة إلاّ يومئذٍ وتمنيت أن أُعطى الراية[3].

---

(١) رواية علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس، انظر: سيرة علي بن أبي طالب: المجلد الأول، ص٢٨٥، صحيح البخاري، ٤٦٥/٤٠، ح١١٥٥، ط دار القلم، مغازي الذهبي، ص٣١٢. مجمع الزوائد، ١٢٤/٩ ومستدرك الحاكم، ٣٧/٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٣٠٠/٢. مؤسسة الأعلمي، تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٦٦/١. ترجمة الإمام علي عليه السلام. تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنفي، ص٣٢ والسيرة الحلبية بهامش السيرة النبوية، ٣٧/٣. أعلام الهداية، ٩٠/٢.

(٣) تذكرة الخواص، ص٣٢.

فلما طلع الفجر قام النبي ﷺ فدعا باللواء والناس على مصافّهم، ثم دعا علياً عليه السلام فقيل: يا رسول الله! هو أرمد، قال: فأرسلوا له، فذهب إليه سلمة بن الأكوع وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي ﷺ وقد عصّب عينيه، فوضع النبيُّ رأس علي في حجره، ثم بلّ يده من ريقه ومسح بها عيني عليّ عليه السلام فبرأتا حتى كأن لم يكن بهما وجع، ثم دعا النبيُّ لعليّ بقوله: ((اللهم اكفِه الحرَّ والبرد))[1].

ثم ألبسه درعه الحديد وشدّ ذا الفقار الذي هو سيفه ﷺ في وسطه وأعطاهُ الراية ووجّهة نحو الحصن، فقال ﷺ: ((أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالذي نفسي بيده، لأن يهدي بهداك - أو لأن يهدي اللهُ بهداك - رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم)).

قال سلمة: فخرج والله يهرول هرولة وإنا خلفه نتّبع أثره حتى ركز رايته في رخم من حجارة تحت الحصن، فاطّلع عليه يهودي من رأس الحصن، فقال: مَن أنتَ؟ قال: ((أنا علي بن أبي طالب)). قال:

قال اليهودي لأصحابه: غُلبتم، وما أُنزل على موسى[2].

ثم خرج إليه أهل الحصن، وكان أول مَن خرج إليه الحارث أخو (مرحب) وكان معروفاً بالشجاعة فأنكشف المسلمون ووثب علي عليه السلام فتضاربا وتقاتلا

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٠١/٢، ط مؤسسة الأعلمي، الكامل لابن الأثير، ٢٢٠/٢ وفرائد السمطين، ٢٦٤/١، ح٢٠٣.

(٢) أعيان الشيعة، ج١، ص٤٠١.

فقتله علي عليه السلام وخرج أخوه ياسر للمبارزة فقتله الإمام علي عليه السلام، وانهزم اليهود إلى الحصن ثم خرج مرحب وهو ملكهم طويل القامة عظيم الهامة[١]. والظاهر أنه أصبح ملكهم بعد مقتل حي بن أخطب[٢] وقد لبس درعين وتقلّد بسيفين واعتمّ بعمامتين ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان ويقول شُعراً كما مرّ.

فاختلف هو وعلي بضربتين فضربه علي عليه السلام بسيفه فقدّ الحجر وشقّ رأسه نصفين حتى وصل السيف إلى أضراسه وهو يرتجز ويقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة   أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثٌ بغاباتٍ شديدٌ قسورة

ولما أبصر اليهود ما حلّ بفارسهم (مرحب) ولّوا منهزمين إلى داخل الحصن وأغلقوا بابه.

فصار علي عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق - الذي حول الحصن - ولم يعبروا معه عليه السلام فأخذ باب الحصن فقلعه وجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم[٣].

وروي أنه اجتمع عدّة رجال على أن يحرّكوا الباب فما استطاعوا.

---

(١) أمالي المفيد، ص٣، والسيرة الحلبية، ج٣، ص٣٢.

(٢) مغازي الواقدي، ج٢، ص٧٠٦.

(٣) تاريخ الطبري، ٣٠١/٢، ط مؤسسة الأعلمي، الإرشاد للمفيد، ص١١٤ فصل ٣١ باب ٢ وبحار الأنوار، ١٦/٢١.

قال ابن عمرو: ما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي علي عليه السلام ولكنّا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلّف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال:

((والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً)).

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف:

((والله ما قلعتُ بابَ خيبر ورميتُ به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية، لكنّي أيّدت بقوّة ملكوتية ونفس بنور ربّها مضيئة وأنا من أحمد كالضوء من الضوء))[1].

نعم، إنّ علياً عليه السلام مؤيدٌ بقوة ملكوتية، ونفسه بنور ربه مضيئة، وهو من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء، أي ضوء واحد ونور واحد، وهذا النور من ذلك النور لأنهما خُلقا من نور واحد من قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام بأربعين ألف عام وعلى رواية بأربعة عشر ألف عام كما تقول الروايات الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو عليه السلام معجزة في فعله وقوله وقوّته وشجاعته وجهاده، على يديه عليه السلام يفتح اللهُ الحصون المنيعة، وتُنال الغنائم الكثيرة والثمينة، وتُحطّم رؤوس الجبت والطاغوت، والكبرياء والجبروت، وبه عليه السلام ينتشر الهدى، وينتصر الحق، ويُدحر الضلالُ، ويُزهق الباطل، فهو كرّار غير فرّار. اسمه يُرعب الابطال، وسيفه ذو الفقار الموت الاحمر، فإذا هجم صرع،

(١) الأمالي للصدوق المجلس السابع والسبعون، ج١٠.

وإذا ضرب قطع، حتى بلغ من شجاعته عليه السلام أن يكشف عمرو بن ود سوأته وكذلك عمرو بن العاص وطلحة كبش قريش وغيرهم وغيرهم كثير.

طوبى لك يا مولاي يا أمير المؤمنين، الأبطال تكشف سوءاتهم حفاظاً على رقابهم من سيفك حتى أصبح الهروب من منازلتك ليس عاراً. فهل يدانيك أو يُقاسُ بك أحد من الناس؟! كلاّ وألف كلاّ وربّ الكعبة، فأنت المعجزة وتبقى المعجزة، وأنت الثريا وغيرك الثرى، وقد خاب من افترى وأنت الإمام وتبقى الإمام حقاً وصدقاً، وغيرك المأموم كما نطقت كلٌّ الشواهد والأدلة وإن تأوّل وطغى، وقال زوراً أنها الشورى، وهل تصحٌّ والنصٌّ أظهر وأبقى؟!!

إن علياً هو المولى، إن علياً هو المولى، وقد خابَ من افترى!! وتُفتح خيبر وحصونها ومن المصادر التي ذكرت فتح خيبر على يد علي عليه السلام السنن الكبرى للبيهقي، ج٢، ص٣٦٢، والمستدرك، ج٣، ص٤٣٧، وحلية الأولياء، ج١، ص٦٢، والاستيعاب، ج٢، ص٤٥، والرياض النضرة، ج٢، ص١٨٥، وسنن الترمذي، ج١، ص٣١٨، ومجمع الزوائد، ج٩، ص١٢٤ وهذه المصادر قد جاء ذكرها في[1].

---

(١) قادتنا كيف نعرفهم، ج١، ص٤٧٨.

خيبر وردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام:

ردّت الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام في موطنين أحدهما في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة خيبر، والثاني بعد رجوعه من معركة النهروان(١) وحديث ردّ الشمس يكاد يكون متواتراً، وقد ألّف فيه الكثير من العلماء كتباً خاصة وعلى رأس هؤلاء السيوطي.

وقال الدياربكري: وفي هذه السنة طلعت الشمس بعدما غربت لعلي عليه السلام على ما أورد الطحاوي في مشكلات الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين:

أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام ولم يصلِّ العصر حتى غابت الشمس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أصليتَ يا علي؟

قال: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس)).

قالت أسماء: فرأيتها غربت ثُمّ رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبل، وذلك في الصهباء في خيبر))(٢).

وفي المنتقى قال أحمد بن صالح: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوّة(٣).

---

(١) الذريعة، ج٣، ص١٧٣، مصنّف أبي بكر الورّاق.

(٢) تاريخ الخميس، ج٢، ص٥٨، مشكل الآثار، ج٢، ص١١.

(٣) تاريخ الخميس، ج٢، ص٥٨، الكافي: ج٤، ص٥٦٢، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٣.

وبحث هذا الموضوع العلاّمة الشيخ الأميني في كتابه الغدير بشكل رائع[١].

وقد قال الشاعر العبقري المعروف بالزاهي وهو أبو القاسم علي بن إسحاق بن خلف القطّان البغدادي قصيدةً عصماء بهذا الخصوص اخترنا منها البيت الآتي:

وكلّـمُ الشـمس ومَـن رُدّت لـهُ ... ببابـلٍ والغـربُ منها قـد قُـبطْ[٢]

قوله: مكلّم الشمس:

أشار به إلى ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي: ((يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنها تكلّمك)) قال علي عليه السلام: ((السلام عليك أيها العبد المطيع لله ورسوله)).

فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يا علي أنت وشيعتك في الجنة، يا علي أول من تنشقُّ عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يحيا محمد ثم أنت، وأول من يُكسى محمد ثم أنت.

فسجد علي عليه السلام لله تعالى وعيناه تذرفان بالدموع، فأنكبّ عليه النبيّ فقال: ((يا أخي وحبيبي ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات)).

أخرجه شيخ الإسلام الحمويني في فرائد السمطين، ١٨٥/١ ح١٤٧ الباب ٣٨ والخوارزمي في المناقب ص١١٣ ح١٢٣ و ص٦٨. والقندوزي في ينابيع المودة ج١ ص١٤٠ باب ٤٩[١].

---

(١) الغدير، ج٣، ص١٢٧ و ص١٨٤.

(٢) قبط: جُمع.

وقوله: ومَن رُدّت له ببابل:

حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام ببابل أخرجه نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) ص١٥٢ طبع مصر بإسناده عن عبد خير قال:

كنت مع علي أسير في أرض ببابل وحضرت الصلاة - صلاة العصر - قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلاّ رأيناه أقبح من الآخر، قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا وقد كانت الشمس أن تغيب قال: فنزل علي ونزلت معه، قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، قال: فصلينا العصر ثم غابت الشمس.

خيبر وفَدك:

لّما سمع يهود فدك بهزيمة يهود خيبر أمام المسلمين بعثوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يفاوضه على تنازلهم عن الأرض وما يملكون مقابل حقنه صلى الله عليه وآله وسلم دماءهم، واتفقوا معه على بقائهم في الأرض يعملون فيها بنصف الناتج[٢].

فأصبحت خيبر المفتوحة عنوةً للمسلمين، وأضحت فدكاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنها أخذت دون حرب، فأعطاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة عليها السلام[٣].

---

(١) الغدير، ج٣، ص٥٢٦ - ٥٢٧.

(٢) شرح النووي على مسلم، ٨٢/١٢.

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ١٣٦/٣. شرح النهج، المعتزلي، ٣٧/٤.

وقد قال الإمام علي عليه السلام في خلافته:

((بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله تعالى))(١).

ولما جاء أبو بكر إلى السلطة انتزع فدكاً من فاطمة عليها السلام بحديث أنكره صحابة رسول الله ﷺ ومفاده قوله: (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث)(٢).

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٣).

وأعطى عثمان فدكاً لمروان بن الحكم(٤).

وأعطاها مروان لابنه عبد العزيز ووهبها عبد العزيز لابنه عمر ولما وصل عمر بن العزيز إلى الخلافة ردّها إلى أهلها الشرعيين فسلّمها للإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي وزّع ناتجها على ذرية فاطمة عليه السلام.

ثم اغتصبها يزيد بن عبد الملك وبقيت بيد الدولة إلى أن ردّها أبو العباس السفاح، ثم اغتصبها المنصور بعد ثورة عبد الله بن الحسن، ثم أرجعها المهدي العباسي لأهل البيت وأخذها منهم موسى بن المهدي العباسي ثم أعادها المأمون ثم اغتصبها المتوكل(٥). وبيّنت معركة خيبر هزيمة الغدر وانتصار الحق.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي، ٣٧/٤.

(٢) سنن البيهقي، ٣٠١/٦. السيرة للطائي، ٣٠٥/١.

(٣) سورة النمل: الآية ١٦.

(٤) سنن البيهقي، ٣٠١/٦. الغدير، ١٩٥/٧.

(٥) السقيفة: أبو بكر الجوهري، ص١٠٤ وشرح النهج، ٢١٠/٦ وفتوح البلدان، ٣٦. تاريخ الطبري، ٤٤٨/٢.

سادساً: غزوة ذات السلاسل:

ويُقال أنها كانت تُسمى بغزوة ذات السلسلة، وقد تجمّعت عدّة قبائل من شمال جزيرة العرب للهجوم على المدينة المنوّرة لقتل رسول الله (ص) وأخيه علي بن أبي طالب، وابن عمّه ووصيّه، وخليفته عليه السلام، ويُقال لواديهم: الوادي اليابس أو وادي الرمل، وبينه وبين المدينة عشرة أيام، وفيها قبيلة قضاعة.

وقد قال خليفة في تاريخه عن أرضهم هي عين بأرض جذام[١].

واستخدم الروم بني قضاعة على بادية العرب وكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز[٢] وفي تلك المنطقة ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن[٣].

وكانت تلك الغزوة قد حدثت في السنة الثامنة من الهجرة في صفر[٤].

وقد جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً(١)فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ أنه قال عليه السلام أنها نزلت في أهل وادي اليابس.

قلتُ له: وما كان حالهم وقصّتهم؟

قال عليه السلام: إن أهل وادي اليابس اجتمعوا اثنى عشر ألف فارس وراجل وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على أن لا يتخلّف رجل عن رجل ولا يخذل أحدٌ أحداً ولا يفرّ رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلّهم على حلف واحد أو يقتلوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٢، ص١٣١. وتاريخ خليفة، ص٥١. والبحار، ج٢١، ص٧٥.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر كحالة، ج٣، ص٩٥٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٧٥.

(٤) السقيفة، أبو بكر الجوهري، ص٤٨.

فنـزل جبرئيـل عليه السلام علـى محمـد صلى الله عليه وآله وأخـبره بقصـتهم ومـا تعاقـدوا عليـه وتواثقوا...

((... قال الشيخ المفيد: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

((أيها الناس إنّ هذا عدوّ الله وعدوّكم قد أقبل إليكم يزعم أنه يبيتكم بالمدينة فمن للوادي؟)).

فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله فناوله اللواء وضمّ إليه سبعمائة رجل، وقال له: ((إمض على اسم الله)).

فمضى فوافى القوم ضحوة فقالوا له: مَن الرجل؟ قال: أنا رسول لرسول الله، أما أن تقولوا: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أو لأضربنّكم بالسيف.

قالوا له: ارجع إلى صاحبك فإنا في جميع لا تقوم له، فرجع الرجل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: (مَن للوادي)؟

فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله. قال: فدفع إليه الراية ومضى ثم عاد لمثل ما عاد صاحبه الأول، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أين علي بن أبي طالب؟)).

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ((أنا ذا يا رسول الله)) قال: ((إمض إلى الوادي)) قال: نعم. وكانت له عصابة لا يتعصّب بها حتى يبعثه النبي صلى الله عليه وآله في وجه شديد.

فمضى إلى منزل فاطمة عليها السلام فألتمس العصابة منها، فقالت: أين تريد؟ وأينَ بعثك أبي؟ قال: إلى وادي الرمل. فبكت اشفاقاً عليه، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي على تلك الحال، فقال لها: ((ما لكِ تبكين؟ أتخافين أن يُقتل بعلك كلاّ إن شاء الله تعالى)).

فقال له علي عليه السلام: (لا تنفس عليّ بالجنة يا رسول الله).

قال: ثم خرج ومعه لواء النبي عليه السلام فمضى حتى وافى القوم بسحر فأقام حتى أصبح ثم صلّى بأصحابه الغداة وصفّهم صفوفاً واتكأ على سيفه مقبلاً على العدو فقال:

((يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا: لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله وإلاّ أضربنّكم بالسيف)).

قالوا له: ارجع كما رجع صاحباك. قال: ((أنا لا أرجع لا والله حتى تسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب)) فاضطرب القومُ لما عرفوه، ثم اجترؤوا على مواقعته، فواقعهم عليه السلام فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم المشركون وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، وتوجّه إلى النبي صلى الله عليه وآله))[١].

(١) الإرشاد، ص٥٢.

وقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((ما غنم المسلمون مثلها قط إلاّ أن يكون من خيبر فإنها مثل ذلك، وانزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم هذه السورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾[1].

وقال المجلسي: (كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يقاتل حتى تطلع الشمس وتنزل ملائكة النهار، قال: فلما أن دخل النهار التفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى صاحب راية النبي صلى الله عليه وآله فقال له: ارفعها فلما أن رفعها ورآها المشركون عرفوها وقال بعضهم لبعض: هذا عدوّكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه.

قال: فخرج غلام من المشركين أشدّهم بأساً وأكفرهم كفراً فنادى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: يا أصحاب الساحر الكذّاب: أيّكم محمد؟ فليبرز إليّ، فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: (ثكلتك امك أنت الساحر والكذّاب، محمد جاء بالحق من عند الحق).

قال له: مَن أنت؟ قال: (أنا علي بن أبي طالب أخو رسول الله وابن عمّه وزوج ابنته).

قال: لكَ هذه المنزلة من محمد؟ قال له علي: (نعم).

قال: فأنت ومحمد شرع واحد، ما كنت أبالي لقيتك أو لقيت محمداً ثم شدّ على علي عليه السلام وهو يقول:

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص٤٣٤ ومناقب ابن شهرآشوب، ج٣، ص١٤٠.

لاقيــت ليثــاً يــا علــي ضــيغماً قرمــاً كريمــاً في الــوغى معلّمــاً
ليثــاً شــديداً مــن رجــال خثعمــا ينصـــرُ دينـــاً معلمـــاً ومحكمـــا

فأجابه علي بن أبي طالب، وهو يقول:

لاقيـــت قرنـــاً حـــدثاً وضـــيغما ليثـاً شـديداً في الـوغى غشمشـما
أنـــا علـــي ســـأبيرُ خثعمـــا بكــلِّ خطــى يــري النقــع دمــا

وكل صارم يثبت الضرب فيغنما

ثم حمل كل واحد على صاحبه فأختلف بينهما ضربتان فضربه علي عليه السلام ضربةً فقتله وعجّل اللهُ بروحه إلى النار، ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام هل من مبارز؟

فبرز أخ للمقتول وحمل كلٌّ واحد على صاحبه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام ضربة فقتله وعجّل اللهُ بروحه إلى النار، ثم نادى علي عليه السلام: هل من مبارز؟ فبرز له الحرث بن مكيدة وكان صاحب الجمع وهو يُعَد بخمسمائة فارس وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودُ﴾ قال: كفور: ﴿وَإِنَّهُ عَلى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال: شهيد عليه بالكفر ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعني باتباعه محمداً، فلما برز الحارث حمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه فضربه علي ضربة فقتله وعجّل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي عليه السلام: هل من مبارز؟

فبرز إليه ابن عمه يُقال له: عمرو بن الفتّاك، وهو يقول:

أنـــا عمــــرو وأبــــي الفتّـــاك   وبيــدي نصـــلُ ســيف هتـــاكِ

أقطع به الرؤوس لمن أرى كذاك

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

هاكهــــا مترعـــــة دهاقـــــا   كـأس دهــاق مُزجــت زعاقــا

أنــــي امــــرؤ إذا مـــا ألاقـــا   أقـــدّ الهـــامَ وأجـــدّ ســـاقا

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فضربه علي عليه السلام ضربةً فقتله وعجّل اللهُ بروحه إلى النار، ثم نادى علي عليه السلام: هل من مبارز؟ فلم يبرز إليه أحد فشد أمير المؤمنين عليه السلام عليهم حتى توسّط جمعهم فذلك قول الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

فقتل علي عليه السلام مقاتليهم وسبا ذراريهم وأخذ أموالهم وأقبل بسبيهم إلى رسول الله ٠ص) فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل علياً عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، وأقبل النبي صلى الله عليه وآله يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بردائه ويقبّل بين عينيه ويبكي وهو يقول: (الحمد لله يا علي الذي شدّ بك أزري وقوّى بك ظهري، يا علي انني سألت الله فيك كما سأل أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربي أن يشدّ بك أزري، ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول:

((معاشر أصحابي لا تلوموني في حب علي بن أبي طالب عليه السلام فإنما حبّي علياً من أمر الله، والله أمرني أن أحبّ علياً وأدنيه، يا علي مَن أحبّك فقد

أحبني ومن أحبني فقد أحبَّ الله ومن أحب الله فقد أحبّه الله وحقيق على الله أن يسكن حبيبه الجنة، يا علي من أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله ومَن أبغضه الله لعنه وكان حقيق على الله أن يقفه يوم القيامة موقف البغضاء ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً))[(١)].

قال النقدي: هذا أشهر مواقفه عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله[(٢)].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً عندما استقبل علياً عليه السلام بعد انتصاره الباهر وظفره الحاسم في معركة ذات السلاسل: ((يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملأ منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك))[(٣)].

وجاء في تفسير فرات ما نصه:

(وقتل الإمام علي منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس الأعداء الحارث بن بشر منهم وسبى مائة وعشرين ناهداً)[(٤)].

هذا هو علي أمير المؤمنين، وهذه هي مواقفه المشرّفة، وهذه هي خدماته الجليلة وتضحياته العظيمة من أجل الرسول والرسالة، ونشر الهدى ومحاربة الشرك والكفر والضلالة، فكيف لا يقبّل الرسول ما بين عينيه، ويؤخذ التراب من تحت قدميه؟!! ويكون شانئه الأخسر ولا يُقبل منه صرفاً ولا عدلاً.

---

(١) بحار الأنوار، طبع كمباني، ج٦، ص٥٩٣.

(٢) الغزوات، ص١٠٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٢.

(٤) تفسير فرات، ص٢٢١ - ٢٢٢.

سابعاً: فتح مكّة:

لقد ساد السلم والهدوء الأجواء المحيطة بالمسلمين وقريش نتيجةً لصلح الحديبية الذي تم بينهما، إلاّ أنه لم يدم طويلاً بسبب نقض قريش لبنود المعاهدة لأنها تصوّرت أن المسلمين قد أصابهم الوهن والضعف العسكري بعد انسحابهم من معركة (مؤتة) خاسرين، فراحت قريش تتآمر على أحلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبيلة خزاعة، وقد حرّضت بالفعل بعض أحلافها من بني بكر وساعدتها في ذلك فوقعت مناوشات وقتال بين خزاعة وبني بكر فتغلّب بنو بكر، وبهذا فقد نقضت قريش كامل بنود المعاهدة وأعلنت الحرب رسمياً على المسلمين.

وعند ذلك عزم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على محاربة قريش، وقد قال كلمته المشهورة: ((لا نصرت إن لم أنصر خزاعة)). وأخذ صلى الله عليه وآله وسلم يستعدُّ لذلك وأمر أن لا يُذاع هذا الأمر مطلقاً لأن السرية مطلوبة في ذلك إلاّ إن (حاطب بن أبي بلتعة) سرّب الخبر حيث أرسل كتاباً إلى قريش مع امرأة تسمى (ظعينة) يخبرهم بما عزم عليه النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبل خروجها من ضواحي المدينة، نزل الوحي على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بذلك، فأرسل خلفها بالفور علياً عليه السلام والزبير، وأمرهما بأن يجدّا السير في طلبها قبل أن تفلت منهما، فأدركاها على بعد أميال من المدينة فأسرع الزبير إليها وسألها عن الكتاب فأنكرته وبكت فرقّ لها الزبير ورجع عنها ليخبر علياً عليه السلام ببراءتها وقال له: ارجع لنخبر الرسول بذلك، فقال علي عليه السلام:

إن رسول الله ﷺ يخبرنا بأنها تحمل كتاباً وتقول أنت بأنها لا تحمل شيئاً ثم شهر علي عليه السلام سيفه وأقبل عليها حتى استخرج الكتاب منها، ورجع إلى النبي ﷺ وسلّمه إياه(١).

ولما أتم النبي ﷺ الاستعدادات والتجهيزات اللازمة للخروج إلى مكة أعطى لواءه إلى علي عليه السلام ووزّع الرايات على زعماء القبائل ومضى يقطع الطريق باتجاه مكة.

ولما رأت قريش أنها لا طاقة لها أمام النبي ﷺ والمسلمين استسلمت ولم تجد بُداً من أن يدخل كلّ فرد منهم داره ليأمن على نفسه انقياداً للأمان الذي أعلنه النبيُّ لهم(٢).

وروي أن سعد بن عبادة كان معه راية رسول الله ﷺ على الأنصار ولما مرّ على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي (في الطريق إلى مكة) قال أبو سفيان: مَن هذه؟ قيل له: هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة مع الراية، فلما حاذاه سعد، قال:

اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحرمة، اليوم أذلّ اللهُ قريشاً، فلما مرّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداهُ: يا رسول الله! أمرتَ بقتل قومك فإنه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا فإنه قال: اليوم يوم الملحمة... انشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأرحمهم وأوصلهم.

(١) تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٨، ط مؤسسة الأعلمي، والسيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية، ج٣، ص٧٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٣٢. والكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص٢٤٣.

فقال صلى الله عليه وآله: ((كذب سعد، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً، اليوم يعظّم الله فيه الكعبة، اليوم تُكسى فيه الكعبة)).

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سعد بن عبادة علياً عليه السلام أن ينزع اللواءَ منه، وأن يدخل بها مكة[١].

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بذلك الجيش الكبير الذي لم تعرف له مكّة نظيراً في تاريخها الطويل من حيث الترتيب والتنظيم والإعداد والاستعداد، ولواؤه بيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأعلن العفو العام وهو على أبواب مكة، وقد قال لهم صلى الله عليه وآله: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[٢].

وبهذا الفتح المبارك لمكة تحرّر الناس من عبودية الأصنام وطواغيت قريش وانتشر الأمن والسلام ومبادئ الإسلام القائمة على العدل والانصاف وحرية الإنسان.

وفي يوم الفتح برز أسد بن غويلم قاتل العرب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مَن يبرز إلى هذا المشرك وقتله فله الجنة، وله الإمامة من بعدي؟

فبرز إليه علي عليه السلام وقتله، وهو يقول:

ضربتُه بالسيف وسط الهامة ... بضربةٍ صارمةٍ هدّامة
فبتكت من جسمه عظامه ... وبيّنت من رأسه عظامه

---

(١) تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٣٤ ط مؤسسة الأعلمي، الإرشاد للمفيد، ص١٢١ فصل ٣٤ باب ٢.

(٢) سبل السلام لابن حجر العسقلاني، ج٤، ص٤٥. نيل الأوطار للشوكاني، ج٨، ص١٤٨. فقه السنّة سيد سابق، ج٢، ص٦٨٦.

وإلى آخر لحظة ممن فتح مكة لم يترك علي عليه السلام جهاده ولم يدع سيفه، دفاعاً عن الرسول والرسالة، والحق والفضيلة، ويصر قاتل العرب ابن غويلم ويجعله فأراً لا أسداً، وكذلك هو علي أمير المؤمنين، وبذلك يستحق الإمامة العامة على الأمة عن جدارة، وتتشرّف به الجنة، ويكون قسيم النار والجنة.

الإمام علي عليه السلام يصعد على منكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتحطيم الأصنام:

روي عن علي عليه السلام: أنه قال: انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسر الأصنام، فقال لي: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثم صعد الرسول على منكبي فقال لي: انهض، فنهضت به، فلما رأى ضعفي تحته، قال: اجلس، فجلست ونزل عنّي، وقال: يا علي أصعد على منكبي، فصعدتُ على منكبيه، ثم نهض بي حتى خُيّل لي أن لو شئتُ نلتُ السماءَ، وصعدتُ على الكعبة، فألقيتُ الصنم الأكبر وكان من نحاس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: عالجه، فلم أزل أعالجه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إيه إيه، حتى قلعته، فقال: دقّه، فدققته وكسرته ونزلت[1].

وفي رواية: لما صعد الإمام علي عليه السلام فوق الكعبة رمى بصنم خزاعة الذي كان من صفر فكسره فجعل أهل مكة يتعجّبون لثقله[2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ٣٦٧/٢ و ٥/٣. وروى ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص٣١ مثله وينابيع المودة للقندوزي، ص٢٥٤.

(٢) تاريخ الخميس، ج٢، ص٨٦.

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله: لما ألقى الإمام علي عليه السلام بنفسه من فوق الكعبة إلى الأرض دون إصابة: ((كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبرئيل))(١).

وقال الدياربكري: أن أحد الشعراء أشار إلى قصة صعود الإمام علي عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله لتحكيم الأصنام وللصعود فوق ظهرها:

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يخمدُ ناراً مؤصدة
قلتُ لا أقدم في مدح امرئ	ضلّ ذو اللبّ إلى أن عبده
والنبيُّ المصطفى قال لنا	ليلةَ المعراج لما صعده
وضع اللهُ بظهري يده	فأحسّ القلبُ أن قد برده
وعليٌّ واضعٌ أقدامه	في محلٍّ وضعَ اللهُ يده(٢)

وحقيقةً، يحقُّ لأمير المؤمنين علي عليه السلام أن يفتخر ويزهو، ولكنّه علي التواضع، علي العظمة، علي الإنسانية بكل معانيها.

فمَن مثله يضع قدمه في محل وضعَ اللهُ يده؟!!

أنها المرتبة الرفيعة والدرجة السامية والتألّق المدهش في سماء المجد والعظمة والقرب الإلهي. فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين، يرفعك محمد صلى الله عليه وآله وينزلك جبرئيل عليه السلام، تكسّر الأصنام وتدعو إلى عبادة الرحمن، فتباً ولعناً لأهل الشنآن ولا

(١) تاريخ الخميس، ج٢، ص٨٧. وكشف اليقين للحلي، ص٤٤٩.

(٢) تاريخ الخميس، ج٢، ص٨٧.

غرو أن يكثر حسّادك يا خليفة المسلمين وأمير المؤمنين لأن متسافل الدرجات يحسدُ من علا، وأنت العلو والعُلى يا أيها الوصي والمولى..

ثامناً: غزوة حُنين:

حُنين: وادي بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة، والمسلمون اثنا عشر ألفاً وهو الصحيح الذين حضروا فتح مكة فيهم ألفان من الطلقاء. وقالوا: عددهم ثمانية آلاف برواية مجاهد، وقال عطاء عن ابن عباس: ستة عشر ألفاً[١].

وحُنين من أودية تهامة وهو اسم موضع في طريق الطائف إلى جنب ذي المجاز قال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ وقيل: بضعة عشر ميلاً وكان سوقاً في الجاهلية، وتسكن هوازن في الجنوب الشرقي لمكة.

وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر[٢].

وقال زعيم هوازن: ما لاق محمداً قومٌ يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا إليه[٣] وشاركت ثقيف كلها مع هوازن وكان الجميع عتاة مردة. وإنّ عددهم أربعة آلاف وقيل: ما يقارب العشرين أو الثلاثين ألفاً[٤].

---

(١) تفسير القرطبي، ٩٨/٨. تفسير الفخر الرازي، ١٨/٦. سيرة ابن هشام، ٨٣/٤.

(٢) سيرة ابن دحلان، ٩٦/٢. معجم البلدان، ٣٥٩/٢.

(٣) سيرة ابن دحلان، ٩٦/٢.

(٤) سيرة ابن دحلان، ٩٦/٢ - ٩٩.

وقبل اللقاء قال أبو بكر: لن نغلب اليوم من قلّة فساءت رسول الله ﷺ[(١)] فعانهم أي حسدهم بعجبه بهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[(٢)] فالاعجاب بالكثرة سبّب الهزيمة في بادئ الأمر.

فالنصر ليس بالكثرة العددية وإنما بالنصرة الإلهية والنظرة إلى الحالة الغيبية للأمور لا الحالة المادية المتمثلة في كثرة العدد والعدّة والقوة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾، فجعل الله عزّ وجل المشيئة بيده يفرضها حيث أراد في خلقه وأرضه وسماواته فيدعها فوق السنين الحياتية متى أراد تبارك وتعالى، لذلك يقول المسلم متى قصد وحيثما كان أن يعمل عملاً إن شاء الله تعالى.

وعلى كل حال، بعد أن كتب اللهُ النصر والفتح لرسوله ﷺ حين دخل مكّة واستسلمت قريش وأذعنت له أجمعت قبيلة هوازن وقبيلة ثقيف على محاربة النبي ﷺ والمبادرة إليه قبل أن يغزوهم، وأعدّ لهم النبي العدّة لما سمع بذلك، وعبأ المسلمين الذين تجاوز عددهم اثني عشر ألفاً وخرج إليهم من مكة.

ولما قربوا من موقع العدوّ صفّهم ﷺ ووزّع الألوية والرايات على قادة الجيش وزعماء القبائل فأعطى علياً لواء المهاجرين[(٣)]. ولكنّ هوازن أعدّت

(١) تفسير الكشّاف للزمخشري، ٢٥٩/٢ وتاريخ أبي الفداء، ٢٠٨/١. والارشاد، ١٤٠/٢. مغازي الذهبي، ص٥٧٤ والبداية والنهاية، ٣٦٩/٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٢٥.
(٣) السيرة الحلبية، ١٠٦/٣.

خطةً للغدر بالمسلمين على حين غفلة منهم، فكمنوا لهم في شعاب وادٍ من أودية تهامة حيث لا مفرّ لهم من المرور فيه.

وحين انحدر المسلمون في وادي (حُنين) باغتتهم كتائب هوازن من كل ناحية، وانهزمت بنو سليم وكانوا في مقدمة جيش المسلمين وانهزم من وراءهم، وخلّى الله تعالى بينهم وبين عدوّهم لاعجابهم بكثرتهم، ولم يثبت مع رسول الله ﷺ إلاّ نفر قليل من بني هاشم وأيمن بن عبيد[١].

ووقف علي عليه السلام كالمارد يضرب بسيفه عن يمينه وشماله، فلم يدنُ أحد من النبي ﷺ إلاّ جند له بسيفه، وكان لثبات النبي ﷺ ودفاع علي عليه السلام ومن معه أن عادت الثقة إلى نفوس بعض المسلمين، فأعادوا الكرّة على هوازن[٢].

وخرج رجل من هوازن يدعى (أبو جرول) حامل رايتهم وكان شجاعاً فتحاماه الناس ولم يثبتوا له، فبرز إليه علي عليه السلام وقتله فدبّ الذعر في نفوس المشركين، ووضع المسلمون سيوفهم في هوازن وأحلافها يقتلون ويأسرون وعلي عليه السلام يتقدّمهم حتى قتل بنفسه أربعين رجلاً من القوم فكان النصر للمسلمين[٣].

أجل، إن النصر كان معقوداً تحت راية أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي وقف كالمارد يضرب بسيفه عن يمين رسول الله وشماله ﷺ مدافعاً عنه بمهجته الشريفة وثابتاً كالطود الشامخ في وسط المعركة يقتل كل مَن يدنوا من رسول

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٤٧/٢ وأعيان الشيعة للأميني، ٢٧٩/١.

(٢) انظر: أعلام الهداية، ٩٤/٢.

(٣) روضة الكافي، ص٣٠٨، رقم الحديث، ٥٦٦، المغازي للواقدي، ٨٩٥/٢، وكشف الغمة، ٢٢٦/١.

الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث انهزم المسلمون عن بكرة ابيهم شريفهم ووضيعهم، حتى وصلت الهزيمة إلى مكة وسُرَّ بذلك قوم وأظهروا الشماتة فقال قائل منهم: (ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قُتل محمد وتفرّق أصحابه)[١].

وقال اليعقوبي في تاريخه:

((انهزم المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل: أيمن بن أم أيمن))[٢].

علماً بأن الصحابة وجميع المسلمين قد بايعوا النبي الأكرم على عدم الفرار وليس الموت، إلاّ إنهم وللأسف الشديد قد خالفوا وفرّوا إلاّ هؤلاء العشرة أو التسعة.

يقول جابر بن عبد الله الأنصاري: (لم نبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الموت، إنما بايعناه على أن لا نفرّ)[٣].

فأين الصحابة إذن، وأين مَن يدعي الشجاعة وحب الرسول والرسالة؟!!

ولحراجة الموقف نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً المسلمين:

((أين ما عاهدتهم اللهَ عليه؟

---

(١) سيرة ابن دحلان، ١٠٣/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٦٣/٢، ط ليدن.

(٣) سنن النسائي، ٨٧١/٣، ح٣٨٧٧.

أنـــــا الـــــــنبيُّ لا كـــــذب   أنـــا ابـــنُ عبـــد المطلـــب[١]

أنا ابنُ العواتك والفواطم، أنا ابن عبد المطلب، فقال ﷺ: ناولني كفّاً من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم قائلاً: شاهت الوجوه، وفي رواية قال: حم لا يُنصرون وفي رواية جميع بينهما، فما خلف اللهُ منهم إنساناً إلاّ ملئت عينيه وفمه، وقال: انهزموا وربّ محمد، فولوا مدبرين))[٢].

ونتيجةً لموقف الإمام علي عليه السلام وشجاعته الفائقة وثباته في المعركة قال رسول الله ﷺ واصفاً بسالته النادرة ودفاعه المستميت عنه ﷺ: ((كان علياً عليه السلام لي كالعصا السحرية لموسى عليه السلام))[٣].

وكيف لا يكون علي عليه السلام لرسول الله ﷺ كالعصا السحرية لموسى عليه السلام التي أرعبت فرعون وهزمت السحرة، وتغلب بها موسى عليه السلام وانتصر؟!!

فعلي عليه السلام كعصا موسى قد ادخل الرعب في قلب أبي جرول بطل هوازن وهزم هوازن وثقيف وأحلافهما.

نعم لقد جندل أمير المؤمنين علي عليه السلام أبا جرول بطل هوازن وفارسها الذي كان راكباً على جمل احمر وبيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم،

---

(١) تاريخ الطبري، ٨٢/٢ - ٨٤، سيرة ابن هشام، ١٢٢/٤، الارشاد، ١٤٢/٢.

(٢) السيرة الحلبية، ١١٠/٣. مغازي الذهبي، ص٥٨١. سنن مسلم، كتاب الجهاد، ١٧٧٥/٧٦. وتاريخ البخاري، ١٩/٤.

(٣) الفهرست لابن النديم، ص١٤٤.

إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فأتّبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا بَراح ... حتى نُبيح القومَ أو نُباح

فصمد له أمير المؤمنين علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه فقطره ثم قال:

قد عَلِمَ القومُ لدى الصباح ... أني في الهيجاء ذو نِصاح

وقتل الإمام علي عليه السلام أربعين رجلاً من القوم فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول بطل المشركين[١] بسيف ذي الفقار.

وقد قال اليعقوبي في تاريخه:

((ولما انتصرت هوازن صاح العباس بأمر الرسول ﷺ: يا أهل بيعة الرضوان، يا أصحاب سورة البقرة، ومضى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة))[٢].

نعم، كانت الهزيمة لأعداء الله ورسوله ﷺ وتحقّق النصر لله ورسوله وانهزمت هوازن وأحلافها شرّ هزيمة بثبات رسول الله ﷺ ووصيّه أمير المؤمنين علي عليه السلام والثلّة الصالحة من المؤمنين والمسلمين، وقد أنزل الله تعالى قرآناً واصفاً ذلك بقوله تعالى:

(١) الارشاد، ١٤٢/٢. سيرة أبي حاتم، ٣٤٩/١. وسيرة ابن دحلان، ١٠٢/٢. ومغازي الواقدي، ٩٠٢/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٦٣/٢.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(٢٥)ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[١].

حصار الطائف:

الطائف: بلد كثير الأعناب والنخيل جنوب شرق مكة على قمة جبل غزوان وارتفاع ١٦٣٠ متراً.

وأهالي الطائف من المحاربين القدماء للإسلام ومن المشاركين في حرب الأحزاب ولم يشترك عروة بن مسعود في حرب الطائف إذ كان في جرش يتعلّم صنعة العرادة والمنجنيق والدبابة[٢].

ولما قدم المنهزمون من ثقيف ومَن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف، وهم فلول معركة حُنين أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه لسنة كاملة وقائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل.

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن مُعتب في خيل من ثقيف، فلقيه أمير المؤمنين عليه السلام ببطن وجّ فقتله، وانهزم المشركون ولحق القوم الرعب فتوجّه منهم جماعة إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلموا[١].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٥ – ٢٦.

(٢) الارشاد، ١٤٦/١ – ١٤٧. المغازي للواقدي، ١٤٥/٣.

وقد قتل الإمام علي عليه السلام بطل الطائف الذي طلب المبارزة وهو يقول: إن على كل رئيس حقاً أن يروي الصعدة أو يدقا[٢].

وبهذه الانتصارات العظيمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وقتل ابطال المشركين والكافرين بسيف ذي الفقار أسلم خلق كثير من هوازن وغيرها، حيث نزل من الطائف مالك بن عوف زعيم هوازن فأتى رسول الله ﷺ ومدحة بشعر وأسلم فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ومائة من الابل واستعمله على مَن أسلم من قومه ومن حول الطائف[٣] وقد أسلم وفد هوازن بعد أن أرجع لهم رسول الله ﷺ السبي[٤]. كما نزل إلى رسول الله بضعة عشر رجلاً من الرقيق فاعتقهم منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كلدة. فأعتقهم رسول الله ٠ص) ولم يرجعهم إلى أسيادهم. عندما طلبوا ذلك من رسول الله ﷺ بعد إسلامهم. وقال ﷺ: ((لا أفعل، أولئك عتقاء الله)).

(١) الارشاد، ١٥٠/٣ - ١٥٣ من أنساب الاشراف، ٤٦٤/١.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ٢٢٢/٢.

(٣) جمل من أنساب الأشراف، ٤٦٨/١.

(٤) سيرة أبي حاتم، ٣٥٦/١، تاريخ الطبري، ١٣٤/٣. المنتظم، ابن الجوزي، ٣٤٢/٣. وسيرة ابن هشام، ٢٦/٣.

تاسعاً: غزوة تبوك:

تبوك موضع بين وادي القرى والشام[(١)].

وبعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف اقام في المدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن عسرة من الناس وشدّة من الحر، فخرج رسول الله ﷺ إلى الشام والمسلمون في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس[(٢)]، مطالباً بدماء المسلمين وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام والرغبة في نشر الإسلام والمبادئ الإنسانية الخيّرة.

وكان الخروج إلى تبوك يوم الخميس الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا في حرّ شديد فأصابهم يوماً عطش شديد حتى جعلوا ينحرون أبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها فكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الطهر وعسرة من النفقة[(٣)].

ورغم كل ذلك العسر كان الرسول ﷺ مصمماً على مواجهة الروم لأنه ﷺ قد علم أنهم يريدون الإغارة والهجوم على الجزيرة إضافةً لما تقدّم من أسباب ولأهمية الموقف والنزال قرّر أن يكون بنفسه على رأس الجيش المتقدّم.

وبما أن الظروف السياسية والعسكرية لم تكن تدعو إلى الاطمئنان التام ونفي الاحتمال من هجوم المنافقين أو المرجفين على المدينة أو قيامهم بأعمال أخرى لذا يتطلّب الأمر إلى أن يبقى في المدينة المنورة قائد شجاع يتمتع بمؤهلات

---

(١) معجم البلدان، ج٢، ص١٤.

(٢) عيون الأثر، ج٢، ص٢٥٤.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٢، ص١٦٧. مغازي الذهبي، ص٦٣٤.

ولياقات عالية، وحكمة بالغة، ودراية تفصيلية في جميع الأمور وحرص شديد على العقيدة وسلامتها من كل شائبة كي يتمكن من مواجهة الطوارئ والمفاجآت والأخطار الحادة، فأختار الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام لهذه المهمة الحساسة كي يقوم مقامه في فترة غيابه صلى الله عليه وآله، وقد عبّر عن ذلك صلى الله عليه وآله بقوله: ((يا علي إن المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك)).

ولما تحرّك النبي صلى الله عليه وآله باتجاه تبوك ثقل على أهل النفاق بقاء علي عليه السلام على رأس السلطة المحلية في عاصمة الدولة الإسلامية، وعظم عليهم مقامه وعلموا أنها في حراسة امنية ولا مجال لمطمع فيها، فساءهم ذلك، فأخذوا يردّدون في مجالسهم ونواديهم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلفه إلاّ استثقالاً ومقتاً له، فبهتوا بهذا الارجاف علياً عليه السلام كبهت قريش للنبي صلى الله عليه وآله بالسحر والجنة.

فلما بلغ علياً عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فأخذ سيفه وسلاحه ولحق بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: ((يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك خلّفتني استثقالاً ومقتاً)).

فقال صلى الله عليه وآله: ((إرجع إلى مكانك فإن المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك، فانت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى - يا علي - أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي)).

فرجع علي عليه السلام ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله في سفره[١].

نعم، لا تصلح المدينة المنورة إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله أو علي عليه السلام لانهما وجهان لعملةٍ واحدة ونفسٍ واحدة، ونور واحد، وهدف واحد، وغاية واحدة، وإنّ منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون عليه السلام من موسى عليه السلام إلاّ النبوة حيث لا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وأكرم بها من منزلة، وأعظم بها من درجة؟!

وبهذا الأمر الهام من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام فإنه قد أصبح فعلاً وحقيقةً خليفةً شرعياً في المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وهو نصّ وإقرار من الرسول الأكرم الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ على خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

جاء عن أحمد بن حنبل والبلاذري واليعقوبي والبيهقي أنهم قالوا:

((خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غرّة رجب سنة ٩ هجرية واستخلف علياً عليه السلام على المدينة))[٢].

(١) تاريخ الطبري، ٣٦٨/٢ مؤسسة الأعلمي، الإرشاد للمفيد، ص١٣٨ فصل ٤٣. السيرة الحلبية بهامش السيرة النبوية، ١٣٢/٣. صحيح البخاري، باب غزوة تبوك، ٣/٦ وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، ٢٣/٥ الحديث ٢٤٠٤ والترمذي ٣٠٠/٢ ومسند أحمد، ١٨٥/١ و ٢٨٤ الحديث ٥٠٨ وسنن ابن ماجة ٤٢/١ الحديث ١١٥ وتاريخ بغداد، ٤٣٢/١ رقم ٦٣٢٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٦٧/٢. دلائل النبوة للبيهقي، ٢١٢/٥. مسند أحمد، ١٧٧/١. كشف الغمة، الاربلي، ٣٨/١ وغيرها.

فكان الإمام علي عليه السلام خليفة محمد صلى الله عليه وآله كما خلّف موسى عليه السلام هارون عليه السلام عند ذهابه إلى الطور لقوله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[1].

وتثبت للإمام علي عليه السلام جميع منازل هارون الثابتة في الآية سوى النبوّة ومن منازله الإمامة المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

وقد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام.

((إن المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي من بعدي ولا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي، وأنت وليّ كل مؤمن ومؤمنة من بعدي))[2].

إلاّ أن البعض يخاف اشد الخوف من وصول الإمام علي عليه السلام إلى خلافة النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك يعني سيطرة بني هاشم على الحكم وحرمان قريش من الخلافة، علماً بأن قريش كانت تقول: لا يجوز أن تجتمع النبوّة والإمامة في بني هاشم، وهذا من الحسد والحقد، وهذا مخالفة صريحة للنص الإلهي والنبوي في آن واحد، وخروج على القواعد الدينية والثوابت الشرعية.

وقد سعى الامويون جاهدين لطمس هذه الحقائق والفضائل بغضاً لرسول الله ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين. ولكنها تواترت وانتشرت في الآفاق فأندفعوا مجدداً لافراغها من محتواها وتحريف دلالتها وهدفها وتزوير شواهد الموضوع وقرائنه، إلاّ إن الحق يعلوا ولا يُعلى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٢) مستدرك الحاكم، ١٤٤/٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت. الارشاد، ١٥٦/١.

عليه، وإن الزخرف لا يصمد أمام الحق والحقيقة وتواتر الآيات وشواهد التاريخ ومتواتره.

عاشراً: الإمام علي عليه السلام في اليمن:

كما هو معلوم تاريخياً، إن اليمن دولة كبيرة في شبه جزيرة العرب، ولكثرة خيراتها ومياهها فقد نشأت فيها حضارات راقية وشُيّدت فيها السدود ومن أشهرها سد مأرب العظيم.

وقد اهتمت القيادة الإسلامية بهذا البلد لأهميته، لذا نرى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يعيش هم الرسالة الإسلامية والدعوة إلى الله سبحانه، قد بذل قصارى جهده في التبليغ والنصح والارشاد، من أجل بناء مجتمع رسالي رصين يقاوم كل الظروف والمشاق، حتى يسود كل بقاع الدنيا وأقطارها ومنها اليمن.

ولقد عمل صلى الله عليه وآله وسلم على محورين رئيسيين هما: توعية الأمة باعتبارها الرعية بالمقدار الذي تتطلبه الرعيّة الواعية من فهم وإدراك وثقافة وقدرة على تجسيد مبادئ الإسلام على أرض الواقع كما أرادها الله تبارك وتعالى، وقد كان للإمام علي عليه السلام دور فاعل وهام في هذا المحور.

وقد يمكن القول بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان مشغولاً بتوسيع رقعة المجتمع الإسلامي طولياً، وإنّ علياً عليه السلام كان مشغولاً بتعميق رقعة المجتمع عرضياً، فكانت مهمته عليه السلام مكمّلة لمهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والمحور الآخر هو إعداد وتوعية الصفوة التي اختارها الله عزّ وجل لتخلف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في غيابه لقيادة المجتمع والرسالة الإسلامية وصيانتها من الانحراف والزيغ، وقد تجسّد هذا الاعداد في الإمام علي عليه السلام من خلال إشراكه في كل المواقف الصعبة والغزوات المهمة التي يعجز عنها الاخرون من القادة والأصحاب، كما حصل هنا في اليمن.

حيث أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد وجمعاً من الصحابة إلى اليمن ليدعوا قبيلة (همدان) إلى الإسلام، وقد ظل خالد وأصحابه نحواً من ستة اشهر دون أن يحققوا نجاحاً ولم يتمكنوا من اقناع همدان في اعتناق الإسلام مما حدى بخالد أن يبعث إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرافهم عنه، عند ذاك بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام وطلب منه أن يُعيد خالداً إلى المدينة ويحلّ محله في مهمته، ويبقي معه من يشاء من المجموعة المرسلة مع خالد.

روي عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد وبقي في سرية علي عليه السلام كنت ممّن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً عليه السلام وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا وصلّى بنا علي عليه السلام ثم صفّنا صفاً واحداً ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإسلامهم فأسلمت همدان جميعاً، وأرسل علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر السار فخرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلامُ على همدان[1].

(١) أعيان الشيعة، ج١، ص٤١٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص٣٠٠. والسيرة النبوية لابن كثير، ج٤، ص٢٠١.

وروي أن الرسول الأكرم ﷺ أرسل علياً عليه السلام في مهمة ثانية إلى اليمن ليدعو (مذحج) إلى الإسلام وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله ﷺ له اللواء وعمّمه بيده الشريفة وأوصاه أن لا يقاتلهم إلاّ إذا قاتلوه، فلما دخل إلى بلاد مذحج، دعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعد علي عليه السلام أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فتركهم، ثم دعاهم إلى الإسلام ثانياً فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

وروي أن علياً عليه السلام قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع بيده على صدري وقال: ((اللهم ثبّت لسانه وأهد قلبه، ثم قال: إذا جاءك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء)) قال علي عليه السلام: ((واللهِ ما شككت في قضاءٍ بين اثنين))[1].

ثم إن علياً عليه السلام جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسّم الباقي على أصحابه، وبلغه خبر خروج النبي ﷺ إلى مكة لأداء فريضة الحج، فتعجّل عليه السلام السير ليلتحق بالنبي ﷺ في مكة، وروي أن بعض من كان في سرية علي عليه السلام اشتكى من شدته في إعطاء الحق، فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال: ((أيها الناس، لا تشتكوا علياً فوالله أنه لأخشن في ذات الله من أن يُشتكى منه))[2].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج٤، ص٢٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام، ٦٠٣/٤. والسيرة النبوية لابن كثير، ٢٠٥/٤ مثله.

وعن عمرو بن شاس الأسلمي أنه قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله التي بعثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فوجدت في نفسي عليه[1] فلما قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد، فلما رآني انظر إلى عينيه، نظر اليّ حتى جلست إليه، فقال: ((إيه يا عمرو، لقد آذيتني)) فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام من أن أؤذي رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من آذى علياً فقد آذاني))[2].

إذن، إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث أمير المؤمنين علياً عليه السلام مرتين إلى اليمن مرة إلى قبيلة همدان في السنة الثامنة للهجرة، ومرةً إلى قبيلة مذحج في السنة العاشرة للهجرة[3] في شهر رمضان المبارك[4].

ومما يذكره لنا التاريخ أن الإمام علياً عليه السلام في غزوته الثانية إلى اليمن لنشر الإسلام وهداية الناس وتحقيق العدالة والانصاف في قبائل اليمن، فقد رآهُ بنو زبيد فقالوا (لفارسهم وبطلهم عمرو بن معدي كُرب): كيف أنت - يا أبا ثور - إذا لقيك هذا الغلام القرشي (أي: علي عليه السلام) فأخذ منك الأتاوة؟[5].

(١) المستدرك على الصحيحين، ١٣٤/٣.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير، ٢٠٢/٤.

(٣) طبقات ابن سعد، ١٦٩/٢.

(٤) سيرة ابن دحلان، ١٥٢/٢.

(٥) الأتاوة: الخراج (لسان العرب - أتى - ١٧/١٤).

قال: سيعلم إن لقيني.

وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقام خالد بن سعيد فقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن كنتَ ترى الي عليك طاعةً فقف مكانك)) فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحةً فانهزم عمرو وقُتل أخوه وابن أخيه وأُخذت امرأته (رُكانة بنت سلامة) وسُبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلّف على بني زُبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هُرّابهم مُسلماً[١].

وقد أُعيدت ركانه وولدها والنساء التي معها بعد أن رجع عمرو بن معدي كرب ودخل في حظيرة الإسلام والمسلمين.

وبعد عودة الإمام علي عليه السلام وجيشه من اليمن منتصرين قال له بعض جنوده: أن نركب إبل الصدقة ونريح إبلنا فأبى علينا قائلاً: ((إنما لكم منها سهم كما للمسلمين))[٢].

هذا هو علي عليه السلام وهذه هي عدالته التي لم ترق لبعض المسلمين المستغلين لبيت المال لذا بغضوه واتبعوا الشيطان والهوى والتحقوا بأعدائه القاسطين والمارقين والناكثين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ٣٢٤/٢ والفصول المختارة للمفيد، ص٢٨٩.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، ٣٩٨/٥.

الحادي عشر: غزوة بني طيّ:

قبيلة طي: هي قبيلة عربية تقع في شبه الجزيرة العربية وقد تعلّمت الخط العربي من الحيرة قبل كل القبائل العربية الأخرى، وقد قالوا: إنّ أول منَ تعلم الخط العربي هو إسماعيل النبي صلى الله عليه وآله.

وفي السنة التاسعة من شهر ربيع الثاني أرسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في سرية إلى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم الفلس، فسار إليهم وأغار عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم المقلّد بسيفين يُقال لأحدهما فخدم وللآخر رسوب، فأخذهما الإمام علي عليه السلام وحملهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الحارث بن أبي شمر أهدى السيفين للصنم فعلّقا عليه، وأسّر الإمام علي عليه السلام بنتاً لحاتم الطائي، أخذها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة[١].

وعندما قابلت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فأمنن عليّ منَّ الله عليك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ومَن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: الذي فرّ من الله ورسوله! فمنّ عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سليه حُملاناً، فسألته فأمر لها به وكساها، وأعطاها نفقةً.

وكان حاتم الطائي نصرانياً وعرف بمكارم الأخلاق وعلى رأسها الكرم بالمال والطعام، وقد تربّى عدي في هذا البيت الكريم[٢].

(١) تاريخ ابن الأثير، ٢٨٥/٢ وتاريخ الطبري، ٣٧٥/٢ - ٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير، ٢٨٥/٢ وتاريخ الطبري، ٣٧٥/٢ - ٣٧٧.

قال عدي: كنت ملك طيء آخذ منهم المرباع وأنا نصراني، فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ هربت إلى الشام من الإسلام، وقلت أكون عند أهل ديني. فبينا أنا بالشام إذ جاءت اختي وأخذت تلومني قائلةً: فعلت فعلةً ما كان أبوك يفعلها، ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً.

فإذا كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عزّ وأنت أنت.

قال: فقدمت على رسول الله ﷺ فسلّمت عليه وعرّفته نفسي، فأنطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها.

فقلتُ: ما هذا بملك، ثم دخلتُ بيته فاجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك(١).

فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المرباع وهو لا يحلّ في دينك، ولعلّك إنما يمنعك الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدوّنا، والله ليفيض المال فيهم حتى لا يوجد مَن يأخذه، ووالله لتسمعنّ بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلاّ الله، ووالله لتسمعنّ بالقصور البيض من بابل قد فتحت.

قال عدي، فأسلمت ورأيت القصور البيض وقد فُتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلاّ الله، ووالله لتكونّن الثالثة ليفيض المال حتى لا يقبله أحد(٢).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

فأخلاق رسول الله ﷺ المتمثّلة في حديثه مع المرأة الفقيرة وجلوسه على الأرض هي التي جلبت عدي بن حاتم الطائي للإسلام، وبمثل هذه الأخلاق تخلّق النبي سليمان عليه السلام الذي جالس الفقراء وقال: مسكين مع المساكين.

ولا تنسَ تأثير فعل النبي ﷺ في فكّه أسر بنت حاتم الطائي ونفقته عليها وايصالها إلى الشام[1].

وأصبح عدي من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أتباع الإمام علي عليه السلام وقد أراد معاوية أيام ملكه النيل من الإمام علي عليه السلام فقال لعدي: أين الطرفات؟ يعني بنيه: طريفاً وطارفاً وطرفة.

قال عدي: قُتلوا يوم صفّين بين يدي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال معاوية: ما انصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخّر بنيه.

قال عدي: بل ما أنصفت أنا علياً إذ قُتِل وبقيت[2].

نعم لم ينصفه عدي رغم أنه قدّم أبناءه الثلاثة شهداء في معركة الحقّ ضد الباطل الواحد تلو الآخر، فكيف بالأمة التي رضت أن يكون عليه السلام جليس بيته ربع قرن من الزمان؟! فتعساً لها من أمةٍ وتباً لها!! لأنها آثرت الباطل على الحق، والدنيا على الآخرة، ومعاوية على أمير المؤمنين علي عليه السلام، وماتت زرافاتٍ ووحداناً تحت رايات الضلال من قاسطين ومارقين وناكثين، في صفين والنهروان والجمل، وبذلك لبست ثوب العار والذلّة والمعصية إلى يوم ينادي المنادي: جاء الحق وزهق الباطل فقد ظهر مهديّ هذه الأمة عجل الله فرجه

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الكنى والألقاب لعباس القمي، ١١٥/٢.

الشريف وهو الإمام المعصوم الثاني عشر والتاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام فيعيد الحق إلى نصابه وينشر العدل والهدى، وينفّذ كلمة الله في الأرض، ويحقّق السلام والرفاه والسعادة لبني الإنسان في هذا الوجود، وعند ذلك تكون الأرض قد مُلئت قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، ببكرة وجوده الشريف، وتطهيره للبلاد والعباد والوجود كلّه من الأصنام البشرية والمادية وكلّ صنوف العبادات المزيّفة، والدعوات الضالّة المضلّة، والأفكار المنحرفة. والعقائد الشاذّة.

نعم، إنّ الأمة لم تنصف علياً حيث عاش مظلوماً ومات مظلوماً شهيداً عليه السلام رغم أنه عليه السلام كما قال: ((أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا خازن العلم، أنا عين اليقين.. أنا وليّ الحق على سائر الخلق.. أنا خليفة الإله الخالق.. وحجّته على عباده))[1].

تبليغ سورة براءة:

لم تشرف السنة التاسعة للهجرة على نهايتها حتى أصبح للإسلام كيان سياسي مستقل، وامة قوية تسودها علاقات متينة، وأرض شاسعة، وحدود منيعة، ولم يعُد لقوى الشرك وجود معتبر، فكان لابد من استئصالهم وتصفيتهم.

وقد نزلت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سورة براءة التي تسنُّ التشريعات والأحكام وتحدّد موقفه من المشركين والعهود والأحلاف التي كان قد أبرمها

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين للحافظ رجب البرسي، ص١٧٠.

معهم، وكان أفضل مكان لإعلان هذا القرار وقراءة هذا البيان الرسمي الإلهي هو البيت الحرام، وأفضل وقت له هو اليوم العاشر من ذي الحجة، حيث يجتمع المشركون من أطراف الجزيرة.

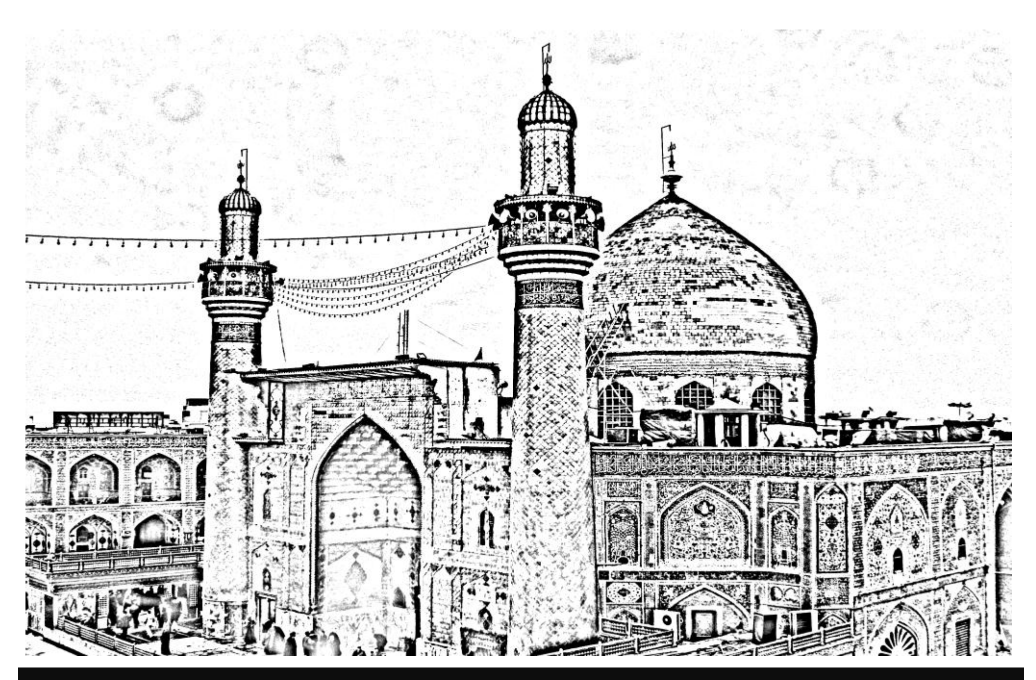
فأرسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر ليحجّ بالناس ويبلّغ (سورة براءة) ولما انتهى إلى (ذي الحليفة) وهو المكان المعروف اليوم بمسجد الشجرة، وإذا بالوحي ينزل على النبي ويأمره أن يرسل مكانه علي بن أبي طالب عليه السلام، فأرسل النبي علياً عليه السلام أن يأخذ الآيات من أبي بكر ويبلّغها بنفسه.

فمضى نحو مكة وهو على ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى التحق بأبي بكر، فلما سمع رغاء الناقة عرفها فخرج فزعاً وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا هو علي عليه السلام فأخذ منه الآيات، ورجع أبو بكر إلى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما يُغضب النبي، فقال: يا رسول الله! أَنزلَ فيَّ في شيء؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا، ولكنّي أمرتُ أن أُبلّغها أنا أو رجل منّي))[1].

وانطلق علي عليه السلام في طريقه حتى بلغ مكة، وعندما اجتمع الناس لأداء مناسكهم قرأ عليهم الآيات الأولى من السورة ونادى في الناس: لا يدخل مكة مشرك بعد عامهِ هذا، ولا يطوف بالبيت عريان، ومَن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدّته[2] ونكتفي بهذا القدر من مواقف علي المشرفة عليه السلام وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٢٩١/٢. وفضائل الخمسة من الصحاح الستة، ٣٤٣/٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ٤٥/٥.



الباب الخامس



الفصل الأول:

الإمام علي عليه السلام أثناء مرض ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل الثاني:

الطامعون في الخلافة وإجتماع الأنصار في السقيفة

الفصل الثالث:

الإمام علي عليه السلام في عهد الخلفاء الثلاثة

الفصل الأول

الإمام علي عليه السلام أثناء مرض ووفاة النبي صلى الله عليه وآله

من الحقيقة بمكان إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان على علم تام بما سيؤول إليه وضع المسلمين من بعده، لأنه صلى الله عليه وآله كان يراقب العلل والأمراض الاجتماعية والانحرافات التي ابتلي بها الأعم الأغلب منهم، وإنهم حتماً سينقلبون على أعقابهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كما أخبر القرآن الكريم بذلك، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

فأصبح صلى الله عليه وآله على يقين بأن أول ضربة نجلاء من بعده صلى الله عليه وآله ستوجّه إلى البناء الإسلامي الأصيل والخط الرسالي الذي أرسى قواعده هو ووصيّهُ الإمام علي بن أبي طالب وإلى الخلافة التي أشار إليها النبي الأعظم وأكد عليها في أن تخلفه في النهج القويم، والخط الصحيح للدعوة الإسلامية.

لأن هذا يهدد مصالح الكثيرين ممن كانوا يرغبون في الاستفادة من الإسلام وإشباع رغباتهم في ظلاله، فأصبحوا يتحيّنون الفرص من أجل جعله طوع إرادتهم وتحقيق مآربهم المادية، ومصالحهم الشخصية، لا أن يقدّموا جهداً ومنفعةً له ولمرتكزاته الأصيلة التي أكدتها الآيات والروايات الشريفة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وكان كلُّ الحقّ أن يتخوّف الرسول الأكرم ﷺ من أن تتحول الشريعة الإسلامية عن مسارها الحقيقي وتصبح خاضعة للأهواء والميول والرغبات، لأن حادثة (الحارث بن النعمان) الذي جاء يشكّك ويستنكر على الرسول الأعظم ﷺ موقفه في بيعة الغدير وتنصيب علي عليه السلام ليست ببعيدة، حيث نتيجة هذا الاستنكار والتشكيك نزول قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ(١)لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ(٢)مِنْ اللهِّ ذِي الْمَعَارِجِ...﴾[1] ولا بأس من ذكر هذه الحادثة إتماماً للفائدة.

حادثة الحارث بن النعمان ونزول آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾:

لّما شاع وانتشر قول النبي ﷺ: ((مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه)) فبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى النبي على ناقته وكان بالأبطح، فنزل وعقل ناقته وقال للنبي ﷺ وهو في ملأ من الصحابة: يا محمد! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلنا منك، ثم ذكر سائر أركان الإسلام وقال: ثُمّ لم ترضَ بهذا حتى مددتَ بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا وقلتَ: ((مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه)) فهذا منك أم من الله؟

فقال النبي ﷺ: ((واللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هو، هو أمر الله))، فولّى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارةً من

---

(١) سورة المعارج: الآية ١ - ٣.

السماء أو ائتنا بعذابٍ اليم، فما وصل إليها حتى رماهُ اللهُ بحجر فسقط على هامّته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(١).

وبناءً على ذلك، فما كان من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلاّ وأن يعلن موقفه الصريح والواضح من الاتجاه الصحيح لخط الإسلام الحقيقي والدعوة الإسلامية الإلهية الحقّة في كل مناسبة وعبر مراحل وفترات عديدة يؤكّد ويكرّر لأصحابه وعموم المسلمين: أن تستخلفوا علياً - وما أراكم فاعلين - تجدوهُ هادياً مهدياً يحملكم على المحجّة البيضاء(٢).

نعم، إنّ الإمام علياً عليه السلام هو الهادي المهدي الذي يحمل الأمة على المحجّة البيضاء، والطريق الحق، والصراط المستقيم الذي يريده الله سبحانه ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله ، ولكن تعساً لهذه الأمة وتباً لها حيث أنها أدارت ظهرها لمن هو الحق ومعه الحق، واتبعت أهواءها، ورجعت على أعقابها بفعل المؤامرة، وما أدراك ما المؤامرة؟!!

---

(١) تفسير المنار، ٦/٤٦٤ وتذكرة الخواص، ص٣١ مع اختلاف في اللفظ، والفصول المهمة لابن الصبّاغ، ٤٢. وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والحاكم الحسكاني في كتابه دعاة الهداة والقرطبي في تفسيره، والحمويني في فرائد السمطين، والزرندي الحنفي في معارج الوصول ودرر السمطين، والسمهودي في جواهر العقدين، والعماري في تفسيره، والشربيني القاهري الشافعي في تفسيره، والمناوي الشافعي في فيض القدير، والحلبي في السيرة الحلبية، والحنفي الشافعي في شرح الجامع الصغير، والزرقاني المالكي في شرح المواهب المدنية، والشبلنحي الشافعي في نور الأبصار وغيرهم، كما تجد تفصيل ذلك في الجزء الأول من موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني وانظر إلى إعلام الهداية، ج٢، ص١٠٥.

(٢) أعلام الهداية، ج٢.

جاء عن سعد بن عبادة أنه قال في ملأ من الناس:

فوالله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إذا أنا متُّ تضلُّ الأهواء بعدي ويرجع الناس على أعقابهم، فالحقُّ يومئذٍ مع علي عليه السلام)).

نعم، لقد ضلّت الأهواء، ورجع الناس على الأعقاب بعدك يا رسول الله فإنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الظالمون أيَّ منكرٍ فعلوه، واي منقلب سينقلبون!!

أجل، لقد حصل ذلك وبيعة الغدير لم تزل طرية، وحديث الثقلين لم يزل موجوداً ويتحدّث به المسلمون كشاهد على ضرورة التمسك بطاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام والسير على هديه ومنهاج ولايته، لتكون العقيدة الإسلامية الحقة في ضمان وحصن من الانحراف، ولكن وما أدراك ما لكن، في القلب شجى، وفي العين قذى، وفي الصدر حسرة وسيلقى كلُّ امرئ ما اكتسبت يداه، وحينئذٍ يكون الندم ولا ينفع الندم، ويقول الكافرُ يا ليتني كنت تراباً.

وعلى كلّ حال، ثم بدأ الرسول الأكرم ﷺ بإعداد خطّةٍ جديدة لاتمام الأمر الإلهي بتنصيب علي عليه السلام أميراً للمؤمنين، فأمرّ بإعداد جيش كبير بقيادة اسامة بن زيد يضمُّ فيه كل العناصر المناوئة لأمير المؤمنين علي عليه السلام والطامعة بالخلافة من بعده ﷺ وإرسالهم إلى أطراف الشام للثأر لشهداء معركة (مؤتة) وتأديب الروم والحيلولة دون غزوهم لبلاد المسلمين.

حملة اسامة بن زيد وما صاحبها من أحداث:

عندما عاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، وبعد أن أوصى للإمام علي بن أبي طالب بالخلافة وإمرة المؤمنين في غدير خم، وقد بايعه مائة وعشرون ألف حاج بما فيهم كبار الصحابة ووجوه القوم من المهاجرين والأنصار، ووصلوا إلى المدينة المنوّرة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الناس لحرب الروم.

(فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءً بيده ثم قال: أُغزُ بسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره)[1].

فتكلّم قومٌ وقالوا: يُستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة - لمرضه صلى الله عليه وآله - فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

((أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في إمارة اسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنّه كان للإمارة خليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للامارة))[2].

---

(١) البداية والنهاية، ٧٣/٨. الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٤٩/٢. عيون الأثر لابن سيد الناس: ٢٨١/٢. السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية لأحمد زيني ودحلان، ٣٣٩. شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ٥٢/٦. منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، ١٨٠/٤. الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٦٦/٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٤٩/٢، ٦٦/٤.

وقد استمر رسول الله ﷺ يلحُّ على إنفاذ جيش اسامة والخروج نحو هدفه والمسير إلى الحدود الشمالية لمنطقة الجزيرة العربية ومحاربة الروم بعد أن استثنى علياً عليه السلام. وقد قال ﷺ: ((انفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة))(١).

إلاّ إنّ القوم تلكّؤوا وتملّصوا عن تنفيذ أمر النبي الأعظم ﷺ مما ينمُّ عن وجود أمر خفي وخطير يريدون ابرامه، وخصوصاً بعد أن أدركوا أن الرسول الأكرم ﷺ قد اشتدّ به المرض وكان يكرر عليهم: (أوشك أن أُدعى فأجيب) فأعتقدوا أنّ استثناء الإمام علي عليه السلام هذه المرة من الخروج مع جيش اسامة يحمل أبعاداً أخرى أهمها تثبيت ولاية علي عليه السلام وخلافته له ﷺ على الأمة. وبذلك عصوا رسول الله ﷺ ولم ينفّذوا أمره.

والحقيقة إن الرسول الأكرم ﷺ قد استشفّ من التحركات والأقوال والأفعال التي صدرت من الصحابة أنهم يبغون لأهل بيته الغوائل ويتربّصون بهم الدوائر، وأنهم مجمعون على صرف الخلافة عنهم، فرأى ﷺ أن يصون امته عن الانحراف ويحميها من الفتن والتمزّق فأراد أن يحاول معهم محاولةً جديدة لتثبيت ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلافته له ﷺ. لذلك قال ﷺ: ((ائتوني بالكتف والدواة اكتب إليكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)).

(فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع - فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّدون عليه القول: فقال ﷺ: ((دعوني فالذي أنا فيه خير

---

(١) السيرة الحلبية، ٣/٣٤.

مما تدعوني إليه)) وأوصاهم بثلاث، قال: ((اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم)) وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيتها)[١].

رأي:

وقد دوّن أكثر المؤرخين هذا الحديث في كتبهم على هذا النحو، ولم يذكروا من وصاياهُ إلاّ وصيتين وسكتوا من الثالثة أو تناسوها مجاراةً للحاكمين الذين تقمّصوا الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله في حين أنه لم يسبق أحد من الرواة لأحاديثه صلى الله عليه وآله أن نسي شيئاً أو فاتَهُ دون أن يدوّنه حتى يمكن القول بأنهم أحصوا حتى أنفاسه صلى الله عليه وآله فكيف نسي الحاضرون على كثرتهم وازدحامهم عنده وصيّته الثالثة وهو في حالة الوداع لهم؟ وهم ينتظرون كل كلمة تصدر منه تهديء من روعهم وتبعث الأمل في نفوسهم نحو المستقبل؟ ولولا أن الثالثة تأكيد لنصوصه صلى الله عليه وآله السابقة على خلافة علي عليه السلام لم ينسها أو لم يتغافل عنها أحد من الرواة أولئك[٢].

أجل، إن الوصية الثالثة التي تغافل عنها الرواة الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من الملوك والسلاطين، هي: تأكيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على خلافة أمير

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٦٠/٤ وتاريخ الطبري، ٤٣٦/٢، ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ٣٢٠/٢ والارشاد للمفيد، ١٨٤/١.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر للحسني، ٢٥٥/١.

المؤمنين علي عليه السلام مرةً أخرى، إضافةً لما صدر عنه صلى الله عليه وآله من تأكيد مستمر قولاً وفعلاً وإشارةً أو إجابة عن سؤالٍ يسأل عن الخليفة للأمة من بعده صلى الله عليه وآله.

وكيف لا يكون علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الشرعي للأمة الإسلامية من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً وحياته عليه السلام هي حياة النبي صلى الله عليه وآله وهو الامتداد الطبيعي له، وهو المؤهّل لقيادة الأمة الإسلامية بعده صلى الله عليه وآله وليس ثمّة إنسان آخر قط؟

نعم، إنّ المواقف المهمّة والصعبة جداً في الكثير من الصراعات والأزمات والمنعطفات الخطيرة التي وقف فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام بكل بسالةٍ وشجاعةٍ نادرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى آخر لحظات عمره الشريف، ألا تكشف عن الوحدة والاتحاد في المسؤولية والغاية والهدف؟!

أجل، إنها تكشف عن ذلك إضافةً لكشفها عن مدى القرب والاتصال والتلاحم المصيري بين الرسول محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام.

لذا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أودع أمير المؤمنين علياً كلّ أسرار النبوّة وتفاصيل الرسالة الإسلامية وحمّله عبء مسؤولية رعايتها وصيانتها وحفظها من كل زيغ أو انحراف أو تلاعب من قبل شذّاذ الآفاق وجبابرة العصر حتى أنه صلى الله عليه وآله أوكل إليه عليه السلام أمر تجهيزه ودفنه دون غيره لعلمه وثقته بأن علياً عليه السلام سينفّذ أوامره الشريفة ولا يحيد عنها قيد أنملة ولا يتردّد طرفة عين ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يطمئن لغيره هذا الاطمئنان الفريد من نوعه.

وكان صلى الله عليه وآله يصرُّ على تبيان خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام تنفيذاً للنص الإلهي بهذا الخصوص، وأنه الوصيّ من بعده صلى الله عليه وآله حتى في أواخر لحظات حياته المباركة

مضافاً إلى كل التصريحات والتلميحات التي أبداها في مناسباتٍ شتى ومواقف عديدة ومختلفة.

وقد كان صلى الله عليه وآله يخاطب المسلمين أثناء تقاطرهم عليه لعيادته أثناء مرضه الذي ألم به في المدينة المنورة عند رجوعه من حجّة الوداع، وفي نفوسهم القلق والأسى وفي أذهانهم الحيرة والتساؤل عن مصير الأيام الآتية والرسالة الإسلامية بقوله صلى الله عليه وآله:

((أيها الناس! يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقدّمتُ إليكم القول معذرة إليكم إلاّ إني مخلّف فيكم كتاب الله عزّ وجل وعترتي أهل بيتي)).

ثم أخذ بيد علي عليه السلام وقال صلى الله عليه وآله: ((هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)).

نعم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بيّن كلّ شيء ووضّح بخصوص ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام على الأمة من بعده مباشرةً، وأزال كلّ غبار يحيط بخلافة الأمة ومسارها إلاّ إن في القلوب مرضاً وفي النفوس هوى ورغبة جامحة أن لا تجتمع النبوّة والإمامة في بني هاشم، وإن كان النصُّ الإلهي موجوداً ويأمر بذلك، حسداً وحقداً وبغضاً منهم لمحمد وآل محمد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين!! وإلاّ ماذا تفسّر ذلك كله - قارئي الكريم -؟!!

وهل يوجد تفسير آخر أو اجتهاد مع وجود النص الإلهي الذي يأمر بذلك، والتأكيد والتبليغ والأمر بالتنفيذ من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وعلى كل حال، سيعلم الذين ظلموا محمداً وآل محمد أي منقلبٍ سينقلبون وإن العاقبة للمتقين، وإن الجنة لمن سلك الصراط المستقيم، صراط محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

الإمام علي عليه السلام في اللحظات الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد أكّدت السيرة والتاريخ والواقع أن علياً عليه السلام كان ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملازمة الظل لذي الظل، ويتابعه متابعة التلميذ لأستاذه، والفصيل لأمه، في جميع لحظات حياته الرسالية المباركة، ولم يبتعد عنه إلاّ في ظروفٍ خاصة تقتضيها المصلحة الإسلامية من جهادٍ أو تبليغ أو إرشاد أو قضاء أو تحقيق هدفٍ رسالي سام، فهو عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السرّاء والضرّاء والشدة والرخاء.

وعندما اشتدّ المرضُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأغمي عليه، فلما أفاق قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ادعوا لي أخي وصاحبي)) وعاوده الضعف، فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر، وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر، فأجتمعوا عنده جميعاً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((انصرفوا فإن تلكُ لي حاجة أبعث إليكم))[1].

ثم دُعي علي عليه السلام فلما دنا منه اومأ إليه، فأكبّ عليه، فناجاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً، ثم ثقل النبيُّ وحضره الموت، فلما قارب خروج نفسه قال لعلي عليه السلام: ((ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمرُ الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها

(١) تاريخ الطبري، ٤٣٩/٢، ط مؤسسة الأعلمي.

بيدك وأمسح بها وجهك، ثم وجّهني إلى القبلة وتولَّ أمري وصلِّ عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى))(١).

وهكذا انتقل الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى إلى جوار ربّه الرحمن الرحيم، راضياً مرضياً بعد أن أدى رسالته العظيمة بأحسن وجه، وأوضح السبيل للأمة من بعده وعلي بن أبي طالب عليه السلام معه ولن يفارقه أبداً وكلٌّ بني هاشم معه، تعتصر قلوبهم ألماً وحزناً بهذا الحادث الجلل، والخطب الأفجع الذي ألمّ بهم وأدهشهم واقضّ مضاجعهم، وأذهلهم فتراهم سُكارى وما هم بسكارى ولكنّ فقد رسول الله شديد وعظيم.

وأما الصحابة وجمع الأمة - إلاّ القليل منهم - فبدلاً من أن يهتزّ كيانهم من الأعماق حزناً وألماً بهذا الحادث المفجع، ويحضروا وفاة رسولهم صلى الله عليه وآله ومنقذهم من الظلمات إلى النور، وفاءً له ولما بذله من جهود كبيرة ومضنية في الصلاح والإصلاح والهداية والخير، راحوا يجتمعون في سقيفة بني ساعدة، يخطّطون ويدبّرون أمراً خطيراً كانوا قد أبرموه من قبل - بحجة الشورى ومصلحة الأمة ولأن الرسول لم يوصِ افتراءً وبهتاناً - والشورى ومصلحة الأمة والرسول صلى الله عليه وآله من كل ذلك براء، براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

عجيبٌ غريب، هذا المنطق الغريب، الكلُّ يوصي لأن من مات من دون وصيّة مات ميتة جاهلية، ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يوصي، ولم يبلّغ، ولا يورّث، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد خاب مَن افترى، وحسن العاقبة لمن تدبّر واتّقى.

---

(١) الارشاد للمفيد، ١٨٦/١.

قبر النبي ﷺ في غرفة فاطمة عليها السلام:

أوصى الرسول الأكرم ﷺ الإمام علياً عليه السلام أن يدفنه في المكان الذي يموت فيه، وقد مات ﷺ في غرفة ابنته وعزيزته فاطمة الزهراء (عليها السلام) في حجر أخيه وابن عمّه ووصيّه علي بن أبي طالب، وقد دفنه فيها فأصبحت قبراً ومزاراً له ﷺ، يؤمّه المسلمون وغيرهم من جميع أصقاع الدنيا لأن زيارته ﷺ في حياته كزيارته في مماته ويترتّب عليها أجرٌ كبير وأثر عظيم وفيها الجنة لمن قبلت زيارته وقد قال ﷺ: ((من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي)).

وقد كثر القال والقيل في الغرفة التي دُفن فيها رسول الله ﷺ، في حين إن حجرات أزواج النبي ﷺ في قبلة المسجد[1] إلاّ إنّ عائشة في أواخر أيام حياتها صحّحت ما زوّرته السياسة الأموية فأكدت موت رسول الله ﷺ في حجر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أي في غرفة فاطمة عليها السلام[2].

حيث أجابت عندما سُئلت:

قالت عائشة: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه واختلفوا في دفنه فقال عليه السلام: إنّ أحبّ البقاع إلى الله مكان قُبض فيه نبيّه.

---

(١) البحار، ج٢٨، ص١٢٦.

(٢) مجمع الزوائد، ٢٩٣/١، ٢٩٧/٨، فتح الباري، ٦/٨، كتاب السنّة عمر بن أبي عاصم الذرية الطاهرة، الدولابي، ٩١. المعجم الكبير للطبراني، ١١٠/١٢، ١٤٥/٢٤. المناقب للخوارزمي، ص٣٠٦. طبقات ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ٨٩. مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي، ١٠٩/١. كشف الخفاء، ٤١٨/٢. للفجلوني، ينابيع المودة للحنفي القندوزي، ٢٢٩/٢.

قلن: فَلِمَ خرجتِ عليه؟

قالت: أمر قُضي لوددتُ أني أفديه بما على الأرض[١].

الدلائل والعبر:

لقد أكّدت الروايات الشريفة ومتواتر التاريخ، أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد أوصى بأمرين هامين في حجّة الوداع هما: القرآن الكريم، العدل الأول، وأهل البيت عليهم السلام العدل الثاني، وأكدهما مرةً أخرى في الطائف بعد فتح مكّة المكرّمة، وقد اجتمع العدلان أو الثقلان في مكة عندما أرسل النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً على الحجّ ومبلّغاً لسورة براءة وبين فتح مكة وحجّة الوداع السنة التاسعة التي فيها أرسل النبي علياً عليه السلام أميراً على الحج ومبلّغاً لسورة براءة بدلاً من أبي بكر بأمر الله سبحانه.

وهذا الذكر المتعمّد، والتأكيد المستمر من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله على القرآن وأهل البيت عليهم السلام يدلُّ دلالة واضحة على أهميته الكبيرة والعظيمة في حياة المسلمين ومسيرة الدعوة الإسلامية واستقامتها وصيانتها من كلّ خطر وانحراف وتوقّف. ولو كان هناك موضوع آخر مهم وأمر خطير لأصبح لزاماً على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذكره ويوضحه للمسلمين وعموم البشرية ولما يأتي من الأجيال.

ولكنّ المنافقين والطلقاء ومن لفَّ لفهم غاضهم ذلك وازداد حقدهم على أهل البيت عليه السلام وقوي عنادهم لهم وللقرآن على حدّ سواء لذلك راحوا يحدثون الضجيج والصخب في أثناء خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع،

(١) تاريخ دمشق، ٣٩٤/٢، البداية والنهاية، ٣٩٧/٧.

ويتساءلون: هذا الأمر من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ والآخر يقول: إن كان صحيحاً فأنزل علينا صاعقةً تحرقنا! وآخر يقول: لم يكتفِ بالنبوّة بل يريد الإمامة والخلافة والإمرة لابن عمّه علي بن أبي طالب... وإلى غير ذلك من الإعراض والاعتراض على الله تعالى ورسوله ﷺ.

والذي يؤسف له أشدَّ الأسف، أنّ المنافقين والطلقاء قد قويت شوكتهم، وكبُر جمعهم بانضمام المعاندين من الكفار والمتأرجحين في الإيمان والأعراب إلى صفوفهم وأصبحوا مأوى لكل الفئات من هذا النمط والشاكلة في مكة والمدينة وسائر المناطق وبذلك أصبحوا الطابور الخامس في الأمة والحياة والمسيرة الإسلامية وإلى يومنا هذا.....

وقد نجح حزب المنافقين في جمع شتات أفراده وتنظيم وتوقيع زعمائهم على وثيقة سياسية لاستلام السلطة فضحتها أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر[1].

وهؤلاء المنافقون هم الذين عصوا الله ورسوله ﷺ وقتلوا أهل البيت عليهم السلام في كل مكان وزمان، وهم الذين جاؤوا بالإسلام المزوّر، وحرّفوا قيمهُ الإنسانية وأهدافه السامية ومبادئه الأصيلة، وبقيت اطروحتهم مجهولة عند الكثير من الموحّدين رغم أن أكثرهم قد كشف عنها في المواقف الحساسة والحوادث الإسلامية المهمة، حتى جاء أحد زعمائهم وهو يزيد بن معاوية فعبّر عن هذه

(١) البحار، ٢٨/٩٦ - ١١١، السقيفة لسليم بن قيس، ص١٦٨.

الأطروحة وعرّفها بصورة جلية ففهمها القاصي والداني، المسلم وغيره، وخصوصاً عندما قال:

لستُ من خندفَ إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كان فعل
لعبتْ هاشمُ بالملكِ فلا | خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزل[1]

وعلى الرغم من هذا الكفر الصريح الذي عنت به تلك الأطروحة الجائرة إلاّ إنّ حزب المنافقين أصبح هو الأقوى في الساحة السياسية الإسلامية، يدير دفّة الأمور في البلدان الإسلامية ويقتل كلّ مخلص وشريف يقف في طريقه، أو يعرقل مسيرته العدوانية والانحرافية.

وقد صدق القرآن الكريم حينما قال: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[2] وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[4].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ٣/٣٦١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٠٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧.

نعم، إنّهم فاسقون، ومشركون، وغير شاكرين، وإن كانوا هم الأكثر، والقرآن يقول: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾. فأهل الحق قليل وأهل الباطل كثير، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.

وعلى كل حال، فإنّ حزب المنافقين والمشركين والفاسقين والمنحرفين عن جادّة الحقّ والحقيقة هم الذين أشعلوا نار الفتنة في الأمة ومزّقوها أي ممزّق وجعلوها أيادي سبأ، ويقتل بعضها بعضاً، وكلٌّ بعض يدّعي أنه المؤمن الحقيقي وما عداهُ قد يكون مشركاً أو كافراً بالله يستحق أن يُعدَم، ومن هنا ظهرت الطائفية، والعنصرية، والمذهبية، والحزبية بأجلى معانيها وأوضح صورها المقيتة، وقد استثمرت ووظّفت واستغلت كلّ صورة منها في الحياة الإسلامية مما كلّف الإسلامَ والمسلمين خسائر فادحة في الأنفس، والأموال، والطاقة، لا تزال الأمة الإسلامية والإنسانية تئنُّ منها ومن شرورها وويلاتها، ولا تزال إلى يومنا الحاضر فاعلةً مدمّرة وخصوصاً بعد توظيفها واستغلالها من قبل أعداء الإسلام والمسلمين، فهل من متدبّر واعٍ لذلك، وما يجري؟!

وقد حذّر الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار سلام اللهُ عليهم أجمعين من كلّ ذلك، وبذلوا جهوداً جبّارة في البيان والتوجيه والإرشاد والنصح من أجل الاستقامة في الحياة، وتنفيذ كلمة الله تعالى في الأرض، والالتزام بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ومرتكزاته الأساسية وولاية أمير المؤمنين علي وأولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين. لأن في ذلك استقامة الحياة وتوحيد

المسلمين في الرؤية والغاية والهدف، وإيجاد الحياة الحرة الكريمة القائمة على العدل والإنصاف والخلق الكريم.

إلاّ أن أكثر المسلمين آمنوا بالنبوّة وأداروا ظهرهم للولاية والإمامة فوقعوا في المحذور وركبوا رأس الفتنة التي اخبر عنها رحمة الإنسانية ورسول البشرية صلى الله عليه وآله عن الله عزّ وجل بقوله:

((أضلتكم الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً))(١).

وقال صلى الله عليه وآله: ((لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذّة بالقذّة، فلو دخلو حجر ضبّ لدخلتموه))(٢).

وقال صلى الله عليه وآله: ((انتم أشبه الناس سمتاً وهدياً ببني إسرائيل لتسلكن طريقتهم حذو القذّة بالقذّة والنعل بالنعل))(٣).

أجل، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف لا يصدق وهو الصادق الأمين وكلامه وحيٌ يوحى؟ لقد أضلّت الفتنُ المسلمين كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، وقد بكوا كثيراً وضحكوا قليلاً، لما فقدوه من غالٍ ونفيس، نتيجة ابتعادهم عن صراط أمير المؤمنين علي وأولاده المعصومين عليهم السلام باعتبارهم القرآن الناطق والإسلام الحقيقي الذي يمشي على الأرض، وقد أوصى بهم اللهُ

(١) مسند أحمد، ٣٠٤/٢، ٨١/٦. سنن الدارمي، ٣٧/١، سنن مسلم، ٧٦/١.

(٢) فيض القدير، ٣٧٦/٥.

(٣) كنز العمال، ٢٥٣/١١.

ورسوله ﷺ وأمر بإتّباعهم والسير على منهجهم، والاقتداء بهم لأن في ذلك النحاة، ووأد الفتنة، وتكامل الحياة.

وما أشبه اليوم بالبارحة؟! حيث المسلمون سلكوا وادياً غير الوادي الذي سلكه علي عليه السلام، وقد كان رسول الله ﷺ ما زال يوصي المسلمين به، حيث روي عنه ﷺ مخاطباً عمار بن ياسر (رض): ((يا عمار إذا سلك عليٌ وادياً وسلك الناسُ وادياً آخر فأسلك الوادي الذي سلكه علي عليه السلام)) وبهذا السلوك المشين للمسلمين قد سقطوا في الفتنة وفعلت فعلتها المدمّرة فيهم فجعلتهم أوصالاً ممزّقة وطعمة سائغة لكلّ طامع، فأصبحوا كما نرى اليوم.

وإذا أراد المسلمون النجاة والرقي والاستقلال الحقيقي في وقتنا الحاضر فما عليهم أجمعين إلاّ سلوك الوادي الذي سلكه عليّ وأولاده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين تنفيذاً لما أوصاهُ رسول الله ﷺ عن الله عزّ وجل، والعاقبة لمن أدرك ووعى، وقد خاب من افترى.

ونختم بما قاله ﷺ في حق عليّ عليه السلام:

((من ناصَب علياً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب الله ورسولَه، ومن شكَّ في علي فهو كافر))(١).

و ((علي بن أبي طالب باب حِطّة، مَن دخل منه كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً))(٢).

(١) ابن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب، ص٤٦، ط إيران.

(٢) كنز العمال: المتقي الهندي، ج١١، ص٦١٠، ط بيروت.

وقال صلى الله عليه وآله: ((علي بن أبي طالب باب الدين من دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً))[1].

نعم، إنّ وادي علي عليه السلام هو وادي الحق والحقيقة والأمن والإيمان والراحة والاطمئنان، وباب حِطّة، وباب الدين، وبالاستقامة والرقي والتكامل.

فهل من ذي لبّ وضمير ووجدان، يقرأ الواقع قراءةً منطقية، ويُدرك الحقيقة، ويتدبّر ويعي ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام؟! وصولاً لسلوك وادي علي وصراطه المستقيم وبلوغ الأمل والرجاء... وتحقيق الغاية والهدف المنشودين في الوجود...

(١) ينابيع المودة، ج٢، ص٦١، ط اسلامبول.

الفصل الثاني
الطامعون في الخلافة واجتماع الأنصار في السقيفة

رؤية في اجتماع السقيفة:

في خضم الحدث الأكبر والرسول الأكرم ﷺ لم يزل مسجّى، سارع الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة وعقدوا لهم اجتماعاً سرياً أحاطوه بالكتمان الشديد والتحفظ الكثير، واحضروا معهم شيخ الخزرج سعد بن عبادة الذي أخذ منه المرض مأخذاً كبيراً، بحيث لم يستطع أن يُسمع المجتمعين صوته إلاّ عن طريق ابنه الذي يردّد بعده، فقال سعد مخاطباً مَن حضر في السقيفة:

(إنّ لكم سابقة إلى الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن رسول الله ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن معه إلاّ قليل، حتى أراد بكم خير الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصّكم بدينه، فكتم أشدّ الناس على مَن تخلّف عنه، وأثقلهم على عدوّه من غيركم، ثم توفاه الله وهو عنكم راضٍ، فشدّوا أيديكم بهذا الأمر فإنكم أحق الناس وأولاهم).

وقد يُستشف من اجتماع الانصار في السقيفة في بداية أمره - كما يقول المتتّبعون للأحداث - لم يكن في اغتصاب الخلافة من أهلها الشرعيين وبالذات من أمير المؤمنين علي عليه السلام لعلمهم بوصية الرسول ﷺ وفضيلة الإمام عليه السلام. ولأسباب نذكرها فيما بعد.

سماع خبر اجتماع الأنصار في السقيفة:

جاء في كتاب أعلام الهداية ج٢ ص١١٤ ما نصّه:

ما إن سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة أتى منزل رسول الله ﷺ وفيه أبو بكر، فأرسل إليه أن أخرج إليّ، فأجابه بأنه مشغول، فأرسل عمر ثانيةً أن أُخرج فقد حدث أمرٌ لابد أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة ومن ثم لحقهم آخرون، فأدركوا الأنصار في ندوتهم ولما يتمّ بعد الاجتماع ولم ينفضّ أصحابه، فتغيّر لون سعد بن عبادة وأسقط ما في أيدي الأنصار وساد عليهم الوجوم والذهول، ونفذ الثلاثة في تجمّع الأنصار أتم نفوذ وأتقنه، ينمّ عن معرفتهم بالنفوس ونوازعها ورغباتها، ومعرفتهم بنقاط الضعف التي من خلالها تسقط ورقة الأنصار.

أراد عمر أن يتكلم فنهره أبو بكر لعلمه بشدّته وغلظته والموقف خطير ملبّد بالأحقاد والأضغان، ويجب أن يُستعمل فيه البراعة السياسية والكلمات الناعمة لكسب الموقف أولاً ثم يأتي دور الشدة والغلظة.

وافتتح أبو بكر الحديث باسلوب لبق فخاطب الانصار باللطف، ولم يستعمل في خطابه أي كلمة مثيرة فقد قال: نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمتهم برسول الله ﷺ رحماً، وانتم اخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم اللهُ خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لانفتات عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا معشر الأنصار: أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلّكم ولن يتجرئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلاّ عن رأيكم، انتم أهل العزّة والمنعة، وأولوا العدد والكثرة، وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم، فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيّها من غيركم ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوّة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الانصار: إملكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم، فاجلوهم من هذه البلاد، وأنتم أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد، والله إن شئتم لنعيدها جذعة.

وهنا تأزم الموقف وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجرّاح ليحول دون ذلك ويتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطباً الأنصار:

يا معشر الأنصار: انتم أول مَن نصر وآوى، فلا تكونوا أول من بدّل. وأنسلّت كلماته إلى النفوس هادئة، فساد الصمتُ لحظات على الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرة يدفعه لذلك حسده لسعد بن عبادة فقال: يا معشر الأنصار: ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به، فأيم الله لا يراني اللهُ انازعهم هذا الأمر.

فأغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهة الأنصار، فطفقوا يقدّم بعضهم بعضاً، فبدأ أنهم لم يروا أن واحداً منهم يدعمه نصّ شرعي أو يختص بميزة ترفع من رصيده مقابل غيره فتؤهّله للخلافة.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم[١].

وقال عمر: يا أبا عبيدة أبسط يدك أبايعك، فأنت أمين هذه الأمة[٢].

فقال أبو بكر: يا عمر ! أُبسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل مني، قال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال عمر: قوّتي لك مع فضلك أبسط يدك أبايعك[٣].

فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير ! عقّتك أنفستَ على ابن عمك الإمارة؟

ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن خضير وكان نقيباً:

والله لئن وليتها الخزرج مرةً، لا زالت عليكم بذلك الفضيلة أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فأنكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل أصحاب أُسيد يبايعون أبا بكر[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة، ١٥/١ وتاريخ الطبري، ٤٥٨/٢، ط مؤسسة الأعلمي والكامل في التاريخ، ٣٢٥/٢.

(٢) الطبقات الكبرى، ١٨١/٣.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٠.

(٤) الكامل في التاريخ، ٣٣٠/٢.

وقال بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً عليه السلام[١].

ثم أقبل أبو بكر والجماعة التي تحيط به يزفّونه إلى المسجد زفاف العروس[٢] والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا زال ملقى على فراش الموت، وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزبر شدقاه وجماعته تحوطه وهم متّزرون بالأُزر الصنعانية، لا يمرون بأحد إلاّ خبطوه وقدّموه، فجدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى[٣].

لقد كانت خطة الحزب القرشي في السقيفة ضد الأنصار مبنية على أمرين:

١- إن المهاجرين أول الناس إسلاماً.

٢- إنهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمتهم به رحماً.

وقد أدان هؤلاء القادة أنفسهم بهذه الحجة، وذلك لأن الخلافة إذا كانت بالسبق إلى الإسلام والقرابة القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما يدعون - فهي لعلي عليه السلام وحده لأنه أول الناس إسلاماً وإيماناً وتصديقاً بالرسالة الإسلامية، وأخوه بمقتضى المؤاخاة التي عقدها النبي بينه وبين علي يوم آخى بين المهاجرين في مكة وبينهم وبين الأنصار في المدينة، وابن عمه نسباً وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك[٤].

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٣/٢، ط الأعلمي.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٨/٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢١٩/١ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٤) انظر: أعلام الهداية، ج٢، ص١١٤ - ١١٦.

أجل، إن الحق قد أُبعد، وأصبح غريباً ولا يُعمل به، وإن أقرب الناس برسول الله ﷺ وأولهم إسلاماً وإيماناً وتصديقاً بالرسول والرسالة وأشدهم في ذات الله، وأشجعهم في قتل أعداء الله، وأقواهم في مقارعة الباطل ونصرة الحق وتثبيت حكم الله، يصبح معزولاً عن حقه الشرعي تارة وصريعاً للفتنة تارةً أخرى، وقد صدق الطبري حينما قال في تاريخه:

((فكان علي عليه السلام صريعاً للفتنة التي أشار إليها المصطفى ﷺ والتي بدأت في سقيفة بني ساعدة، وبرزت قرونها في الجمل وصفين والنهروان وكربلاء والحرّة والمكة))[1].

نعم، الفتنة؟! وما أدراك ما الفتنة؟! وقد حذّر منها المصطفى ﷺ ومن شرورها، إلاّ إن الشيطان، وحب الدنيا، واتّباع الهوى، والمصالح الشخصية، وضعف الدين والإيمان في النفوس، قد أشعل أوارها، وأضرم نارها، جبارةً مدمّرة، قد أكلت رجالها، وأحرقت الأخضر واليابس، وكل غالٍ ونفيس.

أجل، إن فتنة السقيفة لم يخفت لهبها، وتنطفئ نارها، وقد ناصرها المنافقون والأعراب والطلقاء وعلى رأسهم أبو سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل، وأبو الأعور الأسلمي زعيم قبيلة أسلم التي تزاحمت سكك المدينة برجالها - يوم الاجتماع في السقيفة - حتى قال قائلهم - وهو من الأقطاب: ما إن رأيت أسلم حتى أيقنتُ بالنصر.

---

(١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٧ - ٤١.

وقد سارع الأقرع بن حابس زعيم قبيلة تميم في خطى أبي الأعور الأسلمي وهو الذي شارك في دعم كفّار قريش في بدر وأُحد والخندق، واستمر في مخالفة الإسلام وخيانة الرسول ﷺ عندما أرسله إلى كفار الطائف المحاصرين بعد إسلامه بعدة سنوات، حيث أمرهم بالصمود في محاربة النبي ﷺ فنزل جبرئيل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ بالخبر فاعترف الأقرع بخيانته[1].

وقد قال الله تعالى عن هؤلاء الأعراب: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

ولقد استمر الأقرع في منهجه الأعرابي وعدائه الشديد لأهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام وخصوصاً علي وفاطمة عليها السلام حيث ساهم في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام بمعيّة الأربعة آلاف رجل من الأعراب، مع عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل والمغيرة بن شعبة وأُسيد بن خضير وعبد الله بن أبي ربيعة وبشير بن سعد[2] وغيرهم كثير..

ثم خالف الإمام علياً عليه السلام وساعد وناصر أعداءه ودعم معاوية في فتنته وشارك في جيشه في صفين كما شارك من قبل في جيش أبي سفيان في بدر وأُحد والخندق.

وعلى كل حال، فإن هؤلاء الأعراب ومن هم على شاكلتهم من قيادة وقاعدة وتابع لهم، وسائر على نهجهم هم الذين أسّسوا ومارسوا الظلم

---

(١) المبسوط، السرخسي، ١٥٥/٦.

(٢) تاريخ بن أبي الفداء، ١٦٤/١. العقد الفريد لابن عبد ربه، ٢٥٩/٤. تاريخ الطبري، ١٩٨/٣. أنساب الأشراف للبلاذري، ٥٨٦/١. انظر: سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للطائي، ج٤، ص١٠.

والجور على أهل بيت المصطفى ﷺ وحالوا دون أن تجتمع النبوّة والإمامة في بني هاشم وبذلوا المستحيل من أجل أن تُنسى (بيعة الغدير) ومقولة رسول الله ﷺ فيها (من كنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه) من الأذهان، ومن الواقع السياسي، والحياة الاجتماعية والثقافية، ولكنّ (الحق يعلو ولا يُعلى عليه) وإن النصوص الشرعية من آياتٍ ورواياتٍ وحوادث لم تذهب أدراك الرياح كما أرادوها بل ظلّت تدقّ في عالم الحقيقة، والشرعية، والأصالة، والوجدان، والضمير الحيّ.

وسرعان ما اجتمعت الأمة تطالب قائدها الحقيقي، والوصيّ الشرعي أن يمدّ يده لتبايعه إماماً وخليفة وقد زهد في ذلك، واعتبرها لا تساوي عنده عليه السلام قيمة بعض نعله، لولا أن يُقيم حقاً ويُدحض باطلاً، فتشرّفت الخلافةُ به عليه السلام دون أن يتشرّف بها لأنه نفس رسول الله ﷺ وسيّد الوصيين. والصراط المستقيم، ولم تمضِ فترة وجيزة إلاّ وقد عادت دياجير الجاهلية تضرب أطنابها من جديد، فألبست حياة المسلمين ثوباً أسوداً حالكاً من الحيرة والضلالة، والذلة والمهانة فأصبح الحق باطلاً، والمعروفُ منكراً، والعكس والبغي منهجاً، وإتّباع الهوى ولذائذ الحياة شعاراً وطريقاً، وعندها كانت الكارثة والطامة الكبرى، وقى الله المؤمنين والصالحين شرّها... ولنعد إلى السقيفة وما فيها وما حولها.

اجتماع الأنصار في السقيفة من أجل الخلافة أم لا:

وكما قلنا في بداية الفصل إن الانصار قد عقدوا اجتماعاً سرياً لهم في السقيفة ولكنّ المتتبّع للأحداث يلمح أن اجتماعهم في بداية أمره لم يكن للاستئثار بتراث الرسول الأكرم ﷺ واغتصاب الخلافة من الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لوجود أسباب وأدلّة تؤكد صحة ذلك، نذكر منها:

١- إن الانصار كانوا على علم تام بما جاءت به الآيات الشريفة والروايات النبوية الكريمة بخصوص إمامة أمير المؤمنين وخلافته على الأمة، وهم على دراية تامّة ببيعة غدير خم، وإنّ الأئمة من قريش، وهم أثناء عشر كنقباء بني إسرائيل أولهم علي عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف، إضافةً إلى معرفتهم بوصايا رسول الله ﷺ الكثيرة بعليّ وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأفضليتهم على الأمة مطلقاً وبدون منازع. لذلك راحوا يقولون (لا نبايع علياً)[1].

٢- من اللافت للنظر أن خيار الأنصار وهم البدريون لم يحظروا في اجتماع السقيفة مثل: حذيفة بن اليمان، وأبي أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، والبراء بن عازب، وهذا مما يؤكّد أن الاجتماع لم يكن نهائياً أو حاسماً في قراراته.

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٣/٢، مؤسسة الأعلمي.

٣- هل من المعقول أن ينشغل خيار الانصار وسادتهم في اجتماع انتخاب خليفة على الأمة منهم وهم أنصار رسول الله ومحبّوه وقد أنقذهم من الظلمات إلى النور، ومن حيرة الضلالة والجهل إلى نور الهداية والعلم، وهو ﷺ لا يزال مسجّى ولم يُدفن بعدُ، ويتركوا شرف الحضور في مراسم التشييع والدفن؟

وهل هم على هذه الدرجة من عدم الوفاء لرسول الله ﷺ وهو الذي قد عاش بين ظهرانيهم، وأعزّهم ورتّبهم وجعل لهم شأناً يُشار له بالبنان ودوراً رئيسياً في الحياة الإسلامية، وهم الذين آووه ونصروه وجاهدوا بين يديه وضحّوا من أجل دعوته المباركة؟

٤- من الحقيقة بمكان إنّ الأنصار قد علموا بما تخطّط له قريش من ابعاد بني هاشم عن الخلافة العامة للأمة الإسلامية، أو أن يكون له دورٌ هام في الساحة السياسية والحكم، وإن القرار السائد هو: (أن لا تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم) وإن كان في ذلك مخالفة للنص الشرعي. وعصيان لله ورسوله ﷺ. لذلك اجتمع الأنصار لتقرير مصيرهم والنظر في مستقبلهم السياسي والإداري، وخشية العزلة من جانب قريش لهم، وهم الثقل الأكبر في المجتمع الإسلامي، ولهم الدور الفاعل في نصرة الرسول ﷺ ونشر الرسالة الإسلامية ومبادئها الإنسانية.

٥- إذا أصبح قرار قريش أمراً واقعاً وأبعدوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن الخلافة وهو صاحبها الشرعي - كما هو معلوم لدى القاصي والداني - فما هو الدور الذي يلعبه الأنصار في خضم تلكم الأحداث الداهية وهم أولوا الرأي والحكمة، والثقل والقوّة؟

٦- وعليه، فإن اجتماع الأنصار في السقيفة يظهر لدى المتتبّع للأحداث آنذاك أنه غير حاسم في قراراته وكان عقده للمشاورة ودراسة الاحتمالات المتوقعة للخلافة بعد رسول الله ﷺ لاسيما وأن الانصار لم يكونوا على رأي واحد، ونظرةٍ واحدةٍ، وإنما الآراء مختلفة، والنوايا متنافرة، والنفوس متضادّة، فنلاحظ بعضهم يجيب سعداً قائلاً:

وفّقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدوا ما رأيت، نولّيك هذا الأمر.

ثم ترادّوا في الكلام فقالوا: فإن أبى المهاجرون وقالوا نحن أولياؤه وعشيرته، وهنا انبرى آخرون فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فعلّق سعد على هذا الاقتراح قائلاً: (فهذا أول الوهن)[1].

والحقيقة: إنّ الأنصار بموقفهم هذا قد هيّأوا فرصةً سياسية ثمينة ما كانت لتفوت الجناح المترقّب للفوز بالسلطة، وفتحوا باب الصراع على مصراعيه بعيداً عن القيم والأحكام الإسلامية، إذ قُدّمت فيه الحسابات القبلية على الحسابات الشرعية، وتقدّمت فيه مصلحة القبيلة على مصلحة الرسالة الإسلامية، وهذا في حدّ ذاته موقف يُحسَب على الأنصار، ويجب أن لا يحدث بهذه الطريقة، وبهذه العجالة الغير محمودة العواقب والمحسوبة النتائج والرسول ﷺ لا يزال مسجّى والحادث جلل، والمصيبة كبرى، وبنوا هاشم مشغولون ومذهولون لفقد رسول الله ﷺ، وكأنّ السماء منطبقة عليهم والأرض لا تقلّهم، وهم في حالةٍ لا توصف من شدّة الألم واللوعة والحزن والأسى.

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٤/٢، ط مؤسسة الأعلمي حوادث سنة ١١هـ.

(وقد اعتذر عمر من مباغتة الأنصار في السقيفة فقال: وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما، نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون الفساد...)[1].

وهكذا أخذ الموقف السياسي يزداد تعقيداً وإعضالاً.

قريش بين النظرية والتخطيط لإقصاء أمير المؤمنين عليه السلام:

قبل بزوغ شمس الإسلام وفجره الساطع في مكة، كان مجتمع الجزيرة العربية تحكمهُ النزعة القبلية والصيغة السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف والسيادة، وقد ظلّت هذه النزعة كامنةً في النفوس وعلى الخصوص نفوس أصحاب النفوذ والهيمنة والمنتفعين حتى بعد دخولهم في الإسلام لذلك نراها تظهر عند البعض في مجريات الأمور المهمة والأحداث الحاسمة، وأحياناً نراها عند حالات الغضب وحصول المنفعة واضحةً للعيان، وخصوصاً عند فقد الأحبّة والأخلّة المشركين نتيجة قبلهم بيد المسلمين في معارك رسالية.

ونتيجةً لهذه النزعة الرأسية في الشعور والوجدان يُلاحظ أنه حينما انطلقت الرسالة الإسلامية في قلب الجزيرة العربية في مكة المكرّمة وبين ظهراني قريش لم تتمكّن قريش من هضم الرسالة الجديدة والإيمان بها إيماناً خالصاً لا شائبة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المحاربين، ٦ ح٦٤٤٢ وسيرة ابن هشام، ٣٠٨/٤ وتاريخ الطبري، ٤٤٧/٢، ط مؤسسة الأعلمي.

فيه، ولن تستطيع تحمّل ظهور نبي في بطن من خيار بطونها وأفضلها، أعني بطن بني هاشم.

لذلك قرّرت قريش واجتمعت كلمتها على محاربة النبي الأكرم محمد ﷺ وعموم بين هاشم بكلّ الوسائل الحربيّة وقاومتها بجميع فنون المقاومة الشرسة حتى وصل الحال بقريش أن تتآمر وتخطط لقتل رسول لله ﷺ والقضاء على دعوته الإلهية الوليدة في عقر دارها، ومحاصرة بني هاشم أو قتلهم أينما ظفروا بهم، وعزلهم عن المجتمع والساحة السياسية، وهذا ما حصل بالفعل في (شِعب أبي طالب)، وقد وصلت الحالة ببني هاشم أن يشدّوا حجر المجاعة على بطونهم ويقتاتوا على ورق الشجر من شدّة الجوع وكادوا أن يهلكوا لولا مشيئة الله تعالى ورحمته الواسعة بهم، ونصرته للرسول ﷺ والرسالة.

إن قريش لم ترغب مطلقاً أن يتميّز البطن الهاشمي عن بقيّة بطونها ولا أن يتفوّق عليها أو يعتلي سّدة الإمرة وتنفيذ حكم الله في الأرض، لذلك راحت تتآمر بلا هوادة، وتخطّط بلا كلل ولا ملل من أجل أن تنجح في قتل رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام سلام الله عليهم أجمعين، وقد أبى الله سبحانه إلاّ أن ينصر رسوله الأكرم ﷺ وينشر دعوته الجديدة.

وعندما فشل الحصار وكلّ محاولات الاغتيال لشخص رسول الله ﷺ وأزيلت العراقيل بعض الشيء من طريق الدعوة الإسلامية، شقّت طريقها وقوي ساعدها وعلا طوفانها، حتى غدت قوّة لا يستهان بها، واستمرّت بهذا الصعود والتقدّم المطّرد فأنقلب ميزان القوى لصالحها، وأندحرت كلُّ القوى الحاقدة المناوئة لها، وعندئذٍ أسلمت قريش طوعاً أو كرهاً لأنها لم تعد قادرة

على الوقوف في وجه النبوّة والدعوة الإلهية المنتصرة - إلاّ أنها قد بيّتت أمراً خطيراً سيظهر في يوم من الأيام وعلى وجه التحديد سيكون عند وفاة رسول ﷺ، وهذا ما حصل بالفعل كما تؤكّد حوادث التاريخ ذلك وأقوال المؤرخين والرواة المنصفين.

وعلى كل حال، فإن الرسول الأعظم ﷺ قد قام بواجبه الشرعي خير قيام على الرغم مما يجري حوله من أحداث ومتربّصين بالسلطان والمناصب، فقد أعدّ العدّة بأمر من الله تعالى لتكون الخلافة من بعده ﷺ لأمير المؤمنين علي ولذريته عليهم السلام باعتبارهم الأجدر والأعلم بأصول الشريعة وأحكامها، وأنهم الأفضل من كل أصحابه وأتباعه، والأنسب لقيادة الأمة.

وطبعاً إن هذا التصرّف الشرعي الذي قام به النبي الأعظم ﷺ تنفيذاً لأمر الله عزّ وجل قد أثار في نفوس الكثيرين من قريش الغيظ وعدم الرضا، وهنا ظهرت النزعة القبلية وتأججت نار الفتنة واشتدّ الحقد الجاهلي وبرزت على السطح بكل وضوح وجلاء نظرية قريش في الخلافة القائلة: ((لا تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم)).

والحقيقة أن قريش كانت تنظر إلى النبوّة بأنها ((مُلكٌ وحكمٌ وسلطان)) ليس إلاّ، والدليل على ذلك ما قاله أبو سفيان للعباس عمّ النبي ﷺ يوم فتح مكّة: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً)[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٣٧٢/١٧.

أجل، إذا كانت قريش تزعم وتعتقد أن النبوة مُلك فكيف تسمح لنفسها أن يذهب لغيرها - وعلى الخصوص أهل بيت النبوة عليهم السلام - لذلك برزت هذه الفكرة وهذه العقلية بقوّة على الساحة السياسية المحمومة في الأيام الأخيرة من حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، خصوصاً وإن قريش كانت مدركة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميّت لا محالة في مرضه هذا لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرهم بذلك، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، إن الأمور لو تُركت على حالها ومجراها الطبيعي دون تدخّل من طامع بالخلافة فإن الخلافة حتماً ستؤول إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام لأن بيعته في غدير خم قريبة ولم تمرّ عليها سوى سبعين يوماً فقط، ومن هنا كان تحرّك الحزب المناوئ لبني هاشم عموماً ولأمير المؤمنين علي عليه السلام خصوصاً، فكانت السقيفة وما أدراك ما السقيفة !!!

ومن جهة ثالثة، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد قتل أبطال قريش وجبابرتها في حروبها ضد الإسلام، ونعكّس راياتها في ساحات الوغى، وحاز على كل موارد السبق والفضيلة لذلك حسدته وحقدت عليه وعصبت تلك الدماء به عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وإن كانت بغير سيفه.

ولنقرأ ما يقوله بن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة:

(وثمّة أمر آخر يتعلّق بموضوع تحويل الخلافة عن علي عليه السلام وهو أن علياً عليه السلام قد وتر قريشاً في حروبها ضد الإسلام وإن كل دم إراقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيف علي عليه السلام وسيف غيره فإن العرب بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم عصبت تلك الدماء

بعلـي وحـده، لأنـه لم يكـن في رهـط الـنبي ﷺ مـن يسـتحق في شـرع قـريش وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلاّ علي وحدهُ)(١).

نعم لقد عصبت قريشٌ تلك الدماء المشركة المحاربة لله ورسوله بعليّ وحده فحقدت عليه واقصته عن حقّه الشرعي ومن ثُمَّ قتلته وهو ساجد في بيت الله يؤدّي الفريضة ويدعو ربّه سبحانه وتعالى فإنّا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموه وأهل بيته أي منقلبٍ سينقلبون والعاقبة للمتقين، الذين انصاعوا لأمر الله ووصيّة رسوله ﷺ بحقّ عليّ في الخلافة بعده ﷺ والتزموا بذلك.

والذي يؤسف له أشدّ الأسف إنّ هناك من غير المنصفين مَن يقول: إنّ ما جرى في السقيفة هو الشورى وانتخاب الخليفة وليس تجسيد وتطبيق نظرية قريش في الخلافة القائلة: (لا تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم) وهذا كذب صريح على الله ورسوله والواقع ومتواتر التاريخ، وتجنّي على الحق والحقيقة والدليل، ولنقرأ معاً - عزيز القارئ - المحاورة الآتية:

المحاورة بين عمروا بن عباس:

لقد جرت محاورة بين عمرو ابن عباس في زمن خلافة عمر توضّح عدم اجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم بصورة لا غبار عليها ولا لبس فيها البتة، بل إن قريشاً اختارت لأنفسها فأصابت ووفّقت كما يرون ولو اجتمعت النبوّة والخلافة في بني هاشم لجحفوا على القوم، وإليك المناظرة والمحاورة:

---

(١) شرح نهج لأبن أبي الحديد.

((قال عمر: يا ابن عباس ! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ؟

قال ابن عباس: فكرهت أن أُجيبه، فقلتُ، إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا على قومكم، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت))[1] وسنذكرها كاملة إنشاء الله.

فهل بعد هذا الوضوح نحتاج إلى توضيح؟! وهل بعد هذه الصراحة نحتاج إلى صراحة أكثر؟!

الأدلة على التخطيط لإقصاء علي عليه السلام على الخلافة:

من الحقيقة بمكان أن هناك تخطيطاً محكماً لدى الخط المناوئ لأمير المؤمنين علي عليه السلام لتقمّص الخلافة منه، والتلبّس بها، على الرغم من وجود وصيّة رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى له ليكون خليفةً من بعده ﷺ على الأمة وإدارة شؤونها ومعالجة مشاكلها وتحقيق أهدافها المرسومة الرسالية والإنسانية، ويمكن ملاحظة هذا التخطيط من خلال ما يلي:

١- إن صحة رسول الله ﷺ قد تدهورت في أيامه الأخيرة، وإنّ وصاياه قد كثرت بضرورة إتّباع الإمام علي عليه السلام لسلامة الدين والدولة، وقد حاول ﷺ إبعادهم بواسطة حملة اسامة بن زيد حتى لعن مَن تخلّف منهم إلاّ إنهم لم

---

(١) مروج الذهب، ٢٥٣/٢ وشرح النهج لابن الحديد، ١٧٩/١، ط در إحياء التراث العربي والكامل في التاريخ، ٦٣/٣ - ٦٤.

ينفّذوا الحملة وبقوا في المدينة تحت حجج واهية لا أساس لها من الصحة، وهذا الفعل من قبلهم يؤكد أنهم يبيّتون أمراً خطيراً ويخططون لتحقيقه عند الوفاة.

٢- إثارة الشغب والضوضاء في مجلس الرسول الأكرم ﷺ ورفع شعار (حسبنا كتاب الله) من قبل أحد كبار الصحابة واتهام النبي المعصوم بأنه يهجر وغلبه الوجع مما أزعج النبي الأعظم ﷺ وآذاهُ إيذاءً شديداً، فحاول ﷺ أن يدفع هذا الشغب والهرج والمرج الذي افتعلوه وليضع النقاط على الحروف مرةً أحرى ويؤكّد على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلافته وولده عليهم السلام على الأمة فقال ﷺ: ((إئتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدهُ أبداً فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر))[1] إلاّ أنهم عصوا رسول الله ﷺ وحالوا دون وصول الكتف والدواة إليه، وهذا ما يُدعى (برزيّة يوم الخميس) التي ابكت ابن عباس حتى بلّ دمعه الحصى، ويبكي كلما ذكرها أو يجري الحديث عنا بكاءً شديداً.

لأنه ﷺ لو جيء بالكتف والدواة وكتب الكتاب لن تضلّ الأمة بعده إلى الأبد ويصبح أمير المؤمنين علي عليه السلام وأولاده المعصومون خليفةً بعد خليفة، تنفيذاً لأمر الله تعالى، وعند ذلك فلا خلاف ولا نزاع ولا خسائر نفيسة فتسعد الأمة ويكون المسلمون وغير المسلمين على خير وسلام واطمئنان، ويعيش الجميع حياة التكامل والتعاون والمحبّة، والحياة الحرّة الكريمة المثمرة.

(١) صحيح مسلم، ٣/١٢٥٩ ح١٦٣٧.

٣- لماذا هذه السرعة في البتّ بموضوع الخلافة والرسول ﷺ لا يزال مسجّىً ولم يُدفن بعدُ، وعلي عليه السلام وبنوا هاشم مشغولون بهذا الخطب الأفجع والحادث الجلل، وهم عصبة الرسول ﷺ وأهله وعشيرته وأجدر الأمة وأفضلها؟! ألا يحقّ لهم أن يحضروا كما حضر الآخرون ويُدلوا بدلوهم، ويقولوا رأيهم، ويفهم المجتمعون في السقيفة موقفهم وحجّتهم؟!

ولماذا هذا السعي الحثيث من قبل بعض الصحابة لتحييد الانصار وأبعادهم عن علي عليه السلام وعن ميدان التنافس السياسي بدعوى أنهم ليسوا عشيرة النبي ﷺ، وأخذ البيعة منهم أولاً قبل غيرهم؟!

ولماذا لم يتركوا الأنصار وشأنهم في البيعة واختيار الخليفة، فأكثر الاحتمالات تقول: إنهم سيختارون الإمام علياً عليه السلام لأن قادتهم كسعد بن عبادة وحذيفة بن اليمان وأبي ايوب الأنصاري وغيرهم يحبّون علياً عليه السلام ويقدّرون جهاده وسابقته في الإسلام، ويعترفون بفضله وأفضليته على كل الصحابة وهو الأجدر بالخلافة من دون منازع، ولبايعوه لو كان حاضراً في السقيفة إلاّ أنه كان مشغولاً برسول الله ﷺ ومراسيم دفنه؟!

ولماذا هذه الشدّة في معاملة الأنصار في السقيفة، ومعاملة الناس في المسجد بعد الخروج من السقيفة، حتى قال أحدهم مخاطباً الذين في المسجد: مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتّى؟! قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار؟! فقام عثمان ومَن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد وعبد الرحمن ومعهما بنو زهرة فبايعوا...

٤- بماذا نفسّر دخول مجاميع كبيرة من خارج المدينة معدّة سلفاً لتأييد الطرف المناوئ لبني هاشم وعلى الخصوص للإمام علي عليه السلام وملأت سكك المدينة وشوارعها، وقد فرح المناوئيون وقال قائلهم: ((ما هو إلاّ أن رأيت (أسلم) فأيقنتُ بالنصر))[1]؟! وهل النصرُ إلاّ إقصاء علي عليه السلام عن الخلافة؟

٥- محاولتهم التعتيم على الإجراءات التي تمّت مخاتلة، واتهامهم لكل مَن يعارضهم بأنه يريد الفتنة وشقّ عصا المسلمين وقد اتضح ذلك من خلال الحوادث التي تتابعت فيما بعدُ، والقضاء على مَن شجع على عدم البيعة وخالف قرار السقيفة[2].

٦- ومن الأدلة على التخطيط السابق: أن عثمان بن عفان كتب اسم عمر في الوصية كخليفة من بعد أبي بكر[3]، من دون أن يأمره بذلك، فقد كان مغمى عليه، فمن أين علم عثمان أن عمر هو الخليفة من بعد أبي بكر؟

٧- ثم إن عمر وضع عثمان ضمن مجموعة أحدها يكون خليفة المسلمين بحيث يضمن ترشيحه مؤكداً، وأي خبير بالتاريخ مُلمّ بمجريات الأمور وتركيبة المرشّحين الستّة أن يحلّل ذلك كما حلّل الإمام علي عليه السلام الموقف بوضوح[4].

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٥٩/٢، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد، ٣/ق٢/١٤٥. وأنساب الأشراف، ٥٨٩/١ والعقد الفريد، ٢٤٧/٤. السقيفة والخلافة لعبد الفتاح عبد المقصود، ١٣ والسقيفة انقلاب أبيض: اغتيال خالد بن سعيد بن العاص، وابن عساكر: ترجمة سعد بن عبادة وكنز العمال، ١٣٤/٣. انظر: أعلام الهداية، ج٢، ص١٢٣.

(٣) تاريخ الطبري، ٦١٨/٢ ط مؤسسة الأعلمي، وسيرة عمر لابن الجوزي، ٣٧. والكامل في التاريخ، ٤٢٥/٢.

(٤) أنساب الاشراف، ١٩/٥.

٨- حين تشكّلت الحكومة التي تمخّضت عن اجتماع السقيفة، تولّى أبو بكر الخلافة، وأبو عبيدة المال، وعمر القضاء[١]، وهذه هي أهم المناصب وأكثرها حساسية في مناهج الحكم والدولة، هذه التركيبة لجهاز الدولة والعناصر الحاكمة لا تتأتى صدفة ولا يتمّ ذلك إلاّ عن تخطيط سابق.

٩- قول عمر حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حياً استخلفته[٢] وليست كفاءة أبي عبيدة هي التي أوحت إلى عمر بهذا التمنّي لأنه كان يعتقد أهلية علي عليه السلام للخلافة، ومع ذلك لم يشأ أن يتحمّل أمر الأمة حياً كان أم ميتاً.

١٠- اتهام معاوية لأبي بكر وعمر بالتخطيط لاستلاب الخلافة من علي عليه السلام كما جاء ذلك في كتابه إلى محمد بن أبي بكر إذ قال:

(فقد كنّا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما عنده وأتم وعده وأظهر دعوته وأفلج حجّته وقبضه إليه، كان أبوك والفاروق أول مَن ابتزّهُ حقّهُ وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتّسقا، ثُمّ إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم)[٣].

(١) الكامل في التاريخ، ٤٢٠/٢. انظر: أعلام الهداية، ص١٢٤، ج٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٩٠/١، ط دار إحياء التراث العربي، وتاريخ الطبري، ٢٩٢/٣ والكامل في التاريخ، ٦٥/٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي، ١٩٩/٣ وقصة صفّين لنصر بن مزاحم، ص١١٩.

١١- قول أمير المؤمنين علي عليه السلام لعمر: ((إحلب يا عمر حلباً لك شطرهُ، أشدد له اليوم أمره ليردَّ عليك غداً))[1].

١٢- اتهام الزهراء (عليها السلام) للحاكمين بالحزبيّة السياسية والتآمر للانقضاض على السلطة وتجريد بني هاشم منها[2] بقولها:

((فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم... ابتداراً زعمتم خوف الفتنة؟ ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

نعم، لقد صدقت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي الصدّيقة الطاهرة، إنهم وسموا غير إبلهم، وأوردوا غير شربهم، وأقصوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن الخلافة تنفيذاً لتخطيطٍ مسبق ظناً منهم أنهم خيراً فعلوا، خوف الفتنة إلاّ إنهم في الفتنة قد سقطوا، لأنهم لبسوا لباساً ليس لهم، وانتزعوا حقاً من أهله، وتقمّصوا بالخلافة وهم يعلمون أن محل أمير المؤمنين علي عليه السلام منا محل القطب من الرحى، كما قال هو عليه السلام: ((أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحى...))[3] وهل يمكن فصل القطب من الرحى؟!

(١) الإمامة والسياسة، ص٢٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١١/٦.

(٢) راجع خطبة الزهراء في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وبحار الأنوار، ٢٢٠/٢٩ واعلام النهداية، ج٢، ص١٢٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٣، المعروفة بالشقشقية.

حادثة السقيفة طعنة مسمومة في قلب الإسلام والأمة:

بادئ ذي بدء، إن السقيفة قد تمخّضت عن خروج عن الشرعية، واجتهاد مع النص، وعصيان للهِ ورسوله ﷺ، واختلافٍ في الرأي، وتمزّقٍ لجسم الأمة، وإبعادٍ للحق عن نصابه، واستبداد بالرأي والقرار، واستعمالٍ للعنف والقسوة، واستعلاءٍ على الأمة والاستخفاف بشأنها، وتحويل لمفهوم الخلافة الإلهية إلى مفهوم السلطة العشائرية، وتشجيع للتمرّد على الحاكم المعصوم عليه السلام المنصوب بأمر من الله تعالى، وطرحٍ للتعددية في السلطة ومنافسة من فرض الله طاعته بالنص.

وأخيراً وليس آخراً إن اجتماع السقيفة قد هيّأ الأرضية المناسبة، والأجواء المشجّعة لتجاوز وجود الأمة وتجاوز رأيها السياسي كما حصل ذلك مرةً أخرى عند استخلاف الآخرين بحجة الشورى المقيّدة التي فُرضت على المسلمين.

نعم، لقد استهان المشاركون في السقيفة بوصايا الرسول الأكرم ﷺ للأمة بالاهتمام بالعترة الطاهرة ولزوم الاقتداء بهم، والتمسّك بحبلهم لأنهم القدوة والأسوة، ويمثّلون الإسلام الحقيقي، وهم أصحاب الحسب والنسب، والمتميّزون بالخُلق الحسن، والجهاد والإيمان والإخلاص، والعلم والعمل، والمتفوّقون بالفضائل وفي كل شيء حسن. وعليه، أفلا ينبغي على المجتمعين في السقيفة أن يؤجّلوا عقد البيعة إلى حين الانتهاء من تجهيز رسول الله ﷺ ومراسيم الدفن وفاءً لرسول الله ﷺ واعترافاً بفضلهم؟!

ثم إن هذا الاستعجال الذي حصل في عقد البيعة بغياب بني هاشم وعدم حضور أهل الحل والعقد والذي يعتبر شرطاً أساسياً في مشروعية الانتخاب، ألا

يدلُّ على تفويت الفرصة على أهل الحق وتجاوز النصوص من أن تأخذ دورها وفاعليتها في مثل هذا الأمر الخطير والهام في حياة المسلمين ومسير الرسالة الإسلامية ونشر مبادئها وهدايتها في العالم؟!

ولهذا قال عمر عن بيعة أبي بكر في مثل هذه الظروف والملابسات والاستعجال والارتباك والفوضى العارمة وعدم الشرعية: ((إنها كانت فلتة وقى اللهُ المسلمين شرّها ألا ومَن عاد لمثلها فاقتلوه))(١).

نعم، إنّ مَن يعود لمثل هكذا بيعة يجب أن يُقتل كما قال عمر، لأنها فلتة وخروج على الشرعيّة، ومحق للدين، وهذا الحكم من قبله - ومن باب أولى أن يشمل مَن فعلها وشارك فيها في بداية أمرها، والتصرّف الصحيح هو وأدها في باكورتها قبل استفحال أمرها، ولو حصل ذلك لاستقامت الحياة، ولجرت الأمور بشكل طبيعي ولم يتحقّق الانقلاب على الأعقاب، ولكنّ في القلوب مرض، والنفسُ أمّارة بالسوء.

أجل، كيف قبل المسلمون بهكذا بيعة يكون جزاء مَن يكرّرها الإعدام؟ كما قال عمر، وكيف قبل المسلمون بها ولم تُستشر الطبقة الرفيعة من الصحابة كالامام علي عليه السلام وعمار بن ياسر وسلمان المحمدي وخزيمة بن ثابت وأبي ذر وأبي ايوب الأنصاري والزبير بن العوام وطلحة وأُبي بن كعب، وغيرهم كثير؟!

---

(١) تذكرة الخواص، ص٦١، وراجع صحيح البخاري: كتاب الحدود باب رجم الحُبلى.

وكيف قبل بها المسلمون وشعار الاستعلاء على الأمة والاستخفاف بشأنها قد ارتفع ((مَن ذا ينازعنا سلطان محمد))؟! وكيف... وكيف...؟!

وعلى كل حال فإن حادثة السقيفة كانت أشد من طعنةٍ مسمومة في قلب الإسلام الحنيف وكيان الأمة الإسلامية لأن ما أراده الله ورسوله ﷺ لم يتحقّق بل اُستُخفّ بهذه الإرادة، وسادت مكانها الإرادة العشائرية التي تستمد قوتها وشرعيتها من انتخاب أبناء العشيرة وليس من نصوص الشريعة المقدّسة، وقد لقّنت السقيفة الأمة المفاهيم المنحرفة والشعارات البعيدة عن الواقع الإسلامي، وشجّعت التمرّد على الحق وأهله تحت عناوين ما أنزل الله بها من سلطان كقولهم: (من ذا ينازعنا سلطان محمد) و (منّا أمير ومنكم أمير) و (الشورى) و (التعيين) ثم (الوراثة) وإلى غير ذلك من إجراءات ظالمة بعيدة عن الواقع الإسلامي ونصوص الشريعة المقدسة ووصايا رسول الله ﷺ.

وإنّ السقيفة هي التي مهّدت الطريق إلى الإعتداء على بيت أمير المؤمنين عليه السلام وإيذاء فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقتل المحسن عليه السلام والكثير من الصحابة أولحواريين، كعمار بن ياسر وسعد بن عبادة وحجر بن عدي وأصحابه المؤمنين ومن ثُمّ قتل الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف الخالدة ومَن معه من أهل بيته وأصحابه، والتمثيل بأجسادهم الطاهرة، وسبي المخدّرات إلى الكوفة والشام من قبل الحزب الأموي الغادر الفاجر، الخبيث اللئيم الذي استباح المقدّسات والمحارم ومدينة رسول الله ﷺ في واقعة (الحرّة) وهدّم الكعبة بالمنجنيق، وقتل الفضيلة، ونشر الرذيلة، وأعدم القرّاء وحفظة القرآن، وفعل ما فعل حتى قال: فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل.

وكلٌّ ما حصل، من سوءٍ ووهن، وانحرافٍ وتشرذم قديماً وحديثاً فهو بسبب السقيفة.

الموقف من السقيفة ونتائجها:

لما كانت حادثة السقيفة غير شرعية ومخالفة للنص الإلهي والنبوي وإن نتائجها سلبية وغير موفّقة البتة، وإنّ آثارها خطيرة جداً منذ حدوثها وإلى ما يُستقبل من الزمان، برزت منذ اللحظة الأولى معارضة شديدة لها، ولما تمخّض عنها من نتائج، وما ترتّب عليها من بيعة، وكان على رأس هذه المعارضة الهاشميون والحواريون من الصحابة كعّمار بن ياسر، وسلمان المحمّدي، وأبي ذر، والمقداد رضوان الله عليهم وغيرهم كثير، وإليك ما يلي أقطاب المعارضة:

أقطاب المعارضة للسقيفة ثلاثة:

الأول: الهاشميون والأجلاّء من الصحابة كعمّار وسلمان وأبي ذر والمقداد رضوان الله عليهم وجماعات كثيرة من الذين كانوا يرون أن علياً عليه السلام هو صاحب الحق الشرعي بالخلافة والإمامة العامة، وهو صاحب البيعة الشرعية في غدير خم بأمر من الله ورسوله، وبحضور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبار الصحابة، وهو عليه السلام الوارث الطبيعي للرسول والرسالة، بحكم النصّ ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها، وقد بارك هذه البيعة وأدّاها أكثر من مائة وعشرين ألف حاج، وسلّموا على الإمام علي عليه السلام بأنه الخليفة والإمام وأمير المؤمنين.

لذلك كان موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام واضحاً جداً من اجتماع السقيفة وكذلك موقف بني هاشم، حيث أنه عندما وصل خبر الاجتماع إلى بيت النبي

ﷺ الذي كان يجتمع فيه الإمام علي عليه السلام وبنو هاشم والمخلصون من الصحابة حول جسد الرسول الأكرم ﷺ فقال العباس عمّ الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: يا ابن اخبي، امدد يدك أُبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليكَ اثنان.

فقال عليه السلام: يا عمّ وهل يطمع فيها طامعٌ غيري؟ قال العباس: ستعلم.

غير أن الإمام عليه السلام لم يكن ليخفى عليه ما كان يجري في الساحة من مؤامرات آنذاك فأجابه بصريح القول: ((إني لا اُحبّ هذا الأمر من وراء رتاج))[1].

وقد أعلن الإمام علي عليه السلام موقفه بصراحة مفنّداً حجّتهم بنفس حجّتهم المبنيّة على أساس القرابة من رسول الله ﷺ التي احتجّ بها أبو بكر والمؤيّدون له على الأنصار والأمويين في اجتماع السقيفة وكسبوا الجولة فأصبحوا هم الأمراء، والأنصار هم الوزراء، والأمويون هم الولاة والمنتفعون في الدولة. فقال الإمام عليه السلام في إعلان موقفه:

((إذا احتج المهاجرون بالقرب من رسول الله ﷺ كانت الحجةُ لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم، وإلاّ فالأنصار على دعوتهم)).

وأوضحه العباس في حديث له مع أبي بكر إذ قال له:

((وأما قولك نحن شجرة رسول الله ﷺ فإنّكم جيرانها ونحنُ أغصانها))[2].

---

(١) الإمامة والسياسة، ص٢١. الرتاج: الباب المغلق.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٦، ص٥.

ونتيجةً لهذا الاحتجاج المنطقي والمعارضة المشروعة من قبل أمير المؤمنين عليّ بصورة خاصّة وبني هاشم بصورة عامّة قد بدّل الوضع السياسي، فاحتجّت أقطاب المعارضة على أبي بكر وحزبه بنفس حجّتهم على باقي الأطراف، وهي إذا كانت قريش أولى برسول الله من سائر العرب فبنو هاشم أحق بالأمر من بقية قريش.

وعلى كل حال، فإن الإمام علي عليه السلام كان مصدر رعب ورهب في نفوس الفائزين في لعبة السقيفة وسداً منيعاً ازاء رغباتهم وطموحاتهم، وكان بامكانه أن يستغلّ النفعيين - وما أكثرهم - الذين يميلون مع كلّ ريح وينعقون مع كل ناعق والذين يعرضون أصواتهم ومواقفهم رخيصةً في الأسواق السياسية، وأن يشبع نهمهم مما خلّفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس وغلاّت أراضي المدينة ونتاج (فدك) التي كانت تدرّ بالخيرات، إلاّ أنه عليه السلام أبى عن كلّ ذلك لكمال شخصيته وسموّ منزلته، هذا من جانب.

ومن جانب آخر كان بوسعه عليه السلام أن يتحرّك محتجاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يُعَدُّ ورقة رابحة بيده حتى ألمح ذلك بقوله عليه السلام: ((احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)).

وكان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت ويحترمونهم لذلك السبب وبالتالي سيدفع السلطة الحاكمة إلى أزمة سياسية حرجة لا مخرج منها، بيد أنه عليه السلام كان أسمى من ذلك وأجلّ، حيث قدّم عليه السلام المصلحة الإسلامية العليا على كل المصالح الخاصة.

ولتلافي احتمال تحرّك الإمام على هذا المسار تردّدت السلطة بين موقفين:

أولاً: أن لا تقرّ للقرابة بشأن في الخلافة، وهذا معناه نزع الثوب الشرعي عن خلافة أبي بكر الذي تقمّصه يوم السقيفة.

ثانياً: إن تناقض السلطة الحاكمة نفسها وإصرارها على مبادئها التي أعلنتها في السقيفة مقابل بقيّة الأطراف، فلا ترى أي حق للهاشميين في السلطة وهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أو تراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنى المعارضة مقابلة حكم قائم ووضع قد تعاقد عليه الناس.

وكان الخيار الثاني هو خيار السلطة(١).

وكيف ما كان فإن أمير المؤمنين عليه السلام وعموم بني هاشم والاخصاء من الصحابة فهم على يقين ثابت من إن الحق لهم ومعهم ولا ينفك عنهم أبداً، ولم تكن لتنطلي عليهم الحجج الواهية التي طرحتها أطراف السقيفة، إلاّ إنهم رأوا فيهم تيارات تسعى للاستئثار بالحكم - مهما كلّف الثمن - لارضاء شهواتهم ونذيراً بانحراف التجربة الإسلامية من مسارها الصحيح، فقدّم أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام ومن معه المصلحة الإسلامية العليا على كل المصالح الخاصّة ليبقى الدين مصوناً مؤيداً محفوظاً من كيد المرتدين، والحاقدين، والمتربّصين به الدوائر.

الثاني: الأنصار، وهم القطب الثاني من الأقطاب المعارضة للسقيفة باعتبارهم الكتلة الكبيرة سياسياً واجتماعياً ولابد من أن يُحسب لها الحساب في ميزان الترشيح والانتخاب، وقد نازعوا بالفعل أبا بكر وصاحبيه في سقيفة بني

---

(١) راجع تفصيل ذلك في (فدك في التاريخ) للسيد محمد باقر الصدر، ص٨٤ - ٩٦ وتاريخ الطبري، ٤٤٩/٢ و ٤٥٠ (أحداث السقيفة)، وأعلام الهداية، ج٢، ص١٣٠ - ١٣١.

ساعدة أثناء الاجتماع فيها، إلاّ إن المنازعة قد انتهت بفوز قريش وخسارة الأنصار بحجة القرابة من رسول الله ﷺ فهم الأولى بالأمر من غيرهم، والأحق بخلافته وسلطانه.

ومما ساعد في انتصار قريش على الأنصار، أمران هما:

١- إن فكرة الوراثة الدينية مركوزة بقوة في الذهنية القبلية العربية.

٢- إن الأنصار فقدوا توحيد قوّتهم، وانشقّوا على أنفسهم فأصبحوا بين مؤيّدٍ ومعارض للخليفة الجديد، نتيجة تجذّر النزعة العشائرية والقبلية في نفوسهم بالإضافة إلى الغيرة والحسد فيما بينهم، وحبّ التقرّب من السلطان لنيل الجاه والحظوة والانتفاع الشخصي، وقد برزت هذه الظاهرة بصورة جلية في قول أُسيد بن حضير في اجتماع السقيفة:

((لئن وليتموها سعداً عليكم مرةً واحدةً لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر))[1].

ونتيجةً لكل ذلك فقد سجّل الانصار على أنفسهم مذهباً يمنعهم من الوقوف إلى صفّ الحق وأهله بعد السقيفة، وينصروا علياً عليه السلام ويخدموا قضيّته وأحقيّته في الخلافة على الأمة، وبذلك أضعفوا دور القاعدة الشعبية المؤيّدة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وأبرزوا منافسه كمدافع وحيد عن حقوق المهاجرين

(١) الكامل في التاريخ، ٣٣١/٢.

بصورة عامة وعن قريش خاصة في مجتمع الأنصار، فياله من موقفٍ متخاذلٍ ضعيف.

الثالث: الأمويون، وهم القطب الثالث من أقطاب المعارضة، ومما لا يخفى على المتتبع للتاريخ أن الأمويين كان لديهم مطمع سياسي كبير في نيل النصيب المرموق من الحكم واسترجاع شيء من مجدهم السياسي في الجاهلية وعلى رأسهم أبو سفيان، لذلك كانت معارضتهم من أجل المناصب والمنافع المادية. وعندما حصلوا عليها من القطب المتنفّذ في السقيفة الذي آلت إليه الأمور فيما بعد ذابت معارضتهم فوراً، وعملوا جاهدين من أجل إضعاف دور بني هاشم حاضراً ومستقبلاً. بل أصبحوا من ألدّ الأعداء لهم.

لذلك نرى أن الفائزين بالسقيفة لم يعبأوا بمعارضة الأمويين لهم وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة والرغبة في تأييد الإمام علي عليه السلام وبني هاشم، لأنهم يعلمون بنواياهم ورغباتهم المادية والوظيفية لذلك تعاملوا معهم وفق معرفتهم بطبيعة النفس الأموية وشهواتها السياسية والمادية وإن كانت تتقاطع مع بعض المبادئ والحقوق الشرعية كتسليم أبي سفيان أموال المسلمين وزكواتهم التي جُمعت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومما يدلّ على ما نقول هو موقف أبي سفيان، حيث روي:

أن أبا سفيان جاء إلى باب دار رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والعباس موجودان فيه، فقال: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! والله لئن شئتُ لأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً.

فقال علي عليه السلام : ((ارجع يا أبا سفيان طالما عاديتَ الإسلام وأهله فلم تضرّه بذاك شيئاً)). وروي أيضاً:

أنه لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إني لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ! أين المستضعفان عليّ والعباس، وقال: أبا حسن، أبسط يدك أبايعك، فأبى علي عليه السلام عليه وزجره وقال:

((إنك والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنك طالما بغيتَ الإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك))[1].

ولما بويع أبو بكر قال أبو سفيان: مالنا ولأبي فصيل، إنما هي بنو عبد مناف! فقيل له: إنه قد ولّى ابنك، قال: وصلته رحم[2].

إذاً لم تكن معارضة أبي سفيان للسقيفة عن إيمانه بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام وبني هاشم، وإنما كانت حركة سياسية ظاهرية أراد بها الكيد بالإسلام والبغي عليه، والحصول على المرافق الهامة في الدولة لأبنائه وعشيرته وكسب الأموال بدون حق، وأنه تربطه أقوى العلاقات بأبي بكر.

(فقد روي: أن أبا سفيان اجتاز على جماعة من المسلمين منهم أبو بكر وسلمان وصهيب وبلال، فقال بعضهم: أما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله فأخذها؟

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٩/٢ والكامل في التاريخ، ٣٢٦/٢، ط دار الفكر.

(٢) نفس المصدر السابق.

فزجرهم أبو بكر وقال لهم: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم؟.. ومضى مسرعاً إلى النبي ﷺ يخبره بمقالة القوم فردّ عليه الرسول ﷺ قائلاً:

((يا أبا بكر لئن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبتَ الله))[1].

(١) صحيح البخاري، ٣٦٢/٢.

الفصل الثالث

الإمام علي عليه السلام في عهد الخلفاء الثلاثة

أولاً: الإمام علي عليه السلام في عهد أبي بكر:

لقد تمخّض النزاع الشديد بين الأطراف المجتمعة في السقيفة إلى خلافة أبي بكر فأصبح المسلمون بين مؤيّد لها أو رافض، فالمؤيّدون هم الأعم الأغلب من قريش وبنو أمية وبعض القبائل كقبيلة أسلم وتميم وغيرهما والمستفيدون من الوضع الجديد، وأما الرافضون فهم أصحاب الشرعية ومن نصّت عليهم الوصيّة الإلهية والنبويّة، والقبائل المسلمة الثابتة على بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام في حجّة الوداع في (غدير خم)(١).

ومن تلك القبائل قبيلة هوازن التي حاربت المسلمين في معركة حُنين ثُمّ آمنت بالدين الحنيف، وظلّت وفيةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تنسَ لطفهُ بهم وعفوهُ عن رجالهم، وإعادة نسائهم وأطفالهم والغنائم لهم بعد المعركة، وقد قالت هذه القبيلة: (لا نبايع ذا الخلال)(٢).

وكذلك قبيلة مالك بن نويرة اليربوعي التي ظلّت وفيّةً لبيعة الغدير، ورفضت إعطاء الزكوات والحقوق المالية إلاّ للخليفة الشرعي الإمام علي بن

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٥٦/١. العقد الفريد، ٢٥٩/٤. أنساب الأشراف، ٥٨٦/١. تاريخ الطبري، ٤٤٢/٢. ط مصر القديمة، تاريخ اليعقوبي، ١٢٦/٢. الإمامة والسياسة لابن قيتبة، ص١٢. تاريخ الخميس، ٨٨/١. السقيفة وفدك للجوهري، ص٥١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي، ٤١/٦. والخلال: كساء فدكي يضعه عليه أبو بكر.

أبي طالب عليه السلام فرُميت بالكفر والارتداد من قبل الوضع الجديد، وقُتلت شرّ قتلة بعد الغدر بها، ومُثّل برأس قائدها مالك بن نويرة ورؤوس قومه، على الرغم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المثلة بالميّت حرام))[١].

وقد امتنعت قبائل أخرى عن البيعة وقد حوربت أيضاً تحت عنوان: أنها امتنعت عن دفع الزكاة إلى الحكام الجدد.

وقد عارض رؤوس الصحابة من المهاجرين والأنصار بيعة أبي بكر، كأسامة بن زيد الذي لم يبايع إلى أن مات[٢].

وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري لم يبايع الشيوخ الثلاثة ويتولّى علياً عليه السلام وكان ينكر على الثلاثة، قولاً وفعلاً وسراً وجهاراً[٣].

وركز بريدة بن الحصيب الأسلمي رايته في وسط قبيلة أسلم قائلاً: (لا أُبايع حتى يبايع علي)[٤]. ولم يبايع أبا بكر سلمان الفارسي والمقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر، ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان وسهل بن عثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأُبيّ بن كعب وأبو أيوب الأنصاري[٥].

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني، ١٧٦/٤. فقه السنن للسيد سابق، ٢٢٤/١. سيرة عمر لإبن الجوزي، ص١٧٠.

(٢) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ج٢، ص٣٠١.

(٣) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج١٢، ص٢٧٤.

(٤) الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم، ج٢، ص١٢٠.

(٥) الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم، ج٢، ص٣٣٢.

ولم يبايع سعد بن عبادة حتى نفيه إلى الشام ومقتله فيها على يد محمد بن مسلمة وخالد[(١)] ولم يبايع أهله وولده وعلى رأسهم الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الذي كان من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير[(٢)]، ومن الممتنعين عن البيعة إلى مماته قتلاً خالد بن سعيد بن العاص[(٣)] وغيرهم كثير وكثير جداً.

وقد واجه أبو بكر مشكلةً كبيرة في إقناع الصحابة والقبائل برئاسته على الأمة حتى أنه لم يستطع إقناع والده (أبي قحافة) حيث قال متعجّباً من تولّي ابنه الخلافة: هل رضيَ بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟

قالوا: نعم[(٤)] (ولكن متى وافق بنو عبد مناف؟).

وقال أبو قحافة: ما منعهم من الإمام علي؟

قال رسول ابنه: قالوا هو حدث وقد أكثر القتل من قريش وغيرها، وأبو بكر أسن منه.

وقال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسن فأنا أحقّ من أبي بكر، وأضاف: لقد ظلموا علياً وقد بايع له النبي صلى الله عليه وآله وأمرنا ببيعته، ثم كتب إليه:

(١) الأنساب، البلاذري، ٥٨٩/١. قاموس الرجال، ٣٨٨/٨. صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١٦١/١. الطبقات لابن سعد، ٤٥٨/٣.

(٢) مروج الذهب، ٣٠١/٢. اختيار معرفة الرجال للطوسي، ٢٩/١. شرح النهج، ٣٦/١٤. وسائل الشيعة، ٣٠١/٤٠.

(٣) شرح النهج، المعتزلي، ٤٣/٦.

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر، البداية والنهاية لابن كثير، ٥٩/٧.

((من أبي قحافة إلى أبي بكر: أما بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً فمرّة تقول خليفة الله ومرةً خليفة رسول الله، ومرةً تراضى لي الناس وهو أمر ملتبس، فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقباك منه إلى الندامة وملامة اللوامة لدى الحساب يوم القيامة))[1].

الاحتجاجات على خلافة أبي بكر:

إنّ الصفوة الخيّرة من الصحابة الذين وقفوا مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في المطالبة بحقّه الشرعي في الخلافة وقفوا بقوّة واحتجّوا بصلابة، وثقةٍ عالية، ودليل واضح، وحجّةٍ دامغة، حرصاً منهم على إصابة الحق، وصيانة الأمة من الانحراف فأنبرى الصحابي الجليل عمار بن ياسر قائلاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

((يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين: إن كنتم علمتم وإلاّ فأعلموا أن أهل بيت نبيّكم أولى به وأحق بإرثه، وأقوم بأمور الدين، وآمن على المؤمنين، وأحفظ لملته، وأنصح لأمّته، فمروا صاحبكم فليردّ الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم، ويضعف أمركم، ويظهر شقاقكم، وتعظم الفتنة بكم)).

واحتجّ ذو الشهادتين الصحابي الكريم خزيمة بن ثابت بقوله:

((أيها الناس: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ فقالوا: بلى، قال: فأشهدُ أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(١) كتاب الاحتجاج للطبرسي، ١/ ص٢٢٦ - ٢٢٧.

(أهل بيتي يفرّقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يُقتدى بهم) وقد قلتُ ما علمت، وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين)).

ووقف سهل بن حنيف فقال:

((يا معشر قريش: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رأيته في هذا المكان - يعني مسجد النبي صلى الله عليه وآله - وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: ((أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدي ووصيّي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأول من يصافحني على حوضي، وطوبى لمن تبعه ونصره، والويل لمن تخلّف عنه وخذله)).

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال:

((وأنا أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أقام علياً يوم غدير خم، فقالت الأنصار: ما أقامه إلاّ للخلافة، وقال بعضهم، ما أقامه إلاّ ليعلم الناس أنه مولى مَن كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجلاً منا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك فقال: ((هو وليّ المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأمتي)) وأنا أشهد بما حضرني، فمن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً)).

ثم قام آخرون منهم أبو ذر وأبو أيوب الأنصاري وعتبة بن أبي لهب والنعمان بن عجلان وسلمان الفارسي فاحتجوا على القوم[1].

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٥٦/١. الخصال للصدوق، ص٤٣٢. والاحتجاج للطبرسي، ١٨٦/١.

وعلى كل حالٍ، فإن الاحتجاجات كثيرة وشديدة وواضحة، وإنّ أدلّتها دامغة، والحجّة بالغة، والأقوال كثيرة أيضاً وصريحة ولا ضبابية عليها البتّة، في هذا الموضوع، وقد آثرنا الاختصار وبيان الشاهد ليس إلاّ، ليعلم - قارئي الكريم - الحقيقة، وجهة الحق، وعملية الالتفاف على الشرعية والنصّ الذي يؤكّد أحقية أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة وإمامة الأمة.

السلطة الجديدة والمعارضة:

على الرغم من كل الاحتجاجات وشدّتها وقوّة أدلتها وحجّتها، وجلالة أصحابها، وعظم شأنهم، ورفعة منزلتهم، وعظيم جهادهم، وسموّ شخصياتهم وقدرهم، وقربهم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، راحت السلطة تثبّت آراءها التي روّجتها في السقيفة، ودعمتها بقوةٍ، وبوسائل شتى، غاضّةً النظر عن شرعيّتها أو صحتها في المحافظة على مسيرة الدعوة الإسلامية وسلامة المسلمين.

لذا نرى أن هذه السلطة قد كثّفت جهودها من أجل إبعاد الإمام علي عليه السلام وعموم بني هاشم عن الحكم نهائياً، وإخماد كل الأصوات الداعية إلى ذلك، والساعية إلى تجسيد الشرعية في الواقع.

وقد أخذت على المعارضين بأن مواقفهم المخالفة للحكم الجديد ما هي إلاّ إثارةً للفتنة، وتشجيعاً لأعداء الإسلام، وإحداثاً للردّة داخل حدود الدولة الإسلامية الفتية، وبذلك أعطت لنفسها الذريعة من أجل استخدام أسلوب الشدّة والعنف والقوّة المفرطة معهم كالذي حصل لسعد بن عبادة في السقيفة وغيره.

كما يُذكر إنّ أبا بكر ومَن معه لم يشرك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمّة خشية أن يصل الهاشميون إلى الخلافة[1]. ولا جعل منهم والياً واحداً على مدينة من مدن الدولة الإسلامية الواسعة الأرجاء.

بل عمدَ إلى عزل كل العناصر التي تميل إلى بني هاشم كما حصل ذلك لخالد بن سعيد بن العاص الذي عُزِل عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه، لا لشيء إلاّ لأن عمر نبّهه إلى نزعته الهاشمية وميله إلى آل محمد، وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

وعمدَ أيضاً ومَن معه إلى إضعاف أمير المؤمنين علي عليه السلام اقتصادياً خشية أن يستخدم قدرته المالية في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، فقام بمصادرة (فدك) من الزهراء (عليها السلام) لعلمه أنها كانت سنداً قوياً في دعوته إلى نفسه، هذا إذا علمنا أن أطرافاً سياسية باعت صوتها للحكومة، فمن الممكن أن تفسخ المعاملة إذا عُرِض عليها ما ينتج ربحاً أكبر، كما وأنّ الخليفة أبا بكر نفسه اتخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء وكسب الأصوات[3].

فقد روي أنه لما استقرّ الأمرُ لأبي بكر بعث إلى وكيل الزهراء (عليها السلام) فأخرجه منها واستولى على فدك، واحتجّ بحديث لم يروه غيرُه، وهو أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إنا معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناهُ صدقةً))

(١) تاريخ الطبري، ٦١٨/٢ ومروج الذهب على هامش تاريخ ابن الأثير، ١٣٥/٥.
(٢) تاريخ الطبري، ٥٨٦/٢، ط مؤسسة الأعلمي.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ١٨٢/٣ وشرح النهج لابن أبي الحديد، ١٣٣/١.

فالنبيّ لا يورّث، وإنما ميراثه في المساكين وفقراء المسلمين[١]. وهذا مما يخالف القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[٢] علماً بأن سليمان نبيٌّ وكذلك داود عليه السلام وفيما اقتصّ من خبر زكريا قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٣].

ولم تكتفِ السلطة الجديدة المنبثقة عن السقيفة بكل هذا وإنما عملت جاهدةً من أجل إعداد وتهيئة كتلة سياسية ضخمة تنافس آل محمد وتعاديهم عداوةً شديدة لنيل الخلافة والمركز الأعلى في الحكم، وتهيّء لهم الأسباب، وتذلل الصعاب من أجل تحقيق ذلك في الواقع، والكتلة السياسية هذه هم (الأمويون) الذي يتّصفون بالنفاق والتلوّن والطموحات السياسية غير المشروعة، وفعلاً قد احتل الأمويون الصدارة في المناصب الإدارية في عهدي أبي بكر وعمر.

أضف إلى ذلك أن مبدأ الشورى الذي جاء به عمر يجعل الخلافة محصورة في عثمان ولا تتعداه إلى غيره من المنافسين الخمسة الآخرين فهو الأوفر حظاً منهم جميعاً، وقد أوضح أمير المؤمنين علي عليه السلام ذلك وأكّده لعمه العباس.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢١٨/١٦ - ٢٢٤. سنن البيهقي، ٣٠١/٦ ودلائل الصدق للمظفر، ٣٢/٣.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

(٣) سورة مريم: الآية ٥ - ٦.

موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام من السقيفة والبيعة:

إنّ الإمام علياً عليه السلام كان على يقين ثابت، وإيمان راسخ رسوخ الجبال وأكثر أنه هو الخليفة الشرعي على الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أن هذا المعنى هو ثابت أيضاً لدى الصحابة الأبرار وعامّة المؤمنين، لذا نراهُ عليه السلام قد رفض السقيفة وما تمخّض عنها من بيعةٍ جملةً وتفصيلاً، وقد أكّد ذلك بالأقوال والأفعال والمواقف الرائعة، والخطب العصماء التي ملأت نهج البلاغة.

والواقع، إنّ مواقف أمير المؤمنين علي عليه السلام كلّها رائعة، وأكثرها روعة موقفه من الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ونتائج السقيفة ومضاعفاتها، لأن العقيدة الإسلامية تريد في كل زمان ومكان بطلاً يفتديها بنفسه ونفيسه ويعزّز به المبدأ، وهذا هو الذي جعل الإمام علياً عليه السلام يواجه الصعاب، ويقارع الأبطال، وينكّس الرايات في ساحات الوغى، ويهزم الكتائب الكافرة والمشركة، ويفتح المدن، وينام في فراش الموت وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويردّ الودائع، ويفدي الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة في أصعب المواقف، وأحلك الظروف، ويبيّن الحقّ من الباطل، والسمين من الغثّ، والهدى من الضلالة.

(ولم يكن ليتهيأ للإمام علي عليه السلام في محنته بعد وفاة أخيه الرسول صلى الله عليه وآله أن يضحّي لها كلا ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) لأنه لو ضحّى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه، لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه، وسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

إن علياً عليه السلام الذي كان على أتمّ استعداد لتقديم نفسه قرباناً للمبدأ في جميع أدوار حياته منذ ولد في الكعبة وإلى أن استشهِد في مسجد الكوفة، قد ضحّى

بموقعه الذي نصبه فيه رسول الله ﷺ وتنازل عن القيادة السياسية الظاهرة في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله ﷺ وصياً عليها وحارساً لها.

وقف علي عليه السلام عند مفترق طرق، كلٌّ منها حرج وكل منها شديد على نفسه:

١- أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقيّة المسلمين، بل ويحافظ على وجوده ومنافعه الشخصية ومصالحه المستقبلية، وينال المكانة والتكريم والاحترام لدى الجهاز الحاكم، وهذا غير ممكن، لأنه يعني إمضاءه عليه السلام لبيعة أبي بكر وولاته، وهذا مخالف لأوامر رسول الله ﷺ ومؤدّ إلى انحراف الخلافة والولاية والإمامة عن مسارها الأصلي ومعناها الحقيقي إلى الأبد، وتبدّد الجهود والتضحيات التي بذلها النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام من أجل إرساء قواعد الإسلام وتحكيم أصول الخلافة الشرعية، وبالتالي انحراف التجربة الإسلامية كلّها.

٢- أن يسكت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً، ويحاول أن يسلك سبيلاً معتدلاً يحفظ كيان الإسلام ويصون المسلمين ووجودهم وأن يجني ثماره متأخراً.

٣- أن يعلن الثورة المسلّحة على خلافة أبي بكر ويدعو الناس إليها ويدفعهم نحوها.

ولكن ماذا كان يترقّب للثورة من نتائج.. على ضوء الظروف التاريخية لتلك الساعة العصيبة؟)[1].

(١) أعلام الهداية، ٢/١٤١.

نعم، إنّ الإمام علياً عليه السلام قد وقف عند مفترق طرق كلٌّ منها جرح جداً وشديد على نفسه الشريفة، حيث أنّ الحكام الجدد لم يتنازلوا عن السلطة دون مواجهة خطيرة تنقسم منها الأمة وتتمزّق، وإنّ الأنصار بقيادة سعد بن عبادة الذي هدّد بالثورة على الحزب المنتصر عندما طلب منه البيعة حيث قال:

((لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأُخضّب سنان رمحي وأضرب بسيفي وأقاتلكم بأهل بيتي من أطاعني ولو اجتمع معكم الأنس والجنس ما بايعتكم))[1].

وقد أعلن متكلّمٌ عن لسانه في مجلس السقيفة أنه إذا رأى صوتاً قوياً يجهز بالثورة فيعيدها جذعةً محاولاً إجلاء المهاجرين من المدينة بالسيف[2].

ولا ننسى الأمويين وتكتلهم السياسي في سبيل الجاه والسلطان، وللعلم أن أبا سفيان قد رضي بعد سخط وانتهى مع الحاكمين إلى نتائج تصبّ في صالح البيت الأموي[3]، بعد أن كان يقول: (إني لأرى عجاجةً لا يطفيها إلاّ الدم)[4].

أضف إلى ذلك الأخطار الخارجية والداخلية المتربصة بالدولة الإسلامية التي تنتظر الفرصة المناسبة والساعة الملائمة للانقضاض على هذه الدولة الإلهية التي بذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام والمؤمنون قصارى

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٥٩/٢.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٥٩/٢. قصة السقيفة، قول الحباب بن المنذر: (أما والله لئن شئتم لنعيدها جذعة..).

(٣) أعلام الهداية، ١٤٣/٢ وتاريخ الطبري، ٤٤٩/٢.

(٤) الكامل في التاريخ، ٢٣٦/٢٤ وتاريخ الطبري، ٤٤٩/٢.

جهدهم وجهادهم من أجل إرساء قواعدها وتثبيت أصولها، واستمرار دعوتها وقيمها الإنسانية، وانتشار مبادئها الإلهية والأخلاقية، وكذلك انقلاب الأمة وعدم وجود الناصر، فقد آثر أمير المؤمنين علي عليه السلام مصلحة الإسلام العليا والأمة على الخلافة وإمرة المسلمين على الرغم من إنّ حقّه ثابت في الخلافة والإمامة العامة شرعاً وقانوناً وكفاءةً، وليتحمّل وزر مَن حال دون ذلك، أو ساعد، أو رضي به، وسيعلم الذين ظلموا محمداً وآل محمد أي منقلبٍ سينقلبون والعاقبة للمتقين.

إذاً إنّ ظروف المحنة لم تكن تسمح لعلي عليه السلام بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم خشية التناحر والتقاتل من قبل قوى ومذاهب متعددة الأهداف والأغراض فيضيع بذلك الكيان الإسلامي، وهنا الطامّة الكبرى، وعليه فإن من المصلحة العليا في هذه اللحظة الحرجة من الزمان والمحنة أن يلتف المسلمون حول قيادة موحّدة ويركّزوا قواهم، ويجمعوا طاقاتهم لصدّ ما ستنتجه الظروف الدقيقة من محن وثورات وفتن مرتقبة والأيام حبلى، والمسلمون على وجل.

ومن هنا كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام أن يختار الطريق الوسط ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وصياً عليها، وأن يلجأ إلى تربية الأمة وزيادة وعيها وتثقيفها، وإعداد الجماعة الصالحة في ظل الدولة الإسلامية الحديثة العهد ريثما تتهيأ الظروف المناسبة والملائمة لاستلام الخلافة والحكم الشرعي لتحقيق الأطروحة الإلهية في الواقع وتنفيذ كل الأهداف الرسالية الممكنة، وتطبيق الشريعة الإسلامية العظيمة تطبيقاً

صحيحاً رائعاً، وتجسيد مفاهيم الإسلام الرفيعة، وقيّمه الإنسانية الخالدة، وأخلاقه الواقعية في الوجود.

أمير المؤمنين علي عليه السلام ومهمة جمع القرآن الكريم:

لما لاحظ الإمام علي عليه السلام وتبيّن بالواقع أن الأمة وجمعاً من الصحابة قد أعرضوا ولم ينقادوا للأطروحة النبوية لجأ عليه السلام إلى الصبر والحزم والتخطيط العملي الواقعي لعمل تربوي وتوعوي جذري عسى ولعل أن تفيق الأمة مما هي فيه، وما أقدمت عليه من مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتُدرك مسؤوليتها، وتعي أين تكمن مصلحتها الإسلامية الحقيقية، وعافيتها الدنيوية، وعاقبتها الأخروية، قد أجمعت بالفعل بعد أن أدركت بعد مقتل عثمان أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الذي يليق بالخلافة، وهو لها - في كل أبعادها وجوانبها - فأجمعت، وطلبت، وتوسلت، وألحّت عليه عليه السلام أن يرضى ويكون ذلك الأمر أمراً واقعاً، لكي يكون في مقدور الأمة تحقيقها الأهداف المنشودة.

أجل، لقد تعاضدت كل الروايات الصحيحة على أن الإمام علياً عليه السلام ما إن انتهى من تجهيز الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومواراته الثرى حتى اعتكف في داره منشغلاً بجمع آيات القرآن الكريم حسب نزولها بعد أن كانت مبعثرة في الألواح.

وقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

((أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي: القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه، وأجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر))[١].

وجاء أيضاً أن الإمام علياً عليه السلام رأى من الناس طيرةً عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أنه لا يضع على ظهره رداءهُ حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن[٢].

كما روي أن علياً عليه السلام انقطع عن الناس مدة حتى جمع القرآن، ثُمّ خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد فلما توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثُمّ قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((إني مخلفٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) وهذا كتاب الله وأنا العترة[٣]. وقال لهم: لئلاّ تقولوا غداً إنّا كنا عن هذا غافلين.

ثم قال عليه السلام: ((لا تقولوا يوم القيامة إن لم أدعكم إلى نصرتي ولم أذكّركم حقّي ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته))[٤].

فقال له عمر: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما.

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب، ٤١/٢. فتح الباري، ٣٨٦/١٠. والاتقان للسيوطي، ٥١/١.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص٣٠.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب، ٤١/٢.

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص٣٢، ط مؤسسة البعثة. انظر أعلام الهداية، ١٤٥/٢.

ويبدو أن الإمام علي عليه السلام لم يكتفِ بجمع الآيات القرآنية بل قام أيضاً بترتيبها حسب النزول، وأشار إلى عامّة وخاصّة، ومطلقة ومقيّدة، ومحكمة ومتشابهة، وناسخة ومنسوخة، وعزائمه ورخصه، وسننه وآدابه.

كما وأشار إلى أسباب النزول وأملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن. وذكر لكل نوع مثالاً يخصّه، وبهذا العمل الكبير استطاع الإمام أن يحافظ على أهم أصل من أصول الإسلام، وأن يوجّه العقل السليم للفكر نحو البحث عن العلوم التي يزخر بها القرآن، ليصبح المنبع الرئيسي للفكر، والمصدر المباشر الذي تستمد منه الإنسانية ما تحتاجه في حياتها.

إن أمير المؤمنين كان جديراً بما فعل، فإنه قال:

((ما نزلت آية من القرآن إلاّ أقرأنيها واملأها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها، ومنسوخها، ومحكمها، ومتشابهها، ودعا الله عزّ وجل أن يعلّمني فهمها، فما نسيت آية من كتاب الله عزّ وجل ولا علماً أملاه عليّ فكتبته، وما ترك شيئاً علّمه اللهُ عزّ وجل من حلال وحرام ولا أمر ولا نهي وما كان أو يكون من طاعة أو معصية إلاّ علّمنيه وحفظته، فلم أنسَ منه حرفاً واحداً))[1].

(١) كتاب الطالب للكنجي، ص١٩٩. والاتقان للسيوطي، ١٨٧/٢. وبحار الأنوار، ٩٩/٩٢.

مواقف ومهام عظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام في عهد أبي بكر:

لم يكن همّ أمير المؤمنين علي عليه السلام منصبّاً على جمع القرآن فقط وإنما تعدّاهُ إلى قيامه عليه السلام بمهام عظيمة أخرى، حيث تصدّى لتوضيح قواعد الدين الصحيحة في كل موقف يتعذّر على الخليفة الجديد ومن معه فهمه وتوضيحه للمسلمين، أو يستعصي عليهم في زمن عصيب لم تترسّخ فيه العقيدة الإسلامية في النفوس بعد وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ميزان القضاء والافتاء في شؤون الحياة الإسلامية من قضاء واجتماع وإدارة وتوضيح في عهد أبي بكر وما تلاه من فترات حكم الخلفاء.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه عليه السلام قد وقف بقوّة ليدافع عن المدينة المنوّرة، ويصدّ هجوم الذين ارتدّوا على الإسلام ومعه الصفوة من الصحابة الأبرار الذين ساندوه في ساعة المحنة التي ألّمت به عليه أفضل الصلاة والسلام.

فالإمام عليه السلام وإن كانت السقيفة قد استلبت حقّه الشرعي في إدارة شؤون الأمة مباشرةً واضطرته إلى أن يجلس في بيته فترة إلاّ أنه عليه السلام ومن باب حرصه على الإسلام والمسلمين من جهة، وتنفيذ وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأمة وصيانتها من التمزّق والضياع من جهة أخرى، فقد قام عليه السلام بواجبه الشرعي ولم يبخل بمشورة أو نصيحةٍ أو بيان أو مساعدة مادية أو معنوية للحاكم والمحكوم على حد سواء، فجسّد بذلك أنه القدوة المثلى للمدافعين والحريصين على الكيان الإسلامي في كل ميدان من ميادين الحياة، فهو عليه السلام بحق أنه الوصي على هذه الأمة والأحرص على تطبيق الرسالة الإسلامية بصورة حقيقية وواقعية في الحياة الإسلامية والإنسانية.

نعم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام وعلى الرغم من كل الأحداث التي جرت بعد انتقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، وما سادها من اجواء الاختلاف والمشاحنات وأفعال الجاهلية، وما حفّها من ترك الحق وركوب الباطل، وسلوك طريق الانحراف، إلاّ أنه عليه السلام لم ينسَ ولم تنسه كلّ تلكم الأحداث والأمور أنه الوصيّ على هذه الأمة وعلى تطبيق الرسالة الإسلامية كما أرادها الله ورسوله جهد الامكان.

وقد قال الإمام عليه السلام:

((فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، ولا أنهم مُنحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس إلى أبي بكر يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به أعظم من فوت ولا يكتم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه))[1].

نعم، ما كان يخطر ببال أمير المؤمنين علي عليه السلام أن العرب تنقلب هذا الانقلاب الكبير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبايع غيره، وترجع عن الإسلام، وتدعو إلى محق دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فراعه ذلك جداً، فقرّر أن يضحّي بحقّه الشرعي

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب، ٦٢.

وينصر الإسلام وأهله لئلا أن يحدث هدم أو ثلم في الدين، وبذلك تكون المصيبةُ أعظم وأدهى وأمرّ، ولِتفُت الولاية التي هي متاع أيام قلائل، وقد نهض عليه السلام وشمّر عن ساعديه في تلك الأحداث المؤلمة وأيام المحنة العصيبة حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين الإسلامي وتنهنه، بفضله وعقله وجهوده وإيثاره.

أجل، لقد جسّد أمير المؤمنين علي عليه السلام الايثار بكل معانيه، وجسّد الفضيلة والقدوة، ونصرة الدين والتضحية من أجل استقامته وديمومته بكلّ ما للكلمات من معانٍ رفيعة، ومداليل سامية، وعناوين لا نظير لها في دنيا الإنسان والوجود، وهذا لا يوجد البتّة إلاّ في شخص علي عليه السلام لأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقدوة التي يُحتدى بها في عالم الوجود الإسلامي والإنساني والأخلاقي.

موقف الإمام علي عليه السلام من بيعة أبي بكر والجمعة والجماعة:

إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يبايع طول حياته، ولم يتمكّن أحدٌ من إرغامه على البيعة لأنه بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى من غيره، والإمامة والخلافة ثابتة له، والواقع ومتواتر التاريخ، وأقوال العلماء والرواة شاهد على ذلك.

قال محمد بن إسحاق صاحب السيرة: (لم يحضر عليّ جمعة ولا جماعة)[1].

وقال المفيد: (لم يبايع عليّ أبا بكر، وقد أجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبا بكر قط، وأجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام

(١) سيرة أعلام النبلاء، الذهبي، ٩/٢٨٤.

تأخر عن بيعة أبي بكر، فالمقلل يقول: تأخره ثلاثة أيام، ومنهم من يقول: تأخر حتى ماتت فاطمة عليها السلام ثم لم يبايع بعد موتها، ومنهم من يقول: تأخر أربعين يوماً، ومنهم من يقول: تأخر ستة أشهر. والمحقّقون من أهل الإمامة يقولون: ((لم يبايع ساعةً قط، فقد حصل الإجماع على تأخره عن البيعة، ثمّ اختلفوا في بيعته بعد ذلك))[1].

وقال رواة التاريخ: (لم يبايع الإمام علي عليه السلام أبا بكر أبداً).. وكيف يبايع وهو على يقينٍ صادق، واعتقاد راسخ من إنّ الصحابة على يقين من إنّ محل علي عليه السلام منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، فسدل دونها ثوباً، وطوى عنها كشحاً، وطفق يرتأي بين أن يصول بيدٍ جذّاء، أو يصبر على طخيةٍ عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربّه، فرأى أن الصّبر على هاتا أحجى: فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجىً، كيف يبايع أبو الحسن عليه السلام وهو يقول بصراحة وشهامة لأبي بكر: ((أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وانتم أولى بالبيعة لي))[2].

---

(١) الفصول المختارة، المفيد، ص٣١.

(٢) البحار، ٣/١١، معادن الحكمة، ص٤٧٠، كشف المحجّة لثمرة المهجة، ابن طاووس الحسني، ص١٧٧.

ولو فرضنا بيعته لأبي بكر فمعناها أنه عليه السلام صادق ووافق على إمامة أبي بكر، فما معنى هذه الخطب والمناشدات والاحتجاجات التي صدرت منه عليه السلام خلال حكومة أبي بكر، وعمر، وعثمان[١].

وقال محمد بن جرير الطبري:

(أنه عليه السلام لم يبايع أصلاً، ولو أنه بايعه كما بايع غيره لما وقع الخلاف في هذه الأمة في أمره سلام الله عليه خاصّة من بين الصحابة، وما هموّا بقتله، وجمعوا الحطب على بابه، وهمّوا بإحراق بيته وفيه ولداه سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة)[٢].

هل بايع الإمام علي عليه السلام أبا بكر وعمر وعثمان مكرهاً؟

لقد (ذكر معاوية في رسالته إلى علي عليه السلام: أنه ابطأ على الخلفاء فكان يُقاد إلى البيعة كأنه الجمل الشارد حتى يبايع وهو كاره)[٣].

وقال معاوية له أيضاً: (لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس، حتى تأخروا عن بيعته،

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٢/٢، تاريخ أبي الفداء، ١٥٦/١. العقد الفريد، ٢٥٩/٤. أنساب الأشراف، ٥٨٦/١. تاريخ اليعقوبي، ١٢٦/٢. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١٢. تاريخ الخميس، ١٨٨/١. السقيفة وفدك، الجوهري، ٥١.

(٢) الأربعين، الماحوزي، ص٢٦٥.

(٣) الفتوح، ابن أعثم، ٤٧٤/٣. العقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٣١٢/٤.

وما من هؤلاء إلاّ بغيت عليه، وتلكأت في بيعته حتى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار، كما يساق الفحل المخشوش)[١].

فأجابه أمير المؤمنين علي عليه السلام برسالة جاء فيها:

((وقلت إني كنتُ أقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتى أبايع. ولعمر والله لقد أردت أن تذم فمدحت، وإن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً، ما لم يكن شاكاً في دينه...[٢]، وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر من ذلك))[٣].

إنّ هذه الروايات تدلّ على بيعة الإمام علي عليه السلام - إن حصلت - للثلاثة فهي بالإكراه ولم يكن مخيّراً فيها، وحكم الشريعة في كلّ بيعةٍ أو عقد أو معاملة تحت الضغط والتهديد والإكراه فالحكم هو البطلان والفساد وعدم الصحة والجريان البتّة.

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن الحنفية رسالةً جاء فيها:

((ثم إنهما (أبو بكر وعمر) دعواهُ إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادوا به العظيم))[٤].

---

(١) الاقتسار: الإكراه شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٨٦/١٥.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٢٨.

(٣) العقد الفريد، ٣١٣/٤.

(٤) مروج الذهب، المسعودي، ١٢/٣.

وقال عمرو بن العاص لمعاوية:

((وقد سمعتهُ أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنتُ من أربعين رجلاً يوم فتّش البيت، يعني بيت فاطمة))(١).

فالذي لم يسمح لعلي بن أبي طالب عليه السلام بإعلان الحرب عليهم عدم وجود أربعين رجلاً ينصرونه في مطالبه.

نعم، إنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يبايع خليفةً قط لأنه أولى بالبيعة من كل أحد، ولما أخذ رجال الحزب القرشي الإمام عليه السلام قسراً إلى الجامع النبوي ليبايع أبا بكر، وصاحوا به: بايع أبا بكر، فأجابهم أمير المؤمنين عليه السلام بحجّته البالغة، ومنطقه الفيّاض قائلاً:

((أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وآله، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة؟

وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار، نحن أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلاّ فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون..))(٢).

---

(١) صفّين، المنقري، ص١٦٣.

(٢) الاحتجاج، ٧٣/١.

إنّ جواب الإمام علي عليه السلام قد أفحمهم لأنه قائم على النصوص الإلهية والأحاديث النبوية، وخابت احتجاجاتهم الخاوية الفاقدة للدليل والبعيدة عن الواقع والحق والحقيقة، فانضمّ إليه المؤمنون، وانضوى غيرهم تحت راية السقيفة[1].

عمر يطالب الإمام عليه السلام بالبيعة لأبي بكر:

من جملة ما قال عمر للإمام علي عليه السلام بحضور أبي بكر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع..

فنهره الإمام عليه السلام وصاح به: ((إحلب حلباً لك شطره، إشدد له اليوم أمره ليردّهُ عليك غداً))[2]. وبيّن الإمام السبب في اندفاع ابن الخطاب وحماسه في بيعة أبي بكر، أنه يرجو أن ترجع إليه الخلافة بعده.

قال عليه السلام: ((والله يا عمر لا أقبل قولك، ولا أبايعه...)).

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث، فأجاب الإمام بناعم القول: إن لم تبايع فلا أكرهك عليه...

وخلّى أبو بكر سبيل الإمام، خوفاً منه وفزعاً من ثورته الحقّة[3].

---

(١) المسترشد، الطبري، ص٣٧٤. السقيفة وفدك، الجوهري، ص٤١. كنز العمال، ٣٩١/٦. تاريخ الطبري، ٤٤٣/٢. تاريخ الخميس، ١٨٨/١. تاريخ اليعقوبي، ١٠٥/٢. شرح النهج، ٥/٢.

(٢) الأنساب، البلاذري، ٥٨٩/١.

(٣) المستدرك، الحاكم، ٥٣٤/٤. كنز العمال، ٤٣٥/١٠. المعجم الكبير، الطبراني، ٢٧/١٢. الصواعق المحرقة، ص١٨٦. شرح النهج، ١١٩/٢. تاريخ الطبري، ١٩٨/٣. العقد الفريد، ٢٥٩/٤. ابن حجر،

تحذير الإمام علي عليه السلام للمهاجرين والأنصار:

خاطب الإمام عليه السلام أهالي المدينة المنوّرة عندما ابتعدوا عن الحق قائلاً:

((يا معشر المهاجرين والأنصار، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به، لأنّا أهل البيت ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا عن الحقّ بعداً...))[1].

أجل، لقد ازدادوا عن الحق بعداً، لأنهم تناسوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين علي عليه السلام، وتناسوا بيعة الغدير في خم بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وابتعدوا عن جادّة الحق وركبوا في سفينة الضلال، وسقطوا في أحضان الشيطان الذي أعمى أبصارهم وبصائرهم، وألقاهم في شرّ عظيم، وباعد بينهم وبين دينهم الحق، وفصلهم عن قيادتهم الشرعية الأصيلة...

٢٤٦/٥. ميزان الاعتدال، الذهبي، ١٣٩/١. اثبات الوصية، المسعودي، ص١٢٣. الخطط للمقريزي، ٣٤٦/٢.

(١) الإمامة والسياسة، ١١/١ - ١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٦.

مطالبة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة:

هناك أدلة كثيرة تبيّن مطالبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بحقّه بالخلافة وهي رد على من أنكر ذلك، منها:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((لقد ظُلِمت عدد الحجر والمدر، إنّ لنا حقاً إن نعطَه نأخذه، وإن نمنَعه نركَب إعجاز الابل، وإن طال السرى، فصبرتُ وفي الحلق شجاً وفي العين قذىً))(١).

وقال عليه السلام: ((اللهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني حقي، وغصبوني إرثي)).

وقال أيضاً عليه السلام: ((أما وربّ السماء (ثلاثاً) أنه لعهد النبي الأمي إليّ لتغدرنّ بك الامةُ من بعدي))(٢).

ثم إن الإمام علياً عليه السلام حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار لها فكانوا يقولون: يا بنتَ رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال الإمام علي عليه السلام:

((أفكنتُ أترك رسول الله صلى الله عليه وآله ميتاً في بيته لم أجهزه، وأخرج إلى الناس انازعهم في سلطانه)).

فقالت فاطمة عليها السلام: ((ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري، ص٦٩.

ما الله سبحانه حسيبهم عليه))[١].

لذلك قال معاوية بن أبي سفيان في رسالة له للإمام علي عليه السلام: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر السوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بإمرأتك، وأذللت إليهم بإبنيك، واستنصرتهم فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة...[٢].

وقال عليه السلام: ((نحن أولى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، لأنا أهل بيته، وأقرب الخلق إليه، فإن كنتم تخافون الله فأنصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفته لكم الأنصار)).

ولما قال له عمر: إنّك لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك، فقال الإمام علي عليه السلام إذاً لا أقبل منك ولا أبايع مَن أنا أحقّ بالبيعة منه))[٣].

ومن الأدلة الأخرى على مطالبة الإمام علي عليه السلام بحقّه في الخلافة كتكليف شرعي، أنه لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وتجدّدت له البيعة خرج الإمام علي عليه السلام فقال: ((أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر، ولم ترعَ لنا حقاً)).

فقال أبو بكر: ولكنّي خشيت الفتنة[٤].

---

(١) السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري، شرح ابن أبي الحديد، ٢٨/٦. الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص١٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي، ٦٧/٢. كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص١٨٢. مروج الذهب، ٤١٤/١. الإمامة والسياسة، ١٢/١ – ١٤.

(٣) الفتوح، ابن أعثم، ١٣/١.

(٤) مروج الذهب للمسعودي، ٤١٤/١.

وقال اليعقوبي في تاريخه:

(واجتمع جماعة إلى الإمام علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: إغدوا عليّ محلقي الرؤوس فلم يغدُ عليه إلاّ ثلاثة نفر)[1]. إلى غير ذلك من الأدلة التي تؤكد مطالبة علي عليه السلام بحقّه الشرعي المنصوص عليه من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل أن يقوم بتكليفه الشرعي والمسؤولية الملقاة على عاتقه هذا من جهةٍ ومن جهة أخرى لإقامة الحجّة على مَن غصب هذا الحق، وعلى مَن ساعد في ذلك أو بايع.

وعلى كل حال، فإنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يبايع، ولم يحضر جمعةً ولا جماعة، وقد طالب بحقّه الشرعي في الخلافة، لأنه الأحق بها، والكلُّ أولى بالبيعة له عليه السلام وتسليم الإمارة إليه، والانصياع لأمره لوجود النصّ الإلهي والنبوي، وإقامة الحجة البالغة بهذا الأمر، وقد خاب المفترون وخسروا الدنيا قبل الآخرة، والعاقبة للمتقين، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي منقلب سينقلبون...

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٠٥/٢. شرح نهج ابن أبي الحديد، ٤/٢. صفّين لنصر بن مزاحم، ص١٨٢.

كلمة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد حادثة السقيفة:

إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء الجنة أبت أن تسكت على الظلم الشديد الذي لحق بها وبزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أُعتدي عليهما، وسُلِب حقّهما، واغتصبت الخلافة وفدك وكل إرث رسول الله صلى الله عليه وآله، وصودرت وصاياهُ صلى الله عليه وآله فيهما عليهما السلام، وانحرفت الرسالة عن مسارها، والنصوص عن مضمونها، والحقوق عن أصحابها.

فقرّرت عليها السلام أن تخرج إلى مسجد أبيها وتتكلّم بكلامٍ عربي فصيح لله فيه رضىً وللناس فيه فائدة، وتقيم الحجة على الظالمين، وتضع الأمور في نصابها، والرسالة في مسارها الذي يريده الله سبحانه ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، مع تبيان جهاد أبيها صلى الله عليه وآله وزوجها عليه السلام في تثبيت دعائم الإسلام والحق والانصاف، ونشر مبادئ الخير والاحسان، وفضح الباطل وأهله، والشيطان وحزبه.

فلاثت خمارها على رأسها عليها السلام، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّةٍ من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنّت أنّةً أجهشت القومَ بالبكاء. فأرتجّ المجلس.

ثُمّ أمهلت هنيئةً، حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القومُ إلى بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

((الحمدُ لله على ما أنعم، وله الشكرُ على ما ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نِعَم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها...

إلى أن قالت: فانقذكم اللهُ سبحانه بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي بعد أن مُنيَ ببُهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها اللهُ أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمسه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً من أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجداً كادحاً.

وانتم في رفاهيةٍ من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال، فلما اختار الله لنبيّه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم حسكةُ النفاق وسمل جلباب الدين(١) ونطق كاظم الغاوين(٢) ونبغ خامل الأقلين(٣) وهدرَ فنيق المبطلين(٤) فخطر في عرصاتكم(٥).

---

(١) صار خلقاً.

(٢) كاظم الغاوين: الساكت، الضال، الجاهل.

(٣) ظهر مَن خفي صوته واسمه من الأذلاّء.

(٤) هدر البعير: ردّد صوته في حنجرته.

(٥) خطر: إذا حرّك ذنبه.

واطلع الشيطان رأسه من مغرزه(١)، هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين(٢) ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً(٣) فوسمتم غير إبلكم(٤) وأورتم غير مشربكم(٥).

هذا والعهدُ قريب، والكلم رحيب، والجرحُ لّما يندمل، والرسولُ لّما يُقبَر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنةِ سقطوا وإنّ جهنم محيطة بالكافرين، فهيهات منكم وكيف بكم؟ وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، واعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾(٦).

ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نقرتها،ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإخماد سنن الصفي، تسرُّون حسواً في ارتغاء، وتمشونَ لأهله وولده في الخير والضراء، ونصبر منكم على مثل حرّ المدى، ووخز السنان في

---

(١) المغرز: بكسر الراء: ما يختص فيه.

(٢) الغِره: بكسر الغين: الإنخداع.

(٣) أحمشكم: أغضبكم.

(٤) الوسم: الكي: وسمه: كواه.

(٥) الشِرب: بكسر الشين: النصيب من الماء.

(٦) آل عمران، الآية: ٨٥.

الحشى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا (أفحكم الجاهلية تبغون؟) ومَن أحسنَ مِنَ الله حكماً لقومٍ يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيها المسلمون أأغلبُ على إرثي، يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترثَ أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئتَ شيئاً فرياً[1] أفعلى عمدٍ تركتم كتابَ الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[2] وقال فيما اقتص من خبر زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[3] وقال: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[4]، وقال: ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[6].

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، أفخصّكم الله بآيةٍ أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إنّ أهل ملتين لا يتوارثان، أولستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدةٍ؟ أم أنتم أعلمُ بخصوص القرآن من أبي وابن عمّي؟ فدونكما مخطومة

(١) فرياً: أمراً عظيماً أو منكراً قبيحاً.
(٢) سورة النمل: الآية ١٦.
(٣) سورة مريم: الآية ٥ - ٦.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٥.
(٥) سورة النساء: الآية ١١.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنِعمَ الحكمُ اللهُ، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسرُ المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، فسوفَ تعلمونَ مَن يأتيه عذابٌ يخزيه، ويحلُّ عليه عذابٌ مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معشر النقيبة، وأعضاد الملة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: (المرءُ يحفظ في ولده) سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول.

إيهاً بني قيلة أأُهضم تراث أبي؟ وانتم بمرأى منّي ومسمع ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وانتم ذوو العدد والعُدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح، والجنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون؟ وتأتيكم الصرخة فلا تعينون؟... فأنى جرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فاللهُ أحقُ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد قلتُ ما قلتُ على معرفةٍ مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القنا[1] وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف. باقية العار،

---

(١) ضعف النفس عن التحمّل.

موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الفدئة، فبعين الله ما تفعلون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ(١٢١)وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

ثم اتجهت فاطمة الزهراء (عليها السلام) حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جموع المسلمين تستنهض عزائمهم، وتحثّهم على تنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين علي عليه السلام. وإرجاع الحق إلى أهله، وإحقاق الحق وازهاق الباطل، وتحقيق العدل المحمّدي وتجسيد الأطروحة الإلهية في الأرض، وتنفيذ كلمة الله في الواقع، فقالت (عليها السلام):

((يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي والسنّة في ظلامتي؟ أما كان رسول الله أبي يقول: (المرءُ يحفظ في ولده)، سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم ثم تقولون: مات محمد فخطبٌ جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وأنفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله: النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، ويهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوةً

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله حكم فصل، وقضاء حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُّ الشَّاكِرِينَ﴾.

وقد استنهضت الزهراء (عليها السلام) ابنة محمد حبيب الله ﷺ وخاتم المرسلين الأوس والخزرج من الأنصار على إرجاع الحق إلى نصابه، وإيقاف المعتدين عند حدودهم، وإرجاع الخلافة وفدك إلى أصحابها الشرعيين المنصوص عليهم من قبل ربّ العالمين ورسوله الأمين ﷺ، قائلةً ﷺ:

((إيهاً بني قيلة[1] أأُهضم تراث أبي وانتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وانتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنّة[2] توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحمّلكم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البُهم، فلا نبرحُ أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى جرتم[3] بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان،

(١) بنو قيلة: هم الأوس والخزرج من الأنصار.

(٢) الجُنّة: بالضم ما يستتر به من السلاح.

(٣) جرتم: أي ملتم.

ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟ بعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، وأنا ابنة نذيركم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فأعلموا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون))[1].

أجل، إن سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما أدراك ما فاطمة؟! فهي قد خُلقت من ثمار الجنّة، وهي الحوراء الأنسية، وأمّ أبيها، وحبيبته، وابنته الوحيدة، ومن أغضبها أغضبه صلى الله عليه وآله وسلم ومن أغضبه اغضب الله تبارك وتعالى، ومَن أغضب الله أدخله نار جهنّم وعذابها الشديد ولا يبالي...

لقد خطبت وتحدّثت وبيّنت ما فيه الكفاية سلام الله عليها، فأقامت الحجة على مَن سمع من المسلمين وعلى مَن يقرأ أو يسمع كلامها الشريف في مستقبل الأيام وقادم الدهور والعصور والزمان، لأنها عليها السلام المعصومة والراضية المرضية...

لقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة من أغضبها، وصادر حقّها أو حقّ بعلها أو أبنائها، أو سمع واعيتها ولم يجبها، أو سمع حجّتها ولم يعِها، أو استنصرته عليه السلام ولم ينصرها فهو كما قالت عليه السلام: قد مال عن الحق بعد البيان، وأسرر بعد الإعلان، ونكص بعد الإقدام، وأشرك بعد الإيمان.

نعم، لقد أصبح مشركاً بعد أن كان مؤمناً، فهو بعين الله ما يفعل، وسيعلم الذين ظلموا - فاطمة وبعلها وأبناءها عليهم السلام - أي منقلبٍ ينقلبون... وهي عليها السلام ابنة نذير لهم بين يدي عذابٍ شديد، وليعلموا ما يعملون، فإن الحساب قادم،

(١) أعلام النساء، ٣/٢٠٨، بلاغات النساء، ص١٢ - ١٩.

ونِعمَ الحكمُ الله، والزعيمُ محمد ﷺ والموعدُ القيامة، وعند الساعة يخسرُ المبطلون، ولا ينفع الندمُ إذ يندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف يعلمون مَنْ يأتيه عذابٌ يخزيه، ويحلُّ عليه عذاب مقيم.

ومَن أراد أن لا يكون مشركاً ويختم حياته بسوء العاقبة، ويتجنّب العذاب المخزي والمقيم وسوء المنقلب أن يوالي محمداً وعلياً وفاطمة وأبناءهم المعصومين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ويسير على نهجهم ويتبرأ من أعدائهم الذين ظلموهم، وغصبوا حقّهم، وناصبوهم العداء، والحقد والبغضاء، وأن يحبّ محمداً وآل محمد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، لأنهم الصفوة المختارة، والقدوة والأسوة، ويقتدي بهم، ويحذو حذوهم حذو القذّة بالقذّة، فهم كلمات الله وأحبّاؤه، ونور الله وأصفياؤه، يحبّهم تقبّلُ الأعمال، وببغضهم تُدخلُ النيران، وبشفاعتهم تُسكن الجنان، فطوبى لمن والاهم، وأحبّهم، وسار على نهجهم وشرعهم، ودينهم، وأخلاقهم، وتعساً وتباً لمن آذاهم، وخالفهم، وحسدهم، وناصبهم العداء...

فدك في التاريخ:

كانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة لأنه لم يوصف عليها بخيل ولا ركاب[(١)] وإنّه منحها في السنة السابعة للهجرة إلى الصدّيقة الطاهرة، وبذلك تكون خارجة عن الارث، وتصرفت بها الزهراء (عليها السلام) مدّة ثلاث سنين كاملة.

وملكية فاطمة (عليها السلام) لفدك لا غبار عليها البتة وهي ثابتة شرعاً وقانوناً ويدها (عليها السلام) مسلّطة عليها منذ أن فتحها رسول الله ﷺ في سنة (٧هـ) بدون حرب، وإن سلطة اليد ثابتة من الناحية الفقهية والقانونية الدولية ما لم يثبت طرفٌ آخر ملكيتها وإقامة البيّنة على ذلك، وللعلم إن عامة المسلمين كانوا يعلمون ويعرفون جيداً بملكية فاطمة (عليها السلام) لفدك وتسلطها عليها.

ولكنّ أبا بكر قد استولى عليها، وادّعى أنه سمع من رسول الله أنه قال ﷺ: (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة) في حين هذا الحديث يخالف القرآن جملةً وتفصيلاً، لأن الله سبحانه يقول في كتابه المجيد وقرآنه الكريم ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[(٢)] وقال زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا(٥)يَرِثُنِي﴾[(٣)]، وقطعاً إنّ كلّ قول يخالف القرآن فهو زخرفٌ وباطلٌ شرعاً وفقهاً وقانوناً.

(١) شرح ابن أبي الحديد، ٦/٢١٠ وفتوح البلدان، ص٣٦ والسقيفة وفدك، ص٩٧.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

(٣) سورة مريم: الآية ٥ - ٦.

ومع كل هذه الحقائق والقول الحق والفصل في ملكية الزهراء (عليها السلام) لفدك أنها (عليها السلام) قد جاءت بالبيّنة التي تثبت ملكيتها القطعية لها إذ شهد بذلك أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وأم أيمن وأم سلمة[1] ولكنّ أبا بكر قد رفض وردّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لكون فاطمة (عليها السلام) زوجته، وهذا أمرٌ غريب وعجيب، بل أكثر عجباً من الأول، إذ مَن قال ببطلان شهادة الزوج لزوجته في الإسلام؟ فكيف وهما المعصومان من الخطأ والمطهّران من الرجس تطهيراً كما نطق القرآن الكريم ذلك في آية التطهير؟

وفي رواية أخرى:

جاءت أم أيمن إلى أبي بكر فقالت له:

((أنشدك الله ألستَ تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (أم أيمن امرأة من أهل الجنّة) فقال: بلى، فقالت: فأشهد أن الله عزّ وجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾.

فجعل صلى الله عليه وآله فدكاً لفاطمة طعمة بأمر الله، فجاء الإمام علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة عليها السلام ادّعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي عليه السلام فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي... فجاء الإمام علي عليه السلام فقال: ((يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين)) قال: لا قال: ((فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثم ادعيت أنا فيه من تسأل

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٨/٢. السيرة الحلبية، ٣٦٣/٣، شرح نهج البلاغة، ٢٣٤/١٦ - ٢٣٥.

البيّنة؟ قال: إياك اسأل. قال: ((فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده[١].

لقد أخذ أبو بكر وعمر فدكاً ثم أخذها عثمان وأقطعها مروان بن الحكم[٢] ولما ولي الإمام علي عليه السلام الخلافة تركها للمسلمين متنازلاً عن حقّه لها، ولّما ولي الحكم معاوية أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمر بن عثمان بن عفان ثلثها وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، ثم خلصت كلها لمروان فوهبها لابنه عبد العزيز، فوهبها هذا لابنه عمر، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردّها إلى صاحبها الإمام علي بن الحسين عليه السلام ثم أخذها يزيد بن عاتكة.

وردّها أبو العباس السفاح على أهل البيت، واغتصبها المنصور، وردّها المهدي، وقبضها موسى بن المهدي، وردّها المأمون، واغتصبها المتوكّل مقطعاً إياها إلى عبد الرحمن بن عمر البازيار[٣].

وقد استهدف أبو بكر وعمر من أخذهما فدكاً سلب القدرة الاقتصادية والقدرة السياسية من أهل البيت عليهم السلام.

والفضل الأكبر في إعادة فدك إلى أهلها يعود إلى عمر بن عبد العزيز، الذي خرج عن المذهبية والقبلية، وسلك مسلك المخلصين في حكمه على الحوادث[٤].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ١٢٢/١.

(٢) سنن البيهقي، ٣٠١/٦ والغدير، ١٩٥/٧.

(٣) السقيفة للجوهري، ص١٠٤.

(٤) الشافي، ٦٩/٤ - ٧٢، البحار، ٢١٧/٢٩، الأمالي للمفيد، ٨/٤. بلاغات النساء، ابن طيفور، ص١٢. شرح نهج البلاغة، ٢١٢/١٦ - ٢١٦. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٧٣/٤. مروج الذهب، ٣١١/٢٠.

أجل، إنّ الاستيلاء على فدك ذات الوارد الاقتصادي في تلك الفترة الحرجة التي يعيشونها أهل البيت عليهم السلام من قبل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ومروان والمنصور الدوانيقي والمتوكل وغيرهم، له الأثر الخطير والمؤلم على حياة أهل البيت عليهم السلام وفقراء المسلمين من نواحٍ شتى أهمها الاقتصادية والسياسية والصحية.

إن اغتصاب فدك هو مخالفة صريحة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّة مدروسة لمحاربة أهل بيت النبوّة عليهم السلام والتضييق عليهم، وجعلهم يعيشون حياة الضنك والعوز والحرمان، وإلاّ ما هو المبرّر لهذا الاغتصاب والاستيلاء على ملك الغير بالقوة، والتصرّف بالمغصوب وكأنه ملكٌ لهم على الرغم من الحرمة الشديدة التي ينصُّ عليها الشارع المقدّس والقانون الدولي؟!

وعلى كل حال، فإن الملك هو اعتباري والمالك الحقيقي هو الله جلّ وعلا، ولكنّ الحق هو ثابت لاهله ما لم يقم دليل على خلافة وفقاً لضوابط الشرع والقانون والعرف الاجتماعي، ومن خالف تلك الضوابط فهو غاصب، والغاصب معتدٍ ومسؤول أمام الله والشرع والقانون ووحدة النظام، والموعد قريب، والحكم هو الله، ويأبى العدلُ إلاّ أن يُحاسب من اعتدى ولقد ذهب الماضون بأوزارهم، وليعتبر الباقون، ويستفيدوا من أخطاء أسلافهم. لأن العبرة في الاستقامة، والوقوف أمام الله تعالى بقلب سليم، في ذلك اليوم المهول، الذي لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون، والعاقل مَن وعى وتدبّر...

واعتقد - كما أكد مروي التاريخ ذلك - أن عمر بن العزيز قد وعى وتدبّر قضية فدك ومظلومية بني هاشم في هذه القضية الواضحة الملكية لفاطمة عليها السلام وبنيها عليهم السلام وأحفادها عليهم السلام، كما عَلِمَ حجم الظلم الواقع عليهم من قبل الظالمين لهم بخصوص هذه القضية.

لذلك نراهُ أول حاكم حكم في هذه القضية حكماً بيّناً لا غبار عليه ألا وهو إعطاء الحقّ لفاطمة الزهراء عليها السلام وإرجاع فدك لأحفادها !

ولقد قال عمر بن عبد العزيز لما أُستخلف:

((أيها الناس إني قد رددتُ عليكم مظالمكم، وأول ما أردُّ منها ما كان في يدي من فدك على ولد رسول الله وولد الإمام علي، فكان أول مَن ردّها.

وروى أنه ردّها بغلاّتها منذ وليَ فقيل له: فقمتَ على أبي بكر وعمر فعلتهما، فطعنتَ عليهما ونسبتهما إلى الظلم والغصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء.

فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندكم أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادّعت فدكاً، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شهادة الإمام علي عليه السلام وأم أيمن وأم سلمة. وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي، وإن لم تقُم البيّنة، وهي سيّدة نساء أهل الجنة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها، أتقرّب بذلك إلى رسول الله، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين ممّن يشفعون

لي يوم القيامة، ولو كنت بدل أبي بكر، وادّعت فاطمة كنت أصدّقها على دعواها، فسلّمها إلى محمد بن علي الباقر[1].

أجل، إن عمر بن عبد العزيز هو خليفة أموي، ينقم على أبي بكر وعمر فعلتهما في غصب فدك، ويطعن حكمهما، ويكذّب ادّعائهما وأقوالهما، ويصفهما بأنهما ظالمان وغاصبان بمرأى ومسمح قريش ومشايخ السوء وعلمائهم من أهل الشام. ويصدّق ادّعاء فاطمة الزهراء بملكية فدك سواءً أتت بالبيّنة أو لم تأتِ لأنها سيّدة نساء أهل الجنة، وإنّ الإمام علياً عليه السلام وأسماء وأم سلمة وأم أيمن (رض) هم جميعهم صادقون وغيرهم كاذبون، لذلك حكم بإرجاع فدك إلى فاطمة عليها السلام وأحفادها.

وكذلك يرجو عمر بن عبد العزيز أن يكون علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين (عليهما السلام) ممّن يشفعون له في يوم القيامة، وكان يقول: لو كان بدل أبي بكر لم يردّ دعوى فاطمة قط ويصدّق ادّعاءها وقولها البتّة في ملكها لفدك خلافاً لما فعل أبو بكر وعمر.

اعترافات خطيرة بخصوص سلب الخلافة من الإمام علي عليه السلام:

إنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه، وإنّ الحقيقة لابُدّ لها من الظهور في الواقع ولو بعد حين، وإنّ الكذب وطمس الحقائق عمرهما قصير، وإنّ الزيف وذر الرماد في العيون وجعل الباطل حقاً، سرعان ما ينكشف، والعجيب في الأمر إنّ صاحب الباطل قد يصرّح بذلك بكل وضوح، ويبيّن الحقائق، ويكشف

(١) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري، ص١٤٦ من كتاب شرح نهج البلاغة.

المغطى، والأدلة كثيرة، وشواهد التاريخ ماثلة للعيان، وسنورد بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

١ـ اعترافات معاوية بن أبي سفيان الخطيرة:

قال معاوية بن أبي سفيان في رسالةٍ له إلى محمد بن أبي بكر جواباً على رسالته التي أرسلها له بخصوص حق أمير المؤمنين علي عليه السلام في الخلافة وتبيان فضائله عليه السلام، وكثرة مناقبه، وقديم سوابقه، وقرابته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومواساته إياه في كل هولٍ وخوف، وسرّاء وضراء وشدّة ورخاء، فكتب معاوية:

((من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر أما بعد: فقد أتاني كتابك، فتذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما أصطفى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضائل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومواساته إياهُ في كل هول وخوف، فكان احتجاجك عليّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد رباً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كُنا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا، مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده، وأتمّ ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلج حُجّته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، فكان ابوك وفاروقه أول من ابتزّه حقّهُ، وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتّسقا، ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم.

ثم إنّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على أمرهما، حتى قبضهما اللهُ، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عداوتكما فيه، حتى بلغتما فيه مناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شِبرَك بفترك، يقصر عنه أن توازي وتساوي من يزن الجبال بحلمه، لا يلين عن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته.

أبوكَ مهّد مهاده وبنى لملكه وساده، فإنْ يكن ما نحنُ فيه صواباً، فأبوك استبدّ به ونحنُ شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل، ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دَعْ ذلك، والسلام على من أناب))[1].

((وفي هذه الرسالة اعتراف واضح، وصراحة شاملة، بسلب أبي بكر وعمر الخلافة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد اضطرّ إليها معاوية في ردّ حُجّة محمّد بن أبي بكر، وردعه عن مواصلة دعم الإمام علي عليه السلام.

وبيّن معاوية اتفاق الاثنين على سلب الخلافة من الإمام علي عليه السلام وعملهما المشترك لانزال أقسى العقوبات به لاجباره على البيعة، إذ قال: فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم))[2].

نعم، هكذا يتضح الحق، وتتكشف المؤامرة، ويظهر التخطيط المسبق من قبل أبي بكر وعمر وربعهما لسلب الخلافة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) مروج الذهب للمسعودي، ٣/١٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ٣/١٢.

والاستبداد بها، وقد تابعهما عثمان على ذلك، فهدى بهديهما وسار بسيرهما، وقد مهّدوا المهاد وبنوا للملك الوساد، ومعاوية وحزبه شركاء في ذلك، ولولا ما فعل أبو بكر وعمر من قبل، لما وقع الخلاف والاختلاف مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولأصبحت الخلافة من حقّه، كما هو مرسوم لها من قبل الله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما يقول، ويقرُّ معاوية بذلك.

ويقول أيضاً لمحمد بن أبي بكر: فقد كنّا جميعاً وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه - أي في الخلافة والإمامة العامة في الأمة - لازماً لنا، مبروراً علينا، ولكنّ أبا بكر وعمر أول من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره، وإلحاق الأذى والإكراه الشديدين به، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، ونحنُ على آثارهم مهتدون، وعلى نهجهم سائرون، وبمثلهم آخذون، نحذوا حذوهم حذو القذّة بالقذّة، من حيث سلب الحق، والبغض، والمخالفة... فعب أباك أولاً بما بدا لك، وأنكر عليه ما فعل هو وصاحبه من عظيم الأمور حيث على ذلك اتفقا واتسقا..

وهل توجد صراحة أوضح من هذه الصراحة؟!

وهل يوجد اعتراف أقوى وأوضح من اعتراف معاوية هذا، بكشف التآمر، والمخططات السرية، والتحالفات العشائرية والقبلية والجاهلية، في إبعاد الحق عن أهله الشرعيين، والخلافة عن علي أمير المؤمنين، وإلحاق الأذى بالهاشميين، على الرغم من وضوح فضلهم، وجهادهم، وكثرة مناقبهم، وقوة شكيمتهم وسواعدهم في محاربة الكفر وأهله، ونصرة الله وحزبه، وتثبيت قواعد الدين، وفداء سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

لماذا هذا التآمر على الحق، والحقد الدفين على علي أمير المؤمنين عليه السلام وإبعاد الخلافة عن سيّد الوصيين؟! وهل كلٌّ هذا يصبُّ في مصلحة الإسلام والمسلمين؟! وهل يوحّد الصف، ويجمع الكلمة؟! أم ماذا؟!!

وللإنصاف والحق نقول: لو جرت الأمور كما يريدها اللهُ تعالى ورسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكما هو منصوصٌ عليها، ومرسوم لها إلهياً ونبوياً وشرعياً، حيث يتسلّم الإمام علي عليه السلام الخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام ثم الإمام الحسين عليه السلام ثم التسعة المعصومون عليهم السلام من ولد الإمام الحسين عليه السلام باعتبارهم الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة، هل حصل هذا الانقسام والتمزّق والتشرذم في الأمة؟!!

وهل سالت دماء المسلمين غزيرةً في حروب ووقائع لا داعٍ لها البتة؟! كحرب الجمل التي راح ضحيتها أكثر من خمسة وعشرين ألف من المسلمين، أي أكثر من المسلمين الذي قتلوا دفاعاً عن الإسلام أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم حرب صفين التي استمرت ما يقارب ثمانية عشر شهراً وحرب النهروان، والطف والحرّة وهدم الكعبة والحروب الأهلية نتيجة التعصّب والتطرّف الطائفي، والمذهبي، والقبلي، والحزبي، والفكري، والمصلحي، والفئوي... إلى غير ذلك من المسميات. التي أفقدت الأمة مركزيتها في العالم، وقطعت أوصالها، وشوّهت آراءها وسلوكها، وأوهنتها، حتى أصبحت (طعمة لكلّ طامع، ولقمة سائغة لكل صائل) عليلةً ضعيفة تئنُّ مما أصابها، ثكلى نتيجةً لما جرى عليها، من إحداث مُرّة، ومصائب لا تُطاق...

فكل هذا بذمّة مَن؟ ومَن يتحمّل المسؤولية على ما جرى وما يجري إلى يومنا هذا؟!! وما سيحصل في قادم الأيام؟!! واللهُ أعلم..

إذاً، فلابدّ من إرجاع الحق إلى نصابه، والدين إلى مساره الحقيقي، والمسلم إلى إسلامه النزيه وأخلاقه، والشريعة إلى نهجها الإلهي، والأحكام إلى نهجها الصحيح الوارد عن المعصوم عليه السلام لأنه صمّام الأمان في الحياة الإسلامية والإنسانية، وهو وحده عليه السلام مصدر الخير، ومنبع الرحمة، والصراط المستقيم الذي يؤدّي بسالكه إلى النجاة، والتكامل، وصنع الحضارة المزدهرة، ونيل رضا الرب تعالى، والفوز بجنّة النعيم، والحور العين، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وكلٌ ذي لبٍ سليم.

٢ـ اعترافات يزيد بن معاوية المهمة:ـ

روى البلاذري قائلاً:

((لمّا قُتل الحسين كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أما بعد... فقد عَظُمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق، فإنا جئنا إلى بيوت مجدّدة، وفرش ممهّدة، ووسائد منضّدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا، فأبوك أوّل مَن سنّ هذا، واستأثر بالحقّ على أهله))[1].

---

(١) الطرائف، ابن طاووس، ص٢٤٧، شجرة طوبى، الحائري، ٤٣٣/٢. انظر: سيرة الإمام علي عليه السلام للطائي، ١٤٠/٤.

وفي هذه الرسالة اعتراف واضح من يزيد بن معاوية بتسلّط عمر وأبي بكر على منصب الخلافة ظلماً، وأخذها من أهلها الشرعيين، وقد أرسل يزيد جملته إرسال المسلّمات !

نعم، إنّ يزيد بن معاوية ومن قبله أبوه وغيرهما قد جاؤوا إلى بيوت مجدّدة وفرشٍ ممهّدة، ووسائد منضدة، أي الملك، والسلطة، والحشم والخدم، والأموال، قد سرقوها من أهلها الشرعيين ظلماً وعدواناً وقد تمّتعوا بها هم وحاشيتهم وحزبهم الأموي بدون حقّ، ولم يكتفوا بذلك بل حرّموها على أصحابها الشرعيين وورّثوها إلى الطلقاء واللقطاء، واللاشرعيين، وقد فعلوا ببيت مال المسلمين والملكيات العامة والخاصة ما شاؤوا وما لذّ لهم وطاب.

وإن احتجّ عليهم معترض، وقدّم لهم الأدلة التي تحرّم تربّعهم على سدّة الحكم وتصرفاتهم اللاشرعية، أجابوا: أنّ مَن سبقهم من الأوائل قد سنّوا لنا ذلك، ونحن على طريقتهم ماضون، ولسنّتهم متفذّون، فهذا عبد الله بن عمر يستنكر على يزيد فعلته الشنيعة، وجريمته الكبرى بقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، فيردّ عليه يزيد قائلاً: ((يا أحمق.. فأبوك - أي عمر بن الخطاب - أول من سنّ هذا واستأثر بالحق - أي الخلافة والحكم - على أهله - أي الإمام علي عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام)).

وهذا اعتراف آخر يصدر من الملك الأموي يزيد بن معاوية يؤكد فيه سلب الخلافة من علي أمير المؤمنين عليه السلام والاستئثار بها ظلماً وعدواناً من قبل أبي بكر وعمر، وهم على هذا النهج سائرون..

وهناك اعترافات كثيرة بسلب الحقّ عن أهله، والخلافة عن أصحابها الشرعيين - أمير المؤمنين علي وبنيه عليهم السلام - صدرت من معوية الثاني وعمر بن عبد العزيز وآخرين، وملوك بني العباس كهارون، والمأمون والمنتصر وغيرهم، بل القاصي والداني يعرف ذلك ولكن حبّ الدنيا، وسكر السلطة، والنفس الأمّارة بالسوء، والمصلحة الشخصية، وخبث السريرة، وإغراءات الشيطان، والحسد لأهل البيت عليهم السلام والحقد عليهم لأنهم الأولى والأفضل والأشجع في صدّ الكفر وقتل الكافرين في حروب الإسلام المجيدة وتثبيت دعائم الحق في الحياة، كل ذلك حال دون أن يتسلّم أمير المؤمنين علي عليه السلام وبنوه عليهم السلام حقّهم الشرعي في الخلافة وإمامة الأمة.

ولكنّ العدالة الإلهية تأبى أن يستمرّ هذا الظلم، وسلب هذا الحقّ من أصحابه الشرعيين، فهناك الرجعة وحكومة الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف ((المعصوم الثاني عشر والتاسع من ولد الإمام الحسين عليهم السلام)) الذي سيظهر بأمر الله تعالى ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيقيم موازين العدل في الدنيا، وينتقم من الظالمين وأحفادهم الذين عاثوا في الأرض الفساد، وخرّبوا البلاد وافسدوا العباد... وبعد ذلك هناك الحياة الآخرة التي ينتصف ويقتصّ فيها المظلوم من الظالم. وصاحبُ الحقّ من سارقه وغاصبه، وأهل الحقّ من أهل الباطل، واللهُ عادلٌ حكيم، محيطٌ بعباده، عليمٌ بما يفعلون.

أجل، إن الإنسان لابدّ من وقوفه أمام الله تعالى، ويسأله عن كلّ أفعاله، صغيرةً كانت أم كبيرة، سيّئة كانت أم حسنة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ليجازيهم، إن خيراً فخير، أو شراً فشرّ، والعاقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

غضبُ أمير المؤمنين علي عليه السلام على أفعال قريش:

بناءً على معاملة قريش المنكرة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأفعالها السيئة التي يندى لها الجبين معه، ومع عائلته وعشيرته بني هاشم، وتناسي فضله وجهاده ومناقبه، ومنازعته حقاً كان عليه السلام أولى به من غيره، ولم يرعوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه عليه السلام وفي زوجته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فقد أظهر الإمام علي عليه السلام غضبه الشديد على فعل قريش المنكر هذا - في السقيفة وما بعدها - قائلاً:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وأَكْفَأُوا إِنَائِي وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ثمَّ وقَالُوا أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ولا ذَابٌّ ولا مُسَاعِدٌ إِلا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ))[1].

نعم، لقد قطعوا رحم أمير المؤمنين عليه السلام وغصبوا حقّه، وآذوه، وآلموه بالفعل والقول والسلوك، ولم يفزع له فازع، وليس له رافد ولا ذاب ولا

(١) نهج البلاغة، ٣٦٥، الطبع القديم، طهران، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١٣/١.

مساعد، إلاّ أهل بيته، فظنّ بهم عن الموت، وصبر صبراً عظيماً يفوق الجبال وزناً أمرّ من العلقم، وأشدّ أذىً للقلب من أيّ أذىً. فلله درّك، وعظِم صبرك يا أمير المؤمنين على هؤلاء الحفاة العراة... الأعراب الغلاظ... القساة العصاة...

ولكنّ الإمام عليه السلام رغم كل هذا وذاك، فقد استمرّ في منحاهُ الساعي لاثبات حقّه في الخلافة لتحقيق الإصلاح، وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرء المفاسد في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإقامة الحجة الدامغة على هذه الأمة المغلوبة على أمرها، الأمة التي كانت تنظر إليه عليه السلام كالنجم الثاقب في الثريا.

جاء في رسالة لمعاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر يعترف فيها بفضل أمير المؤمنين علي عليه السلام - والفضل ما شهدت به الأعداء - حيث قال: ((كُنّا في زمن الرسول صلى الله عليه وآله أنا وأبو بكر وعمر ننظرُ إلى ابن أبي طالب كالنجم في الثريا))[١].

أجل، أنهم يعلمون ذلك جيداً، وقد عايشوه بأنفسهم أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاّ إنهم ركبوا رؤوسهم، وعملوا المحذور، ولم ينتهوا عمّا نهاهم عنه وحذّرهم منه أمير المؤمنين عليه السلام عندما خاطبهم قائلاً: ((فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً))[٢] وها هم قد اتّبعوا الهوى، فضلّوا عن سبيل الله وازدادوا من الحق بعداً.

---

(١) مروج الذهب، المسعودي، ١١/٣.

(٢) المستدرك، الحاكم، ٥٣٤/٤، كنز العمّال، ٤٣٥/١٠. المعجم الكبير، الطبراني، ٢٧/١٢. الصواعق المحرقة، ص١٨٦.

والأعجب في الأمر أنهم يعرفون أن الحق مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وبه يعترفون إلاّ إنهم يخالفون، فها هو أبو بكر يقرُّ ويعترف بأن الحق مع الإمام علي عليه السلام ويقسمُ بذلك إلاّ أنه لم يتنازل عنه له، ولنقرأ ما يلي:

كان الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز عمره سبع سنين حينما ولي أبو بكر، فقد انطلق إلى مسجد جدّه صلى الله عليه وآله وسلم فرأى أبا بكر على المنبر، فوجّه إليه لاذع القول قائلاً: ((إنزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك...)).

فبهت أبو بكر وأخذته الحيرة والدهشة، واستردّ خاطره فقال له بناعم القول: صدقتَ، واللهِ إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي[1].

وقال عمر مخاطباً ابن عباس في مناقشة جرت بينهما: (أما واللهِ يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر..)[2].

إذاً كيف لا يغضب أمير المؤمنين علي عليه السلام وأقطاب السقيفة يقرّون بحقّه المشروع ثم يصادرونه ويُحرَم منه جملةً وتفصيلاً؟!!

وكيف لا يغضب عليه السلام وهو يسمع فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين والجنة تقول معاتبةً نساء الأنصار: ((فما حُفِظ لي الحقّ، ولا رُعيت مني الذمة، ولا قُبلت الوصيّة، ولا عرفت الحرمة))؟!!

وكيف لا يغضب عليه السلام وهو القائل:

---

(١) الرياض النضرة، ١/١٣٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١/١٧. وفي الاصابة، ٢/١٥. وجاء في الصواعق المحرقة، ص١٠٥ وفي الصبيان المطبوع على هامش نور الأبصار، ص١٢٥: (إن الحسن قال ذلك لأبي بكر ووقع مثل ذلك للحسين مع عمر بن الخطاب)).

(٢) محاضرات الأدباء، ٤/٤٧٨.

((أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ))[١] وهم يسمعون ولم يتّعظوا..؟!

وكيف لا يغضب ولا يعجب عليه السلام وهو القائل:

((ومَا لِيَ لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَأ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ولا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ... ولا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ ولا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ... ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ؟!))[٢] والناس يعرفون ذلك ويخالفون؟!

نعم لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة ومن كلّ أمة أحد، فهم أساس الإسلام ولهم خصائص حق الولاية والإمامة، وفيهم الوصيّة والوراثة. وهم أهل الذكر، والعلم، والشجاعة والحلم والسماحة، والكرم والكفاءة واللياقة وهم الأسوة والقدوة، وأهل الحكمة والبلاغة والفصاحة، والخلق الكريم...

ومع كل هذا، يعيش أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام وأبناؤه عليهم السلام مظلومين في هذه الأمة، مغصوب حقّهم، وإرثهم، وفضلهم، فلماذا كل هذا؟!

---

(١) الخطبة ٨٢ من نهج البلاغة أو ١٨٢.

(٢) الخطبة ٨٨ من نهج البلاغة، أو ١٤/٢.

ثانياً: الإمام علي عليه السلام في عهد عمر بن الخطاب:

لم تطُل أيام أبي بكر كثيراً حتى ألّمت به الامراض وأشرف على الموت، وقد صمّم على أن يولي عمر الخلافة من بعده حصراً، أي كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مخاطباً عمر: ((إحلب حلباً لك شطره، وأشدد له اليوم يردده عليك غداً...))[١].

ثم إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد: ثم أغمي على أبي بكر، فكتب عثمان، فإني قد استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفتَ أن يختلف الناس إنْ مُتّ في غشيتي، قال: جزاك اللهُ خيراً[٢].

وقد قال الطبري في تاريخه:

(مهّد أبو بكر كرسيّ الخلافة لعمر بن الخطاب فتولاّها بسهولة ويسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين والأنصار، وقد قبض على زمام الحكم بقوّة وساس الأمة بشدّة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة)[٣].

وهذه الخلافة كصاحبتها الأولى قد سارت على طريقها، ومضت بخطّها على أن لا تُعطي حقاً لبني هاشم، واُتقن هذا السير أيما اتقان، على الرغم من

---

(١) أنساب الأشراف، ٥٨٧/١ وشرح نهج البلاغة، ٢/٢ - ٥.

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٢٥/٢.

(٣) تاريخ الطبري، ٦١٧/٢ و ٦١٨.

إنّ عمر كان يقول مخاطباً الإمام علياً عليه السلام ومشيراً إليه: (هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن)[١] وقال: (لولا علي لهلك عمر)[٢].

موقف الإمام علي عليه السلام ومآخذهُ على وصية أبي بكر لعمر بالخلافة:

لم يزل الإمام علي عليه السلام مظلوماً، وقد عاش الأمرّين يُدفعُ بحقّه بعيداً عنه، وهو متألّم جداً على الخلافة، لا لذاتها ولكنّما ليقيمَ حقاً ويدحض باطلاً، ويحقّق عدلاً ومساواةً وإنصافاً وخيراً، فهو عليه السلام يراها قد تلكأت، وإنّ الرسالة قد ضمرت، ولكنّه لا يجد سبيلاً إلاّ الصبر وهو الحليم، ولا يجد إلاّ الأناة وهو البصير، وقد عبّر عن أحزانه العميقة، وآلامه الكثيرة، في خطبته الشهيرة بالشقشقية إذ قال:

((أما والله لقد تقمّصها ابنُ أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدرُ عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كِشحاً، وطفقت أرتئي بين أصول بيدٍ جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرمُ فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تُراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب

(١) ذخائر العقبى، ص٦٨، الصواعق المحرقة، ص١٠٧، الرياض النضرة للحافظ ابن سلمان، ١٧٠/٢.

(٢) تذكرة الخواص، ص٨٧، كفاية الطالب، ص٩٦، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة، ٣٠٩/٢.

بعده، فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته[1] إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّر ضرعيها، فصيّرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها))[2].

نعم، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يكن راضياً عن تقمّص ابن أبي قحافة للخلافة، ولم يكن راضياً أيضاً عن وصيّته لعمر وعهده له بالخلافة لأنه الأولى بها من جهةٍ، والمنصوص عليه شرعاً وقانوناً وكفاءةً من جهة أخرى. إضافة لأسباب مهمة أخرى سنذكرها، مما يعزّز ما ذُكر من مآخذ على وصيّة أبي بكر لعمر وعهده له بالخلافة من بعده.

جاء في كتاب أعلام الهداية المجلّد الثاني ص١٤٩ و ص١٥٠ تحت عنوان: مآخذ على وصية أبي بكر، ما يلي:

مآخذ على وصية أبي بكر:

لم يكن علي عليه السلام راضياً بما فعله أبو بكر للأسباب التالية:

١- إن أبا بكر لم يستشر أحداً من المسلمين في تقرير مصير الخلافة إلاّ عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان اللذين كانا على معرفة تامة بميول أبي بكر لاستخلاف عمر من بعده، خشية أن يدفعه أهل الرأي من الصحابة المخلصين على تغيير رأيه في اختيار عمر.

٢- الإصرار على إبعاد الإمام علي عليه السلام عن الساحة السياسية ومسألة تقرير مصير الخلافة فلم يستشره في أمر الخلافة، في حين أن أبا بكر كان يفزع إلى

(١) إشارة إلى قول أبي بكر: (أقيلوني فلستُ بخيركم) راجع تذكرة الخواص، ص٦٢ لابن الجوزي.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

الإمام في حل المشاكل المستعصية، أو أن آراء الإمام ومواقفه في خلافة أبي بكر هي الناصحة والصائبة دون من عداها.

٣- إن أبا بكر فرض عمر فرضاً على المسلمين، وكأن له الوصاية عليهم حياً وميتاً وذلك بقوله: (استخلفت عمر بن الخطاب عليكم فأسمعوا له وأطيعوا، رغم إنه رأى الغضب ظاهراً في وجوه الكثيرين من الصحابة.

٤- إنه ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان يدّعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي ولم يعهد لأحدٍ في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده[1].

٥- هيّأ الملك لبني أميّة، الذي جلب الويلات للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال إثارة طمعهم في الخلافة وتشجيعهم عليها بقوله لعثمان: لولا عمر ما عدوتك[2]. وأبو بكر يعلم أن عثمان عاطفي ضعيف يميل لبني أمية وأنهم سيغلبونه على أمره، وهذا ما حصل. انتهى

(١) وهو من العجائب، لأنه لما أفاق من الاغماء واستمع إلى ما كتبه عثمان من تعيين الخليفة بعده قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي قال: نعم ! كيف هو وعثمان خافا من اختلاف الناس؟ وأما الرسول الأعظم الحكيم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخف من اختلاف أمته؟! لأنهم يصرّحون بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ولم يعيّن أحداً. تباً لهم فما لهم كيف يحكمون؟!

بل نلاحظ عمر يمنع الرسول من كتابة وصيته في لحظاته الأخيرة بينما يجلس وبيده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر وعمر يقول: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله أنه يقول: إني لم آلكم نصحاً. راجع الطبري، ط أوربا، ٢١٣٨/١. ارأيت التناقض بين موقفيه؟ وهل هناك من تفسير غير التآمر على تخطيط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٦٤/١.

موقف الإمام علي عليه السلام موقف الناصح الأمين للخليفة الجديد:

إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعدما شاهد من سيرة الحكم الجديد وحركة الجماعة غير الواعية وغير المدركة لما سيحصل في مستقبل الأيام، أنها سائرة في ركبها بتعنّت وإصرار على الانحراف بالخلافة، فإنه عليه السلام نراهُ لم يثأر لحقّه المغتصب، بعدما شاهد ذلك كلّه، حرصاً منه عليه السلام على نقاوة وسلامة الإسلام، وحفظ المسلمين، فوقف موقف الناصح الأمين للخليفة الجديد، شعوراً منه عليه السلام بالمسؤولية الكبيرة لأنه الأمين على سلامة الرسالة والأمة باعتباره الوصيّ الشرعي والخليفة الحقيقي.

لذلك نراه عليه السلام قد ساهم مساهمةً كبيرةً وبما وسعه من جهد، وأدّى ما عليه من تكليف في تعليم، وتفقيه، وقضاء، وتثقيف، بصورة أوسع من دوره في عهد أبي بكر، حيث اقتضت ضرورة المرحلة ذلك، لأن البلاد الإسلامية قد اتسعت مساحتها، وكبرت رقعتها، واستجدّت أحداث جديدة طارئة، كان الخليفة ومَن معه يعجزون عن حلّها، ولم يجدوا حلولاً لها البتة إلاّ عند الإمام المعصوم الذي عصمه اللهُ عن الذنب والخطأ وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ولذا كان عمر يقف متصاغراً أمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ويحترم آراءه، ويمضي أحكامه وقراراته، حتى روي لأكثر من مرّة وفي أكثر من موقف حرج وصعب للغاية، قوله: (لا أبقاني الله لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن)[1].

---

(١) أسد الغابة ٢٢/٤ وتهذيب التهذيب، ٢٩٦/٧ وتاريخ دمشق، ٣٩/٣، ح١٠٧١ والرياض النضرة، ١٩٧/٢ وكنز العمال، ٨٣٢/٥.

وقد روي أن عمر أراد أن يرجم امرأةً مجنونة اتّهمت بالزنا، فردّ الإمام علي عليه السلام قضاء عمر، وذكّره بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رُفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يعقل)) حينذاك قال عمر: ((لولا علي لهلك عمر))[١]. ومن هذا القبيل كثير.

ولقد روي عن أبي سعيد الخدري قال:

حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إني أعلم إنّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبّلك ما قبلتك ثم قبّله.

فقال له الإمام علي بن أبي طالب: بلي يا أمير المؤمنين إنه يضرُّ وينفع.

قال: بِمَ؟ قال: بكتاب الله عزّ وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢].

خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرّرهم بأنه الربُّ، وأنّهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق. وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه، فألقمه ذلك الرق، فقال: أشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهدُ لسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يؤتى يوم القيامة بالحجر

(١) ينابيع المودّة، ص٧٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد)) فهو يا أمير المؤمنين يضرّ وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قومٍ لستَ فيهم يا أبا الحسن[1].

وعن حذيفة بن اليمان قال:

إنه لقي عمر بن الخطاب فقال له عمر: كيف أصبحتَ يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟

أصبحتُ والله أكره الحقَّ، وأُحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق وأُصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر لقوله: وانصرف من فوره وقد أعجله أمر، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينما هو في الطريق إذ مرّ بعلي بن أبي طالب، فرأى الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألتهُ: كيف أصبحتَ؟

فقال: أصبحت أكره الحق. فقال: صدق يكرهُ الموت وهو حقّ.

فقال: يقول: وأحبُّ الفتنة، قال: صدق يُحبُّ المال والولد وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2].

فقال: يا علي: يقول: وأشهد بما لم أرهُ. فقال: صدق يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنّة والنار والصراط ولم يرَ ذلك كلّه.

---

(١) الجامع لشعب الإيمان، ٥٩٠/٧.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٥.

فقال: يا عليّ: وقد قال: إني أحفظ غير المخلوق، قال: صدق يحفظ كتاب الله تعالى القرآن وهو غير مخلوق.

قال: ويقول: أُصلّي على غير وضوء. فقال: صدق يصلي على ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة.

فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك، فقال: وما هو؟

قال: إنّه قال: إنّ لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال: يصدق لهُ زوجة وولد. فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب.

وقال الحافظ الكنجي: هذا ثابت عند أهل النقل، ذكره غير واحد من أهل السير[1]. ونكتفي بهذا القدر من موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام في النصح والتفهيم والتفسير والتعليم سواءً لعمر أو لغيره وإلاّ طال بنا المقام لأنه عليه السلام الخليفة الحق والمعصوم المسدّد، والامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة، والقرآن الناطق.

الإمام علي عليه السلام ومحنة الشورى:

مما لا شك فيه، أن الشورى كانت أشد فتنةً من السقيفة ومن البيعة الفلتة التي وقى اللهُ المسلمين شرّها - كما قال عمر - وأكثرها خطراً، حيثُ امتحنَ المسلمون فيها امتحاناً عسيراً ووقعوا في شرٍّ عظيم، وفتنٍ ومصاعب، وويلاتٍ وخطوب، أودت بالنهاية إلى قتل عثمان بن عفان، وفي البداية إلى إقصاء أمير

(١) نهاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص٢١٨ - ٢١٩.

المؤمنين علي عليه السلام عن حقّه الشرعي وإمامة الأمة التي فيها الصلاح والاصلاح، واستقامة أمور المسلمين في الدين والدنيا.

وعلى كل حال، يذكر لنا التاريخ أنه لما يئس عمر من حياته وأيقن برحيله عن الدنيا أثر الطعنات التي أصابته، قيل له: استخلف علينا، قال: والله لا أحملكم حياً وميتاً، ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني - يعني أبا بكر - وإن أدع فقد ودَع من هو خيرٌ مني - يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم -[١].

ثم أبدى أسفه وحسرته على بعض مَن شاركه مسيرته للخلافة فقال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته لأنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته لأنه شديد الحب لله، فقيل له: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً.

قال: قد كنت أجمعتُ بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى الإمام علي عليه السلام - ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنّة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصير تحته، فعلمت إنّ الله غالب أمره، ومتوّف عمر، فما أريد أن اتحمّلها حياً وميتاً عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم: إنّهم من أهل الجنة،

(١) الإمامة والسياسة، ص٤١. وللعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع... وقد عيّن خليفته مراراً ابتداءً من يوم الانذار لعشيرته الأقربين وفي غدير خم في حجة الوداع وحتى قبل أيام من وفاته في رزية الخميس.

وهم: علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه[١].

وأمرهم أن يُحبَس هؤلاء الستة حتى يولّوا أحدهم خلال أيام ثلاثة وأنْ يُضربَ عنق المخالف لاتفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف وأن يصلي صهيب بالناس ثلاثة أيام حتى تجتمع الأمة على خليفة، وطلب أن يحضر شيوخ الانصار وليس لهم من الأمر شيء[٢].

وحين اجتمع أعضاء الشورى لدى عمر، وجّه إليهم انتقادات لاذعة لا تدل على وضوح توجّه صحيح أو إرشاد إلى انتخاب يعين الأمة في أزمتها، فقال: والله ما يمنعني أن استخلفك يا سعد إلاّ شدّتك وغلظتك مع انك رجل حرب، وما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلاّ لأنك فرعون هذه الأمة، وما يمنعني منك يا زبير إلاّ انك مؤمن الرضا كافر الغضب، وما يمنعني من طلحة إلاّ نخوته وكبره، ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته، وما يمنعني منك يا عثمان إلاّ عصبيتك وحبّك قومك وأهلك وما يمنعني منك يا علي إلاّ حرصك عليها، وإنّك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم[٣].

نعم، إنّ الإمام علياً عليه السلام إن ولي الخلافة يقيم على الحق المبين والصراط المستقيم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ إنّه عليه السلام أُقصي عنها وسُلِب حقه الشرعي

(١) تاريخ الطبري، ٢٩٣/٣، ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التاريخ، ٦٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٢٩٤/٣، ط مؤسسة الأعلمي، طبقات ابن سعد، ٢٦١/٣، والإمامة والسياسة، ص٤٢ والكامل في التاريخ، ٦٨/٣.

(٣) الإمامة والسياسة، ص٤٣.

مرةً أخرى وفقاً لخطة مدروسة، ومكيدةٍ مدبّرة، لذلك ألمّ به الحزنُ والأسى لأنه يرى تراثه نهباً، وحقّه مصادر، والرسالة لم تكن في مسارها الصحيح الذي أوصى به النبي الأعظم ﷺ، وما إن خرج عليه السلام من عند عمر، حتى تلقّاه عمّه العباس فبادرهُ قائلاً عليه السلام:

((يا عمّ، لقد عُدِلَتْ عنّا، فقال العباس: مَن أعلمكَ بذلك؟ فقال علي عليه السلام: قُرنَ بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني))(١).

وصدق تفرّس الإمام عليه السلام فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبد الرحمن فقد رُوي أن سعداً وهب حقّه في الشورى لابن عمه عبد الرحمن ومال طلحة لعثمان فوهب له حقّه، ولم يبقَ إلاّ الزبير فتنازل عن حقّه لصالح الإمام عليه السلام، وهنا عرض عبد الرحمن أن يختار الإمام أو عثمان، فقال عمار:

إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع علياً، فردّ علي اُبي بن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان.

فتأكد التوجه غير السليم للخلافة وبدت اعراض الانحراف واضحة جلية تؤججها نار العصبية.

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/٢٢٦، ط مؤسسة الأعلمي.

فعرض عبد الرحمن بيعته بشرط السير على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسيرة الشيخين، فرفض الإمام سيرة الشيخين وقبلها عثمان فتمّت له البيعة فقال علي عليه السلام لعبد الرحمن:

((حبوته حبو دهره، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون))(١).

((والله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوتَ منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم))(٢).

ثم التفت عليه السلام إلى الناس ليوضّح لهم خطأهم المتكرر في الاستخلاف ورأيه في مصير الرسالة الإسلامية فقال عليه السلام:

((أيها الناس: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ووَاللَّهِ لأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ))(٣).

نعم، إنّ الإمام علياً هو الأحقّ بأمر الخلافة من غيره ولكنّه عليه السلام يقسم أن يتحمّل هذا الجور الواقع عليه خاصة ويكون مسالماً ما سلمت أمور المسلمين وبقيت الرسالة مصونة محفوظة بوجوده وهديه وتعليمه عليه السلام.

أجل، لقد دخل الإمام علي عليه السلام مع الخمسة أعضاء الشورى وهو يعلم بما ستؤول إليه، ليظهر التناقض الذي وقع فيه مَن قال: لا تجتمع الخلافة والنبوّة في

---

(١) تاريخ الطبري، ٢٩٧/٣، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٨٨/١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٧٤، ط صبحي الصالح.

بيتٍ واحد (بيت بني هاشم) ولكنّ الإمام عليه السلام الآن قد رُشّح للخلافة وقد أصبح سادساً لهم. وقد بيّن ذلك عليه السلام بقوله:

((ولكني أدخل معهم في الشورى لأن عمر قد أهلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ النبوة والإمامة لا تجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأظهر الناس مناقضة فعله لروايته))(١).

ومع كلّ ذلك وقف الإمام علي عليه السلام معيناً عثمان بن عفان سعياً منه أن يصلح الأمة ويعلّمها ويوجّهها ويحافظ على كيانها وتماسكها، وقد بذل النصيحة والهداية والتربية، ولم يدّخر وسعاً إلاّ وبذله يوضّح الحق ويرشد إليه، ويهدي السبيل الصحيح ويُدلّ عليه، ويعين الحاكم حين يعجز ويعلّمه إذا جهل، ويردعه حينما يطيش.

نعم، إن أمير المؤمنين عليه السلام رغم تظاهرهم عليه، وتظافر جهودهم وخططهم في إقصائه عن الخلافة وإبعاده عليه السلام عن حقّ الشرعي، إلاّ إنّه سلام الله عليه لم يقف موقف المعارض للخليفتين لمصلحة خاصة أو غاية شخصية وإنما وقف لصالح الدين والأمة والعقيدة الإسلامية الغرّاء، مبتعداً عن الرغبات والأهواء مستنداً على القرآن الكريم والسُنّة النبويّة الشريفة في كل مواقفه وقراراته وأحكامه ونصائحه، حريصاً على الموضوعية والرسالية فيما يتخذه عليه السلام من قرارات، ولا شك في ذلك البتّة، لأنه الراعي لشؤون الرسالة والأمة بعد انتقال

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١/١٨٦.

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، لكي تبقى الرسالة نقيّةً ولا يشوبها شيء يحيد بها عما نزلت من أجله.

أجل، أن أمير المؤمنين عليه السلام يرى أن دوره دور المربّي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأمة لذلك التزم بالقرآن والسنة لأنهما أصل العقيدة الحقّة، والبعيدان عن كل أنواع التناقض والتفاوت والتهافت، ورفض البيعة بشرط سيرة الشيخين أو أن يسير بهذه السيرة ثم يخالفهما كما فعل غيره فالإمام عليه السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحيد عمّا جاءت به الرسالة قيد أنملة وهو عليه السلام ملزم بتطبيقها في الوجود الواقع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يأخذه في ذلك لومة لائم أو مقولة حاقد أو جاهل، وهدف الإمام عليه السلام وغايته دوماً وأبداً أنه يحملُ الأمة على النهج القويم والمحجّة البيضاء.

حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافة:

روي أن حواراً وقع بين عمر وابن عباس في شأن الخلافة.

قال عمر: أما والله، إنّ صاحبك لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله، إلاّ إننا خفناه على اثنتين، قال ابن عباس: فما هي يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: خفناه على حداثة سنّه، وحبّه بني عبد المطلب.

وفي بعض مجالس عمر بن الخطاب وقد جلس إليه نفر منهم عبد الله بن عباس فقال له عمر: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟

قال ابن عباس: لا يا أمير المؤمنين.

قال عمر: لكنّني أدري، قال ابن عباس: فما هو؟

قال عمر: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفاً فنظرت لأنفسها فاختارت، ووفقت فأصابت.

فردّ عليه ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عنّي غضبه؟ فأمّنه عمر قائلاً: قل ما تشاء. فقال ابن عباس:

أما قولك: إنّ قريشاً كرهت... فإن الله تعالى قال لقومٍ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(١) وأما قولك: إنا كنا نجحف... فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا من خلق رسول الله ﷺ الذي قال ربّه فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، وقال له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣). وأما قولك: إن قريشاً اختارت... فإن الله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾(٤). وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش حيث نظر الله لوفّقت وأصابت.

فتفكّر عمر هنيئة ثم قال: (وقد آذاهُ من ابن عباس هذا الحديث الصريح) على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلاّ غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

---

(١) سورة محمد: الآية ٩.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٦٨.

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فهي من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طهّره وزكّاه، وانهم لأهل البيت الذين قال لهم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

ثم قال ابن عباس، وأما الحقد فكيف لا يحقد من غُصب شيئه ويراهُ في يد غيره؟ فغضب عمر وصاح - وقد حضره في هذه الآونة أمر كان يكتمه - ما أنت يا ابن عباس ! إن قد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال ابن عباس: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يكُ باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإنّ منزلتي عندك لا تزول به.

قال عمر: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر مناً حسداً وظلماً.

فلم ينكص ابن عباس ولم يتزحزح عن مواطئ قدميه، بل قال: نعم حسداً وقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، ونعم ظلماً وإنك لتعلم يا أمير المؤمنين صاحب الحق مَن هو.. يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحقّ رسول الله واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله؟ فنحنُ أحقّ برسول الله من سائر قريش وغيرها.

فقال عمر: إليكَ عنّي يا ابن عباس، فلما رآه عمر قائماً يريد أن يبرح خشي أن يكون قد أساء إليه فأسرع يقول متلطفاً به: أيها المنصرف ! إني على ما كان منك لراعٍ حقك.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

فالتفت إليه ابن عباس وهو يقول ولم يزايله حدّه: إني عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله، فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ، ومَن أضاعه فحقّ نفسه أضاع[1].

نعم، إن عمر ليعلم أن صاحب الحق هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما قال ابن عباس له ذلك ولكنّ هذا الحق أُقصي عنه عليه السلام حسداً وظلماً ولقد حسد إبليس آدم عليه السلام فأخرجه من الجنّة وبذلك ظلمه، وقد حسد أقطاب السقيفة أمير المؤمنين علياً عليه السلام فأقصوه عن الخلافة وأبعدوه عن حقّه الشرعي المقرّر إلهياً ونبوياً وبذلك ظلموه وخالفوا، (فصبرٌ جميل والله المستعان على ما يصفون). ويعملون، وهذا هو حال أمير المؤمنين حرصاً منه على الإسلام والمسلمين.

أجل، إنّ الصبر والحكمة وتغليب المصلحة العامة على الخاصّة لم يفارق أمير المؤمنين عليه السلام لأنه الحريص على الرسالة والأمة والراعي لشؤونهما في غياب الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وقد بذل قصارى جهده لصالح الدين وعموم المسلمين والعقيدة، وقد وصل به الحال عليه السلام أن يدخل في الشورى وهو يعلم ما ستؤول إليه هذه الشورى - ولكن لحاجةٍ في نفس يعقوب قضاها -.

ليكشف الزيف والتناقض وعدم الدقّة والموضوعية والجزافية فيها لأنها لم تكن إلاّ ترشيح فرد لجماعة عددهم ستة لم تشترك القواعد الشعبية في

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/٢٨٩ و ٢٩٠، ط مؤسسة الأعلمي.

ترشيحهم وانتخابهم، فهم لا يمثّلون إلاّ أنفسهم وأفكارهم المتنافرة. وبالفعل قد نشب الخلاف فيما بينهم من بعد الشورى ممّا فرّق شمل المسلمين[١].

والواقع، إنّ اختيار العناصر الستة يبدو ميتاً بحيث يصل الأمر إلى عثمان باحتمالية أكبر من وصولها إلى الإمام علي عليه السلام وهو العنصر المؤهل من الله ورسوله لخلافة الأمة، فترشيح طلحة هو إثارة وتأكيد لأحقادهم تيم، لأن الإمام نافس وعارض أبا بكر في خلافته وها هو الآن ينافس مرشّحها الجديد طلحة، وترشيحه لعثمان تأكيد منه على أحقاد أُميّة وإثارة نزعة السلطان والوجاهة لديها، وأما ترشيحه لعبد الرحمن وسعد فهو فتح جبهة سياسية جديدة منافسة للإمام علي عليه السلام فهما من بني زهرة ولهما نسب أيضاً مع بني أمية، فسوف يكون ميلهما لصالح عثمان لو تنافس مع الإمام عليه السلام[٢].

وعلى الرغم من كل هذه المحن والآلام التي تجرّعها الإمام عليه السلام وهو يرى تراثه نهباً، وحقّه مضيّعاً، إلاّ إنه بقى وفياً لهذه الأمة ولم يبخل عليها بالنصيحة والهداية والتربية، وحريصاً على الرسالة والعقيدة الإسلامية من أن يشوبها شيء غريب عنها يحيد بها عمّا نزلت من أجله، ومعيناً للحاكم الجديد في المهمات والشدائد، والمستجدات من مصاعب الأمور، وعظائم الأحداث والقضايا، لكي يبقى الإسلام محفوظاً قوياً، ومسيرة الدولة الإسلامية متواصلة الخطى ولم تتوقف، ويحسب لها الأعداء ألف حساب ويرهبوها، ولم يتعدّوا حدودهم.

(١) أنساب الأشراف، ٥/٥٧ وتذكرة الخواص، ص٥٧، والنصّ والاجتهاد، ص١٦٨.

(٢) انظر: أعلام الهداية، ج٢، ص١٥٦ - ١٥٧.

ثالثاً: الإمام علي عليه السلام في عهد عثمان بن عفان:

لقد اُستخلفَ عثمان بن عفان في شهر ذي الحجة سنة ٢٣هـ بعد قبوله بما عرضه صهره عبد الرحمن بن عوف وبما شرط من السير على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين التي رفضها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(وقد قال عمر قبل موته لأهل الشورى: إنْ اختلفتم فكونوا مع الذي معه عبد الرحمن بن عوف)[1].

ولما بايع ابن عوف عثمان قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليّت عثمان إلاّ ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن))[2] ثم خاطب أهل الشورى عليه السلام بما يلي:

قولُ الإمام علي عليه السلام لأهل الشورى:

ثم قال: نشدتكم بالله أيها النفر ! هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ساق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربّ العالمين هدياً فأشركه فيه، غيري؟! قالوا: اللهم لا.

---

(١) تاريخ ابي الفداء، ٣٣٢/١.

(٢) المصدر السابق.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله بطير يأكل منه، فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجئته، فقال: اللهم وإلى رسولك... وإلى رسولك ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ راية رسول الله صلى الله عليه وآله منهزماً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً ليس بفرّار يُحبّه الله ورسوله ويُحبّ اللهَ ورسولَه ولا يرجع حتى يفتح اللهُ عليه، فلما أصبح قال: ادوا لي علياً، فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله: هو أرمد ما يطرف. فقال: جيئوني، فلما قمتُ بين يديه تفل في عيني وقال: اذهب عنه الحرّ والبرد، فأذهب اللهُ عني الحر والبرد إلى ساعتي هذه، وأخذتُ الراية فهزم اللهُ المشركين وأظفرني بهم ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له اخ مثل أخي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنّة يحلّ فيها حيث يشاء ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له عمّ مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدي شباب أهل الجنة غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعة منه وسيدة نساء أهل الجنة ! غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لينتهينّ بنو وليعة[1] أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي طاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: ما من مسلم وصل إلى قلبه حُبّي إلاّ كفّر اللهُ عنه ذنوبه، ومَن وصل حُبّي إلى قلبه فقد حبك إلى قلبه، وكذب من زعم أنه يحبّني ويبغضك غيري؟! قالوا: اللهم لا.

أقول: إذا كانت فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه وأكثر، ولا يوجب في الخلق مَن يملكُ واحدةً منها البتّة فكيف يؤخّر ويُقدّم عليه غيره؟ أهذا هو الإنصاف؟!

الإمام علي عليه السلام يصف عهد عثمان:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام واصفاً عهد عثمان في خطبته الشقشقية:

... ((إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِه ومُعْتَلَفِه وقَامَ مَعَه بَنُو أَبِيه يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّه خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْه فَتْلُه وأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُه وكَبَتْ بِه بِطْنَتُه))[2].

لم يكن عثمان سياسياً كأبي بكر وعمر يدير شؤونه بما تقتضيه الظروف وعمق السياسة والدقّة، فما إن فرضه ابن عوف خليفة للمسلمين وجاؤوا به

---

(١) قال في القاموس، ٩٣/٣: وبنو وليعة – كسفينة – هي من كندة. انظر: سيرة الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص١٦٢.

(٢) نهج البلاغة من الخطبة الشقشقية.

يزفّونه إلى مسجد رسول الله ﷺ ليعلن سياسة حكومته الجديدة وما أعدّ من مواقف لمستجدات الأمور، صعد على المنبر فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ ولم يجلس فيه أبو بكر ولا عمر، إذ كان أبو بكر يجلس دونه بمرقاة وعمر كان يجلس دونه أيضاً بمرقاة، وتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ[١].

ولم يستطع أن يتكلّم فقال:

أما بعد فإن أول مركب صعب، وما كنّا خطباء، وسيعلم الله وإنّ امرئاً ليس بينه وبين آدم إلاّ أب ميت لموعوظ[٢].

وقال اليعقوبي في تاريخه:

فقام ملياً لا يتكلّم ثم قال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق الخطب وإن تعيشوا فسيأتيكم الخطب، ثُمّ نزل[٣].

استهلّ عثمان أعماله بأمور جعلت عامة المسلمين ينقمون عليه سوى أفراد عشيرته - بني أُميّة - فقد جاهر بقبيلته وأظهر ميله لقومه معلناً أمويّته، فأخذ يسوّدهم ويرفعهم فوق رقاب الناس، فوزّع مناصب الولاية على بني أمية وسلّم إليهم مقاليد الأمور يعبثون بلا رادع لهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٦٣/٢ والبداية والنهاية، ١٦٦/٧ وتاريخ الخلفاء، ص١٦٢.

(٢) راجع الموفقيات، ٢/٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ١٦٣/٢.

وقد تجاوز عثمان حدود سياسة سلطة العشيرة التي رسمها أبو بكر وعمر، وحصر المناصب والمهام الرسمية ضمن دائرة ضيّقة هي بني أُميّة.

ولم يعبأ بنصح وتحذير الصحابة وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ عثمان وصل إلى الحكم وقد استفحل التوجّه القبلي في مقابل النهج الصحيح للحكومة الإسلامية وقد ضعف دور العناصر الصالحة في تغيير سياسة الحاكم مباشرةً(١).

وكنتيجة طبيعية لهذا التوجّه، بالإضافة إلى إبعاد أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الحكم، والاعتماد على الآراء والاجتهادات الشخصية ظهر تيار معادٍ لخط أهل البيت عليهم السلام وقد كان له الأثر الكبير في الانحراف وعدم انصياع الحاكم الجديد للنصح وأوامر المعروف والنهي عن المنكر..

فهذا أبو سفيان بعد بيعة عثمان يجهر بآرائه ويصرّح علناً بما يدور في نفسه بالقول والفعل، حيث أنه بعد أن تمّت بيعة عثمان أقبل إلى دار عثمان بن عفان، وصرّح بأمور خطيرة مرفوضة إسلامياً جملةً وتفصيلاً.

أبو سفيان في دار عثمان بن عفان:

لقد حضر أبو سفيان في دار عثمان بعد البيعة وقد غصّت بأهله وأعوانه تسودهم نشوة النصر والفوز بالحكم وقد بدت على ملامحه علامات الفرح والسرور تعلو شدقه بسمة حقود شامت، ففي الأُفق تلوح بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ كبرياءهم الإسلام، فأدار وجهه يميناً وشمالاً قائلاً للحاضرين المجتمعين في دار عثمان أفيكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي فقال: يا بني اُميّة

---

(١) راجع أعلام الهداية، ج٢، ص١٦٤.

! تلقّفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار ولا حساب ولا عقاب... ولقد كنت أرجوها لكم وتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[1].

ثم سار إلى قبر سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، فوقف على القبر وركله برجله وقال: يا أبا عمارة ! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعّبون به[2].

وكم هم على شاكلة أبي سفيان الذي ينكر الجنّة والنار والحساب والعقاب ومبادئ الإسلام من المنافقين والطلقاء وذوي المصالح قد تجمّعوا وشكّلوا تياراً خطيراً معادياً لخط أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين؟! كيف لا يقوى الانحراف، وتظهر البدع، وينتشر الجهل بمفاهيم الإسلام وأحكامه؟!

نعم لقد قوي هذا التيار المعادي لخط أهل البيت عليهم السلام في هذا الوقت من الزمن واشتدّ ساعده فأستشرى الفساد والانحراف كنتيجة طبيعية لهذا التوجّه الخطير، ودبّ في أجهزة الدولة بصورة مكشوفة وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي.

ولكنّ الإمام علياً عليه السلام لم يقف مكتوف الأيدي بل سارع معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية ووقف معه الصحابة الأجلاّء أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر وآخرون وحتى قسم من عامة الناس لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته.

---

(١) مروج الذهب، ٤٤٠/١.

(٢) راجع: الغدير، ٣٧٨/٨، والاستيعاب، ٦٩٠/٢ وتاريخ ابن عساكر، ٤٠٧/٦ والأغاني، ٣٣٥/٦.

وموقف الإمام عليه السلام نابع من كونه الممثل الشرعي للأمة وصاحب الحق في الخلافة والقائد لتيار المعارضة الذي يضمُّ أجلاّء الصحابة والذي يؤمن بالله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسعى إلى الصلاح والإصلاح ونشر الخير والعدل في الرعيّة، وكونه أيضاً عليه السلام مسؤولاً عن المبدأ الذي ورثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراقب والمحافظ للعقيدة الإسلامية الغرّاء الحقيقية الواقعية التي تدعو إلى الخير والحق، وتحقيق الانصاف والمساواة والاستقامة في الأمة. وتنفيذ كلمة الله تعالى في الأرض.

موقف الإمام علي عليه السلام في عهد عثمان:

لقد ورد في التاريخ أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد تعايش مع أبي بكر وعمر ولم يظهر معارضته العلنية القوية حرصاً منه عليه السلام على سلامة الدين والأمة، ولكنه عليه السلام كان يتدخّل في أحيان كثيرة لإصلاح موقف الخليفة الخاطئ فيستجيب له، لأنه الناصح والعارف بالحقّ، وإنّ الحق يدور معه حيثما دار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك.

أما في عهد عثمان فقد أصبح الانحراف خطيراً والفساد كثيراً وظهر واضحاً وعلنياً في الدولة والمجتمع، لأن عثمان قد تربّع على سدّة الحكم وقد تجاوز السبعين من عمره، وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبّهم وايثارهم إلى درجة أنه كان يميّزهم ويفضّلهم على كل شريف وكفوء، وقد روي عنه أنه قال: لو أنّ مفاتيح الجنّة بيدي لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم. وقد عاش مترفاً في الإسلام وقبله بعيداً عن الفقر والفقراء والمحرومين.

(فلم يكن ليتحسّس آلامهم ومعاناتهم فكانت شخصيته مزدوجة في التعامل مع الجماهير المحرومة التي تطالبه بالعدل والسويّة، فيعاملها بالشدّة والقسوة، كما في تعامله مع عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر وغيرهم).

وقد أدنى أقرباءه وقلّدهم أمور الدولة والأمة، فاستعمل الوليد بن عقبة ابن أبي معيط على الكوفة وهو ممّن اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أهل النار، وعبد الله بن أبي سرح على مصر، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام، وعبد الله بن عامر على البصرة، وصرف الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاّها سعيد بن العاص[1].

وكان عثمان ضعيفاً أمام مروان بن الحكم يسمع كلامه وينفّذ رغباته حتى أنه عندما تألّبت الأمصار على عثمان وتأزّمت الأوضاع، تدخّل الإمام عليه السلام ليهدّئ الحالة ويرجع الثائرين - الذين جاؤوا يطالبون بإصلاح السياسة الإدارية والمالية وتبديل الولاة - إلى بلدانهم، وأخذ من عثمان شرطاً أن لا يطيع مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.

ولكنّ بمجرد أن هدأت الأوضاع، عاد مروان وحرّض عثمان على أن يخرج وينال من الثوار، فخرج إليه الإمام علي عليه السلام مغضباً فقال:

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٤٥/٣، ط مؤسسة الأعلمي، تاريخ اليعقوبي، ١٦٠/٢. أنساب الأشراف للبلاذري، ٤٩/٥، وحلية الأولياء، ١٥٦/١، وشيخ المضيرة أبو هريرة، ص١٦٦، والغدير، ٢٣٨/٨، والنص والاجتهاد، ص٣٩٩.

((أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به، واللهِ ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه))[1].

وفي موقف آخر مع الوليد بن عقبة أن الخليفة عثمان غضب على الشهود الذين شهدوا على الوليد بشربه الخمر ودفعهم، وهنا تدخّل الإمام عليه السلام وهدّد عثمان من عواقب الأمور، فأمره الإمام عليه السلام باستدعاء الوليد ومحاكمته وإقامة الحدّ عليه، وحين أحضر الوليد وثبتت عليه شهادة الشهود، أقام الإمام عليه السلام عليه الحدّ مما أغضب عثمان، فقال للإمام: ليس لكَ أن تفعل به هذا، فأجابه الإمام، بمنطق الحق والشرع قائلاً:

((بل وشرّ من هذا إذا فسق ومنع حقّ الله أن يؤخَذ منهُ))[2].

وأما سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقية وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلاّ أنها كانت أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بني أمية ثراءً فاحشاً، وحين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكّتنا عنك فأسكت، فقال: والله ما أنا لكَ بخازن ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن للمسلمين، وجاء يوم

---

(١) الطبري، ٣٩٧/٣، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) مروج الذهب، ٢٢٥/٢.

الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيها الناس: زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها(١).

وبناءً على ما تقدّم وأمور أخرى نقم المسلمون على عثمان وتصلّب خيار الصحابة في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة وجهازه الحاكم، إلاّ إنّ عثمان لم يلجأ إلى الحكمة في معالجة الأمور بل راح ينكّل بالمعارضين والمندّدين بسياسته المنحرفة وبالغ في ذلك دون أن يرعوي لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأجلاء، فمن ذلك أن أبا ذر الصحابي الجليل أكثر من اعتراضه على سياسة عثمان ومساوئه، فسيّره إلى الشام إلاّ إنّ معاوية لم يطق وجوده فأرجعه إلى المدينة المنوّرة ولم يسكت أبو ذر بل استمر في جهاده العظيم وإنكاره للسياسة الأموية الجائرة، فضاق عثمان به ذرعاً فنفاه إلى الربذة - تلك الصحراء الجرداء - ومنع من توديعه والسلام عليه (رض).

إلاّ إن الإمام علياً عليه السلام لم يعبأ بعثمان وسياسته الظالمة التي طالت الخيّرين والأجلاّء من الصحابة فخفّ لتوديع أبي ذر ومعه الحسنان وعقيل وعبد الله بن جعفل، فأعترضهم مروان بن الحكم ليردّهم، فثار الإمام علي عليه السلام فحمل على مروان، وضرب أُذني دابته وصاح به تنحّ نحّاك اللهُ إلى النار(٢).

ووثق الإمام علي عليه السلام مودّعاً أبا ذر فقال له: ((يا أبا ذر ! إنّك غضبتَ لله فأرجُ من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفّتهم على دينك، فاترك

(١) الطبقات لابن سعد، ٣٨٨/٥ وتاريخ اليعقوبي، ١٥٣/٢ وأنساب الأشراف، ٥٨/٥ والمعارف لابن قتيبة، ص٨٤ وشيخ المغيرة أبو هريرة، ص١٦٩ والغدير، ٢٧٦/٨.

(٢) مروج الذهب، ٣٥٠/٢.

في أيديهم ما خافوك عليه، وأهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ! وما أغناك مما منعوك ! وستعلم مَن الرابح غداً والأكثر حسداً !))[1].

فلمّا رجع علي عليه السلام من توديع أبي ذر، استقبله الناس فقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان، فقال علي عليه السلام: ((غضب الخيل على اللجم)).

نعم إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام يبجّل صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأجلاّء، ويقدّر جهودهم وتضحياتهم العظيمة من أجل الرسول والرسالة، ويحترمهم بما يتناسب وقدرهم وحجمهم الرسالي والجهادي، ولم يعبأ بغضب عثمان أو غيره عليه لأن غايته رضا الله وهدفه تجسيد خُلُق ومبادئ الإسلام في الأرض، فمن يكون عثمان أو غيره؟!

خصوصاً وإنّ عثمان قد اتّبع سياسةً أشعلت نار الفتن في أطراف البلاد الإسلامية وقد سرت إلى الداخل وأودت بالنهاية إلى قتله، حيث أنها ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية فعطّلت الحدود، وأشاعت الفساد، وتهاونت في محاسبة المسؤولين المنحرفين، وأشاعت الفوضى مما شجّع التمرّد على القانون، وإشاعة الفوضى في السلوك الاجتماعي. ((وكان من مظاهر الفساد شيوع الاستهتار والاستخفاف بالقيم والأحكام الإسلامية فتجد أن بيوت الولاة والشخصيات المتنفذة تعجُّ بحفلات الغناء ومجالس الخمرة))[2].

وقد شجّعت هذه السياسة العقيمة على تقوية روح العصبية القبلية التي أدت إلى بروز سلطة بني اُميّة كأسرة ظالمة لها سلطتها المطلقة على البلاد والعباد

---

(١) شرح النهج، ٥٤/٣، كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز، وأعيان الشيعة، ٣٣٦/٣.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ١٧٩/٧.

رغم أنها لا تستند إلى أساس شرعي، وغدت هذه الأسرة تشكّل جبهةً سياسية قوية لها توجّهها المناوئ للإسلام وخصوصاً لخط أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصبحت فيما بعد العقبة الكأداء أمام حكم أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث التفت وتكتلت حول معاوية بن أبي سفيان حينما أعلن عصيانه اللاشرعي في مواجهة الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المنصوص عليه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والُمبايع من قبل الأمة الإسلامية.

أجل إن السياسة التي اتّبعتها حكومة عثمان قد اعتبرت أن الحكم موهوب لهم وهو حقّهم وحدهم ولا يحقُّ لغيرهم انتزاعه منهم، فاتخذوه وسيلةً لاشباع رغباتهم المنحرفة وشهواتهم الشيطانية، ولم تجعل من الحكم وسيلةً للإصلاح الاجتماعي ونشر الرسالة الإسلامية في بقاع الأرض[١] مما شجّع الكثيرين في الاحتيال والتسابق من أجل الوصول إلى سدّة الحكم للتمتّع بالسلطة والجاه وملاذ الحياة المادية، فهذا عمرو بن العاص ومعاوية، وذلك طلحة والزبير لم يكونوا ينشدون من التربّع على كرسي الحكم أهدافاً إنسانية أو اجتماعية أو إسلامية حقيقية تعود بالمصلحة والفائدة على الأمة قط.

أضف إلى ذلك أن تلك السياسة قد خلقت طبقةً كبيرةً من الأثرياء[٢] تقف سداً منيعاً أمام أيّ حكومة جديدة تطالب بتطبيق الإسلام الحقيقي الذي يجسّد العدل والمساواة في الأمة، مما أدّى إلى تحرّك المسلمين الفقراء والمحرومين والمخلصين للمطالبة بالقوّة في إصلاح الوضع القائم وتطويره مالياً واقتصادياً

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٦٤/٣ وتاريخ الطبري، ٣٤١/٥ - ٣٤٦.

(٢) مروج الذهب، ٣٤٢/٢.

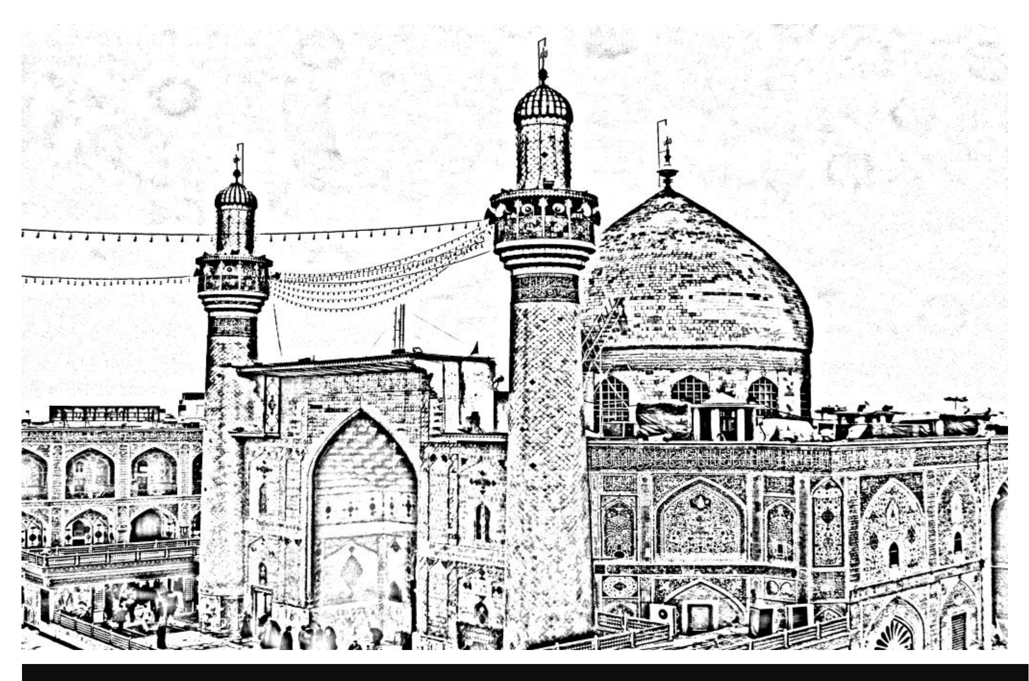
وإنسانياً، وتنظيم الدخل الفردي وحركة أبي ذر (رض) تجاه الفساد المالي والظلم خير شاهد على تفشّي الفقر والحرمان في أوساط الأمة الإسلامية الواسعة.

ومماّ لا شك فيه، إن انتهاج حكومة عثمان سياسة العنف والقوّة والقسوة في التعامل مع الصحابة الأجلاّء والمعترضين الشرفاء، والمحرومين والفقراء، وإهانتهم قد ولّد ردّة فعل عنيفة ضد النظام القائم والثورة عليه بقوّة السيف، وقد كان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات النظر المختلفة والمتعاكسة، فعمل السيف عمله في أفراد المجتمع الإسلامي وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أمية ومَن والاهم على محاربة الحق ورغبة الأمة في الإصلاح والتغيير.

وكنتيجة لهذا الانقسام في الأمة والاختلاف في توجّهاتها السياسية وكل فرقة تريد الاستحواذ على السلطة والانفراد بها دون غيرها قد فسح المجال كثيراً أمام النفعيين وذوي المصالح الشخصية في الوصول إلى الحكم بقوّة السيف.

نعم، لقد خلّف مقتل عثمان فتنةً يتأجج أوارها، وتضطرم نارها كلّ حين، وأصبح قميصه شعاراً وعلماً يرفعه الخارجون على القانون والبيعة والطاعة كمعاوية وطلحة والزبير وغيرهم لإثارة المشاكل والحروب تجاه الحكومة الشرعية الجماهيرية بزعامة أخي رسول الله ﷺ وأبي السبطين وزوج البتول الطاهرة فاطمة الزهراء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى سالت دماء المسلمين غزيرة، وظهرت ثقافات كثيرة، مشبوهة وخطيرة، يحرّكها المجرمون، ويستغلها النفعيون والحاقدون ويعمل بها الجاهلون وذوو المصالح الشخصية من

الأمة من أجل إدامة سلطانهم اللاشرعي الذي تحوّل إلى ملك متوارث، يعبث به العابثون الذين ملأوا الأرض فساداً وأهلكوا الحرث والنسل.



الباب السادس

بيعة الأمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام

الفصل الأول:

الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان وبيعته وملامح من حكومته عليه السلام

الفصل الثاني:

موقف الإمام علي عليه السلام من الناكثين

الفصل الثالث:

موقف الإمام علي عليه السلام من القاسطين

الفصل الرابع:

موقف الإمام علي عليه السلام من المارقين

الفصل الأول

الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان وبيعته وملامح من حكومته عليه السلام

لقد سادت الفوضى أرجاء المدينة المنورة بعد مقتل عثمان من قبل المسلمين الثائرين عليه، والناقمين على سياسته وإدارته في الحكم وبيت المال، والمؤثِرة لبني أُميّة على مَن سواهم في مقاليد أمور الدولة والعطاء، فاتجهت الأنظار والآراء إلى الإمام علي عليه السلام لينقذ الأمة من محنتها وتخبّطها، ويعيد الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أهلها، والرسالة إلى مسيرتها، والحياة الى استقامتها، والعدل إلى مكانه.

ولم يتجرأ أحدٌ من الناس أن يدّعي أحقيته بالخلافة التي تكتنف طريقها المشاكل المستعصية والتوجّهات السياسية الخطيرة، كما أن الظرف السياسي آنذاك لم يمهل عثمان أن يتّخذ قراراً بشأن الخلافة كما اتخذ صاحباه من قبل، ولم يكن الموجود من أصحاب الشورى يملك مؤهلات الخلافة أصلاً، فكيف وقد تعقّدت الأمور، وتدهور وضع الدولة وكيانها، ودبّ الانقسام والاختلاف في الأمة، فلابد أن يتزعّم الأمة قائد منقذ يملك القدرة للنهوض بالأمة إلى مكانها اللائق بها، وقيادتها لإجتياز الأزمة التي ألّمت بها، وصيانتها من التشرذم والضياع، ولم يكن من شخص كفوء وقدير وجريء إلاّ أمير المؤمنين علي عليه السلام راعيها وسيّدها ومنقذها وخليفتها.

نعم، لقد تحرّكت الجماهير المسلمة والمؤمنة بإصرارٍ ورغبة صادقة في هذا الظرف العصيب من الزمن نحو أمير المؤمنين علي عليه السلام لتضغط عليه بقوة لكي يقبل ما ترغب فيه وتروم إليه ألا وهو قيادتها وأن يكون الخليفة عليها، ولكن

الإمام علياً عليه السلام استقبل الجماهير الراغبة والمندفعة بوجومٍ وتردّد، لأنه عليه السلام قد حُرِمَ منها ظلماً وحسداً وحقداً وهو صاحبها الشرعي والحقيقي، والآن وقد جاءته بعد أن امتلأت الساحةُ انحرافاً والأمة تردّياً، والأوضاع تعقيداً، وتجذّرت فيها مشاكل تستعصي دون النجاح في المسيرة.

فقال لهم عليه السلام: ((لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمَن اخترتم رضيت به فأختاروا))[1]. وقال عليه السلام: ((لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً))[2].

وأوضح لهم الإمام علي عليه السلام عما سيجري ويحدث فقال: ((أيها الناس: فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ...))[3].

وأما إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم عليه السلام: ((أنّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ... وإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ولَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ))[4].

وتكاثرت جموع الناس نحو الإمام وقد وصف عليه السلام توجّههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافة بقوله: ((فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ

(١) تاريخ الطبري، ٣/٤٥٠، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة، الكلمة ٩٢.

(٤) نهج البلاغة، الكلمة ٩٢.

مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ))(١).

والواقع أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن طامعاً في السلطان أو حريصاً عليه وإنما كان حرصه الشديد أن ينقذ ما بقي من الأمة وأن يحافظ على العقيدة الإسلامية والشريعة نقيّةً من الشوائب والانحراف والبدع، فقبل أن يسوس الأمة ويتولّى أمر الخلافة ولكنّه أخّر القبول إلى اليوم الثاني، وأن تكون بيعة الجماهير علنية في المسجد، رافضاً بذلك أسلوب بيعة السقيفة والتوصية والشورى، وفي الوقت ذاته ليعطي الأمة فرصةً أخرى كي تمتحن عواطفها وقرارها في الخضوع له، فقد ضيّعت فيما سبق نصوص النبي صلى الله عليه وآله على خلافته فانحرفت، ومن هنا قال عليه السلام:

((والله ما تقدّمت عليها - أي الخلافة - إلاّ خوفاً من أن ينزو على الأمة تيسٌ علج من بني أمية فيلعب بكتاب الله عزّ وجل))(٢).

أجل، إن الإمام عليه السلام لم يتقدّم على الخلافة إلاّ لأنه عليه السلام يدرك خطورة الموقف من نفوذ بني أمية في مراكز الدولة وطمعهم الشديد للسلطان والتحكّم في رقاب الناس في حالةٍ من غياب الوعي والفهم الرسالي في المجتمع، ويعلم عليه السلام إنّ مجيء تيس علج من بني أمية سيلعب بكتاب الله ويبدّل الأحكام ويغيّر السُنّة، ويغدر ويفجر ويتصرف كما يحلو له ذلك ويشاء دون خوفٍ من الله أو وازعٍ من ضمير، أو شعور بالمسؤولية، أو حياء من الله والمؤمنين المخلصين... ومعاوية ونغله يزيد ومروان خير شاهد على ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية.

(٢) أنساب الأشراف، ١، ق١/١٥٧.

وما إن أقبل فجرٌ جديد وحلّ الصباح حتى حفّت الجموع المسلمة بالإمام علي عليه السلام تسير نحو المسجد، فأعتلى عليه السلام المنبر وخاطب الجموع المحتشدة بقوله:

((يا أيها الناس: إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقّ إلاّ مَن أمّرتُم، وقد افترقنا بالأمس وكنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدتُ لكم، وإلاّ فلا آخذ على أحد...)).

فهتف المسلمون المجتمعون بصوت واحد وهم كثيرٌ جداً: نحنُ على ما فارقناك عليه بالأمس... وقالوا نبايعك على كتاب الله، فقال عليه السلام: ((اللهم إشهد عليهم))[1].

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة، فكان أول مَن بايع طلحة بيده الشلاّء والذي سرعان ما نكث بها عهد الله وميثاقه، وجاء بعده الزبير فبايع، ثمّ بايعه أهالي الأمصار وعامّة الناس من أهل بدر والمهاجرين والأنصار عامّة.

والحقيقة، إنّ بيعة الإمام هذه كانت أول حركة انتخاب حقيقية وجماهيرية ولم يحضَ خليفة من الخلفاء بمثلها قط، وقد عمّ الناس السرور والابتهاج ببيعتهم لأمير المؤمنين عليه السلام أقصاهُ، لأن حكومة الحقّ والعدل، والانصاف والمساواة، قد أطلّت عليهم، وتقلّد الخلافة صاحبها الشرعي المنصوص عليه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله والمبايع يوم غدير خم، والامتداد الطبيعي لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله والناصر الحقيقي للمستضعفين والمحرومين والمظلومين.

(١) أنساب الأشراف، ٥/٢٢.

نعم، لقد فرحت الأمة فرحاً لا نظير له بقبول الإمام علي عليه السلام للخلافة كما وصف هو عليه السلام ذلك بقوله: ((وبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ))[1].

بيعة الإمام علي عليه السلام على كتاب الله:

لقد هتفت الجماهير مخاطبةً أمير المؤمنين عليه السلام: نبايعك على كتاب الله، فقال عليه السلام: ((اللهم إشهد عليهم))، نعم، لقد بايع المسلمون أمير المؤمنين علياً عليه السلام بيعةً علنيةً واضحة المعالم في المسجد على اُسس شرعية لا لبس فيها وليس عليها غبار، وبذلك حكم الجميع على كلّ بيعةٍ لم تكن هكذا فهي بيعة فاقدة للمعايير الشرعية والأُسس الصحيحة ومبادئ الحق والحرية، خصوصاً وهي بيعة على كتاب الله الكريم وليست على سيرة أحدٍ من الناس كما كان معمولاً به من قبل، كشرطٍ أساس في الانتخاب وتعيين الخليفة.

والحقيقة، إنّ كتاب الله تعالى وسيرة المعصوم هما وجهان لعملةٍ واحدة لا فرق بينهما البتة، فهما حكمٌ واحد، وكلُّ سيرةٍ أو حكم لا يتّحد معهما أو يختلف عنهما فهو زخرف وباطل قطعاً، لأنّهما الأساس والحق والشرع، ومن هنا أصبحت سُنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار المعصومين سلام الله عليهم أجمعين يجب العمل بها لأنها العدل الثاني والقرآن الناطق كما هو المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) نهج البلاغة.

وعلى الرغم من إنّ البيعة للإمام علي عليه السلام كانت على كتاب الله تبارك وتعالى إلاّ إنّ بعضاً من الناس تخلّف عنها أو نكثها لسوء سريرته وضعف يقينه وقلّة إيمانه ووعيه، أو لأنه أضمر في نفسه الحقد والحسد.

والواقع، إنّ الكل يعلم أنّ الإمام علياً هو الخليفة الشرعي كما نصّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وأكّدها تاريخ الرسالة الإسلامية بأن خير مَن يصون الأمة والرسالة بعد غياب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي عليه السلام لما له من قابليات ومؤهّلات لا تتوفر لغيره من المسلمين، كما وإنّ الأمة هي التي فزعت إلى الإمام بكلّ شرائحها وفئاتها ترتجي منه قبول الخلافة، لكنّنا نجد أن أولئك النفر من الناس الذين اتّسموا بالانحراف عن الحق والجبن في مواجهته ترتدّ عن البيعة، أو لم تبايع.

وطبيعي إنّ التخلّف عن هذه البيعة الموافقة للشرع والحقّ هو خرقٌ لإجماع الأمة وتحدٍّ صارخ لبيعتها، وبذلك فتحوا باباً جديدة في تأجيج الفتنة واستمرار الصراع الداخلي، وتشرذم الأمة وضياع مجدها، ومن هؤلاء المتخلّفين: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن البشير، ورافع بن خديج، وعبد الله بن سلام، وقدامة بن مضعون، وأُسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وصهيب بن سنان، ومعاوية بن أبي سفيان[1].

(١) تاريخ الطبري، ٣/٤٥٢، ط مؤسسة الأعلمي.

ولكنّ بعضهم ندم على تفريطه في أمر بيعة الإمام، وأما موقف الإمام عليه السلام من هؤلاء فإنه لم يتعرّض لأحد منهم بأي سوء، وتركهم وحالهم في الأمة لهم ما للناس وعليهم ما على الناس.

صعوباتٌ في طريقة حكومة أمير المؤمنين عليه السلام:

هناك صعوبات كثيرة وعقبات عديدة وقفت في طريق حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأعاقت حركتها في تحقيق الإصلاح والمعالجة السريعة للكثير من الأمور التي تتطلّب ذلك منها موروثة من الحكومات السابقة، ومنها مقصودة لكي تُفشل هذه الحكومة الشرعية وتجعلها مشغولةً عن تحقيق أهدافها العليا وغايتها السامية، وإجراءاتها المحمودة التي تهدي إلى الخير وتحقيق الرفاه والعدل في الأمة.

لقد وصل أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الخلافة بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي وقيادة الأمة والدولة، فألِفَت الأمة الإسلامية وكذلك الدولة نمطاً خاصاً من الحكم والتوجّه السياسي ترفضه حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام جملةً وتفصيلاً، لأنها حكومة قائمة على العدل وتسير وفقاً لكتاب الله وسنّة رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مما كلّفها كثيراً حيثُ أضعف من موقفها تجاه الأحداث.

أضف إلى ذلك أن الناس قد ألفوا أن يروا الإمام علياً عليه السلام محكوماً لا حاكماً، وإنّ الحكّام أقل كفاءةً وشأناً منه بل لا يُقاسون به مطلقاً وقد اعترفوا

هم أنفسهم بعلمه، وشجاعته، وأفضليته، وعدالته، وتقواه عليه السلام... كما إنّ عدداً من الشخصيات تنامى لديها الشعور بالمنافسة وبلوغ قمّة السلطة لكي تحقّق مصالحها الشخصية، وأغراضها المادية، فهذا الزبير بن العوام نراه في السقيفة يدافع عن حق أمير المؤمنين علي عليه السلام مقابل الذين تدافعوا نحو السلطة، ثم نجده اليوم ينازعه على السلطة، وذاك معاوية بن أبي سفيان الطليق بن الطليق أصبح بعد هذه المدة عدواً لدوداً ومناوئاً قوياً يهدد كيان الدولة ويتآمر ويسعى بقوة وبمكر واحتيال من أجل بلوغ السلطة.

والعجيب في الأمر، إن مما أعاق حركة أمير المؤمنين عليه السلام أنّ من وقف ضدّه على الخط المنحرف كان معظمهم ممن له صحبة مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مما جعل أعداداً كبيرة من المسلمين ينخدعون بهم، ويعقدون الأمر على نجاح حكومة أي منهم واستمراره في الحكم.

أضف إلى ما تقدم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام في زمن خلافته استلم دولةً واسعةً جداً حيث أنها تمتدُّ إلى شمال أفريقيا وأواسط آسيا بالإضافة إلى تمام جزيرة العرب والعراق والشام، وقد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب وقد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظل حكومة غير معصومة بعيدة عن الخط الصحيح والواقعي للرسالة الإسلامية، وهذا مما خلق عبئاً كبيراً على حكومة الإمام عليه السلام وأوجب عليها أن تصحح هذا المسار المنحرف، وتقوم بمهام رئيسية في أقصر وقت مع ما هو موجود من صراعات داخلية آنذاك.

المهام الرئيسية التي عملها الإمام علي عليه السلام :

١- القضاء على الكيان الطبقي الذي أوجده الخلفاء:

لقد أكد المؤرّخون أن النظام الطبقي قد ظهر من جديد بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى وذلك نتيجةً لعدم المساواة في العطاء بين جميع المسلمين، حيث كان العمل جارياً بتفضيل قريش على الأنصار وذلك باعطاء محاربي بدر المهاجرين خمسة آلاف درهم، واعطاء محاربي بدر من الأنصار أربعة آلاف درهم[١]. وتفضيل العرب على العجم[٢]. وتفضيل زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على باقي النساء بعشرة آلاف درهم[٣]. وتفضيل عائشة وحفصة وأم حبيبة عليهنّ. وجعل لجويرية وصفية (زوجتا النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ستة آلاف[٤]. وتفضيل محاربي بدر على باقي المحاربين[٥] وتفضيل المولى على الصريح[٦]. وتفضيل أبي سفيان معاوية وعلى الأنصار، ورفعهما إلى منزلة المهاجرين المحاربين في بدر[٧].

وإعطاء ثلاثة آلاف درهم لمن هاجر قبل الفتح[٨]، وفُرض لأهل القادسية

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٥٣/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ١١١/٨.

(٣) المستدرك للحاكم، ٨/٤ وتاريخ الطبري، ١٦٢/٤.

(٤) تاريخ عمر لابن الجوزي، ص١٠٣.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١١١/٨.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) تاريخ اليعقوبي، ١٥٣/١.

(٨) تاريخ أصبهان، ٢٩٠/٢.

وأهل الشام ألفين[١].

وروى الزهري: فرض لنساء أهل بدر خمسمائة، وفرض لنساء من بعد بدر إلى الحديبية أربعمائة، وفرض لنساء ما بعد الحديبية مائتين. فلم تكن الفروض قائمة على السابقة بل تعتمد على أسس عديدة[٢].

ولقد فضّل أبو بكر ابنته عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان على فاطمة بنت محمد ﷺ وعلى باقي الناس[٣]. وأعطى منطقة الجرف للزبير لكسبه، وأعطاه عمر العقيق لجذبه[٤].

وقد جعل عمر راتب الإمام علي عليه السلام مساوياً لراتب معاوية كما جعل راتب معاوية أعلى من راتب سعد بن عباده ورفاقه المشاركين في معركة بدر، ثُمّ نصّبهُ والياً على الشام ورزقه ألف دينار في كل شهر، مما سهّل على معاوية الحصول على مكان الصدارة في المجتمع الإسلامي، كما فضّل أم حبيبة على باقي نساء الأمة.

ومن الذين حصّلوا على أموال كثيرة زيد بن ثابت، إذ ذكر خارجة بن زيد بن ثابت: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، فقلّما رجع إلاّ أقطعه حديثة من نخل[٥].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٥٥/٢.

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي، ص١٠٣ وتاريخ اليعقوبي، ١٥٣/١. الكامل في التاريخ، ٥٥/٢ وشرح النهج، ١١١/٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ١٣٤/٢. وتاريخ الطبري، ٦٢١/٢.

(٤) طبقات ابن سعد، ١٠٤/٣. انظر: سيرة الإمام علي عليه السلام للطائي، ج٤، ص٢٢٠.

(٥) الإصابة لابن حجر، ٥٦٢/١.

وقد ساق لنا التاريخ شواهد كثيرة من هذا القبيل كالذي جاء في تاريخ ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للسيوطي وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي وغيرها لا حاجة لذكرها الآن، ومن أراد التوسعة فليراجع.

جاء في كتاب سيرة الإمام علي عليه السلام ج٤ ما نصّه:

(فضاعت المساواة التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العطاء، يوم كان يأخذ بقدر ما يعطيه لخادمه أبي رافع غير ناظر إلى نبوّته، وقِدم إسلامه ونسبه وغير ذلك... ورجع إلى هذا المنهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مخالفاً فيه عمر وعثمان، فكان الإمام علي عليه السلام ورغم قدمه في الإسلام ونسبه وعلمه وشجاعته وغير ذلك، كان يُعطي نفسه ما يعطيه خادمه قنبر).

وجاء عن ابن أبي رافع(١) أنه قال:

كنتُ على بيت مال الإمام علي بن أبي طالب وكاتبه، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، فأرسلتْ إليّ بنتُ الإمام علي بن أبي طالب فقالت لي: إنّه قد بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عِقد لؤلؤ، وهو في يدك وأنا اُحبُّ أن تُعيرنيه، أتجمّل به في يوم الأضحى.

فأرسلت إليها: عاريةٌ مضمونة، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين، فقالت: نعم عارية مردودة بعد ثلاثة أيام.

فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه، فقال لها: ((مِنْ أينَ جاء إليكِ هذا العِقد؟)).

(١) مجاني الأدب، ٢/١٧٣، قصص العرب، ٢/٩٦.

فقالت: استعرته من ابن أبي رافع خازن بيت مال المسلمين لأتزيّن به في العيد ثُمّ أردَّه.

فبعث إليّ أمير المؤمنين فجئتُهُ فقال لي: ((أتخونُ المسلمين يا ابن أبي رافع))؟

فقلتُ: معاذ الله أن أخون المسلمين.

فقال: ((كيف أعرتَ بنتَ أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟!)).

فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنّها بنتك، وسألتني أن أُعيرها العقد تتزيّنُ به، فأعرتها إياهُ عاريةً مضمونةً مردودة على أن تردّهُ إلى موضعه.

فقال: ((ردّهُ من يومك، وإياك أن تعود إلى مثله فتنالك عقوبتي)).

ثم قال: ((ويلٌ لابنتي لو كانت أخذت العِقد على غير عاريةٍ مردودة مضمونة، لكانت إذن أوّل هاشمية قُطِعَت يدها في سرقة)).

فبلغت مقالته ابنته فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعةٌ منك فمَنْ أحقٌّ بلبسه مني !

فقال لها: ((يا بنت ابن أبي طالب، لا تذهبي بنفسك عن الحق، أكلُّ نساء المهاجرين والأنصار يتزيّنَّ في مثل هذا العيد بمثل هذا؟)).

فقبضته منها ورددته إلى موضعه.

وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقسم بيت المال في كلّ جمعة حتى لا يُبقي منه شيئاً، ثُمّ يُفرَش له ويقيل فيه(١) ويصلّي فيه.

لذا قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإمام علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين))(٢).

وعن إحياء العلوم للغزالي:

(كان علي بن أبي طالب عليه السلام يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلاّ قميص واحد، لا يجد غيره في وقت الغسل، وقال علي عليه السلام مرةً: من يشتري سيفي هذا فوالذي فلق الحبّ، لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله، فوالله لو كان عندي ثمن أزار ما بعته، وقال لأهل البصرة: ماذا تنقمون مني؟ إنّ هذا من غزل أهلي وأشار إلى قميصه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام إنّه قال:

أن أمير المؤمنين ذهب مع قنبر إلى سوق البزازين وطلب من رجل يبيع الملابس أن يبيعه ثوبين، فقال له: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك، ولما أيقن الإمام أنّ الرجل يعرفه تركه ومضى، وأبى أن يشتري منه خشية أن يتساهل معه في الثمن، ثم وقف على غلام واشترى منه ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، وبعد أن قبض الغلامُ الثمن جاء أبوه، وعرف الإمام، فقال له: يا

(١) كنز العمال، ١٥٣/٦ و ٣٩٤. فيض القدير، ٣٥٨/٤. كنوز الحقائق، ص٩٢.

(٢) نفس المصدر.

مولاي إنّ ابني لا يعرفك، وهذه درهمان ربحهما منك، فقال له: ((ما كنت لأفعل لقد اتفقنا مع ولدك على رضى)).

وأعطى الإمام الثوب الذي بثلاثة دراهم لقنبر، وأبقى الذي بدرهمين لنفسه، فقال قنبر: أنت أولى به مني، إنّك تصعد المنبر، وتخطب الناس.

فقال له: ((وأنت شاب ولك شره الشباب، وأنا استحي من ربّي أن أتفضّل عليك، سمعتُ رسول الله يقول: إلبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون)).

ومن أقواله عليه السلام: ((إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياهُ بطمريه ومن طعامه بقرصيه)).

وجاء في وصفه عليه السلام :

(يعجبهُ من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، لقد اكتفى عليّ بطمريه من هذه الدنيا، ولكنّه لم يكتفِ من الفضائل والمناقب إلاّ بكاملها وأكملها).

نعم، فلقد ضمّ ذلك المئزر البالي أو قميص الصوف الذي غزلته له أهله المعجزة النادرة، والنسخة المفردة، شريك التنزيل، ومستودع التأويل، وقسيم الجنة والنار، وسيد الكونين، وحجّة الله على خلقه بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

وهل يهتم أمير المؤمنين علي عليه السلام بما يلبس وهو القائل: ((قيمةُ كل امرئ ما يحسنه)) وهل تدلُّ الملابس الفاخرة والثياب الغالية الثمن على العظمة والقداسة؟! وهو القائل واصفاً موسى وهارون عليهما السلام أثناء دخولهما على الطاغية فرعون:

((ولقد دخل موسى بن عمران، ومعه أخوه هارون عليه السلام على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصي، فشرطا له إن أسلم بقى ملكُه ودام عزّه فقال: ألا تعجبون من هذين يشترطان في دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل؟!

فهلاّ أُلقي عليهما أساورة من ذهب؟! إعظاماً للذهب وجمعه وإحتقاراً للصوف ولبسه)).

وجاء رجل موسر إلى رسول الله، وكان نقي الثوب، فجلس إلى جنبه، ثُمّ جاء رجل معسر درن الثوب، فجلس إلى جنب الرجل الموسر، فقبض الموسر ثيابه وضمّها، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أخفتَ أن يمسّك من فقره شيء؟!)).

قال: لا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فما حملك على ما صنعت؟!)).

فقال: يا رسول الله إنّ لي قريناً يزين لي كلَّ قبيح، ويقبح لي كل حسن، وقد جعلتُ لهذا الرجل نصف ما أملك، فقال الرسول للمعسر: ((أتقبل؟)).

قال: لا، فقال: أخاف أن يدخلني ما دخلك ويزين لي الشيطان ما زيّن لك.

وقد قال القائل واصفاً لباس أمير المؤمنين علي عليه السلام:

رأيتُ علياً عليه السلام وعليه قميص رازي إذا مدّ كمّهُ بلغ الظفر وإذا أرخاهُ بلغ نصف الذراع(١).

وشاهدوا علياً عليه السلام عليه إزار مرقوع فقيل له فقال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن وهو خليفة.

---

(١) الطبقات لابن سعد، ٢٧/٣، كتاب الغارات، ٦١/١، تاريخ دمشق، ٢٣٩/٣، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان يطوف في السوق وهو خليفة ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقميص كرابيس وإزار كرابيس إلى نصف ساقيه الإزار والقميص[1].

وكان علي عليه السلام يلبس اللباس الرقيق في الشتاء واللباس الكثيف في الصيف لدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في خيبر[2].

وإذا قام القائم المهدي عجّل اللهُ فرجه لبس لباس علي عليه السلام وسار بسيرته[3].

هذا هو الخليفة الحقّ، وهذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يعجز اللسانُ عن ذكر أوصافه، ومناقبه، ويكلُّ اللسان من الحديث في وصف سيرته، وأخلاقه، وتواضعه، وزهده، وشجاعته، وعلمه، وصبره، وتقواه عليه آلاف التحية وأفضل الصلاة والسلام، فهو عليه السلام المثل الأعلى والقدوة للحاكم والمحكوم.

إذاً، إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد عمل بجدٍّ ونشاط، وجسّد ما يؤمن به ويقوله عليه السلام في الواقع، أثناء هدمه للكيان الطبقي الذي انشأه الخلفاء من قبله، وذلك عبر ما يأتي:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٩/٣.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٠٨/٤٢.

(٣) الكافي والكليني، ٤٤٤/٦، وسائل الشيعة للحر العاملي، ٣٤٨/٣، تفسير الفيض الكاشاني، ١٩٢/٢.

أ - المساواة في العطاء بين المسلمين جميعاً متبّعاً في ذلك سُنّة الرسول الأكرم ﷺ التي تعطّلت بعد وفاته ﷺ وقد بيّن الإمام علي عليه السلام ذلك في خطبته الشريفة النابعة من حكم الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ حيث قال في خطبته ما يلي:

((ألا وأيّما رجل استجاب للهِ وللرسول، فصدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدودَهُ، فأنتم عباد الله، والمالُ مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحدٍ على أحد، وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب))(١).

هكذا يقول الإمام عليه السلام ويترجم أقواله إلى أفعال، المالُ مال الله، يُقسَّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد. وقد قيل له في يومٍ من الأيام: يا أمير المؤمنين إعطِ من هذه الأموال الذين يُخشى منهم ويفرّون إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال عليه السلام:

((أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ واللَّه لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ أَلا وإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وإِسْرَافٌ))(٢).

نعم لو كان المال له عليه السلام لقسّمه بين المسلمين بالسويّة وهو صادق فيما يقول، فكيف وأنه مال الله، هكذا هي نظرته عليه السلام وعدالته في التوزيع حتى

---

(١) بحار الأنوار، ٣٢/١٧ و ١٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة، ١٢٦.

أصبح عليه السلام يُضرَبُ به المثل في تحقيق العدالة والمساواة بين الناس، فهو عليه السلام بحقّ صوت العدالة الإنسانية كما قال غير المسلمين ذلك فضلاً عن المسلمين. كجورج جرداغ وغيره من المنصفين. وقد ألّف جورج كتاباً ضخماً شرح فيه سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه العظيمة، تحت عنوان: علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية بالإضافة إلى كتب أخرى مثل: الإمام علي عليه السلام والحرية والإمام علي عليه السلام وسقراط وغيرها من الكتب الأخرى التي يعجز الكثير من المسلمين أن يأتوا بمثلها.

ب - استرجاع ما نُهب من أموالٍ في عهد عثمان من بيت المال:

يؤكد لنا التاريخ أن عثمان كان يحبُّ قومه الأمويين حباً جماً ويؤثرهم على غيرهم من المسلمين في العطاء حتى أصبحت الأموال الطائفة عند طبقةٍ منهم محيطة به، وكذلك عند طبقاتٍ أو أفرادٍ آخرين من دون حق قصد استمالتهم، وما إن أصبح أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفةً منتخباً حتى أعلن بكل وضوح وشجاعة وعدل: إنّ جميع الأموال المأخوذة من بيت المال بغير حق لابد أن ترجع إليه، حيث قال عليه السلام:

((ألا إنّ كلّ قطيعةٍ أقطعها عثمان وكلّ مال من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لا يبطله شيء، ولو وجدتُه قد تُزوجَ به النساء ومُلِكَ به الإماء

وفُرِّقَ في البلدان لرددتُه، فإنّ في العدل سعة، ومَن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق))[1].

نعم، لقد أعطى الإمام علي عليه السلام للمسلمين عهداً قطعه على نفسه الشريفة أن يُرجع كل الأموال المنهوبة من دون حقّ إلى بيت مال المسلمين ويُوزَّع بصورة عادلة ومتساوية لا فرق لأحدٍ على أحد سواء كان سيداً أم عبداً، أسوداً أو أبيضاً، عربياً كان أو أعجمياً، وقد قال عليه السلام في أول خطبة له:

((إن مفاتيح مالكم معي وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، أرضيتم؟)).

قالوا: نعم، فقال عليه السلام: ((اللهم اشهد عليهم ثُمّ بايعهم على ذلك))[2].

وقد قال ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) ما نصّه:

(كان علي عليه السلام يقسّم ما في بيت المال بين المسلمين، ثم يأمر بكنسه فيكنس، ثم يصلّي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة، وأتاه مالٌ من أصبهان قسّمه سبعة أسباع. ووجد فيه رغيفاً، قسّمه سبع كسر، وجعل على كلّ قسم كسرة).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم أن ابن النباج قال له: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، أتت من الخارج، فقال: ((الله أكبر.. عليّ بالناس، فنودي فيهم. ولما أقبلوا فرّق جميع ما في بيت المال، وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري)).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٥.

(٢) تاريخ الطبري، ٣/٤٥١.

كان يفرّق المال، حتى لا يبقى منه درهم ولا دينار، ثم يحملُ المسحاة ويعمل في الأرض، فيستنبط العيون، ويقفها في سبيل الله. وفي ذات يوم وصل مال الصدقة مساءً، فقال لمن حضر: اقتسموه، فقالوا: أمسينا، أخّره إلى غد، فقال عليه السلام: من يضمن بقائي إلى غد. وقيل له: اعطِ من هذه الأموال الذين يُخشى منهم، ويفرّون إلى معاوية فقال: اتأمروني أن أطلب النصر بالجور... الخ.

أما خبره مع ابنته زينب عليها السلام وكنيتها (أم كلثوم) حين استعارت العِقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد فمعروف، ذكرهُ جميع المؤرخين من السُنّة والشيعة، إذ منعهما منه.

والذي تبيّن معنا من سيرة علي عليه السلام في الحكم أنّ له نظرة خاصة إلى مهمة وكلام أمير المؤمنين صريح في ذلك.

فمن كتاب له إلى عثمان بن حنيف عاملهُ على البصرة:

((ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وأَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ولا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ))[1].

هذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام لا يرضى بأن يُقال له أمير المؤمنين إلاّ أن يشارك الأمة في مكاره الدهر وصعوبات الحياة، وأن يقدّر نفسه بضعفة الناس والمحرومين من الرعيّة والفقراء منهم أينما كانوا في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

وطبيعي إذا كان الحاكم لم يقدّر نفسه بفقراء الناس من رعيته وشيعه فقد يصبح متجاوزاً حدّه، وخائناً لمهمته ومسؤوليته، ويصبح الجميع في حِلٍّ من بيعته، ولهم الحق في الخروج على حكمه.

والواقع إنّ هذه السياسة المالية التي اتبعها أمير المؤمنين عليه السلام لم ترق لقريش، لأن العديد من أقطابها قد جُبلت نفوسهم على الطغيان والاستعلاء والتكبّر والأنانية، وهم يرون أن عبيدهم في الحضيض ولا يُمكن في أي حالٍ من الاحوال أن يكونوا متساوين معهم في القسمة والعطاء، ومن أمثال هؤلاء مروان بن الحكم وطلحة والزبير وغيرهم كثير، وما أن استوثقوا الجدّ في عدالة الإمام عليه السلام وعمله، حتى بدأوا بإثارة الفتن والإحن أمام حكومته الشرعية عليه السلام، حتى أن طلحة والزبير جاءا إلى الإمام عليه السلام يعترضان على عدالته وقسمته بالسوية، فقالا: إنّ لنا قرابة من نبي الله وسابقةً وجهاداً، وإنّك أعطيتنا بالسويّة ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضّلوننا على غيرنا.

(١) نهج البلاغة، ٧١/٣، البحار، ٤٧٤/٣٣، معاني الأخبار، ص٤١٣.

فقال الإمام عليه السلام: ((فهذا كتاب الله فأنظروا ما لكم من حقّ فخذوه)) قالوا: فسابقتنا !، قال عليه السلام: ((أنتما أسبقُ مني؟)) قالا: لا، فقرابتنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: ((أقرب من قرابتي؟)) قالا: لا، فجهادنا، قال عليه السلام: ((أعظم من جهادي؟))، قالا: لا، قال عليه السلام: ((فواللهِ ما أنا في هذا المال وأجيري إلاّ بمنزلةٍ سواء))[1].

نعم، إنّ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين علياً عليه السلام وأجيره - العبد الفقير - في نظريته، وعدالته، ودينه، سواء في العطاء، ولا فرق بينهما البتّة. وهذه المنزلة السواء بين السيّد وعبده في العطاء، والحكم والقضاء، أثارت الفتن والحروب الظالمة من الطغاة والعتاة وشياطين الأنس وأهل الانحراف والضلال على حكومة الإمام علي عليه السلام مما حال بقوّة دون تنفيذ مشاريع أمير المؤمنين عليه السلام الحضارية والإسلامية والإنسانية في الوجود إلاّ بقدر ضئيل، وهذا القدر الضئيل رغم كونه ضئيلاً إلاّ أن شمسه الساطعة ونوره الوهّاج لا يزالُ متأججاً في دنيا الوجود يضيء للبشرية جمعاء ورب العدالة، والحرية، والكرامة الإنسانية، ومحقّقاً للإنسان انسانيته وحقّه في العيش مع أبناء اجنسه أينما كانوا، وسموا إلاّ بمنزلةٍ سواء بما كرّم الله تعالى.

(١) بحار الأنوار، ١١٦/٤١.

ج - المساواة في الحكم والقضاء:

لم يكن أمير المؤمنين علي عليه السلام غافلاً عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في عهود مَن سبقوه من الخلفاء، وكان عليه السلام يحكم ويفصل بالحقّ والعدل، وشعاره دائماً في الحياة: المساواة أمام حكم الله سبحانه وتعالى، ويغضب غضباً شديداً عند حصول أي تمييز وتفريق بين شخص وآخر في فصل القضاء.

وما إن استلم الإمام عليه السلام زمام الأمور حتى ضرب أروع صنوف العدل والمساواة في الرعية، وسلك أوضح سُبل الحق، مجسّداً عدل الشريعة الإلهية وقدرة الإسلام الحنيف على إقامة دولة الحق والعدل والانصاف التي تنعم بالحرية والأمان وكرامة الإنسان في الحياة.

ومواقف الإمام عليه السلام كثيرة وقد أجراها على نفسه الشريفة، حيث كان لم يتحرّك أن يطبّق القانون على نفسه، وأهل بيته وأصحابه، فإنه عليه السلام قد ترافع مع يهودي إلى شريح القاضي ليفصل بينهم في درعٍ افتقده[1] وقد غضب جداً على شريح لأنه أظهر احترامه له عليه السلام وكنّاه بأبي الحسن ولم يكنِّ خصمه اليهودي، وهذا مما أثار عجب اليهودي ودهشته من عدالة الإمام عليه السلام ونظرته الإنسانية مما دعاهُ إلى اعتناق الإسلام في نهاية المطاف.

وقد كانت سيرة الإمام عليه السلام وأحكامه في فصل القضاء نابعة من عمق الشريعة وسعة علم الإمام عليه السلام بأمور الدين والدنيا، وتدل على العصمة في الفكر والعمل والتصرّف والسلوك، حيث اصطفاه الله سبحانه وجعل إماماً

---

(١) السنن الكبرى، ١٣٦/١٠، تاريخ دمشق، ١٩٦/٣. الاغاني، ٣٦/١٦. البداية والنهاية، ٤/٨، الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٣ والصواعق المحرقة، ص٧٨.

على الناس، وهو الأسوة والقدوة لبني الإنسان أينما كانوا وتواجدوا، فهو الإسلام الحقيقي الذي يمشي على الأرض، ومنزلته كنزلة أخيه وابن عمّه رسول الله ﷺ إلاّ النبوّة، فلا غرابة أن يكون هكذا سلام الله وتحياته عليه.

٢- إعادة التنظيم الإداري للدولة وهيبتها:

لقد أكّد المؤرخون أن الأمور الإدارية والسياسية والمالية والاقتصادية والاجتماعية والدينية قد ساءت جداً، حتى وصل الحال بالأمة أن تفقد الثقة بالخليفة وولاته وتنقم عليهم لسوء سيرتهم، وإدارتهم، وأنانيتهم، وتثور عليهم، وتقتل عثمان بعد محاصرته، وكاد أن يموت عطشاً لولا تدخّل أمير المؤمنين علي عليه السلام في جلب الماء له ولعائلته مراتٍ عديدة قبل أن تهجم عليه الجماهير الثائرة وتنهي حياته.

وما إن استلم أمير المؤمنين علي عليه السلام مقاليد الأمور حتى قام بإعفاء الولاة الذين عيّنهم عثمان، ونصب ولاةً كانوا جديرين بهذه المهمة، وهم محل ثقة المسلمين فأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري بدلاً عن عبد الله بن عامر إلى البصرة، وعلى الكوفة أرسل عمارة بن شهاب بدلاً عن أبي موسى الأشعري، وعلى اليمن عبيد الله بن عباس بدلاً عن يعلى بن منبّه، وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدلاً عن عبد الله بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف بدلاً من معاوية بن أبي سفيان، كل هذا - كما مرّ - لسوء سيرة الولاة السابقين وفساد إدارتهم حتى آخر لحظة، فقد استولى يعلى بن منّبه على بيت مال اليمن وهرب

به، وحرّك معاوية قوّةً عسكريةً لصدّ سهل بن حنيف عن ممارسة مهامّه الجديدة[١].

نعم، لقد كان الإمام علي عليه السلام دقيقاً وموضوعياً في عملية اختيار الولاة الجدد على الأمصار، وحريصاً على تطبيق الشريعة الإسلامية بجهازه الإداري الجديد، وقد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم ورفع معنوياتهم، إذ أشركهم في الحكم. كما أن الإمام لم يكن مستعداً لقبول الحلول المنحرفة أو انصاف الحلول، فقد.....

كان حازماً في اجتثاث الفساد، فقد رفض عليه السلام اقتراح إبقاء معاوية على الشام حتى يستقر حكم الإمام عليه السلام ثُمَّ تنحيته فيما بعد[٢].

لقد حاول أمير المؤمنين علي عليه السلام فرض سيطرة حكومة المركز على ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية بن أبي سفيان فيها عن البيعة، فرفع الراية إلى ولده محمد بن الحنفية، وولى عبد الله بن عباس على ميمنته وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجرّاح فجعله على مقدمة الجيش، وخطب في أهل المدينة وحثّهم على القتال، ولكن حال دون التحرك وصول خبر خروج طلحة والزبير على حكم الإمام عليه السلام إلى البصرة بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعمرة فأذِن لهم، وكان قد حذّرهم من نكث البيعة[٣].

(١) تاريخ الطبري، ٤٦٢/٣، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٦١/٣ - ٤٦٢، ط مؤسسة الأعلمي، البداية والنهاية، ٢٥٥/٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٤٦٩/٣.

٣- إصلاح انحراف الأمّة والمحافظة على عقائدها ومقدّساتها:

من الحقيقة بمكان، أنّهُ يجب أن يكون هناك دور مفروض في الشريعة الإسلامية لشخصية معصومة، ترعى شؤون الرسالة الإسلامية وديمومتها في الحياة، ومقاومتها في الصراع مع التيارات المختلفة بعد غياب الرسول القائد ﷺ، وبالفعل قد نصّت الشريعة المقدّسة على أنّ الإمام علياً عليه السلام هو تلك الشخصية المعصومة، ومن بعده الأئمة المعصومون الأحد عشر سلام الله عليهم أجمعين هم المعنيون بذلك أيضاً.

ومن الطبيعي جداً، إنّ ممارسة دور الراعي والقائد لشؤون الرسالة تقتضي أن يتولّى الإمام المعصوم عليه السلام أعلى السلطات في الدولة الإسلامية لكي يتحقق الإصلاح والتطوّر الايجابي في الأمة، ولتكون في مأمنٍ تامٍ من الانحراف في عقيدتها ومقدّساتها.

ولكنّ الذي يؤلم جداً أن عناصر غير مؤهّلة قد تدخّلت بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ في ظرفٍ معقّد فاستولت على السلطة ظلماً وعدواناً على الأحقيّة الشرعية للإمام المعصوم عليه السلام، فكانت النتيجة أن حصل الانحراف في الأمة، ونُخِر كيانها من الداخل، ومُنع الإمام عليه السلام من ممارسة دوره الكامل في الإصلاح والتطوّر كما ينبغي، وكما هو مرسوم له إلهياً ونبوياً، ولكنّه عليه السلام بذل جهوداً مستفيضة لإصلاح انحراف الأمة، واستقامتها، والمحافظة على عقائدها ومقدّساتها.

وقد سعى عليه السلام لاستلام مقاليد الحكم من أجل النهوض بالأمة والاستمرار بمسيرتها الإلهية نحو تحقيق أهدافها المنشودة التي فرضها الله سبحانه، وقد عبّر الإمام علي عليه السلام عن مسؤوليته تجاه هذا الأمر بقوله عليه السلام:

((لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ومَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إلا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا))(١).

فالإمام عليه السلام قد حاول تعبئة الأمة ولكنّه لم يتمكّن أن يصل إلى حدّ إنجاح هذه المحاولة القيّمة لأسباب عديدة حالت دون تحقيق ذلك نذكر جملةً منها:

أ - إنّ الأمة لم تكن على درجةٍ كبيرة من الوعي الرسالي يؤهّلها فهم ما جرى في السقيفة من أحداثٍ خطيرة، وتوجّهاتٍ خاطئة، وأفكار غير صحيحة تصطدم بمفاهيم الإسلام وحقائقه الثابتة كانت خافية على الأعم الأغلب من الأمة.

ب - إنّ الأمة لم تفهم دور ومسؤولية الإمام والإمامة بأنّهُ نصّ إلهي، وحقٌّ شرعي، وليس مطلباً شخصياً، فالإمام عليه السلام حينما يأمر وينهى، وينصح، ويقيم الحدّ الشرعي على مرأى ومسمع الخليفة والأمة كان بوعي رسالي، وإرادة صادقة لاستمرار الرسالة الإسلامية مستقيمةً نقيّةً من كل انحرافٍ وشائبةٍ غريبة، لذا نجده عليه السلام قد ضحّى بكل شيء من أجل ذلك بما فيه حقّه الشرعي والشخصي لأن همّهُ الوحيد هو سلامة الرسالة والعقيدة الإسلامية وديمومتها

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

على أُسس الحق والعدل والإنصاف، لأنه عليه السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: ((علي مع الحق والحقُّ مع عليّ))[1]. وهو القائل عليه السلام: ((إعرف الحق تعرف أهله))[2].

ج - إنّ عهد الأمة بالجاهلية قريب، وإنّ رواسبها لم تزل في فكرها، لذلك، فإنها لم تدرك عمق الرسول والرسالة، والإمام والإمامة، وربما كانت الأمة تتصوّر أن وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة من بعده مباشرةً مجرّد عملية ترشيح ليس إلاّ، وإنّ الهدف من ورائها إحياء أمجاد الأسرة الهاشمية العريقة، كما هو حال أي قبيلة عربية تفكّر في ذلك.

د - ولا يخفى على اللبيب الواعي، كيف كان دور المنافقين والحاقدين والحاسدين وأطماعهم في زعزعة الاستقرار الأمني والاجتماعي وإثارة الفتن والأحقاد في الأمة، وكلّما كان الحاكم ضعيفاً أو بعيداً عن الدين وأحكامه ازدادوا توغّلاً في الحكومة والحاكم، وتأجيج الباطل والانحراف والضلال.

هـ - الأمراض النفسية والأحقاد الشخصية لدى المتصدّين للزعامة، فكان الشعور بالنقص لديهم تجاه الإمام علي عليه السلام بدرجة عالية حيث كان الإمام عليه السلام يمثّل تحدّياً بوجوده، بصدقه، بجهاده، بصراحته، باستبساله وشبابه (كما ورد في كتاب معاوية لمحمد بن أبي بكر))[3].

(١) راجع سنن الترمذي، ٢٩٨/٢ وتاريخ بغداد، ٣٢١/١٤.

(٢) بحار الأنوار، ١٧٩/٦، ط الوفاء.

(٣) وقعة صفين، ص١١٩.

وبطبيعة الحال إنّ تأخر الإمام علي عليه السلام عن خلافة الأمة ومقاليد الحكم والسلطة، وعلى الرغم من نصحه وتوجيهه للحاكم والأمة ومعالجاته الكثيرة للأمور والأحداث، لم يستطع أن يعالج كلّ الانحرافات التي حصلت في عهود مَن سبقوه، ولكنّه عليه السلام في عهده المبارك شمّر عن ساعديه أكثر فأكثر، وبذل جهوداً إضافيةً واستثنائية لإصلاح الانحراف والمحافظة على العقيدة والمقدّسات، ولاستمرار الرسالة الإسلامية الغرّاء نقيةً كما شرّعها اللهُ بعيدةً عن كلّ زيغ وانحراف، ولتحقيق الأهداف الرسالية المنشودة.

وبفضل جهود أمير المؤمنين علي عليه السلام وجهود أبنائه الأئمة المعصومين عليهم السلام وجهود البررة من الصحابة والمخلصين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، استمرت مسيرة الرسالة ولم تتوقف - رغم الأشواك والعقبات في الطريق - حتى وصلت إلينا وستواصل المسير إنشاء الله تعالى حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، وستنتصر، وتزدهر، ويسطع نورها، ويعمُّ خيرها، وتكثر بركاتها على يد حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله قائم آل محمد (عجّل الله فرجه الشريف) وسيعيدها نقيّةً صافيةً مثمرةً كما كانت على عهد جدّه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله جعلنا اللهُ سبحانه من جنوده وأعوانه وخدّامه، ورزقنا الله تعالى شفاعته ودعاءه وبركاته، وشفاعة آبائه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

٤- تحصينُ الأمة ضدّ الانهيار وتزويدها بالمقوّمات:

لقد لاحظ الإمام علي عليه السلام إنّ الأمة متأخّرة بدرجةٍ كبيرةٍ في الوعي والفهم والإدراك نتيجة العوامل المارّة الذكر، فقرّر أن يعمل بمنهجيةٍ أخرى، ألا وهي تحصين الأمة ضدّ الانهيار التامّ واعطاؤها من المقوّمات القدر اللازم لكي تتمكن من البقاء والصمود في مواجهة المحن والشدائد، والوقوف بحزم أمام الانحدار عن جادّة الحق والصواب.

فعمل أمير المؤمنين علي عليه السلام بجدّ واجتهاد، وسعي متواصل، وعملٍ دؤوب من أجل تعميق الرسالة الإسلامية فكرياً وروحياً وسياسياً في فئات الأمة وشرائحها المختلفة، وتقديم الوجه الناصع والحقيقي للنظرية الإسلامية، والمثل الأعلى للإسلام، والصورة الحقيقية لطبيعة وشكل الحكم والمجتمع الإسلامي، وهذا واضحٌ وجليّ في عهده المبارك عليه السلام.

ولقد مارس الإمام عليه السلام دور القائد السياسي المحنّك، والشجاع المخلص الحريص على الرسالة والأمة، والحاكم العادل، ونموذج الإنسان الذي صاغته شريعة السماء وعقيدة الإسلام، وكان مثالاً يُحتذى به لبلوغ هدف الرسالة، فهو المعصوم عن الخطأ والزلل والدنس في الفكر والعمل والسلوك والسيرة.

وقد ربّى الإمام عليه السلام وبنى ثلّةً مؤمنة صالحةً من الأمة تعينهُ على تنفيذ ما يرسمه من خططٍ ومناهج إصلاحية وتغييرية، وذلك عبر تحرّكها في وسط الأمة لانضاج أفكارها، وتوسيع قاعدة الفئة الواعية الصالحة، ولتستمر عبر التاريخ، لكي لا تخلو الساحة الإسلامية منها في وقت من الأوقات نتيجة للتواصل في العمل عبر الزمن وفق منظور ومقرّرات الإسلام النقي الحنيف.

أضف إلى ذلك أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد عمل جاهداً من أجل إحياء سنّة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتنبيه عليها، وتدوينها، والاهتمام بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً لأنّهما عماد الشريعة، ولابدّ أن تعي الأمة وتدرك حقائق القرآن والسُنة الشريفة كما شُرّعت وكما أُريد لها أن تفهمها وتعيها.

٥- نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة:

من الحقيقة بمكان، والواقع الذي لا لبسَ فيه، إنّ من أخطر المشاكل التي تواجهها كلُّ الرسالات والعقائد أثناء تواجدها في الحياة هو أن يدافع عنها أو يطبّقها فئات من الناس عاجزة وفارغة فكرياً وروحياً، حيث أنهم حينما يتعرّض المتصدّون منهم للزعامة لأي اختبار لمعرفة رأي الرسالة أو العقيدة ومدى علمهم بها، ويأتي جوابهم مشوّشاً وبعيداً عن الحقيقة والصحة فإنه حتماً سيزرع الشك لدى الناس ويزعزع ثقتهم بتلك الرسالة أو العقيدة ومقدرتها على مجاراة الحياة، وهذا بدوره سيؤدّي في النهاية إلى تقاعس الأمة عن التفاعل مع تلك الرسالة أو العقيدة، والدفاع عنها إذا جدّ الجدّ في معترك الصراعات وخضمّ الأزمات.

ومن هنا نجد ونلاحظ بوضوح تصدّي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكلّ قضيةٍ غامضةٍ أو غير معروفة تبدو هنا أو هناك في حياة الأمة، حيث يُعطي الموقف الواضح والصحيح للرسالة منها، وكذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث نرى ذلك جلياً في سيرته المباركة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عليه السلام يتدخّل للرد على

شبهات المنكرين للرسالة بعد أن عجز المتصدي للزعامة عن ذلك، ونجده أيضاً يتدخل ليُعطي للخليفة نصائح عسكرية أو اقتصادية (وما أكثر نصائحه ومعالجاته القضائية!)[1].

وتدخله عليه السلام كان دائماً إيجابياً للحاكم والمحكوم الذين لا يُحسنون مواجهة ومعالجة القضايا الكثيرة، البسيطة منها والمعقّدة على حدٍّ سواء لتوجيه الأمة نحو المسار الصحيح ولإنقاذها من التخبّط والضلال والضياع، فإن دوره عليه السلام كان دور الرقيب الرسالي الذي يتدخّل لتقويم الأود، هذا في عهد الذين سبقوه في الحكم، وأما في عهده المبارك فحدّث ولا حرج، حيث الدروس الغزيرة، والبيان المتواصل، والشرح والتفسير والتوضيح للقرآن والسُنّة، والخطب الرنّانة المليئة بالدرر والحِكَم وجواهر الكلام، ولئالئ الأخبار، وتفاصيل الأحكام الشرعية والسلوكية، والأخلاقية، وتبيان المعاملات الصحيحة، والعبادات التي يريدها الله سبحانه ولم يبقَ مشكل إلاّ وضّحه، ولا معضل إلاّ وبيّنه عليه السلام سواءً في المعاملة أو العبادة، وكذلك في كل مرافق الحياة، في السياسة والاقتصاد والإدارة والحكم وفي كلّ مفردة يحتاجها الإنسان حتى ارش الخدش...

ولكنّ الذين في قلوبهم مرض، والذين خبثت سرائرهم، وجُبلت طبائعهم على اللؤم، والمكر، والخداع، واتّباع الهوى والنفس الأمّارة بالسوء، لم يتّعظوا، وينصاعوا للحقّ والحقيقة، بل عاندوا وكابروا، وحاربوا الإمام عليه السلام حرباً لا هوادة فيها لكي يُفشلوا حكومته، ويبعدوا الناس عنه، ويشغلوه عن

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٣٣/٢، ١٤٥.

تحقيق أهداف الرسالة وتجسيدها على أرض الواقع كجبابرة قريش وطغاة بني أمية، والأعراب والأجلاف والذين لا حسب لهم ولا نسب، والحفاة العراة الذين أحبط الله أعمالهم، وهم لا يعقلون، فهم شرّ الدواب.

وعلى كل حال، فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يُظهر للناس الحقّ والحقيقة، والرواية الصحيحة، وعجزَ من ناواه وعاداه وقصورهم العلمي والعملي، وقد فسح عليه السلام المجال إلى أقصاه للبحث والسؤال والتعلّم، عندما تسلّم زمام الإدارة والحكم، وقد بذل قصارى جهده في نشر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِما فيها من التوجيه العلمي والبعث نحو الوعي والفاعلية في الحياة.

وممّا لا شكّ فيه إن إحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياة المسلمين ونشر أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم بينهم له الأثر الايجابي الكبير في معرفة الكثير من الحقائق والثوابت والأحكام الإسلامية التي تنظم وترتّب الحياة الإسلامية العامّة والخاصّة التي تعود على الأمة برمتها بالنفع الكثير والخير العميم وخصوصاً في الاستقامة وتصحيح المسار للرسالة والأمة على حدٍ سواء.

٦- معالجة الأسباب الرئيسية في انحراف مسيرة الرسالة:

إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد واجه تركةً ثقيلةً من الأفكار الدينية والتوجهات السياسية والثقافية والمالية الخاطئة، وأصبحت عبئاً ثقيلاً على الدولة والأمة ومسيرة الرسالة، حيث أنها أوجدت الكثير من المصاعب والمصائب التي

كانت السبب الرئيس في انحراف السيرة المقرّرة للرسالة الإسلامية ووقوع قسم كبير من الناس في شباك الفتن والضلالة، حتى قال الإمام عليه السلام عن ذلك:

((إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى))[1].

نعم، إنّ أسباب وقوع الفتن الماحقة للأنفس والأموال ولكلّ شيء ثمين هو اتّباع الهوى والنفس الأمّارة بالسوء، واختراع الأحكام والقوانين والثقافات المخالفة لأحكام الله سبحانه وتعالى، والمجافية للحقّ والحقيقة، والمؤدّية إلى استيلاء الشيطان على نفوس أوليائه، والسائرين في ركابه، ولا ينجو من ذلك الشر المستطير إلاّ الذين سبقت لهم من الله الحسنى، نتيجة اتّباعهم لكتاب الله تعالى وسُنّة نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

وعلى كل حالٍ، فإنّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى الانحراف هو منع نشر أقوال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديثه الشريفة في صفوف الأمة لأنها تعلن بوضوح تام إن علياً عليه السلام وولده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام هم الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنيون بالخلافة وشؤون الرسالة دون مَن عداهم، وهم

(١) نهج البلاغة، الخطبة، ٥٠.

العدل الثاني والقرآن الناطق وأهل الذكر الذين خصّهم القرآن الكريم في آية: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وهم المطهّرون من الدنس والرجس في آية التطهير، وهم الذين يُسألُ الناسُ عن مودّتهم واتّباعهم وولايتهم وحبّهم والتبرّي من أعدائهم، وهم من حيث الاتّباع والاقتداء والمودّة عامل مهم في قبول الأعمال بعد الله والرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا يتضح السرُّ في رفع شعار: (حسبنا كتاب الله) أثناء مرض رسول الله صلى الله عليه وآله عندما طلب قرطاساً وقلماً ليدوّن كتاباً لن تضلَّ الأمة من بعده وهذا تحدٍّ كبير ومخالفةٌ خطيرة لله ورسوله صلى الله عليه وآله من قبل القائل به والرافعين له.

والحقيقة: إنّ ظاهرة تحديد أو منع نشر أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله بدأت قبل هذا التاريخ وذلك عندما منعت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص من كتابة الأحاديث(١)، كما قامت السلطة الحاكمة بحرق الكتب التي تضمّنت نصوصاً من أحاديث الرسول(٢).

أضف إلى ذلك إن ظاهرة النهي عن السؤال عمّا لا يُعلم من معاني القرآن والسُنّة الشريفة قد استشرت في المجتمع الإسلامي، وهذا يعني تجريد الأمة من سلاح البحث والتحقيق والتعلّم للقرآن نفسه بعد عزل السُنّة عن القرآن، والاهتمام بظواهر القرآن من دون فسح المجال للتدبّر والتفقّه في آياته وأحكامه

---

(١) سنن الدارمي، ١٢٥/١ وسنن أبي داود، ٢٦٢/٢ ومسند أحمد، ١٦٢/٢ وتذكرة الحفّاظ، ٢/١.

(٢) طبقات ابن سعد، ١٤٠/٥، ط بيروت.

حتى أوصى عمّاله قائلاً: ((جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن محمد وأنا شريككم)) بل إنّه عاقب كلّ من يسأل عن تفسير آيات القرآن[1].

وبالإضافة إلى كل ما تقدم من أسباب، هو بروز مسألة جديدة عمل بها الحكّام، وهي مسألة فتح باب الاجتهاد في مقابل النصّ، وهنا تكمن الخطورة لأنه لا يجوز الاجتهاد في قضية يوجد قبالها نصّ قرآني أو حديث عن رسول الله ﷺ لذا قالوا: (لا اجتهاد مع النص).

فقد اجتهد أبو بكر في جملة من الأحكام من دون أن يستند إلى نصّ من القرآن أو حديث عن الرسول الأكرم ﷺ ومن ذلك مصادرة تركة النبي ومنع أهل البيت من حقّهم في الخمس، وإحراقه الفجاءة السلمي[2] وفتواهُ في مسألة الكلالة[3] وفتواه في إرث الجدّة[4].

كما اجتهد عمر بن الخطاب في التمييز في العطاء خلافاً لسنّة رسول الله ﷺ[5]، واجتهد في متعتي الحج والنساء وغيرها مما تجده في كتاب: (النصّ والاجتهاد)[6].

---

(١) تاريخ ابن كثير، ١٠٧/٨ وسنن الدارمي، ٥٤/١ وتفسير الطبري، ٣٨/٣ والاتقان للسيوطي، ١١٥/١.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٤٨/٢، ط مؤسس الأعلمي.

(٣) سنن الدارمي، ٣٦٥/٢، والسنن الكبرى للبيهقي، ٢٢٣/٦.

(٤) سنن الدارمي، ٣٥٩/٢، وأسد الغابة، ٢٩٩/٣.

(٥) فتوح البلدان، ص٥٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٣٦.

(٦) كنز العمّال، ٥١٩/١٦.

وقد اجتهد عثمان بن عفان في إسقاط القود عن عبيد إلله بن عمر[١]. وتأوّل في جملةٍ من الأحكام الصريحة خلافاً لما قرّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ثار عليه المسلمون كما عرفت وهو مذكور في كتب التاريخ.

وطبيعي إنّ مثل هذه الأمور وغيرها قد أصبحت سبباً رئيسياً في إثارة الفرقة والانقسام وتأجيج نار الفتن والاختلاف، والأحقاد والانحراف كما بيّن ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلمته الشريفة المارّة الذكر، والواقع وسجل أحداث التاريخ ومتواترة قد أكّد ذلك بصورة جليّة.

وقد عالج أمير المؤمنين علي عليه السلام كلّ هذه الأسباب التي كانت عاملاً خطيراً وقوياً في انحراف الرسالة عن مسيرتها، والناس في توجهاتهم المتعدّدة حيث جعل عليه السلام القرآن الكريم والسُنّة الشريفة هما الأساس في الحياة الإسلامية والإنسانية، فما وافقهما فهو صحيحٌ ويعمل به، وما خالفهما فهو زخرف وخطأ ومصيره الترك وعدم العمل به على الإطلاق، وجعل الهدف تنفيذ كلمة الله في الأرض وتجسيد القوانين والأحكام الإسلامية في دنيا الحياة والوجود والإنسان، والغاية من كل ذلك هو رضا الله سبحانه وتعالى، وقد سلك عليه السلام في كل أقواله وأفعاله وادارته وقضائه طريق الحق، والعدل، والصراط المستقيم، والمحجّة البيضاء، كما فسح المجال لكلّ ما من شأنه نشر العلم والمعرفة، والحقّ والحقيقة، والوعي والإدراك، والدليل والبرهان، والسؤال والجواب.

(١) منهاج السنة لابن تيمية، ٣/١٩٣.

٧- إحياء الشريعة الإسلامية ورعاية شؤون الدولة:

من الحقيقة بمكان أن الإمام علياً عليه السلام قد بذل جهوداً مستفيظة في إحياء الشريعة الإسلامية وإرجاعها إلى سابق عهدها، أي كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اعتبر ذلك من أوليات مهامه، لأن صيانتها من الزيغ والانحراف له الأثر الفاعل في تحقيق استقامة الأمة وتكاملها وديمومة مسيرة الرسالة، وإنجاز الأهداف الرسالية المرجوّة.

كما أن أمير المؤمنين عليه السلام قد بذل جهداً استثنائياً في رعاية شؤون الدولة الإسلامية حتى تستمر من دون تلكؤ أو توقف سواءً كان في أثناء حكم الخلفاء أو في عهده المبارك، وما إن تسلّم زمام الأمور حتى خطا خطوات عظيمة في إحياء سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفي الدعوة إلى الحياة في ظلّها، وقد اهتم اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وتفسيره، وتربية الأمة، وإصلاح الفساد أينما وجد، ويمكننا أن نلحظ الخطوات التي قام بها أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده المبارك، وإليك - عزيزي القارئ - جملةً منها، وهي كما يلي:

أ - فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكل ما يتعلق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين عليه.

ب - الاهتمام بالقرّاء مراعياً لشؤونهم، ومتبعاً فيهم سنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التعليم، فكان تعليم قراءة القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة ما فيه من العلم والعمل، والتفقّه في أحكام الدين.

ج - الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لا يُحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام[١].

د - دعا الإمام عليه السلام إلى رواية السُنّة النبوية وتدوينها ومدارستها فكان يقول: ((قيّدوا العلم بالكتابة))[٢]، وأمر عليه السلام بالبحث في علوم السنّة فيقول: ((تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس))[٣].

هـ - ركّز الإمام على مصدرية القرآن والسنّة في التشريع والأحكام، وأدان المصادر الأخرى كالاستحسان والقياس وغيرهما ممّا لا يكون مصدراً شرعياً للأحكام الإلهية[٤].

كما أن الإمام عليه السلام أحيى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبداع مَن سبقهُ من الخلفاء[٥].

---

(١) الأغاني، ١٣/١٢، الفهرست لابن النديم، ص٥٩، وفيات الأعيان، ٢١٦/٢، والبداية والنهاية، ٣١٢/٨.

(٢) الطبقات الكبرى، ١٨٦/٦ وتدوين السُنّة الشريفة للسيد الجلالي، ص١٣٧.

(٣) كنز العمّال، ص١٠، حديث ٢٩٥٢٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة التراويح، ومسند أحمد، ٤٠٦/٥ وصحيح البخاري كتاب الخمس باب ٥، حديث ٢٩٤٤ وسنن أبي داود، ٢، حديث ١٦٢٢.

و - استطاع الإمام عليه السلام أن يبني ثلّةً صالحةً من المؤمنين تتحرّك في المجتمع الإسلامي للمساهمة في قيادة التجربة الإسلامية والمحافظة على المجتمع الإسلامي.

ويبدو أن الإمام علياً عليه السلام بدأ عملياً في هذا المسار منذ حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر منه، فنجد أن النبي كان يوكل مهمّة تعهّد ورعاية مَن يجد فيهم الرغبة والوعي في التحرّك الإسلامي إلى الإمام علي عليه السلام وكان عليه السلام يحثُّ على التمسّك في العمل بخط علي عليه السلام حتى تكوّنت جماعة عُرفت بشيعة علي في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل: عمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن عباس، ممّن ثبتوا على هذا الخط رغم كلّ الظروف الصعبة التي مرّت بها التجربة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وحين استلم أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة احتفّت به جماعة من المؤمنين الأوفياء الأشداء، فأزداد الإمام عليه السلام اعتناءً بهم وأعدّهم إعداداً رسالياً خاصاً، وأودعهم علوماً شتى في مختلف نواحي الحياة، وقام هؤلاء الصحابة الأجلاء بدورهم في دعم الرسالة الإسلامية ومساندة الإمامة والمحافظة على الشريعة من الزيغ والانحراف والاندثار، فكانت مواقفهم رائعة وبطولية مقابل الحكّام الطواغيت والمتسلّطين بغير حقّ على أمور المسلمين، ومن هؤلاء: مالك الأشتر، كميل بن زياد النخعي، محمد بن أبي بكر، حجر بن عدي، عمرو بن الحمق

الخزاعي، صعصعة بن صوحان العبدي، رشيد الهجري، هاشم المرقال، قنبر، سهل بن حنيف، وغيرهم[1].

(١) انظر: أعلام الهداية، ج٢، ص١٨٨.

الفصل الثاني
موقف الإمام علي عليه السلام من الناكثين

في الحقيقة والواقع، إنّ بيعة الناس لأمير المؤمنين علي عليه السلام كانت بمنزلة الصاعقة التي حلّت بقريش وكلّ الذين في قلوبهم مرض، ويكنّون العداء للإسلام والمسلمين، لأن حكومة الإمام عليه السلام هي الامتداد الطبيعي لحكومة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، التي أذلّت الجبابرة والطغاة، وحاربت الظلم والطغيان والبغي والعدوان، وحقّقت العدل والمساواة والإنصاف، وجاءت بالفضيلة والحق ومحاسن الأخلاق، وحطّمت الرذيلة ومنافع الربا والاحتكار والاستغلال، فعزّ على كثير من رجالات قريش وكبّارها أن يكونوا على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين في حكومة الإمام عليه السلام الذي طالت إصلاحاته وقراراته الجميع بما فيهم ولاة عثمان.

فطبيعي جداً إنّ كلّ الذين لا يهضمون الإسلام، ولا يُدركون مساواته وعدالة الإمام عليه السلام، والذين يُحبّون الباطل ويمقتون الحقّ، فإنّهم حتماً لا يستسيغون ذلك البتّة ويرفضونه رفضاً قاطعاً، فيظهرون على حقيقتهم أعداءً ألدّاء ومن مثيري الفتن هنا وهناك.

لذا لم نستغرب مما فعله طلحة والزبير ومعاوية وغيرهم كثير بإثارة الفتن وحمل الناس على العصيان، ونكث البيعة، ومحاربة أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلّ ما أوتوا من قوّةٍ ومكرٍ وخداع، خصوصاً بعد أن علموا أن لا مجال لهم في حكومة الإمام عليه السلام التي تعتمد القرآن والسُنّة مصدراً ودستوراً للتشريع

والتنفيذ، وتعمل بخطىً حثيثة وجهودٍ مستفيضة من أجل التغيير والإصلاح الشامل.

ولا شك إنّ وجود الإمام علي عليه السلام في قمّة السلطة يُعدُّ تهديداً صارخاً لمجموعاتٍ كانت تستغل مكانتها الاجتماعية ومناصبها الحكومية في عهد عثمان وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها، وكذلك للخط القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش، لأن الإمام عليه السلام قد عُرِفَ عنه بأنّهُ قادرٌ على تنفيذ كلمة الله على الأرض، وتجسيد قوانين الإسلام الحق في الواقع من دون أن تأخذهُ في الله تعالى لومةُ لائم، ولهذا فهو عليه السلام سيكشف ويحارب كلّ زيف وانحراف دون تردّد وتلكؤ.

ومن هنا اجتمعت آراءُ وأهواءُ أعداءِ الإسلام والإمام عليه السلام على إثارة الفتن للحيلولة دون استقراء الحكم الجديد الحق، وهذا لم يكن بالأمر الغريب على أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث أنه يعلمُ علم اليقين بوجود تلك العناصر المعادية لنهجه وقراراته الصحيحة والحاسمة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبره بتمرّد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم كما أنه قد سمّاهم صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام بالناكثين والقاسطين والمارقين[1].

(١) مستدرك الحاكم، ١٣٩/٣. وتاريخ بغداد، ٣٤٠/٨ ومجمع الزوائد، ٢٣٥/٩. وكنز العمال، ٨٢/٦.

جاء رسول الله ﷺ منزل أم سلمة، فجاء عليٌّ عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: يا أُمّ سلمة، هذا واللهِ قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي[١].

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين[٢].

وقال أبو أيوب الأنصاري: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات[٣].

قال أبو ايوب: قلتُ: يا رسول الله، مع مَن تقاتل هؤلاء الأقوام ؟ قال: معَ علي بن أبي طالب[٤].

وقال رسول الله ﷺ لأُمّ سلمة: يا أُمّ سلمة اسمعي وأشهدي: هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين[٥].

---

(١) الفرائد للحمويني الباب ٢٧ و ٢٩، الكفاية للكنجي، ص٦٩، كنز العمّال، ١٥٤/٦، الاستيعاب، ٥٣/٣، ميزان الاعتدال للذهبي، ٢٦٣/٢، مجمع الزوائد، ٢٣٩/٣، أُسد الغابة، ١١٤/٤.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الشعفات: جمع شعفة وهي رؤوس الجبال، (تاج العروس، ٣٠٥/١٢).

(٤) المستدرك على الصحيحين، ١٥٠/٣، ح٤٦٧٥٠.

(٥) الفرائد للحمويني، الباب ٢٧، ٢٩. الكفاية، الكنجي، ص٦٩. كنز العمّال، ١٥٤/٦. الاستيعاب، ٥٣/٣. ميزان الاعتدال للذهبي، ٢٦٣/٣. مجمع الزوائد، ٢٣٩/٣. المستدرك، الحاكم، ١٣٩/٣، أُسد الغابة، ١١٤/٤.وتأريخ بغداد ٨ /٣٤، فرائط السمطين ، ص٢٨٤، كفاية الطالب ، ص١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

فقلتُ: يا رسول الله مَن الناكثون ؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة ينكثونه بالبصرة، قلتُ مَن القاسطون ؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام ثم قلتُ: مَن المارقون ؟ قال: أصحاب النهروان[1].

وهناك روايات كثيرة واردة عن النبي الأكرم ﷺ بهذا الخصوص، إلاّ أننا نكتفي بهذا القدر، ومَن أراد التوسعة فليراجع المصادر التاريخية الخاصة بذلك.

وقد قال الإمام علي عليه السلام في لوم هؤلاء العصاة البغاة الطغاة: ((ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطّلتم حدوده، وأمتّم أحكامه، ألا وقد أمرني اللهُ بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلتُ، وأما القاسطون فقد جاهدتُ، وأما المارقة فقد دوّخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة لها وَجْبة[2] قلبه، ورجّه صدره[3])).

وقال عليه السلام: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين طلحة والزبير، والقاسطين معاوية وأهل الشام، والمارقين، وهم أهل النهروان ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم[4].

---

(١) معاني الأخبار، ٢٠٤/١ عن المفضل بن عمر، الأمالي للصدوق، ص٢٦٤ و ٦٢٠، الأمالي للطوسي، ص٤٦٥ - ٩٥٢.

(٢) وَجْبَة قلبه: أي خفقاته (النهاية ١٥٤/٥).

(٣) رجّة صدره: اضطرابه (النهاية، ١٩٨/٢) الخطبة ١٩٢ في نهج البلاغة وغرر الحكم، ص٢٧٩٠ وعيون الحكم والمواعظ، ٢٣٩٧/١٠٩ وبحار الأنوار، ٣٧/٤٥٧/١٤.

(٤) الملاحم والفتن، ٣٢٠/٢٢٢.

عائشة تعلن التمرد على أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لقد أكّدت لنا كتب التاريخ وأقوال الرواة وأحاديثهم المستفيضة أن عائشة قد فرحت بمقتل عثمان وتولّي طلحة الزعامة بعده في بادئ الأمر عندما أخبرها الناعي بذلك وهي تؤدّي مناسك الحج، فاستبشرت وقالت: قتلته أعماله، إنّه أحرق كتاب الله، وأمات سنّة رسول الله فقتلوه، وهي كانت تردّد من قبل قولها: (اقتلوا نعثلاً) وتحرّض الناس على التمرّد عليه وعلى قتله[(1)].

ولكنّها حينما فوجئت بأن الأمر قد استقر بعد بيعة الناس إلى الإمام علي عليه السلام حيث أخبرها رجل يُقال له (عبيد ابن أم كلاب) في موضع يقال له (شرقاء) كرّت راجعة نحو مكة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع إلى المدينة[(2)]. وأعلنت حزنها وتظلّمها على عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله فأختلقت عذراً واهياً، فقالت: إنّهم استتابوهُ ثم قتلوه[(3)] وكأنها كانت حاضرة تشهد مقتله.

وعندما وصلت عائشة إلى مكة جاءها رجل يُقال له: (يعلى بن منيّة) وكان من بني أمية وشيعة عثمان، فقال لها: قد قُتِل خليفتك الذي كنتِ تحرّضين على قتله. فقالت عائشة: برئتُ إلى الله ممّن قتله.

فقال الرجل الآن أظهري البراءة ثانياً من قاتله.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ٦/٢١٥، وكشف الغمة، ٣/٣٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ٣/٢٠٦.

(٣) الكامل في التاريخ، ٣/٢٠٦.

فخرجت إلى المسجد، فجعلت تتبرأ ممّن قتل عثمان، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة، فكتبا إليها كتاباً مع ابن اختها عبد الله بن الزبير وكان مضمون الكتاب: (خذّلي الناس عن بيعة علي، وأظهري الطلب بدم عثمان).

فرأت عائشة ذلك الكتاب وكشفت عمّا في ضميرها، وجعلت تطلب بدم عثمان، وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت: (أيها الناس إنّ الغوغاء السفلة من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال الأحداث، وقد استعمل أمثالهم من قبله، ومواضع الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزل عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام، واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام.

والله لاصبع من عثمان خير من طباق الأرض أماثلهم.

والله، لو أن الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، والثوب من درنه، إذ ماصّوه كما يماصّ الثوب بالماء.

فتقدّم عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة وقال: أنا أول طالب بدمه، فكان أول مجيب، فتبعه بنو أميّة، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان إلى مكّة فرفعوا رؤوسهم، فكان أول ما تكلّموا في الحجاز[1].

---

(١) الصراط المستقيم، ١٦٤/٣، الجمل، المدني، ص٢٤، البحار، ١٤٢/٣٢، تاريخ ابن الأثير، ٨٠/٣، تاريخ الطبري، ٤٥٩/٤. تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ص٦١. الإمامة والسياسة، ٤٩/١. السيرة الحلبية، ٢٨٦/٣. المناقب للخوارزمي، ص١١٧.

وأعلنت عائشة حربها ضدّ الإمام علي عليه السلام في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[١]، وطمعت في توسيع جبهتها فحاولت مخادعة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخروج معها فامتنعن من ذلك، وحاولت أم سلمة أن تنصحها عسى أن ترجع عن غيّها وتجنّب الأمة البلاء والدماء.

فقالت لها: إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلاّ نعثلاً، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، افأذكّرك ؟ قالت أم سلمة: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه، فأطال فأردت إن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما، فما لبثتِ أن رجعتِ باكيةً، فقلتُ: ما شأنكِ ؟ فقلت: إنّي هجمتُ عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعلي: ليس لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي ؟ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي وهو غضبان محمّر الوجه، فقال: ((إرجعي وراءكِ والله لا يبغضهُ أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإيمان)) فرجعتِ نادمة ساخطة.

قالت عائشة: نعم اذكر ذلك، قالت أم سلمة: أي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت أم سلمة: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها[٢].

---

(١) تاريخ الطبري، ٤٧٤/٣.

(٢) شرح النهج لإبن أبي الحديد: ٦ / ٢١٧، بحار الأنوار: ٣٢ / ١٤٩.

وروي: أن نساء النبي ﷺ خرجت مع عائشة إلى منطقة ((ذات عرق)) ويبدو أنهنّ حاولن إرجاع عائشة إلى المدينة والحيلولة دون وقوع الفتنة، فلم يتوصلن إلى حل فبكين على الإسلام وبكى الناسُ معهنّ، وسُمّي ذلك اليوم: ((يوم النحيب))[1].

التقاء الأهداف الخبيثة وتأجيج نار الفتنة:

لقد تحدّث المؤرخون بكلّ وضوح وجلاء تنام أن لكل من طلحة والزبير ومعاوية ومروان بن الحكم وغيرهم هدفاً سياسياً شخصياً خبيثاً يظهر من خلال تحرّك كلّ واحد منهم ضدّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وتأجيج نار الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان، وقد وحّدت هذه الضديّة تلك الأهداف الخبيثة التي عملت عملها الفاعل من هدم المجتمع الإسلامي وتمزيق الأمة وإشعال نار الحرب والفتنة التي أكلت الأخضر واليابس، والأهم والمهم، والغالي والنفيس، وقد دفعت الرسالة والأمة الثمن الباهض بسببها. وما هذه الخسائر الكبيرة، والانحراف الخطير، والوهن العظيم الذي أصاب الأمة الإسلامية إلاّ نتيجة من نتائج تلك الحماقات والأهداف الخبيثة التي حققّها أصحابها الماكرون الخارجون على الشرعية والقانون ومبادئ شريعة السماء.

(١) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٠٩.

مكر معاوية بن أبي سفيان:

من الواضح أن بلاد الشام كانت بعيدةً عن عاصمة الخلافة الإسلامية وهذا بدوره قد أعطاها قدراً كافياً من الاستقرار والقوّة، وهي بالحقيقة ملكٌ لآل أبي سفيان وهبة السقيفة لهم نتيجة مكرهم، وبغضهم للرسول وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ولم تكن لهم مشكلة معها.

لذلك نرى أن معاوية كان يتمتّع بسيطرة إدارية على شؤون بلاد الشام، ولديه أجهزة ظالمة ماكرة يستطيع بها أن يحرّكها وفق رغباته وأهوائه، وما كانت لديه معوقات أو مشاكل مع جماهير الشام لأن بلاد الشام - وكما عرفنا - منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان ولاةً عليها من قبل الخليفة، فقبل معاوية كان أخوهُ يزيد بن أبي سفيان والياً عليها.

وقد بدأ معاوية تحرّكه السياسي لتأجيج نار الفتنة المضطرمة بسبب قتل الجماهير لعثمان بن عفان وقد رفع قميصه والمطالبة بدمه شعاراً لتمرده على الشرعية والخلافة الحقّة، ومن ثمّ يستثمر ذلك كله لصالحه، وقد مكر مكراً كباراً قبل ذلك، حيث أرسل رسالةً يُشَمُّ منها رائحة المكر والخداع إلى الزبير وطلحة مخاطباً إياهما بصيغةٍ تحرّك فيهما الأطماع والرغبة الجديّة للدخول في الصراع الحقيقي ضد أمير المؤمنين عليه السلام فتزداد الفتنة اشتعالاً في العاصمة المركزية للدولة الإسلامية.

حيث جاء في رسالة معاوية إلى الزبير ما نصّه:

((لعبد الله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان.. سلام عليك أما بعد: فإنّي قد بايعتُ لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق

الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعتُ لطلحة من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناسَ إلى ذلك، وليكن منكما الجدُّ والتشمير، أظفركما اللهُ وخذل مناوئكما))[1].

ولما وصلت رسالة معاوية إلى الزبير، خفّ لها طرباً واطمأن إلى صدق نيّة معاوية، واتفق هو وطلحة على نكث بيعة الإمام علي عليه السلام والخروج عليه، فأظهرا الحسرة والتأسّف على بيعتهما للإمام عليه السلام مردّدين: بايعنا مكرهين، وللعلم قد جاء طلحة والزبير إلى الإمام علي عليه السلام بعد البيعة بأيام فقالا له: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاّك اللهُ الخلافة من بعده، فولّنا بعض أعمالك!

فقال لهما عليه السلام: أرضيا بقسم الله لكما، حتى أرى رأيي، وأعلما أني لا أُشرك في أمانتي إلاّ مَن أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومَن قد عرفت دخيلته، فأنصرفا عنه وقد دخلهما اليأس[2].

وما إن وصلت إلى أسماع الزبير وطلحة صيحة عائشة محرّضةً على الإمام علي عليه السلام حتى اجتهدا في إيجاد الحيلة للخروج إليها، وروي أنهما جاءا يطلبان من الإمام عليه السلام المشاركة في الحكم فلم يتوصلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشة، ثم عادا ثانيةً إلى الإمام عليه السلام ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ٢٣١/١.

(٢) شرح النهج، ٢٣١/١ و ١٣٨/٨.

الإمـام عليه السلام: ((نعـم والله مـا لعمـرة تريـدان وإنمـا تريـدان أن تمضـيا لشـأنكما[١] وروي أنه عليه السلام قال لهما: بل تريدان الغدرة))[٢]. وقد حصـل بالفعـل كمـا قـال لهما الإمام علي عليه السلام فقد غدرا ونكثا البيعة وقُتلا وخسر الدنيا والآخرة.

وعلى كـل حـال، فقـد أجمع رأي الخـارجين على بيعـة الإمـام عليه السلام في بيـت عائشة في مكّة بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمـان، فضـمّ الاجتمـاع الزبير وطلحة ومروان بن الحكـم علـى أن يتخـذوا مـن دم عثمـان شـعاراً لتعبئـة الناس لمحاربة الإمام علي عليه السلام فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمـرّد والعصـيان، وأن الإمـام عليـاً عليه السلام هـو المسـؤول عـن إراقـة دم عثمـان، لأنـه آوى قتلتـه ولم يقتصّ منهم، وقرّروا أن يكون زحفهم نحـو البصـرة واحتلالهـا واتخاذهـا مركـزاً للتحرّك ومنطلقاً للحرب، حيث أن معاوية يسيطر على الشام، والمدينة لا زالـت تعيش حالة الاضطراب[٣].

رسائل عائشة:

لقد أحزمت عائشة أمرهـا، وجدّ جدُّها في محاربـة أمير المؤمنين علـي عليه السلام واشـعال نـار الفتنـة، وتقـويض الشـرعية الـتي أمـر الله تعـالى ورسـوله صلى الله عليه وآله بهـا، فراحت تكتب الرسائل إلى الرجال والأمصار وتحثّ على إشـعال نـار الحـرب، وتخـذيل النـاس عـن الإمـام المعصـوم علـي عليه السلام الـذي تعـرف قـدره وشـرعيته

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص٧٠.

(٢) شرح النهج، ٢٣٢/١.

(٣) تاريخ الطبري، ٤٧١/٣، ط مؤسسة الأعلمي.

وقرابتهُ من رسول الله ﷺ، وجهادهُ في تثبيت دعائم الإسلام، والدفاع عن الرسول والرسالة.

فقد كتبت إلى الأحنف بن قيس في البصرة، وكتبت إلى مدن أخرى، وكتبت إلى أهالي الكوفة وتأمرهم أن يثبّطوا الناس عن علي، وتحثّهم على طلب قتلة عثمان، وكتبت إلى أهل اليمامة، وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً[1].

وكتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم، فأنصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علي.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة بن أبي بكر، أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك، وإلاّ فأنا أول من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم اللهُ أُمّ المؤمنين! أُمرتْ أن تلزم بيتها، وأُمرنا أن نقاتل، فتركت ما أُمرت به وأمرتنا به، وصنعتْ ما أُمرنا به ونهتنا عنه![2].

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢٢/٢. تاريخ الطبري، ٤٧٢/٤ وفيه نصّ الكتاب، والبداية والنهاية، ٢٣٤/٧.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٧٦/٤ والكامل في التاريخ، ٣١٩/٢. العِقد الفريد، ٣١٧/٣. شرح نهج البلاغة، ٢٢٦/٦ عن الحسن البصري، رجال الكشي، ١٢٠/٣٨٤/١. الجمل، ص٤٣١. البداية والنهاية، ٢٣٤/٧.

حركة عائشة ومسيرها نحو البصرة:

لقد نادى منادي عائشة وطلحة والزبير: مَن كان يريد المسير فليسر، فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم(١) وكان ذلك في سنة ٣٥هـ، بعد إن كان ينادي سابقاً عكس ذلك.

وقد أكّد المنادي: أنّ أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام، وقتال المحلّين، والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز، فهذا جهاز، وهذه نفقة(٢).

وكان هذا أعظم حدث خطير أحدثه هؤلاء الثلاثة ومَن لفّ لفّهم، في دنيا الإسلام، أفقد العالم الإسلامي توازنهُ ومركزيته في الوجود كلّه.

ولّما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيّداً يحملُ هودجها، فجاءهم يعلى بن أميّة ببعيره المسمّى (عسكراً) وكان عظيم الخلق شديداً، فلما رأته أعجبها، وانشأ الجمّال يحدّثها بقوّته وشدّته، ويقول في أثناء كلامه عسكر، فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردّوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يُطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه، فغُيّر لها بجلال(٣) وقيل لها: قد أصبنا لكِ أعظم منه خلقاً، وأشدّ قوّةً، وأتيت به فرضيت(٤).

---

(١) الجمل، ص٢٣٣. وشرح الأخبار، ٣٥١/٤٠١/١.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٥١/٤ والكامل في التاريخ، ٣١٤/٢.

(٣) جلال كلّ شيء: غطاؤه (لسان العرب، ١١٨/١١).

(٤) شرح نهج البلاغة، ٢٢٤/٦ وبحار الأنوار، ١١٢/١٣٨/٣٢.

وكان النبي ﷺ قد سمّى لعائشة اسم جملها عسكر ونبح كلاب الحوأب لها[١] حيث قال ﷺ وعنده نساؤه: ((ليت شعري، أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة، تنجو بعدما كادت تُقتل... ردّوني، ردّوني. فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة[٢].

وقد مضت عائشة وطلحة والزبير ومَن معهم في خطّتهم لإثارة الفتنة والدخول في المواجهة المسلّحة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام الخليفة الشرعي، فحشّدوا أعداداً من الناس يدفعهم الحقد والكراهية للإسلام والإمام عليه السلام ويحدوهم الطمع بالدنيا ونيل السلطان، وقد جهّزهم يعلى بن منية بمستلزمات الحرب من السيوف والإبل التي سرقها من اليمن عندما عزله الإمام علي عليه السلام عنها، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بمالٍ كثير من البصرة سرقة أيضاً[٣].

وجهّزوا لعائشة جملها المسمّى عسكر وقد احتفّ به بنو أمية وهي تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجّهين نحو البصرة تسبقهم كتبهم التي أرسلوها إلى عدد من وجوه البصرة، يدعونهم فيها للخروج على بيعة الإمام عليه السلام بدعوى المطالبة بدم عثمان[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٨٦/٢.

(٣) الإمامة والسياسة، ص٧٩، والكامل في التاريخ، ٢٠٧/٣.

(٤) الإمامة والسياسة، ص٨٠، والكامل في التاريخ، ٢١٠/٣.

وبدرت سمت المكر والخداع - التي تكون ملازمة لكلّ من ناوأ الإمام علياً - من زعماء الفتة، فلما خرجوا من مكة أذّن مروان بن الحكم للصلاة ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير محاولاً إثارة الوقيعة بين الرجلين وغرس فتنة ليستغلّها إن تمكّن من الأمر، فقال: على أيّكما أُسلّم بالإمرة وأؤذن بالصلاة ؟ فتنافس أتباع الرجلين كلٌّ يريد تقديم صاحبه، فأحسّت عائشة بوقوع التفرقة فأرسلت أن يصلّي بالناس ابن اختها عبد الله بن الزبير.

وحين وصل جيش عائشة إلى منطقة (أوطاس) لقيهم سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة، وحين علم سعيد بدعوى عائشة (الطلب بدم عثمان) استهزأ ضاحكاً وقال: فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أمّ المؤمنين[1].

وروي: أنّ سعيداً قال: أين تذهبون وتتركون ثأركم وراءكم على أعجاز الإبل ؟! يقصد بذلك طلحة والزبير وعائشة، ووصل الجيش إلى مكان يُقال له: (الحوأب) فتلقّتهم كلاب الحي بنباح وعواء، فذعرت عائشة وسألت محمد بن طلحة عن المكان فقالت: أي ماء هذا ؟ فأجابها: ماء الحوأب يا أُمّ المؤمنين.. فهلعت وصرخت ما أراني إلاّ راجعة، قال: لِمَ ؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: كأنّي باحداكنّ قد تنبحها كلابُ الحوأب وإيّاك أن تكوني يا حميراء[2]. ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردّوني أنا والله صاحبة ماء

(١) الإمامة والسياسة، ص٨٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ص٨٢. مسند أحمد بن حنبل، ٥٢١/٦ وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٤٩٣/٢.

الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك[١] فكانت أول شهادة زور في الإسلام.

مناوشات على مشارف البصرة:

حين شارف جيش عائشة مدينة البصرة، قام عثمان بن حنيف والي الإمام عليه السلام على البصرة موضّحاً أمر الجيش المتقدّم إليهم، ومحذّراً الناس من الفتنة وبطلان وضلالة موقف زعماء الجيش، وأعلن المخلصون للإسلام وللإمام عليه السلام استعدادهم للدفاع عن الحق والشريعة المقدّسة وصدّ الناكثين عن الاستيلاء على البصرة[٢].

وفي محاولة من عثمان بن حنيف - الذي يتأسّى بأخلاق الإسلام ويطيع إمامه عليه السلام - سعى أن يثني عائشة ومَن معها من غيّهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليحاجّجوا عائشة ومَن معها ببطلان موقفهم، ولكنّ محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة ومعها طلحة والزبير مصرّين على نيّتهم في إثارة لفتنة وإعلان الحرب[٣].

وأقبلت عائشة ومَن معها حتى انتهوا إلى (المربد) فدخلوا من أعلاهُ وخرج إليهم عثمان بن حنيف ومَن معهُ من أهل البصرة، فتكلّم طلحة والزبير وعائشة

(١) الإمامة والسياسة، ص٨٢، مروج الذهب، ٣٩٥/٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ص٨٣.

(٣) تاريخ الطبري، ٤٧٩/٣، ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التاريخ، ٢١١/٣.

يحرّضون الناس على الخروج على بيعة الإمام عليه السلام بدعوى الثأر لعثمان، فأختلف الناس بين معارضٍ ومؤيّد.

وأقبل جارية بن قدامة السعدي لينصح عائشة عسى أن يردّها عن تأجيج الفتنة، فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، لئن كنتِ أتيتنا طائعة فأرجعي إلى منزلك، وإنْ كنتِ أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس(١).

الافتتان ثمّ الاقتتال فالهدنة ثمّ الغدر:

نعم، لقد افتتن الناس بقدوم عائشة وجيشها على البصرة، فبين منكر ومؤيّد، ومصدّق ومكذّب، افترقت جماهير البصرة، وتأزّم الموقف، فأصطدم الناس واقتتلوا على فم السكّة ولم يحجز بينهم إلاّ الليل، وكان عثمان بن حنيف لا يريد إراقة الدماء ويجنح للسلم وينتظر قدوم الإمام علي عليه السلام إلى البصرة، فلمّا عضّت الحربُ الطرفين، تنادوا للصلح، فكتبوا كتاباً لعقد هدنة مؤقّتة على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة، خرج ابن حنيف عن البصرة، وإلاّ خرج عنها طلحة والزبير(٢).

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/٤٨٢، ط مؤسسة الأعلمي والكامل في التاريخ، ٣/٢١٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ص٨٧ والطبري، ٣/٤٨٣ - ٤٨٤، ط مؤسسة الأعلمي والكامل في التاريخ، ٣/٢١٥.

وعاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء أُسامة بن زيد أنّ طلحة والزبير بايع مكرهين ومخالفة أهل المدينة لرأي أسامة فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلةٍ ذات رياح ومطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه وأسروا ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه، ولكنّهم خافوا من قتله لأن أخاه سهل بن حنيف والي الإمام على المدينة[1].

موقف الإمام علي من التمرّد والعصيان:

لقد لاحظ الإمام عليه السلام بعد استلامه زمام الحكم أنّ هناك عقبةً كبيرةً تقف حائلاً دون تحقيق الأمن والاستقرار وسيطرة الحكومة الشرعية، ألا وهي إعلان التمرّد من قبل معاوية بن أبي سفيان على الخلافة الحقّة، فشرع أمير المؤمنين علي عليه السلام بالاستعداد العسكري والسياسي للقضاء على هذا التمرّد وإيقاف التمزّق في كيان الأمة الإسلامية ومنع سفك دماء المسلمين والمؤمنين.

إلاّ إنّ الذي حال دون ذلك هو علم الإمام علي عليه السلام بحركة عائشة وطلحة والزبير نحو البصرة وإعلانهم العصيان والتمرّد والحرب على الخلافة الشرعية والحكومة الحقّة المركزية، فعدل عليه السلام عمّا كان يخطط له لمعالجة تمرّد معاوية بالشام، فاتجه عليه السلام نحو البصرة بجيش يضم وجوه المهاجرين والأنصار، وقد كان منهم ثمانون من أهل بدر وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الإمامة والسياسة، ص٨٩، وتاريخ الطبري، ٤٨٤/٣، ط مؤسس الأعلمي ومروج الذهب للمسعودي، ٣٦٧/٢.

وعندما وصل الإمام عليه السلام إلى منطقة (الربذة) كتب إلى الأمصار يستمد المساعدة والعون ويوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة وحصرها في أضيق نطاق، فأرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فأبى أبو موسى الأشعري الاستجابة للإمام عليه السلام ومارس دور المثّبط عن مناصرة الإمام عليه السلام في موقفه، ثم أرسل عبد الله بن عباس ولم يتمكّن من إقناع أبي موسى بالإنصياع والكف عن تثبيط الناس عن نصرة الإمام، فأرسل عليه السلام ولده الحسن وعمار بن ياسر ثم تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أبا موسى وتحركت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين عليه السلام فلحقت به في (ذي قار).

وفي هذه الأثناء لم يتوقف الإمام عليه السلام في مراسلة طلحة والزبير وايفاد الرسل إليهما عسى أن يعودا لرشدهما ويُدركا خطورة فتنتهما فيجنبا الأمة المصائب والبلايا وسفك الدماء، وأوفد إلى عائشة زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس وغيرهما، فحاورهم بالحجّة والدليل والعقل حتى أن عائشة قالت لابن عباس: لا طاقة لي بحجج علي، فقال ابن عباس: لا طاقة لكِ بحجج المخلوق فكيف طاقتكِ بحجج الخالق ؟![1].

وقد أكثر الإمام علي عليه السلام من مراسلة طلحة والزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة ومَن معها من إقتناع قادتها وجموع الناس معها بحجج الإمام عليه السلام فخرجوا لملاقاته، فلما توقفوا للقتال أمر الإمام عليه السلام

(١) الإمامة والسياسة، ص٩٠، وبحار الأنوار، ١٢٢/٣٢.

منادياً ينادي في أصحابه: ((لا يرمينّ أحدٌ سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعذر القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة))[١].

فلم يجد منهم الإمام عليه السلام إلاّ الإصرار على الحرب، ثُم خرج الإمام عليه السلام إلى الزبير وطلحة فوقفوا ما بين الصفين، فقال الإمام عليه السلام لهما: ((لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما ؟ تحرّماني دمي وأحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي ؟

ثم قال لطلحة: أجئتَ بعرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقاتل بها وخبّأت عرسكَ في البيت ؟ أما بايعتني ؟ ثم قال عليه السلام للزبير: قد كُنّا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنُك ابن السوء عبد الله ففرّق بيننا، ثم قال عليه السلام: أتذكرُ يا زبير يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكتُ إليه فقلت له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس بمُزهٍ - أي: ليس به زهو - لتقاتله وأنت له ظالم ؟! قال الزبير: اللهم نعم.

وروي أن الزبير اعتزل الحرب وقُتل بعيداً عن ساحة الحرب بعد أن استعرت الفتنة[٢] كما أن طلحة قتله مروان بن الحكم في ساحة المعركة[٣]. وقد قال عند موته:

(١) الإمامة والسياسة، ص٩١، ومروج الذهب، ٢٧٠/٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ص٩١، ومروج الذهب، ٢٧٠/٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ١٥٨/٣، والإمامة والسياسة، ص٩٧.

نـــدمتُ ندامـــةَ الكُســـعيِّ لمـــا طلبـت رضـا بـني حَـزْمٍ برغمـي

نشوب المعركة:

كان الإمام عليه السلام طامحاً حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال عليه السلام لأصحابه: ((لا يرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى احدث إليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال والقتل))[1].

وشرع أصحاب الجمل بالرمي فقُتل رجل من أصحاب الإمام، ثم قُتل ثانٍ وثالث، عندها أذِنَ عليه السلام بالردّ عليهم والدفاع عن الحق والعدل.

التحم الجيشان يقتتلان قتالاً رهيباً، فتساقطت الرؤوس وتقطّعت الأيادي وأُثخنت الجراحات في الفريقين، ووقف أمير المؤمنين ليشرف على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادى بأعلى صوته: ((ويلكم اعقروا الجمل فإنّه شيطان...)).

فهجم الإمام عليه السلام وأصحابه حتى وصلوا الجمل فعقروه، ففرّ من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر عليه السلام بعد ذلك بحرق الجمل وتذرية رماده في الهواء لئلاّ تبقى منه بقية يفتتنُ بها السذّج والبسطاء، ثم قال الإمام عليه السلام: ((لعنة الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل)).

(١) شرح النهج، ٩/١١.

ومدّ بصرهُ نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى: ﴿...وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[1].

وكان عسكر الإمام عليه السلام عشرين ألفاً، وعسكر عائشة ثلاثين ألفاً، ونقل المسعودي وصفاً رائعاً عن المنذر أبي الجارود لعسكر الإمام عليه السلام لما قدم إلى البصرة حيث قال:

لّما قدم علي البصرة خرجت أنظر فإذا بموكب في ألف فارس... مدجّجين في الحدديد والسلاح يتقدمهم فارس فقلتُ من هذا ؟ قالوا هذا أبو أيوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهؤلاء الانصار... ومثله خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين وعمار بن ياسر وقد أثّر السجود في وجوههم وعليهم السكينة والوقار وعمار رافع صوته بقراءة القرآن وحوله مشيخة وكهول وشبّان، كأنما قد أوقفوا للحساب، ومعه عدّة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مرّ آخر وآخر حتى ورد موكب فيه خلق من الناس، عليهم السلاح مختلفوا الرايات، يتقدّمهم رجل شديد الساعدين ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن الوجه وبين يديه شاب مثلهما، قلتُ من هذا ؟ قالوا: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام وهذان الحسنان عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية

(١) سورة طه: الآية ٩٧.

العظمى والذين خلفه عبد الله بن جعفر وولد عقيل وغيرهم من فتيان قريش وهؤلاء المشايخ من حوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار(١).

وقد قُتل من جرّاء هذه الفتنة خلق كثير وجمّ غفير ولم تُرَ وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة(٢).

وقد قُتِل في معركة الجمل من جيش الإمام علي عليه السلام خمسة آلاف(٣).

وقُتِل من أصحاب الجمل عشرون ألفاً(٤). وقد ذكرت بعض المصادر إنّ مجموع قتلى الفريقين كان ثلاثين ألفاً(٥). فيما ذكرت أخرى أنه كان عشرين ألفاً(٦).

ودخلت أم أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت: يا أُمّ المؤمنين، ما تقولون في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت: وجبت لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً ؟ قالت: خذوا بيد عدوّة الله(٧).

---

(١) الجمل، ص٣٢٤. تاريخ الإسلام للذهبي، ٤٨٥/٣، العقد الفريد، ٣١٤/٣ وتاريخ خليفة ابن خيّاط، ص١٣٨.

(٢) البداية والنهاية، ٢٤٣/٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٥٣٩/٤. العقد الفريد، ٣٢٤/٣ والكامل في التاريخ، ٣٤٦/٢ ومروج الذهب، ٣٦٠/٢.

(٤) العقد الفريد، ٣٢٤/٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ١٨٢/٢ وتاريخ الإسلام للذهبي، ٤٨٤/٣.

(٦) أنساب الأشراف، ٥٩/٣.

(٧) عيون الأخبار لابن قتيبة، ٢٠٢/١ والعقد الفريد، ٣٢٨/٣، وأنساب الأشراف، ٥٩/٣.

ومن الجدير بالذكر إن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد ناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنّك إن تُصب يذهب الدين فأمسك ونحنُ نكفيك - بعد أن رأوه يهجم وحده ويخضب الأرض بدماء القتلى ويضرب جيش المرأة بالسيف قدماً قدماً، والرجل تفرُّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنةً ويسرة -.

فقال عليه السلام لهم: ((واللهِ ما أُريد بما ترون إلاّ وجه الله والدار الآخرة)) ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا ابن الحنفية، فقال الناس: مَن الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين.

وكان علي عليه السلام يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثني ثم يرجع فيقول: ((لا تلومني ولوموا هذا، ثم يعود فيقوّمه))[1].

وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة وأكثر أهلها مالاً وضياعاً - وصاحب منزل عائشة بالبصرة - فطلب البراز، وسأل ألا يخرج إليه ألا علي عليه السلام وارتجز فقال:

أبا ترابٍ ادنُ منّي فتراً ... فإنّي دانٍ إليكَ شبراً

وإنّ في صدري عليك غِمرا

فخرج إليه عليٌّ عليه السلام فلم يمهله أن ضربه ففلق هامته[2].

(١) المصنّف لابن أبي شيبة، ٢/٧٠٦/٨ والعقد الفريد، ٣٢٤/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٢٦١/١.

وهكذا تنتهي المعركة وينتصر الحقّ، ويزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً ويذهب طلحة والزبير وجندهما بعارها وشنارها ويخسر الجميع الذين ناوأوا الإمام علياً وحاربوه الدنيا والآخرة، لأن علياً عليه السلام مع الحق والحقُّ مع علي يدور معه حيثما دار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الخليفة الشرعي المنصوص عليه من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحب بيعة الغدير، والبيعة العلنية العامة بعد مقتل عثمان.

مواقف الإمام عليه السلام بعد انتهاء المعركة:

لقد كتب اللهُ النصر لأمير المؤمنين عليه السلام على مخالفيه، ووضعت الحربُ أوزارها، وانقشع غبار المعركة، ونادى منادي الإمام عليه السلام يعلن العفو العام: ألا لا يُجهز على جريح، ولا يُتبع مولٍ، ولا يُطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومَن أغلق بابه فهو آمن، وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلاّ ما وجد في عسكرهم من سلاحٍ أو غيره مما اُستخدم في القتال، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم(١).

وأمر الإمام عليه السلام محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى وسط ساحة المعركة وينحّوه جانباً، وأن يتعهّد محمد أمر أخته عائشة، فلما كان من آخر الليل أدخلها محمد البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٧٢/٢ ومروج الذهب، ٣٧١/٢.

وطاف الإمام عليه السلام في القتلى من أصحاب الجمل، وكان يخاطب كلاً منهم ويكرّر القول: ((قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدتَ ما وعدكَ ربُّك حقاً)) ومن امثال هؤلاء كعب بن سور الذي خاطبه الإمام قائلاً: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف، يزعم أنّه ناصر أمة يدعو الناس الى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثم أستفتح وخاب كلّ جبار عنيد، أما أنه دعا الله أن يقتلني، فقتله الله. اجلسوا كعب بن سور فأُجلس، فقال أمير المؤمنين: يا كعب قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً، فهل وجدت ما وعدكَ ربُّك حقاً ؟ ثم قال: أضجعوا كعباً[1].

ومرّ عليه السلام على طلحة بن عبيد الله فقال: ((هذا الناكث بيعتي، والمنشيء الفتنة في الأمة، والمجلب عليّ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، اجلسوا طلحة. فأُجلس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله، قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً، فهل وجدتَ ما وعدك ربّك حقاً ؟ ثم قال: اضجعوا طلحة وسار.

فقال له بعضُ مَن كان معه: يا أمير المؤمنين، أتكلّم كعباً وطلحة بد قتلهما ؟ قال: أمَ واللهِ إنّهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب[2] كلام رسول الله.

(١) كعب بن سور من بني لقيط، قتل يوم الجمل، كان يخرج بين الصفّين معه المصحف يدعو إلى ما فيه فجاءه بسهم غرب فقتله، ولاّه عمر بن الخطاب قضاء البصرة بعد أبي مريم (الجرح والتعديل، ٩١٢/١٦٢/٧).

(٢) القليب: البئر التي لم تطوَ (النهاية، ٩٨/٤) وأشار عليه السلام إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر مع قتلى قريش الذين طرحوا في البئر (السيرة النبوية لابن هشام، ٢٩٢/٢).

وقال عليه السلام أيضاً: ((ما ألوم اليوم مَن كفَّ عنا وعن غيرنا ولكنّ المليم الذي يقاتلنا))[(١)].

وأقام الإمام في ظاهر البصرة ولم يدخلها، وأُذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم[(٢)]. ثم دخل عليه السلام مدينة البصرة معقل الناكثين، فأنتهى إلى المسجد فصلّى فيه ثم خطب في الناس وذكّرهم بمواقفهم ومواقف الناكثين لبيعته، فناشدوه الصفح والعفو عنهم فقال عليه السلام: ((قد عفوتُ عنكم، فإياكم والفتنة، فإنّكم أول الرعية نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأمة)) ثم أقبلت الجماهير ووجوه الناس لمبايعة الإمام عليه السلام[(٣)].

وبعد ذلك دخل أمير المؤمنين بيت المال في البصرة، فلما رأى كثرة المال قال: ((غُرّي غيري..)) وكرّرها مراراً، وأمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلٌّ فرد منهم خمسمائة درهم، وأخذ هو كأحدهم، ولم يبقَ شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الوقعة يطالب بحصّته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه ولم يصب شيئاً[(٤)].

ثم أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشة وتسريحها إلى المدينة، وأرسل معها أخاها وعدداً من النساء ألبسهنّ العمائم وقلّدهن السيوف لرعاية شؤونها وأوصلتها إلى المدينة، ولكنّ عائشة لم تحسن الظن بأمير المؤمنين وتصوّرت أن الإمام لم

(١) الإرشاد للمفيد، ٢٥٦/١، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٥٥/٣.

(٣) تاريخ الطبري، ٥٤٤/٣، والإرشاد للشيخ المفيد، ص١٣٧.

(٤) شرح النهج، ٢٥٠/١.

يرعَ حرمتها، وما إن علمت أن الإمام عليه السلام بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها وفشلها وإثارتها للفتنة فكانت تكثر من البكاء[1].

نتائج حرب الجمل:

وإن كان من نتائج حرب الجمل هو القضاء على رأسي الفتنة طلحة والزبير وجزء كبير من المناوئين لأمير المؤمنين علي عليه السلام إلاّ أنها خلّفت نتائج سلبية على واقع المجتمع الإسلامي وأنهكته وشرذمته وآذتهُ كثيراً جداً، نذكر قسماً منها:

١- توسّعت مسألة قتل عثمان بن عفان حتى أصبحت قضية سياسية كبيرة جرّت من ورائها ظهور تيارات مناوئة فعلاً وقولاً لمسيرة الرسالة الإسلامية، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الانحراف الدموي في الجمل.

٢- شاعت الأحقاد بين المسلمين وفتحت باب الحرب والاقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقة بين أهل البصرة أنفسهم وبين باقي الأمصار الإسلامية فكانت العداوة لمطالبة بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون يتحرّجون من إراقة دمائهم.

٣- توسّعت جبهة الانحراف الداخلي في المجتمع الإسلامي، وأزدادت العراقيل أمام حكومة الإمام علي عليه السلام فبعد أن كان تمرّد معاوية في الشام فقط انفتحت جبهة أخرى مما أدى إلى انحسار التوسّع الخارجي، وكذلك انحسار الأعمال الإصلاحية والحضارية التي كان يمكن أن تنمو في المجتمع الإسلامي.

---

(١) الإمامة والسياسة، ص٩٨. مروج الذهب، ٢/٣٧٩. المناقب للخوارزمي، ص١١٥ والتذكرة للسبط ابن الجوزي، ص٨٠.

٤- إنّ الأحقاد والانحراف فتحا الطريق على المخالفين في المعتقد السياسي للجوء فوراً إلى حمل السلاح والقتال[١].

الإمام علي عليه السلام يتّخذ الكوفة عاصمةً للدولة الإسلامية:

بعد أن هدأت الأمور تماماً تحرّك الإمام علي عليه السلام نحو الكوفة ليتّخذها مقراً بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث[٢].

كما إن الإمام عليه السلام أمر عبد الله بن عباس على البصرة وشرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم[٣].

وكان لاختيار الإمام عليه السلام الكوفة عاصمة جديدة للدولة الإسلامية أسباب عديدة، نذكر منها:

١- إن العالم الإسلامي قد توسّع كثيراً من حيث النفوس والرقعة الجغرافية والإدارية وعلى هذا الأساس لابدّ أن تكون العاصمة السياسية والإدارية للدولة في موقع يساعد الحكومة المركزية في التحرك وقت الحاجة نحو جميع نقاط الدولة المترامية الأطراف.

٢- إنّ الذين أعانوا الإمام عليه السلام في واد الفتنة والقضاء على أصحاب الجمل هم كبّار شخصيات العراق ووجهاء الكوفة وكان لهم الثقل الأكبر في هذا

(١) انظر: أعلام الهداية، ٢٠٢/٢.

(٢) تاريخ الطبري، ٥٤٥/٣ و ٥٤٦.

(٣) تاريخ الطبري، ٥٤٦/٣، ط مؤسسة الأعلمي.

المضـمار بالإضـافة إلى جماهيرهـا الـتي أبلـت بـلاءً حسـناً في جهـاد الأعـداء والمناوئين للإمام عليه السلام والرسالة.

٣- إنّ فقـدان الأمـن والاسـتقرار في الكوفـة ومـا جاورهـا نتيجـة الظـروف السياسية والاجتماعية الناجمة عن مقتل عثمان بن عفان وحرب الجمـل شـجّع الإمام عليه السلام على الاستقرار في الكوفة ليُعيد لها الأمن والاستقرار ولجميع أرجاء المنطقة.

الفصل الثالث

موقف الإمام علي عليه السلام من القاسطين

لقد وصل معاوية إلى حكم الشام بناءً على الاتفاق الحاصل بين رجال السقيفة مع أبي سفيان بإعطاء الشام لبني أمية طعمة لهم، ولم يهتم عمر بن الخطاب للاعتراضات الموجّهة ضدّه جرّاء توليته معاوية الشام، وهو ابن (١٨ عاماً)(١).

وقد كان معاوية بن أبي سفيان على درجة كبيرة من الخطورة غير ملتزم بعهد ولا مرتبط بعقيدة، وقد وصفه عمر بكسرى العرب(٢)، لأنه أحيى سنة الأكاسرة في الترف والإسراف والتبذير. ومناقب معاوية باطلة جميعاً كما قال النسائي ذلك في كتابه: (خصائص الإمام علي عليه السلام). وقد قال عنه أحد المستشرقين:

((كان معاوية مخادعاً داهية ذا قلب خال من كلِّ شفقة، كان ذلك الأموي لا يتهيّب الإقدام على أي جريمة من أجل أن يضمن مركزه))(٣).

وقال الأحمسي: (كانت لي حاجة إلى عمر بن الخطاب فغدوتُ لأكلّمه فيها، فسبقني إليه رجل فكلّمه، فسمعتُ عمر يقول له: لئن أطعتك لتدخلني النار، فنظرتُ إليه فإذا هو معاوية)(٤).

---

(١) كنز العمال، ٦٠٦/١٢.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ٤٧٢/٣.

(٣) روح الإسلام لسيدة مير علي، ص٢٠٥.

(٤) الشيخان للبلاذري، ص٢١٨، ط مؤسسة الشراع، الكويت.

ولقد دعا النبي الأكرم ﷺ على معاوية فقال: ((لا أشبع اللهُ بطنه))[1] فأصبح بديناً وبطيناً فسُمّي بالأبطن والبطين وهي معجزة دعاء النبي ﷺ عليه فعُرف معاوية بالبطين.

ورأى رسول الله ﷺ أبا سفيان ومعاوية وأخاهُ أحدهما قائد والآخر سائق فقال ﷺ: ((اللهم العن القائد والسائق والراكب))[2].

وقال ﷺ: ((إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فأقتلوه))[3].

وقال الحسن البصري: (أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه - يزيد - سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير - أي العود وهو من آلات اللهو - وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً - وهو أحد الصحابة العبّاد - وأصحاب حجر، فياويلاً له من حجر! ويا ويلاهُ من حجر وأصحاب حجر!)[4].

(١) تاريخ الطبري، ٥٨/١، البداية والنهاية، ١١٩/٨، صحيح مسلم، ٩٦/٤، فتوح البلدان، ص٦٦٣ ودلائل النبوّة للبيهقي، ٢٤٣/٦.

(٢) البحار، ١٩٠/٣٣، وقعة صفين، ص٢٢٠.

(٣) وقعة صفّين، ص٢١٦، تاريخ دمشق، ١٥٦/٥٩، تهذيب التهذيب، ٦٣٧/١ وأنساب الأشراف، ١٣٦/٥.

(٤) دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي، تحقيق: حسن السقّاف، ص١٠٢، تاريخ الطبري، ٢٧٩/٥ وتاريخ ابن الأثير، ٤٩٩/٢.

وقد روى المؤرخون: أن معاوية لما استولى على مصر أخذ يماطل عمرو ابن العاص في الوفاء بما عاهده عليه فبعث إليه ابن العاص بقصيدة يقول فيها:

معاويــة الفضــل لا تــنسَ لــي ... وعــن مــنهج الحــقّ لا تعــدلِ
نصرناك مـن جهلنـا يـا ابـن هنـد ... علـى السـيد الأعظـم الأفضـلِ
ومـــا كـــان بينكمـــا نســـبةٌ ... فـــأينَ الحســـامُ مـــن المنجـــلِ
وأيـــن الثرّيـــا وأيـــن الثـــرى ... وأيـــن معاويـــة مـــن علـــيّ

ولقـد دار كـلام بـين معاويـة وابـن العـاص فقـال ابـن العـاص: ((أعجـبُ الأشـياء أن يغلـب المحـقّ المبطـل معرضـاً بالصـراع الـذي دار بـين علـي عليه السلام ومعاوية، ففهم قصده معاوية وأدرك أن يعنيه وحده بذلك، فردّ عليه بقوله: أعجب الأشياء أن يُعطى الإنسان ما لا يستحق لاسيما إذا كان ممّا لا يُخاف منه)).

نعم، هكذا كان معاوية، وقد كان نهجه في الحياة متمثلاً في إمكانية مخالفة الأحكام الإسلامية، فهو على نهج مَن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناصبوه العداء الشديد، ولا ريب في ذلك، فقد كان أبوهُ (أبو سفيان) كذلك، غادراً فاجراً، فقد عقد معاهدة الحديبية ثم هجم ليلاً على قبيلة خزاعة المتحالفة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتلهم[1]. فكيف يولّه الإمام علي عليه السلام على ولاية الشام الكبيرة ؟ ولقد أراد

(١) سنن مسلم، ١٤١٨/٣، نيل الأوطار، الشوكاني، ١٦٥/٨. الخصال للصدوق، ص١٧٦ والبحار، ١٠٤/٣١.

معاوية بالفعل الحصول على شرعيّة من الإمام عليه السلام كي تصبح أعماله الفاسدة شرعية، إلاّ إنّ الإمام عليه السلام لم يولّهِ لحظةً واحدة.

وقد أُشير على الإمام علي عليه السلام أو أُقترح عليه: (وله شهراً وأعزلهُ دهراً)[1] إلاّ إنّ الإمام عليه السلام قال للمغيرة بن شعبة: ((واللهِ لا أُداهنُ في ديني، ولا أُعطي الرياءَ في أمري، لا واللهِ لا أستعمل معاوية يومين أبداً))[2].

فالإمام عليه السلام عارفٌ بفساد معاوية المطلق وشيطنته الخطيرة، وخبثه، وحقده على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة وأهل البيت عليهم السلام وأنه عليه السلام يحذّر من الغدر والمكر وينهى عن الخوض في غمارهما لأنّهما من خُلق الشيطان، وقد كان يقول عليه السلام: ((لولا التقى لكنتُ أدهى العرب))[3].

أجل، إن التمسّك بخُلُق الشيطان من غدرٍ ومكرٍ وخداع ودسائس، وغيرها هو من أجل حبّ الدنيا، ولذاتها، وشهواتها، ولهوها، وهذا موجود عند أهل أعداء الحق والفضيلة، أعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام فهو سيد المتّقين وقائد الغرّ المحجلين إلى جنّات النعيم وهو القائل: ((واللهِ إن دنياكم عندي لأهون من ورقةٍ في فم جرادة تقضمها، ما لعليٍّ ونعيمٍ يفنى ولذّةٍ لا تبقى ؟!)) فأين الثريا وأين الثرى ؟!

---

(١) سنن مسلم ٣٤ / ١٤١٨، نيل الأوطار للشوكاني ٨ / ١٩٥، الخصال للصدوق، ص١٧٦، البحار ٣١ / ١٠٤.

(٢) شرح النهج، ٢٢٢/١٠.

(٣) الكافي، الكليني، ٢٤/٨. شرح النهج، ٢٨/١. تحف العقول، ص٩٩. مكاتيب الرسول، الأحمدي، ٦٢١/١.

رسائل الإمام علي عليه السلام إلى معاوية:

كانت الرسائل كثيرة بين أمير المؤمنين علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان يحثّهُ فيها على البيعة والالتزام بالحقّ والشرعية والجنوح للسلم ونبذ التمرد والعصيان والحرب حيث قال عليه السلام: ((...فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ))[1] وقال عليه السلام:

((...إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ولا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ... ولَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ولَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ والسَّلامُ)) وفي كتاب آخر قال فيه عليه السلام لمعاوية:

((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ - أي ملفقة من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على التباين - ورِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ أي: مزينة - نَمَّقْتَهَا بِضَلالِكَ وأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ وكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ولا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ وقَادَهُ الضَّلالُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لاغِطاً - أي: هذى ولغط بجلبه من دون معنى - وضَلَّ خَابِطاً (منه) لأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ ولا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ والْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ)) والمروي: هو المتفكّر هل يقبلها أو ينبذها، والمداهن: المنافق.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٧٥، البحار، ٣٦٥/٣٢ - ٣٤٠.

وكان معاوية شيطاناً خبيثاً، قد هام بحبّ الدنيا والسلطنة ففتنَ أهلَ الشام واستغلّ جهلهم، وربّاهم على التنكّر والعداوة لأهل البيت عليهم السلام حتى غدوا لم يذعنوا إلى الحق ولم يعرفوا فضيلةً من فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام بل راحوا يسبّونه، ويبهتونه، ويتّهمونه، وهذا مما شجّع معاوية وأغراهُ حتى بلغ به الصلف والجرأة المصطنعة والكاذبة أن يقول في بعض رسائله لأمير المؤمنين عليه السلام: ليس لك ولأصحابك إلاّ السيف. ويتهدّد ويتوعّد..[1].

معاوية يُعدُّ العُدّة لمحاربة الإمام عليه السلام:

تطيّر معاوية كثيراً، وساورته المخاوف من انتصار أمير المؤمنين علي عليه السلام في معركة الجمل على الناكثين، ومن استقراره في الكوفة، ومضيّه عليه السلام في بناء خطّته لتوحيد الدولة، وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن الكريم والسنّة المحمدية الشريفة، فسارع معاوية إلى الاستعانة بالماكرين والغادرين والحاقدين على الإسلام والإمام عليه السلام وعلى رأس هؤلاء عمرو بن العاص، ولم يتردّد عمرو طويلاً أمام رسالة معاوية، ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لو كان دينه الذي يُدخله الجنّة[2].

وما إن وصل عمرو إلى الشام حتى جعل يبكي ويولول كالنساء[3] مبتدئاً خطّته في التضليل وخداع الجماهير، وبعد مراوغة ومكايدة بين معاوية وعمرو

---

(١) تاريخ الطبري، ٥٦٩/٣ والكامل في التاريخ، ٢٨٤/٣.

(٢) وقعة صفين، ص٣٤ والإمامة والسياسة، ص١١٦ والكامل في التاريخ، ٢٧٥/٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ٢٧٤/٣.

تحت المساومة على أن تكون حصة عمرو ولاية مصر مقابل مواجهة الإمام عليه السلام ومحاربته، وكتب معاوية كتاباً بذلك[١].

وشرعا يخطّطان لمواجهة الإمام والوضع القائم، فكان الاتفاق على المضيّ في هذا المسار العدائي المشوب بالظلم والغدر والبغي، إذ لا سبيل للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم إلاّ مواجهة الإمام عليه السلام وهو الوريث الشرعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحامل راية الحق والعدل، واصطدم الرجلان إذ كلاهما خذلا عثمان فكانت خطّتهم تتطلب التشبّث بقميص عثمان كشعار لتحريك مشاعر وعقول الجماهير غير الواعية، فرفعاه على المنبر بعد أن قَدِمَ به عليهما (النعمان بن بشير) فكان الناس يضجّون بالبكاء حتى سرت فيهم روح الحقد والكراهية والعمى عن هدى الحق[٢].

ولتحريك جماهير الشام لمؤازرة معاوية وحشدهم للحرب اقترح عمرو أن يكون (شرحبيل بن السمط الكندي) المحرّك الأول، لما عُرِف عنه من عبادة ووجاهة في قبائل الشام وكراهية لجرير مبعوث الإمام عليه السلام إلى معاوية، كما أن شرحبيل ممن لا يتقصّى الحقائق من مصادرها، وتمت مخادعة شرحبيل الذي انطلق مطالباً معاوية بالأخذ بثأر عثمان بن عفان، ويتحرّك بنفسه لحشد الناس للحرب[٣].

(١) وقعة صفين، ص٤٠، الإمامة والسياسة، ص١١٧.

(٢) وقعة صفين، ص٣٧، الكامل في التاريخ، ٣/٢٢٧.

(٣) وقعة صفين، ص٤٦، والكامل في التاريخ، ٣/٢٧٧.

السيطرة على الفرات:ـ

بعد تعبئة الشام للحرب، أخذ معاوية منهم البيعة وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير[1] الذي أبطأ كثيراً عن الإمام عليه السلام ثم سارع معاوية بتحريك قواته نحو أعالي الفرات في وادي صفين لاحتلالها ومنع تقدّم قوات الإمام عليه السلام وحبس الماء عنهم، وتصوّر معاوية أن هذا أول نصر يحقّقه على الإمام عليه السلام وطلب الإمام عليه السلام من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين إلى صفين، وأبى معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الضمأ كثيراً بأهل العراق وأزداد الضغط على الإمام عليه السلام لكسر الحصار، فأذِنَ لهم بالهجوم على شاطئ الفرات، وتمّ إزاحة قوات معاوية عن ضفّة النهر.

ولكن الإمام عليه السلام لم يقابل أهل الشام بالمثل ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة[2].

رُسُل الإمام عليه السلام تترا من أجل السلام:ـ

لم يبخل الإمام علي عليه السلام بإرسال الرسول تلوَ الرسول إلى معاوية من أجل نبذ الحرب وتحقيق السلام بين المسلمين حرصاً منه عليه السلام على حفظ الدماء وعدم ازهاق النفوس، وحفظ الدولة الإسلامية من الوهن والتشرذم، وقد فتح عدّة قنوات للحوار محاولاً كسب معاوية ومَن معه وادخالهم في بيعته لكن ردّ معاوية

(١) وقعة صفين، ص٥٦.

(٢) مروج الذهب، ٣٨٤/٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٣٢٠/٣ والكامل في التاريخ، ٢٨٣/٣.

كان هو الحرب والسعي للقضاء على الإمام وجيشه بكل وسيلة بيد أن الإمام عليه السلام كان يأمل في محاولة سلمية أخرى بعد أن استقرّ جيشه ضفة الفرات فسادت هدنة مؤقّتة بعث خلالها الإمام عليه السلام مندوبين عنه إلى معاوية وهم: بشير بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال عليه السلام لهم: ((إئتوا هذا الرجل - أي معاوية - وأدعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة)).

وما كان جواب معاوية إلاّ السيف والحرب، فقال للمندوبين: إنصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلاّ السيف[1].

الحربُ بعد الهدنة:ـ

جرت مناوشات بين الجيشين ولم تستعر الحرب بعدُ، فكانت تخرج فرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، وما إن حلّ شهر محرّم الحرام من عام (٣٧هـ) حتى وصلت موادعة بين الطرفين، حاول الإمام عليه السلام من خلالها التوصل إلى الصلح وكانت طروحاته عليه السلام هي الدعوة إلى السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء، ودعوات معاوية وأهل الشام رفض بيعة الإمام عليه السلام والطلب بدم عثمان[2].

واستمرّت الهدنة مدة شهر واحد، ولمّا طالت فترة المناوشات سئم الفريقان من ذلك فعبّأ الإمام عليه السلام جيشه تعبئة عامّة، وكذلك معاوية، والتحم الجيشان في معركة رهيبة، وكان الإمام عليه السلام يوصي جنوده دائماً فيقول: ((لا تقاتلوا القوم

(١) تاريخ الطبري، ٥٦٩/٣ والكامل في التاريخ، ٢٨٤/٣.

(٢) وقعة صفّين، ص١٩٥، وتاريخ الطبري، ٥٧٠/٣.

حتى يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ وجل على حجّة)) ثم قال: ((فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورةً ولا تمثّلوا بقتيل))(١).

واستمرت الحرب بين كرّ وفرّ حتى سقط خلالها أعداد كبيرة من المسلمين صرعى وجرحى بلغت عشرات الألوف.

مقتل الصحابي الجليل عمّار بن ياسر:

عندما احتدم القتال بين الطرفين بضراوة لم يشهد لها تاريخ المعارك مثيلاً، تقدّم أمير المؤمنين علي عليه السلام ومعه ثلّة من المهاجرين والأنصار يتقدّمهم عمار بن ياسر وصحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأبرار نحو أهل الشام وعمّار ينادي بين الصفوف بصوت يسمعه أهل الشام: (واللهِ لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل - أو لكنّا على الحقّ وكانوا على الباطل - ومضى يستقبل الطعن والضرب بصدره ونحره، ثم يقف بين الصفين ويرفع كلتا يديه ويقول:

((اللهم لا أعلم عملاً أرضى إليك من جهاد هؤلاء القوم، لو كنتُ أعلم عملاً أحبّ إليك من جهادهم لفعلته)) وكان يتقدم نحو جيش معاوية وهو يرتجز:

---

(١) وقعة صفين، ص١٩٥ وتاريخ الطبري، ٣/٥٧٠.

نحــنُ ضــربناكم علــى تنزيلــهِ   واليــومَ نضــربكم علــى تأويلــهِ
ضــرباً يزيــل الهــام عــن مقيلــهِ   ويُــذهل الخليــل عــن خليلــهِ

أو يُرجــعُ الحــقُّ إلى ســبيلهِ

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً مخلصاً، فأشتبكت عليه الرماح فطعنه أبو العادية وأبو جون السكسكي، وروي أنهما اختصما في رأس عمار إلى معاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس، فقال لهم: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: ((يا عمار تقتلك الفئة الباغية))[1].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((طوبى لعمار تقتله الفئة الباغية، عمار مع الحق يدور معه كيفما دار)) وها هو عمار إلى جانب أمير المؤمنين علي عليه السلام يقاتل بحزم وعناء وضراوة لا توصف، وقد جاهد أبو اليقظان عمار بن ياسر جهاد المستميت يضرب بسيفه ويقول: (هل من رائح إلى الله، الجنة تحت ظلال الأسنّة...) وأشتد العطش بأبي اليقظان، فاستسقى فأتته امرأة بعس من لبن، فشربه، وقال:

((الله أكبر: اللهُ أكبر: اليوم ألقى الأحبّة، محمداً وصحبه، صدق الصادق، وبذلك أخبرني، هذا هو اليوم الذي وُعدتُ فيه - يشير إلى الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يا عمار آخر شرابك ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية))

(١) وقعة صفين، ص٢٠٢ وتاريخ الطبري، ٦/٤.

وقد حمل عليه رجلان: أبو العادية الفزاري، وابن جون السكسكي وكان قد أُثخن بالجراح فطعنه الأول واحتزّ رأسه الثاني، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة، رحمة الله عليه ورضوانه.

وقد كان الإمام عليه السلام لا يقرُّ له قرار حين برز عمار للقتال في ذلك اليوم وأكثر من السؤال عليه حتى جاءه خبر استشهاده، فأسرع إلى مصرعه كئيباً حزيناً تفيض عيناه دمعاً، فقد غاب عنه الناصر الناصح والأخ الأمين، ثم صلّى عليه الإمام عليه السلام ودفنه عليه أفضل التحية وأزكى السلام.

وسرى خبر استشهاد عمار بين الجيشين فوقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمون من مكانة عمار وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له... ولكنّ المكر والحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أن الذي قتل عماراً مَن جاء به. وأذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلالة[1].

وقد روي أن ذلك بلغ الإمام علياً عليه السلام فقال: ((ونحنُ قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه إلى أحد ؟))[2].

ليلة الهرير:

ذكر المسعودي معركة صفين قائلاً: وكانت ليلة الجمعة وهي - ليلة الهرير - فكان جملة من قتل علي عليه السلام بكفّه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين

---

(١) تاريخ الطبري، ٦٥٣/٥.

(٢) العقد الفريد، ٣٤٣/٤ وتذكرة الخواص، ص٩٠.

رجلاً أكثرهم في اليوم، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبّر، ولم يكن يضرب إلاّ قتل، قال ذلك عنه مَن كان يليه في حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم[(١)].

وفي معركة صفين نادى علي عليه السلام: يا معاوية، علامَ يُقتل الناس بيني وبينك ؟ هلمّ أحاكمك إلى الله فأيّنا قتل صاحبه، استقامت له الأمور.

فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل.

فقال له معاوية: ما أنصفت، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلاّ قتله أو أسره[(٢)].

فالظاهر أن أحد أتباع الإمام علي عليه السلام هو الذي اقترح على معاوية هذا لاقتراح فجبن معاوية عنه.

ثم أقسم معاوية على عمرو مبارزة علي فلم يجد عمرو من ذلك بُدّاً فبرز، فلما التقيا عرفه علي وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال: مُكرَهٌ أخوكَ لا بطل، فحوّل علي عليه السلام وجهه عنه، وقال: قُبّحت ورجع عمرو إلى مصافه[(٣)]. ومثل عمرو بسر بن ارطأة فقد خرج يطمع في علي عليه السلام فضربه أمير المؤمنين فأستلقى على قفاه وكشف عن عورته فأنصرف عنه الإمام.

وكان الإمام عليه السلام يقاتل في صفين كأي مقاتل فيدخل في صفوف المقاتلين فلا يعرفه الجند ولا يعود إلاّ بعد ما ينثني سيفه[(٤)].

---

(١) مروج الذهب، المسعودي، ٣٨٩/٢.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، ٣٨٦/٢.

(٣) مروج الذهب، المسعودي، ٣٨٧/٢.

(٤) شرح الأخبار، ٢/٢.

وقُتل في صفين خيرة الصحابة البدريين عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت الانصاري (ذو الشهادتين) وهاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاصّ.

وقد كان سن الإمام عليه السلام في بدر (٢٤ سنة) وفي صفين (٦١ سنة) وقد حارب في صفين كما حارب في معارك بدر وأُحد وخيبر فهابته الفوارس من أبطال الشام حتى يأسوا من النصر واعترفوا بالهزيمة وقد جاء ذلك على لسان النعمان بن جبلة التنوخي صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء، وأحد قادة جيش معاوية. والحقيقة ما هي إلاّ سويعة ويأتي مالك الأشتر برأس معاوية وعمرو بن العاص لولا موقف الخوارج بعد رفع المصاحف تنفيذاً لمكر وحيلة ابن العاص.

النبأ العظيم:

قال شخص: خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف وهو يقرأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١)عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ(٢)﴾ فأردتُ البراز إليه، فقال علي عليه السلام: مكانك، وخرج بنفسه فقال له: أتعرفُ النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ؟ قال: لا.

فقال عليه السلام: أنا والله النبأ العظيم الذي فيه اختلفتم، وعلى ولايتي تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم، وببغيكم هلكتم بعدما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما علمتم، ثم علا بسيفه فرمى برأسه ويده[1].

---

(١) البحار، ٢/٣٦.

وقال الإمام عليه السلام: ((ما قاتلتُ أهل الجمل وأهل صفين إلاّ بآية من كتاب الله وهي قوله عزّ وجل ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[1].

وقد أخبر الإمام عليه السلام الناس بعض علوم الغيب في صفين مثل ظهور جنكيز خان، وظهور الشاه إسماعيل[2]. وقال عليه السلام علوماً كثيرة أخرى هي معجزات إلهية تنفع المؤمنين فأزداد يقين المخلصين وتيقّن بعض المشكّكين.

ومن معجزات الإمام عليه السلام في صفّين أنه كلّم نهر الفرات بعدما ضربه بقضيب في يده فأنفجرت وسلّمت عليه حيتانها وأقرّت له بأنه الحجّة[3].

وهي واحدة من أدلة كثيرة ظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام في مكة والمدينة والكوفة وصفين.

وقد حضر الحرب مع الإمام علي عليه السلام في صفين خيرة الصحابة والتابعين مثل عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي والحسن والحسين (عليهما السلام) ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس ومالك الأشتر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص والأحنف بن قيس وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وجابر بن عبد الله الأنصاري وقيس بن سعد بن عبادة وصعصعة بن صوحان وأبي الأسود

(١) تفسير القمي وعن تفسير نور الثقلين، ١٨٨/٢.

(٢) خاتمة المستدرك، النوري، ١٧٢/٢.

(٣) الصراط المستقيم، العاملي، ١٠٧/١.

الدؤلي وكميل بن زياد والأصبغ بن نباتة وأبي سعيد الخدري وجارية بن قدامة وعبد الله بن بديل الخزاعي.

في حين حضر مع معاوية بن أبي سفيان المنافقون والمطلوبون للعدالة مثل عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وعبيد الله بن عمر وعتبة بن أبي سفيان وأبي الأعور الأسلمي رئيس قبيلة أسلم الأعرابية وبسر بن ارطأة.

ونظرة سريعة وفاحصة للحاضرين في المعركة من الطرفين تبيّن الحقّ من الباطل وتظهر معرفة الناس يومذاك بهوية الطرفين المتحاربين إلاّ أن أموال معاوية هي التي حرّكت أفواه وأقلام المأجورين لتغيير الحقائق بشتى السُبل[1].

خدعة رفع المصاحف:

استمر القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام عليه السلام صبرهم وتفانيهم من أجل انتصار الحق ثم إن الإمام عليه السلام قام خطيباً يحثّ على الجهاد، فقال:

((أيها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبقَ منهم إلاّ آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها... وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غادٍ عليهم بالغداة أُحاكمم إلى الله عزّ وجل))[2].

(١) أسد الغابة، ٥٥/١، البحار، ١٢٢، كتاب صفين لنصر بن مزاحم.

(٢) كتاب سُليم بن قيس، ص١٧٦ والكامل في التاريخ، ٣١٠/٣.

فبلغ ذلك معاوية وقد بدت الهزيمة على أهل الشام فاستدعى عمرو بن العاص يستشيره، وقال له: إنما هي الليلة حتى يغدو عليٌّ بالفيصل فما ترى ؟

قال عمرو: أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولستَ مثله، وهو يقاتلك على أمرٍ وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهلُ العراق يخافون منك إن ظفرتَ بهم وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، ولكنّ ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا، إدعُهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينكَ وبينهم[1].

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، ونادى أهل الشام: يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته إلى خاتمته مَن لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام ومَن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ؟

وكانت هذه الدعوى المضلّلة كالصاعقة على رؤوس جيش الإمام عليه السلام فهاج الناس وكثر اللغط بينهم، وقالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه، وكان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام علي الأشعث بن قيس.

فقال لهم الإمام عليه السلام: ((عباد الله! إمضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن أبي سلمة وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرفُ بهم منكم، وقد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم! والله ما رفعوها إلاّ خديعة ووهناً ومكيدةً، إنها كلمة حق يُراد بها باطل)).

---

(١) وقعة صفين، ص٣٤٧ وتاريخ الطبري، ٣٤/٤.

فخاطبوا ؤ باسمه الصريح قائلين: يا علي أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه وإلاّ ندفعك برمّتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان. ولم يجد الإمام عليه السلام مع المخدوعين سبيلاً فقال:

((فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فأصنعوا ما شئتم))[1].

وكان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة ويقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية فقالوا لأمير المؤمنين: ابعث إلى الأشتر ليأتينّك.. ولكنّ الأشتر لم ينثنِ عن عزمه في القتال لأنه يعلم أن الأمر خدعة فهدّدوه بقتل الإمام عليه السلام فعادَ الاشتر يؤنّبهم فقال لهم:

((خُدعتم والله فانخدعتم ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود كنّا نظن أن صلاتكم زهادة إلى الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت)).

وأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين، والإمام عليه السلام ساكت لا يفيض بكلمة مطرق الرأس حزيناً، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه، ولم يعد باستطاعته أن يفعل شيئاً، وقد أدلى عليه السلام بما مني به بقوله: ((لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً))[2].

---

(١) وقعة صفين، ص٤٨١ وتاريخ الطبري، ٣٤/٤ - ٣٥، ط مؤسسة الأعلمي.

(٢) نهج البلاغة الخطبة، ٢٠٨ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

التحكيم وصحيفة الموادعة:

كان هناك اتفاق بين معاوية والأشعث اليمني على رفع المصاحف ووقف القتال وقضيّة التحكيم والدعوة لتحكيم أبي موسى الأشعري اليمني، وسارت الأمور كما اتفقا سرّاً، فشقّ الأشعث صفوف أهل العراق(١).

والأشعث هذا قد ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحارب المسلمين مع المرتدّين، وبعد هزيمة المرتدين عاد إلى المدينة وأعلن إسلامه وقد صاهره أبو بكر على أخته أم فروة، وعيّنه عثمان على أذربيجان، وعزله أمير المؤمنين علي عليه السلام عنها واسترجع منه مائة ألف درهم، بعد أن هدّده عليه السلام بقوله: ((والله لئن لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربنّك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب)).

فأحضرها وأخذها منه وصيّرها في بيت مال المسلمين - وشأنه شأن عمال عثمان - وقد تتبّع عليه السلام عمال عثمان، فأخذ منهم كل ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمّنهم ما أتلفوا(٢) وقد أصبح الأشعث بن قيس وأبو موسى الأشعري من ألدّ أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وكثيرٌ مثلهما وعلى شاكلتهما.

لم تتوقف محنة الإمام عليه السلام بتخاذل الجيش، وكان بالإمكان أن يحقّق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دُعي إليها لو أطاعه المتمرّدون في اختيار

(١) وقعة صفين، ص١٩٦ و ص٢٠٢. تاريخ ابن الأثير، ٣٦٧/٢، مروج الذهب، ٣٨٧/٢. تاريخ الطبري، ٥٧٥/٤. البداية والنهاية، ٢٦٠/٧، ٢٧٣. أنساب الأشراف، ٩٧/٣. العقد الفريد، ٣٣٢/٣. الفتوح، ٥٤٤/٢.

(٢) دعائم الإسلام، ٣٩٦/١.

الممثّلين عنه إلى التحكيم، فأراد الإمام عليه السلام ترشيح عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر لما يعلم عنهما من إخلاص ووعي، وأصرّ المخدوعين على ترشيح أبي موسى الأشعري، فقال الإمام عليه السلام:

((إنّكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن أُولّي أبا موسى فإنه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي - بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل - ثُمّ هرب منّي حتى أمّنته بعد أشهر))(1).

وتمكّن معاوية وابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام عليه السلام يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس وغيره من داخل قوات الإمام عليه السلام.

حضر عمرو بن العاص ممثلاً عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتفاق مع أبي موسى الأشعري، ولم يقبل عمرو كتابة ((أمير المؤمنين)) في الصحيفة، فقال الإمام عليه السلام: ((إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية إذ قال سهيل ابن عمر للنبي لست رسول الله، ثم قال عليه السلام: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد))(2).

وأهمّ ما جاء في الصحيفة هو: إعلان الهدنة ووقف القتال، وأن يلجأ الطرفان إلى كتاب الله وسنّة نبيه لحل قضاياهم، وأجل البتّ في قرار الحكمين إلى رمضان (٣٧هـ) حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه، والغريب أن مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد ولو بإشارة بسيطة في كتاب الموادعة مع أنها

---

(١) وقعة صفين، ص٤٩٩. تاريخ الطبري، ٣٦/٤. والكامل في التاريخ، ٣١٩/٣.

(٢) وقعة صفين، ص٥٠٨، وشرح نهج البلاغة، ٢٣٢/٢.

أسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية وحزبه من أبناء الطلقاء[1] واتفقوا على أن يكون موضع الاجتماع في ((دومة الجندل)).

مالك الأشتر لا يقرُّ ولم يشهد في الصحيفة:

لقد سجّل الصحابي الجليل مالك الأشتر موقفاً مشرّفاً وواعياً حينما طُلب منه أن يشهد في صحيفة الموادعة فقال (رض): ((لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسمٌ أوَلستُ على بيّنةٍ من ربّي من خلال عدوّي ؟ أوَلستم قد رأيتم الظفر)) ؟[2].

والحقيقة: إنّ حياة هذا البطل كلّها شرف، وكلُّها مواقف مشرّفة وجهاد من أجل الإسلام الحقيقي والدفاع عن الحق والإمام عليه السلام لأنه يرى في أعداء الإمام كما يرى الإمام نفسه عليه السلام، وقد كان للإمام عليه السلام كما كان الإمام عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الأشتر لا يقرُّ بما في الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم. فقال عليه السلام:

((وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا)) ثم قال عليه السلام: ((يا ليتَ فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرى، إذاً لخفّت عليّ مؤنتكم، ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني، والله لقد فعلتم فِعلةً ضعضعت قوّةً وأسقطت هنّةً وأورثت وهناً وذلّةً))[3].

(١) تاريخ الطبري، ٤/٤٠.

(٢) وقعة صفين، ص٥١١ والكامل في التاريخ، ٣/٣٢٢.

(٣) وقعة صفين، ص٥٢١. تاريخ الطبري، ٤/٤٢ - ٤٣ والكامل في التاريخ، ٣/٣٢٢.

الإمام علي عليه السلام مثقل بالهموم والآلام:

نعم، إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مثقل بالهموم والآلام الشديدة لأنه يرى أن جيشهُ قد تمزّق، وفتنهُ التمرّد، وشرذمهُ قلّةُ الوعي وضعف الإيمان، وإنّ باطل معاوية قد استحكم، وأمرهُ أوشك أن يتمّ.

ويرى عليه السلام على الرغم من أنه على الحق فإن جيشه لا يستجيب لأمره عليه السلام ، وإنّ معاوية على الباطل وجيشه يستجيب لأمره، وإنّ مكر معاوية وابن العاص والأشعث وشبث بن ربعي قد هيمن على النفوس الضعيفة للجنود والقادة.

ففي مثل هذه الأجواء المحزنة والمؤلمة قفل أمير المؤمنين راجعاً إلى الكوفة وعندما دخلها رأى لوعةً وبكاءً، قد سادت جميع أرجائها حزناً على مَن قُتِل في صفين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام عليه السلام ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم على القتال شبث بن ربعي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، وخلعوا بيعة الإمام عليه السلام يدعون إلى جعل الأمر شورى بين المسلمين.. وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة الموادعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: لا نرضى لا حكم إلاّ لله، واتخذوه شعاراً لهم رغم أنهم هم الذين أصرّوا على الإمام عليه السلام لقبول التحكيم.

وسعى أمير المؤمنين عليه السلام لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس، وأمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة

ولحقه الإمام عليه السلام فكلّمهم وحاججهم وفنّد كل دعاويهم، فاستجابوا له ودخلوا معه إلى الكوفة[1].

اجتماع الحكمين:

حان الأجل الذي ضُرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام عليه السلام أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويلي أمورهم وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل.

وقد سارع من أهل الرأي والحكمة ممن أخلصوا للإمام عليه السلام بتقديم النصح والتحذير لأبي موسى، باذلين جهدهم في حمله على التبصرة والرويّة في اتخاذ القرار، وخشية منهم من مكر عمرو وخداعه[2].

قرار التحكيم:

اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، والأول يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلّة الولاء لإمامة علي عليه السلام. والثاني هو: الماكر المخادع ذو السجيّة الغادرة والطامع إلى إقصاء خط أهل البيت عليهم السلام

(١) تاريخ الطبري، ٥٤/٤ والكامل في التاريخ، ٤٢٦/٣.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص٥٣٤، وشرح نهج البلاغة، ٢٤٦/٢، ط دار إحياء التراث العربي.

تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك، وشركته مع الطليق بن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلاً حتى تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري والسيطرة عليه، وتوجيهه نحو ما يريد، واتفق الاثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام علي عليه السلام ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

وبادر ابن عباس محذّراً الأشعري أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له: ويحك، والله إنّي لأظنه قد خدعك إن اتفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تكلّم أنت بعده، فإنّ عمراً رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام علياً عليه السلام ثم انبرى عمرو فخطب وأكد خلع الإمام وثبّت معاوية لولاية الأمر[1].

وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر، وعاد إليه أهل الشام يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، وأما أهل العراق فغرقوا في الفتنة، وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وهرب أبو موسى إلى مكة ورجع ابن عباس وشريح إلى الإمام علي عليه السلام.

إنّ هذا الفعل الغادر والمشين الذي صدر من أبي موسى الأشعري في حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام لم يكن غريباً ولا مستغرباً البتة لأنه كان من المنافقين والساعين في قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في عقبة تبوك[2] وتاريخه أثناء ولايته البصرة

---

(١) تاريخ الطبري، ٥٢/٤ ومروج الذهب، ٤١١/٢، والكامل في التاريخ، ٣٢٢/٣.

(٢) انظر: سيرة الإمام علي عليه السلام، ج٥، ص٧٤.

والكوفة يبيّن مدى انحرافه عن الإسلام الأصيل، مما اضطر الإمام علي عليه السلام إلى عزله عن ولاية الكوفة.

وقد حذّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال له: ((إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الخلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالّين وأضلاّ من اتّبعهما، ولا ينفكُّ أمر هذه الأمة حتى يبعثوا حكمين ضالّين ويضلاّن مَن اتّبعهما، فقال له عليه السلام: إحذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما)) فخلع الأشعري قميصه وقال: ابرأ إلى الله من ذلك كما ابرأ من قميصي هذا، ومضى الراوي يقول: ولقد صدقت فيه معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد كان حكماً لأهل العراق فضلّ وأضلّ من اتّبعه[1].

وكذلك عمرو بن العاص فهو لا يختلف عنه بل يفوقه فهو فاجر محارب للإسلام قديماً وحديثاً وقد باع دينه لمعاوية مقابل ملك مصر، وهو أيضاً من المنافقين الساعين لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عقبة تبوك[2].

فهذان الحكمان لا يحكمان بالحقّ أبداً، ولا يفكّران إلاّ في مصالحهما الذاتية وأهوائهما الدنيوية. والمسلمون لا يثقون بهما أبداً! ولو كان عندهما دين حقيقي لبايعا الإمام علياً عليه السلام الذي بايعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغدير وبايعه المسلمون بعد مقتل عثمان[3] بيعةً علنيةً عامة في المسجد الأعظم.

---

(١) كنز العمّال: المتقي الهندي المتوفي سنة ٩٧٥هـ، ٨٦/١٤، ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ٢٥٣/٦، كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، شرح النهج، ١٠٣/٢، ط دار الفكر، ١٣٨٨هـ والمحلّى لابن حزم الأندلسي، ٢٢٥/١١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي، ٨/٤. أنساب الأشراف للبلاذري، ص٢٠٦. تاريخ اليعقوبي، ١٧٨/٢. تاريخ الطبري، ٤٥١/٢. البداية والنهاية، ٣٠/٤. والإمامة والسياسة، ٦٦/١.

أجـل، إنّ الشـرعية، والحكـم، وإمـرة المـؤمنين، لا يقرّرهـا المنـافقون، ولا القاسطون، ولا الناكثون، ولا المارقون، ولا الانتهازيون والنفعيون، وإنما تقرّرها النصوص الإلهية والنبويّة ومنطق أهل الحق والدّين الحقّ وليس غيرهم البتّة.

الفصل الرابع

موقف الإمام علي عليه السلام من المارقين

المارقون: هم الخوارج الذين خرجوا على الشرعية المتمثّلة بحكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومن الممكن أن يكون ظهورهم إفراز طبيعي للصراع الدموي في معركتي: الجمل وصفين، (وقد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية) وهم (شرٌّ الخلق والخليقة)، وقد خالفوا الاستقامة، وعاثوا في الأرض الفساد، وأهمّ صفاتهم: التحجّر، والتعصّب، والتمسّك بالظواهر، والخشونة، وعدم التمييز بين الحق والباطل، وإنهم سريعوا التأثر بالشائعات، والتردّد عند أدنى الشكوك، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صفتهم وكفرهم وأمر وصيّهُ علياً عليه السلام بقتالهم وقتلهم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

((يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية))[١].

وعن عائشة أنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخوارج، ((هم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة))[٢].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل ذي الثدية حرقوص بن زهير التميمي))[٣] أحد قادة الخوارج، الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يخرج من ضئضي هذا قوم

(١) انظر: البداية والنهاية، ٣٢١/٧. صحيح البخاري، ٢١/٩ -٢٢ باب ترك قتال الخوارج، وصحيح مسلم، ٧٤٤/٢ الحديث (١٠٦٤) ومسند أحمد، ٥٦/٣، دار صادر.

(٢) الصراط المستقيم، وكشف الغمة، ١٤٦/١، العاملي، ص٧٠.

(٣) سنن البخاري، ١٣٩/٢.

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلهم اللهُ على يدي أحبّ الخلق إليه من بعدي فقتلهُ أمير المؤمنين علي عليه السلام))[1].

بداية تجمع الخوارج:

إن علياً عليه السلام لما بعث أبا موسى لإنقاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فأجتمعوا في منزل (عبد الله بن وهب الراسبي) وقد خطب فيهم، وقال: (... فأخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلّة، ثم تكلّم حرقوص بن زهير ثم حمزة بن سنان الأسدي الذي قال: يا قوم إنّ الرأي ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم... فعرضوا الراية على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير، ثم حمزة بن سنان ثم شريح بن أوفى العبسي فرفضوا، وقبلها عبد الله بن وهب... فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يُقال له: ذو الثفنات:

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي... الذي قال: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكّانها، ونبعث إلى اخواننا من أهل البصرة.

---

(١) البحار، ٦/١٦، ١٦١/٣١.

فقال زيد بن حصين:... فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكنّ سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي...[1].

بعد العودة من حرب صفّين خرج الخوارج من جنده عليه السلام إلى حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّا اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلمّا سمع علي عليه السلام ذلك وأصحابه قامت الشيعة، فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت.

فقالت الخوارج: استبقتم انتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم انتم علياً عليه السلام على أنكم أولياء مَن والى، وأعداء مَن عادى.

فقال لهم زياد بن النضر: والله، ما بسط علي عليه السلام يده فبايعناه قطّ إلاّ على كتاب الله، وسنّة نبيّه، ولكنّكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومَن خالفه ضال مضلّ[2].

(١) تاريخ الطبري، ٧٤/٥. الكامل في التاريخ، ٣٩٨/٢. الأخبار الطوال، ص٢٠٢. أنساب الأشراف، ١٣٧/٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٩٣/٢. تاريخ الطبري، ٦٣/٥ - ٦٤ من عمارة بن ربيعة.

وقد تفرّق أهل صفّين حين حكم الحكمان... فلما انصرف علي عليه السلام خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فآذنوه بالحرب، وردّوا عليه أن حكم بني آدم في حكم الله عزّ وجل، وقالوا: لا حكم إلاّ لله سبحانه![1].

ولم يتمكّن الإمام عليه السلام من معالجة أمراضهم وانحرافاتهم لأن الحروب والتمرّدات قد عاجلته في فترة قصيرة جدّاً في معركتي الجمل وصفّين، ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى أسباب، نذكر منها:

١- الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر:

من الملاحظ أن حروب الإمام عليه السلام كانت ضد متمردين هم مسلمون في الظاهر، ولم يتمكن الخوارج من فهم معالجة الإمام عليه السلام لهؤلاء المتمرّدين، ولم يستطيعوا تحمّل النتيجة التي آل إليها التحكيم، ولم يلتفتوا أنهم هم الذين أجبروا الإمام عليه السلام على قبول التحكيم، وأصرّوا على أبي موسى الأشعري بدلاً من عبد الله بن عباس ومالك الأشتر الذين عيّنهما الإمام عليه السلام. في حين أن الإمام عليه السلام رفض وقف القتال وإجراء التحكيم جملةً وتفصيلاً، وبيّن الملابسات الخاصة برفع المصاحف وأن كل ذلك هو مكرٌ وحيلة ابتدعهما العدوّ نتيجة إشرافه على الهلاك والفشل والخسران العاجل.

(١) تاريخ الطبري، ٤/٥٣ - ٥٨.

٢- لم يواجه الخوارج أنفسهم بمواقفهم المخزية والمنحرفة، فسعوا إلى تعليق أخطائهم وتحميل أوزارها إلى طرف آخر غيرهم ولم يكن إلاّ الإمام علي عليه السلام[1].

٣- استغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام علي عليه السلام لكي تمارس الأمة وعيها الرسالي، فقد روي أنهم كانوا يعترضون على الإمام عليه السلام حتى أثناء خطبته بدعوى لا حكم إلاّ لله، وما كان الإمام عليه السلام يجيبهم إلاّ ((كلمةُ حقٍ يُرادُ بها باطل)) وقال الإمام عليه السلام لهم: ((لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبدأ كم للحرب حتى تبدأوها))[2] فتحوّلت حركتهم من حالة فردية إلى حالة اجتماعية.

ردّ الإمام عليه السلام على قرار الحكمين:

ولّما بلغ خبر التحكيم إلى الإمام عليه السلام تألّم كثيراً، وخطب في الناس يحثّهم ويدلّهم على إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه، وذكّرهم بنصحه لهم، فقال عليه السلام: ((إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة، وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلتُ لكم مخزون رأيي لو كان يُطاع لقصير أمر فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

(١) تاريخ الطبري، ٥٣/٤ - ٥٤.

(٢) تاريخ الطبري، ٥٤/٤، الكامل في التاريخ، ٣٣٤/٣ ومستدرك وسائل الشيعة، ٢٥٤/٢.

أمــرتكم أمــري بمنعــرج اللــوى   فلم يستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد

ألا إن هـذين الـرجلين - أبـا موسـى الأشـعري وابـن العاصـي - اللـذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحدٍ منهما هواهُ بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة ولا سُنّة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ اللهُ منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله))[(١)].

وكتب الإمام عليه السلام إلى عبد الله بن عباس أن يعبّئ أهل البصرة للالتحاق بالإمام عليه السلام لقتال معاوية، فالتحقت جموع البصرة بالكوفة، ولكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة والكوفة متّجهين نحو النهروان وفسادهم في الأرض أقلق أصحاب الإمام عليه السلام من تركهم خلفهم لو توجّهوا إلى الشام فطلبوا من الإمام أن يقضي على الخوارج أولاً[(٢)].

وكان من عبث الخوارج أنّهم قبضوا على عبد الله بن خبّاب وزوجته فقتلوه وبقروا بطن امرأته، وألقوا ما فيها من دون مبرّر، وكذلك قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام عليه السلام إليهم[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري، ٥٧/٤.

(٢) تاريخ الطبري، ٥٧/٤ - ٥٨، والبداية والنهاية، ٢٨٦/٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٦١/٤. البداية والنهاية، ٢٨٦/٧ والفصول المهمة لابن الصبّاغ، ص١٠٨.

المواجهة مع الخوارج:

لقد كثر عبث الخوارج، وراحوا يجدّون في العبادة المزيّفة في جانب، وقتل المؤمنين في جانب آخر، حتى أصبح إراقة الدماء ديدنهم، وانتهاك حرمة الإمام عليه السلام والمؤمنين أضحى هدفهم، ولم يكتفوا بقتل الصحابي الجليل عبد الله بن خبّاب وامرأته وجنينها، بل قتلوا ثلاث نسوة من طي وأم سنان الصيداوية، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومَن معه من المسلمين، حتى غدوا لا يؤمن جانبهم وشرّهم بالمرّة وقد تجمّعت قواتهم قرب النهروان بعد أن التحقت بهم مجاميع من البصرة وغيرها.

وقد حاول الإمام علي عليه السلام مراراً أن يقنعهم بالتخلّي عن فكرتهم وتمرّدهم وسعيهم للحرب، ولم يجد فيهم إلاّ الفساد والجهل والإصرار، فعبّأ جيشه ونصحهم بأخلاق الإسلام في كيفية التعامل في مثل هذه الظروف كما هو شأنه في كل معركة، ولما انتهى الإمام عليه السلام إليهم بعث لهم رسولاً يطلب منهم قتلة عبد الله بن خبّاب وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم.

وبعث الإمام عليه السلام قيس بن سعد وأبا أيوب الأنصاري لينصحوا القوم عساهم أن يفهموا واقع الأحداث، ويجنّبوا الأمة مزيداً من الدماء، ثم أتاهم الإمام عليه السلام فقال لهم:

((أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، وطمع بها النزق في الخطب العظيم! إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم

ولا برهان مبين)) ثم بيّن لهم عليه السلام أنه كره التحكيم وعارضه، وشرح سبب معارضته بوضوح لهم، ولكنّهم أنفسهم أجبروا الإمام على قبول التحكيم، وإنّ الحكمين لم يحكما بالقرآن والسُنة وها هو الإمام يعدُّ العُدّة لملاقاة معاوية ثانية فلا معنى لخروج المارقين ، ولم يرعو المارقون لقول الإمام عليه السلام وطالبوه بتكفير نفسه، وإعلان توبته، فقال عليه السلام:

((أصابكم حاصب ولا بقي منكم أثر أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين)) ثم انصرف عنهم، وتقدّم الخوارج فأصطفوا للقتال.. وعبّأ الإمام عليه السلام جيشه لملاقاتهم، وفي محاولة أخيرة أمر الإمام عليه السلام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: ((مَن جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومَن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلاّ فيمن قتل اخواننا)).

فأنصرفت منهم مجاميع كثيرة، وقال الإمام عليه السلام لأصحابه: ((كفّوا عنهم حتى يبدأوكم بقتال)).

وهجم الخوارج وهم يتصايحون: لا حكم إلاّ لله... الرواح الرواح إلى الجنّة، ولم تمضِ إلاّ ساعة حتى أُبيد أكثرهم، ولم ينجُ منهم إلاّ أقل من عشرة ولم يُقتل من أصحاب الإمام عليه السلام إلاّ أقلّ من عشرة أشخاص(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٥٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي، مروج الذهب، ٣٨٥/٢ والبداية والنهاية، ٣١٩/.

وبعد أن سكنت أوار المعركة: أمر الإمام عليه السلام بطلب (ذي الثدية) - أحد قادة الخوارج - وألحّ في ذلك لأن في ذلك مصداقاً لوصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمقاتلة المارقين عن الدين الذي فيهم ذو الثدية[1]، ولما وجدوه أخبروا الإمام عليه السلام، ولّما وجدوه أخبروا الإمام عليه السلام فقال: ((الله أكبر ما كذبتُ ولا كُذّبت، لولا أن نكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قصّ اللهُ على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحق الذي نحن عليه)) وسجد عليه السلام شكراً لله[2].

وقد قال عليه السلام: ((إنّي فقأتُ عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري)).

ولما قالوا للإمام عليه السلام هلك القوم بأجمعهم قال:

((كلاّ والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلّما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين))[3].

الحمدُ لله الذي استأصل شأفتهم ونصر أمير المؤمنين عليهم، لأنّهم كما قال عليه السلام فيهم: ((ثمّ انتم شرار الناسّ ومَن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه، وسيهلك في صنفان محبّ مفرط يذهب به الحبٌ إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحقّ، وخيرُ الناس في حالات النمط الأوسط فألزموه[4] ووصفهم عليه السلام: (سفهاء الأحلام)[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتلهم.

(٢) تاريخ الطبري، ٦٦/٤ وشرح نهج البلاغة، ٢٦٦/٢، والبداية والنهاية، ٢٩٧.

(٣) نهج البلاغة، ١٠٨/١، البحار، ٤٣٣/٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧، البحار ٣٧٣/٣٣.

(٥) تاريخ الطبري، ٨٥/٥.

وحينما سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الحرورية الخوارج يتهجّد ويقرأ قال: ((نومٌ على يقين خير من صلاة على شكّ))[(١)] وقال عليه السلام فيهم أيضاً: ((قطع ظهري اثنان عالم متهتّك وجاهل متنسّك))[(٢)]. هؤلاء هم الخوارج عالمهم متهتّك، وجاهلهم متنسّك مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية.. فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه..

احتلال مصر وقتل الصحابي الجليل محمد بن أبي بكر:

بعد أن آلت أمور الحكم والخلافة إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ولّى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ولاية مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأي رآه عليه السلام، وبقيت مصر الجناح الآخر الذي يقلق معاوية، فما أن ساد الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد المعارك ونتائجها تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين.

وحاول عليه السلام أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعدد والعُدّة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى أتت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر، وحزن الإمام عليه السلام على محمد[(٣)].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ٤٩٧، غرر الحكم، ٩٩٥٨.

(٢) مُنية المريد، ١٨١، تنبيه الخواطر، ٨٢/١ وغرر الحكم، ٩٦٦٥.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ٨٨/٦.

نعم، لقد حزن الإمام عليه السلام حزناً شديداً، وقال عليه السلام: ((لقد كان لي حبيباً وكان لي ربيباً))[١]، وهذا المدح من أمير المؤمنين للصحابي الجليل محمد بن أبي بكر يبيّن منزلته السامية، ودرجته العالية، وسابقته في الجهاد والفضيلة والإيمان.

ثم كان قد كلّف عليه السلام مالك الأشتر بولاية مصر وكتب إليه عهده المشهور في إدارة الحكم وسياسة الناس، ولكنّ معاوية وما يملك من وسائل الشيطان والخداع تمكّن من دسّ السم لمالك[٢].

مالك وما أدراك ما مالك:

إن الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي هو من أخلص المخلصين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد وهب حياته للإسلام وأخلص لدينه كأعظم ما يكون الاخلاص.. وقد وقف بحزم وإخلاص إلى جانب إمام المتقين وسيد الموحّدين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحميه ويذبّ عنه في أحلك الظروف، وأشدّها محنةً وبلاءً، وقد قال الإمام عليه السلام بعظيم منزلته وجهاده تجاهه قائلاً: ((لقد كان لي كما كنتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)).

وقد كان على درجة عالية من الإدارة والسياسة والحزم في إدارة دفّة الأحداث. فهو الذي قاد شمل الثوار العراقيين وطرد بهم والي العراق سعيد

(١) نهج البلاغة، ١/١١٧، ٣/٦٠.

(٢) المستدرك، الحاكم، ٣/١٣٧، كنز العمّال، ٣/١٥٧ و ٦/١٥٧، مجمع الزوائد، ٩/١٢١، حلية الأولياء، ١/٦٣ - ٦٤، تاريخ بغداد، ١١/١١٢، ١٣/١٢٢، والإصابة لابن حجر، ٤/١٧٠ - ١٧١.

بن العاص حتى اضطرّ هذا الوالي الفاسق إلى الهرب من غضب العراقيين ونقمتهم عليه، فكان الأشتر نموذجاً للإدارة القاطعة في الحياة.

وزوّده الإمام عليه السلام برسالتين مهمّتين وفيهما بيان لمنزلة الوالي المقدام، وحكت كريم صفاته، وأنه لا يفعل شيئاً إلاّ برضا الإمام عليه السلام.

إن مالك الاشتر كان أشدّ من النار على المارقين والمنحرفين عن الحق، الذين لا يرجون لله وقاراً، وقد كان بطلاً مرموقاً صالحاً، مؤمناً عاقلاً زعيماً لا يقوى على مواجهته المنافقون، ويخافه الفاسقون، فهو الذي خافه الأشعري وأخلى له دار الإمارة في الكوفة، وهو الذي خافه طلحة والزبير وباقي الطلقاء والأعراب في المدينة، فكان قوياً صلداً في إيمان، وعبقرياً بحكمة.

ترحّم الإمام عليه السلام على الأشتر:

قال الإمام علي عليه السلام: ((مَالِكٌ ومَا مَالِكٌ واللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً[1] ولَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً[2] لا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ ولا يُوفِي[3] عَلَيْهِ الطَّائِرُ[4])). رحم اللهُ مالكاً فلقد كان لي كما كنتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5].

(١) الفند: هو المنفرد من الجبال (النهاية، ٣/٤٧٥).

(٢) حجر صلد: صُلب أملس (لسان العرب، ٣/٢٥٦).

(٣) أوفى: أشرف وأتى (لسان العرب، ١٥/٣٩٩).

(٤) نهج البلاغة: الحكم ٤٤٣، ربيع الأبرار، ١/٢١٦، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/٥٩٤. الكامل في التاريخ، ٢/٤١٠، سير أعلام النبلاء، ٤/٣٤، ح٦ وموسوعة الإمام علي ري شهري، ٤/٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، ١٥/٩٨، رجال ابن داود، ١٥٧/١٢٥٤ وفيه ذيله.

أما والله ليهدّن موتك عالماً، وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبكِ البواكي وهل موجودٌ كمالك))!![1].

وصعد المنبر فخطب الناس، ثمّ قال: ((ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه، وأوفى بعهده، ولقى ربّه، فرحم اللهُ مالكاً، لو كان جبلاً لكان فذّاً، ولو كان حجراً لكان صلداً، للهِ مالك، وما مالك! وهل قامت النساء عن مثل مالك وهل موجود كمالك!)).

قال: فلما نزل ودخل القصر أقبل عليه رجال من قريش، فقالوا: لشدّ ما جزعت عليه، ولقد هلك، قال: ((أما - والله - هلاكه أعزّ أهل المغرب، وأذلّ أهل المشرق. قال: وبكى عليه أياماً، وحزن عليه حزناً شديداً، وقال: لا أرى مثله بعده أبداً))[2].

تأبين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر:

ولما انتهى النبأ الفجيع بوفاة القائد العظيم إلى الإمام عليه السلام ذابت نفسه أسىً وحزناً، وأخذ يذرف عليه أحر الدموع قائلاً:

((إنّا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم إنّي أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر. ثم قال عليه السلام: رحم اللهُ مالكاً فقد وفى

(١) رجال الكشّي، ٢٨٣/١، ح١١٨. رجال ابن داود، ١٢٥٤/١٥٧، جامع الرواة، ٣٧/٢. الغارات، ٢٦٥/١ والأمالي للمفيد، ٤/٨٣، بحار الأنوار، ١٣٠/٨٢، ح٩.

(٢) تاريخ الطبري، ٩٥/٥، تاريخ اليعقوبي، ١٩٤/٢، الغارات، ٢٦٤/١.

بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربه، مع أنا قد وطّنا أنفسنا أن نصير على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنّها من أعظم المصائب))(١).

نعم، لقد كانت شهادة مالك من الأحداث الجسام والمصائب العظيمة التي مُني بها العالم الإسلامي وعلى الخصوص أهل الحقّ وقد استفاد منها المنافقون ودعاة الباطل من بني أمية في سبيل طمس معالم الحق والدين الحقيقي، وفرحوا فرحاً شديداً.

الدهقان يسمّم الأشتر بأمر معاوية:

لم يتورّع معاوية لحظة واحدة ولم يتوقّف أبداً عن قتل الصالحين والمخلصين للإسلام والمسلمين، وللرسول ﷺ وأهل بيته الغرّ الميامين، وقد قاده إجرامُه ومكرهُ أن يدسّ السمّ بالعسل لقتلهم، ويقول: إنّ لله جنوداً من عسل.

قال المسعودي: ولّى علي عليه السلام الأشتر مصر، وأنفذه إليها في جيش، فلما بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش، فأرغبه، وقال: أترك خراجك عشرين سنة واحتلّ للأشتر بالسمّ في طعامه.

فلما نزل الأشتر العريش، سأل الدهقان: أي الطعام والشراب أحبّ إليه ؟ قيل له: العسل، فأهدى له عسلاً، وقال: إنّ من أمره وشأنه كذا وكذا، ووصفه للأشتر وكان الأشتر صائماً، فتناول منه شربة، فلما استقرّت في جوفه حتى تلف وأتى مَن كان معه على الدهقان ومَن كان معه.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٢٩/٢.

وبلغ ذلك معاوية فقال: إن لله جنداً من العسل[1].

وهكذا يختم هذا البطل العملاق حياته الجهادية بالشهادة، بعد أن قضّى عمره الشريف دفاعاً عن المبدأ والإسلام، والشرف والإمام عليه السلام، وقد لقّن الأعداء ودعاة الباطل دروساً بليغةً لن تُنسى، سُجّلت في ذاكرة التاريخ والايام بأحرفٍ من نور وذهب، وهكذا هم الرجال الأعاظم صنائع الحقّ والمبدأ الحق.

تشرذم الأمة وانهيارها:

نتيجةً للحروب الدامية، والانقسامات الخطيرة التي افتعلها أعداء الإسلام وأعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأعداء الحق، ودعاة الباطل، إنهارت الأمة وتفككت، وقد بدأ بوضوح ملموس ملامح وآثار الانحراف الذي حصل يوم السقيفة في نهاية حكم الإمام عليه السلام حيث بدأ معاوية وعمرو بن العاص والأشعث بن قيس ومَن اقتفى أثرهم في محاربة الإسلام من داخل الإسلام بتفكيك ما بقي من أواصر تماسك المجتمع الإسلامي وتخريبه، وبناء مجتمع ينسجم وفق رغباتهم وأهوائهم، ويمكننا أن نلاحظ وضع الأمة وحالها بعد اضطرار الإمام عليه السلام لخوض ثلاث معارك رئيسية وفيصلية لاجتثاث الفساد فيما يلي:

١- لا شك ولا ريب إنّ قوة الأمة وتماسكها برجالها الواعين المؤمنين المخلصين للإسلام والمسلمين، وإنّ الجيوش بقادتها المبدئيين، ومقاتليها الأشداء المرابطين، فكيف يكون الحال للأمة وقد فقدت خيرة الصحابة الواعين والقادة

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٩٤/٢، مروج الذهب، ٤٢٠/٢، عيون الأخبار لابن قتيبة، ٢١٠/١ عن عوانه بن الحاكم.

المؤثّرين، والمقاتلين المؤمنين، الذين يُمكن من خلالهم بناء الأمة الصالحة وفق نهج القرآن والسُنّة بإشراف الإمام عليه السلام، فبفقدهم مُني الإمام والأمة بخسارة كبيرة لا تُعوّض، لذا بلغ الحزن في نفوس الإمام عليه السلام والمخلصين ودعاة الحق مبلغاً عظيماً، نجده واضحاً في نعي الإمام عليه السلام لهم بقوله:

((ما ضرّ اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم. أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمّار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النيّة وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة ؟)).

ثم وضع يده على كريمته فأطال البكاء ثم قال: ((أوِّه على اخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه وتدابروا الغرض فأقاموه، أحيوا السُنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فأتّبعوه))[1].

٢- إنّ أعداء الإسلام والإمام عليه السلام لم يتركوا وسيلةً ومكيدةً غادرة إلاّ واتّبعوها، سواء كانت ماديةً، أو إغرائيةً، أو حربيةً، أو شيطانية، من أجل تمزيق الأمة وجيشها العظيم الذي يقوده الإمام عليه السلام، حتى وصل الحال بجيش الإسلام أن يقول الإمام فلا يُلتفت لقوله، وقد تثاقلوا عن المسير معه، ومالوا إلى معاوية، حتى قال معاوية: (لقد حاربتُ علياً بعد صفين بغير جيش ولا عتاد).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ٩٩/١٠.

قال الذهبي: (إن معاوية لما بويع وبلغه قتال علي عليه السلام أهل النهروان كاتب وجوه مَن معه مثل الأشعث بن قيس ومنّاهم وبذل لهم حتى مالوا إلى معاوية وتثاقلوا عن المسير مع علي عليه السلام فكان يقول فلا يُلتفت إلى قوله، وكان معاوية يقول: لقد حاربت علياً عليه السلام بعد صفين بغير جيش ولا عتاد)[1].

أجل، إن الترهيب والترغيب، والطمع بالمال والسلطة، كلّ ذلك أخذ مأخذه بجيش الإسلام العظيم وأدّى إلى تفكّكه وظهور الضعف العام فيه، أضف إلى ذلك السأم من الحرب التي افتعلها الناكثون والمارقون والقاسطون والتي راح ضحيّتها عشرات الآلاف من أهل العراق الذي يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام عليه السلام، حتى أصبح عليه السلام لم يتمكن بما يملك من شجاعة نادرة وقدرة خطابية رائعة، وحجّة بالغة أن يبعث الاندفاع والحزم في قاعدته الشعبية لمواصلة الحرب، ومما زاد من تفتيت الجيش عدم توقّف معاوية من مخاطبة زعماء القبائل والعناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب، وشجّعهم على ترك الإمام عليه السلام واللجوء إليه بعد فعل كلّ ما يؤدّي إلى إضعاف قوّة الإمام عليه السلام وجماهيره المؤيّدة، حتى وصل الحال بالإمام عليه السلام أنه لم يستطع إن يوجد القوة الكافية في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان استعداداً لقتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش إلى داخل الكوفة مما أدى بالإمام عليه السلام أن يلغي المعسكر ويؤجّل الحرب[2].

---

(١) سير إعلام النبلاء، الذهبي، ٣/١٤٤.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/٦٧.

٣- لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام عليه السلام والأمة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشن غارات على أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل والسبي والإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق، فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري للإغارة على منطقة (عين تمر)، ووجّه سفيان بن عوف للإغارة على منطقة (هيت) ثم على (الانبار والمدائن) وإلى (واقصة) وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري... وفي كل مرة يحاول الإمام عليه السلام دعوة الجماهير لمقاومة غارات معاوية فلم يلقَ الاستجابة السريعة، وأدرك معاوية ضعف قوّة حكومة الإمام عليه السلام وتزايد قوّته[1].

وبعث معاوية بسر بن أُرطأة للغارة على الحجاز واليمن فعاث في الأرض فساداً وقتلاً للأبرياء[2]. وبلغ الأسى والأسف في نفس الإمام عليه السلام مبلغاً عظيماً مما يفعل المجرمون، ومن تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بضجره من تخاذلهم وتقاعسهم فقال:

((اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ ومَلُّونِي وسَئِمْتُهُمْ وسَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي))[3].

وقد أنذر الإمام عليه السلام الأمة الإسلامية بمستقبل مظلم وآلام كثيرة تحلُّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس وتخاذل عن نصرة الحق، فقال عليه السلام:

---

(١) الغارات للثقفي، ص٤٧٦ وتاريخ الطبري، ١٠٢/٤ - ١٠٣.

(٢) الغارات للثقفي، ص٤٧٦ وتاريخ الطبري، ١٠٦/٤، ط مؤسسة الأعلمي.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.

((أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً وسَيْفاً قَاطِعاً وأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً، فيفرّق جماعتكم، ويُبكي عيونكم، ويُدخل الفقرَ بيوتكم، وتتمنّون عن قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ما أقول لكم))[1].

آخر محاولات الإمام علي عليه السلام:

من الوضوح بمكان، أن الموقف أصبح خطيراً جداً، وإنّ الوضع العام لا يُمكن أن يُسكَت عنه، حيث تمكّن معاوية وأزلامه الأرجاس، ورجاله المجرمون الذين نُزعت منهم الرحمة والإنسانية، وغشيهم ظلمةُ الجهل، ومكرُ معاوية، وإعلامُه الضالّ المضلّ، أن ينشروا الفساد والرعب والقتل في صفوف الذين آمنوا، والبلاد والعباد، وأطراف الدولة الإسلامية. وعند ذلك عزم الإمام عليه السلام أن يقوم بحملةٍ واسعة يستنهض فيها الأمة فخاطب الجماهير وهدّدهم فقال عليه السلام:

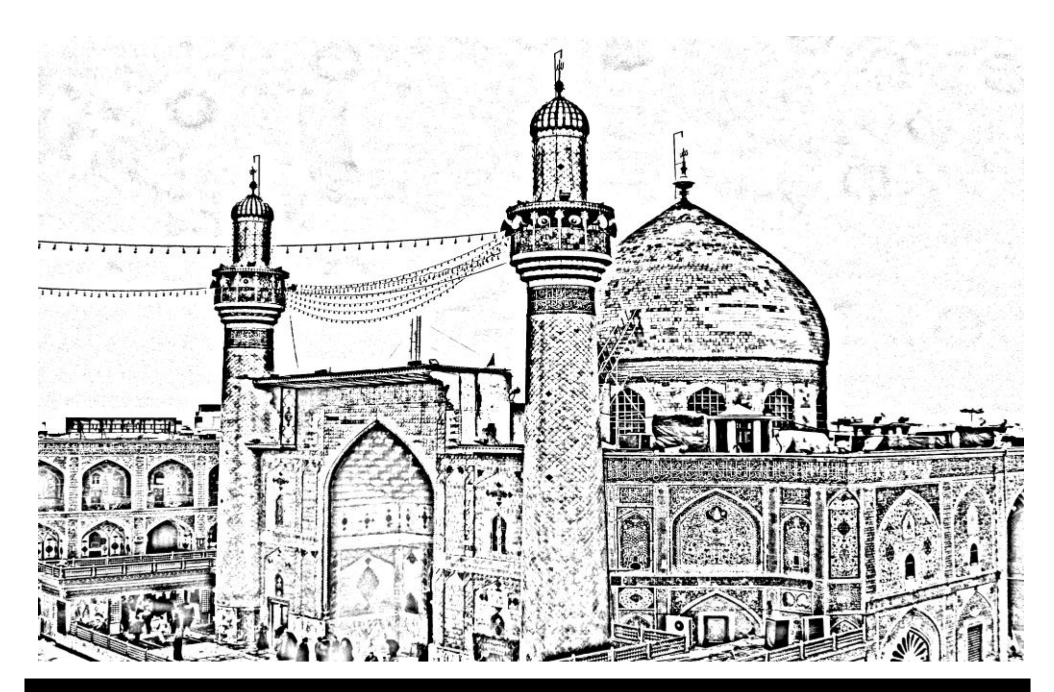
((أما إنّي قد سئمتُ من عتابكم وخطابكم، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب وما أحبّ، وإن كنتم غير فاعلين فأكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتى يحكم اللهُ بيننا وبينه وهو خير الحاكمين لأدعون الله عليكم ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلاّ عشرة))[2].

---

(١) انساب الأشراف، ٢٠٠/١، نهج البلاغة، الكلمة (٥٨).

(٢) سيرة الأئمة الأثني عشر، ٤٥١/١ عن البلاذري في أنساب الأشراف.

وأيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، وأيقنوا أن الإمام عليه السلام سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته إلى معاوية وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم إلى يوم القيامة، فتحرّك وجهاء الناس للاستعداد ولملاقاة معاوية والقضاء على الفساد، وخرج الناس إلى معسكراتهم في منطقة (النخيلة) خارج الكوفة، وتحرّكت بعض قطعات الجيش تسبق البقية مع الإمام عليه السلام الذي بقي ينتظر انقضاء شهر رمضان المبارك، إلاّ إن القدر ومخطّط معاوية المشؤوم كان بالمرصاد فحال دون تنفيذ هذا الجيش لمحاربة وكر الفساد والضلال والانحراف، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإلى الله المشتكى.



الباب السابع

شهادة الإمام علي عليه السلام وآثاره العلمية والإنسانية

الفصل الأول:

الإمام علي عليه السلام شهيد المحراب

الفصل الثاني:

تراث الإمام علي عليه السلام وآثاره العلمية والروحية والإنسانية

الفصل الأول

الإمام علي عليه السلام شهيد المحراب

بعدَ فشل التحكيم وعدم الالتزام بالدّين، والحرص على شريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولكسر شوكة القاسطين وقتل المنافقين والأعداء الحقيقيين للإسلام والمسلمين، توجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى قضية الحرب لإقصاء معاوية عن الشام وتنويرها بنور الإسلام الحقيقي من ضلالات معاوية ومكر ابن العاص وجهل الجاهلين، والمغرّر بهم..

فحثّ أمير المؤمنين عليه السلام أهالي العراق على ذلك حثاً شديداً، وهدّدهم بالدعاء عليهم إن لم يستجيبوا، فتحرّك الوجهاءُ وعامّة الناس لملاقاة معاوية والقضاء على الفساد، وقد شُحذت هممهم، وجمعت الامكانات، وتهيأ السلاح، وعسكروا في (النخيلة) وكلّهم عزمٌ وقوّة لمحاربة الأعداء وتطهير البلاد والعباد من الضلال والانحراف والاعتداء والغارات.

عندها أدرك معاوية حتميّة المعركة وإنها واقعة لا محالة، وأدرك أن الانتصار على جيش العراق المصمّم على الحرب، ويقوده رجل معجزة كعلي بن أبي طالب عليه السلام هذا أمر مستبعدٌ جداً بل مستحيل، لاسيما وإنّ العراقيين سمعوا ورأوا جرائم معاوية وماذا يفعله أزلامه من جرائم في غاراتهم المتكررّة على أطراف بلادهم.

إن معاوية وإن تمكّن من التخلّص من الهزيمة سابقاً برفع المصاحف فكيف يفرُّ من الهزيمة لاحقاً ؟ خاصةً بعد افتضاح أمره وكذلك ابن العاص ودورهما

الفاسد في التحكيم، عندها فكّر الاثنان معاً (معاوية وعمرو) المجرمان الماكران في اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام بأقرب وقت، ومنع الحرب، وهذا الفعل شيمة اللّكع من الرجال.

فصرفا الأموال الطائلة لشراء الذمم في صفوف اتباع الإمام من ذوي ضِعاف النفوس والإيمان والذي في قلوبهم مرض، لإحداث الفتنة السياسية وإيجاد رجال مجرمين مجبولين على الإجرام يقومون بعملية الاغتيال، فوصلت إلى الكوفة رشاوى معاوية واستلمها المنافقون والخائنون وعلى رأسهم الأشعث بن قيس وأشباهه.

أجل، لقد تواطأت زمر الشرّ على أن لا تبقي للحق راية تخفق أو يداً تطول فتصلح، أو صوتاً يدوّي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبو سفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لوأد الرسالة الإلهية في مهدها، ولكن الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

وها هو معاوية بن أبي سفيان يستفيد من نتائج انحراف السقيفة، ويتمّم ما بدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الجهل والضلالة والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأمة الحي وصوت الحقّ والعدل وحامل لواء الإسلام الخالد ومحيي الشريعة المحمّدية السمحاء.

واجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفُّ انحرافهم وفسادهم، فامتدت يد الشيطان لتصافح المجرمين وعلى رأسهم ابن ملجم اليهودي الأصل والنسب الذي حنّ إلى الكفر في مصر فجاور عمرو بن العاص وقد تعاهدا على تشويه الدين، وقتل الإمام عليه السلام وتنفيذ الدسائس الإبليسية.

عمرو بن العاص يعثر على ضالته المنشود ابن ملجم:

قبل نشوء الخوارج بأكثر من عقد الزمان وفي تلك الأرض المصرية عثر ابن العاص على ضالّته المنشودة، فقرّب مجلسه وجاوره في مسكنه وحباهُ بالمودّة مثلما حبا معاوية كعب الأحبار بذلك، ومن وقتها أدرك ابن العاص قدرة هذا الشرير في لعب دور الفاتك القاهر، فهو أحمق في شعاراته، وفاسق في ملذاته، وسفّاح في هواياته الصغير في عقله، الحقير في شأنه، المنحرف في دينه وسلوكه وعقيدته.

وكان هذا القاتل الأشر (ابن ملجم) في جيش ابن العاص عند قتله لمحمد بن أبي بكر، وبعدها دعاهُ للذهاب إلى الكوفة لقتل الإمام عليه السلام وعرّفه على المجرم المنافق الأشعث بن قيس لمساعدته في الاغتيال، وابن ملجم اللعين لم يكن من أهل الكوفة ولم يكن عنده بيت هناك، ولم يكن من خوارج الكوفة، لذا نزل عند بني مراد ومن خلال حديثه معهم هناك شكّك به رجال هذه القبيلة وجاءوا به إلى الإمام عليه السلام ليقتله أو يسجنه، إلاّ أن الإمام عليه السلام لم يسجنه لعدم ارتكابه جريمة.

وقد جاء في رواية صحيحة: (جاء بنو مراد بعبد الرحمن بن ملجم إلى الإمام عليه السلام بأنه طرأ عليهم وأخبروه بشأنه وخوفهم على الإمام عليه السلام منه)[1].

فتعرّف الإمام عليه السلام عليه وتيقّن من ملامحه وأجوبته أنه هو الشقي الذي وصَفهُ له النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ورغم هذا أطلق الإمام علي عليه السلام سراحه.

---

(١) البحار، ٤٢/١٨٧، ح٥، مدينة المعاجز، ١٢٣، ح٣٣٨.

والنصّ النبوي في ابن ملجم يتمثل في أنه أشقى الآخرين[١].

وابن ملجم من ولد (قدار) عاقر ناقة صالح[٢]. وقد قال له الإمام علي عليه السلام ((لا أراك إلاّ من شرّ خلق الله))[٣].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن ملجم لعلي عليه السلام: ((قاتلكَ شبه اليهود بل هو يهودي))[٤].

وقد كان ابن ملجم فاسقاً فاجراً، ويلبس الحرير ولبسه حرام على الرجال[٥]. وقد سقته قطام الخمر العكبري وأطعمته وصاحبه شبيب بن بجرة اللوزينج والجوزبيق[٦]. واستلم ابن ملجم رشوة ابن العاص وكان مبلغاً كبيراً في ذلك العهد وهو: مائة ألف درهم فضة[٧]. وقد أنفقه على الزانية قطام بنت سخينة بن عوف التي اشترطت عليه ثلاث آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب مهراً لها لتتزوج منه كما قيل، والظاهر أنه خُطّط لهذا الزواج المشبوه من

---

(١) تذكرة الخواص، ١٧٢، البحار، ١٩٧/٤٢، الاستيعاب، ٦٠/٣، شواهد التنزيل للحسكاني، ٤٣٦/٢، تاريخ دمشق، ٥٤٦/٤٢، المناقب، ابن الدمشقي، ٨٦/٢ وسبل الهدي للشامي، ٣٠٥/١١.

(٢) البحار، ط كمباني، ٦٥٨/٩ وطبعة جديدة، ٢٣٦/٤٢.

(٣) تاريخ الطبري، ٨٥/٦ وتاريخ ابن الأثير، ١٦٩/٣.

(٤) جمع الجوامع، ٤١٢/٦ وتاريخ ابن كثير، ٣٢٣/٧.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب، ٩٥/٢، البحار، ٢٢٩/٤٢، التذكرة لسبط بن الجوزي، ص١٨٥.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) التذكرة لابن الجوزي، ص١٨٥، المناقب لابن شهرآشوب، ٩٥/٣، البحار، ٣٣٩/٤٣ ومستدرك سفينة البحار، ٣٣٩/٩.

هذه المرأة الفاجرة لكسب مساعدتها في عملية الاغتيال وقد عرّفته على شبيب الخارجي ووردان اللذين ساعداه في جريمته النكراء.

وقد قال ابن ملجم لقطام: والله ما جاء بي إلى هذا المصر وقد كنتُ هارباً منه إلاّ ذلك، وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وقتل عليّ بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن علا ... ولا فتك دون فتك ابن ملجم[1]

وقد ساعده رجل من أشجع يُقال له شبيب بن بجرة[2] من الخوارج، وقد كان ابن ملجم مرّ بالأشعث وهو في المسجد، فقال له: فضحك الصبحُ فسمعها حجر بن عدي فقال: قتلته يا أعور قتلك الله[3] وخرج عليّ عليه السلام ينادي: (أيها الناس الصلاة الصلاة) وقد اجتمعت هذه العصابة الضالّة على قتله عليه السلام ومحرّكها معاوية وابن العاص واتفقوا أن يداهموا الإمام عليه السلام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهة الإمام عليه السلام.

ولّما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، كان الإمام عليه السلام يكثر التأمل في السماء، وهو يردّد: ((ما كذبت ولا كذّبت أنها الليلة التي وعدت بها))[4] وأمضى عليه السلام ليلته بالدعاء والمناجاة ثم خرج إلى بيت الله لصلاة الصبح فجعل

(١) تهذيب الأحكام، ١٩/٦ وروضة الواعظين، ص١٣٢.

(٢) في المصدر (نجدة).

(٣) طبقات ابن سعد، ٣٦/٣، أُسد الغابة، ٣٧/٤، مقاتل الطالبيين، ص٢٠، تاريخ دمشق، ٥٥٩/٤٢، أنساب الأشراف، ٤٩٣. الدرجات الرفيعة لعلي بن معصوم، ٤٢٥.

(٤) الصواعق المحرقة، ص٨٠ وبحار الأنوار، ٢٣٠/٤٢.

يوقظ الناس على عادته إلى عبادة الله فينادي: الصلاة... الصلاة - كما قلنا قبل قليل -.

ثم شرع عليه السلام في صلاته وبينما هو منشغل يناجي ربّه إذ هوى المجرم اللعين عبد الرحمن بن ملجم وهو يصرخ بشعار الخوارج ((الحكم لله لا لك)) ووقع السيف على رأسه المبارك فقدّ منه، فهتف الإمام عليه السلام ((فزتُ وربّ الكعبة))[1].

ولّما علت الضجّة في المسجد، أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام عليه السلام طريحاً في محرابه، فحملوه إلى داره وهو معصّب الرأس والناس يضجّون بالبكاء والعويل، وأُلقي القبض على المجرم ابن ملجم، وأوصى الإمام عليه السلام ولده الحسن عليه السلام وبنيه وأهل بيته أن يحسنوا إلى أسيرهم وقال:

((النفس بالنفس، فإن أنا مُتّ فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشتُ رأيتُ فيه رأيي))[2].

(١) الإمامة والسياسة، ص١٨٠ أو ١٣٥ ط بيروت و ١٥٩ ط مصر وتاريخ دمشق، ٢٦٧/٣٠ وترجمة الإمام علي عليه السلام.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٢٢، شرح النهج لابن أبي الحديد، ١١٨/٦ وبحار الأنوار، ٢٣١/٤٢.

وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أوصى الإمام علي عليه السلام ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

((أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق وأعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، وأعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم))(١).

وقد جاء أيضاً عنه عليه السلام إنّه قال:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عليٌّ بن أبي طالب، أوصى أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على ادين كله ولو كره المشركون. ثم إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين. ثمّ (إني) أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربّي وربّكم ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّ صلاح ذات البيت أفضل من عامّة الصلاة والصيام، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب. الله الله في الأيتام فلا تغلبوا أفواههم.

والله والله في جيرانكم فإنّه وصيّة نبيّكم عليه السلام ما زال يوصي بهم خيراً حتى ظننا أنه سيورثهم. والله الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم، والله الله

(١) تاريخ الطبري، ١١٤/٤، ط مؤسسة الأعلمي، نهج البلاغة، باب الكتب، ٤٧، ط صبحي الصالح.

في الصلاة فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربّكم فلا تخلونه ما بقيتم، والله الله في شهر رمضان فإنّ صيامه جُنّة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذريّة نبيّكم فلا يُظلمنّ أحد (منهم) بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، وأوصيكم بالضعيفين:

نسائكم وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة ولا تخافن في الله لومة لائم والله يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤول الأمر إلى شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل وإيّاكم والتدابر والتقاطع والتفرّق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب، حفظكم الله أهل بيت وحفظ فيكم نبيّكم، استودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

وقد كان عليه السلام نهى الحسن عن المثلة وقال: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلاّ ما يلي وأنظر يا حسن إذا أنا متّ من ضربته هذه فأضربه ضربة بضربة ولا تمثّل به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور)[1].

(١) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ٢٥.

ويا للأسف الشديد والحزن العميق، أنّ الجرح لم يمهل أمير المؤمنين عليه السلام طويلاً لشدّته وعظيم وقعته، فقد دنا الأجل المحتوم، وكان آخر ما نطق به قوله تعالى: (لمثل هذا فليعمل العاملون) ثم فاضت روحه الطاهرة إلى جنّة المأوى.

دفن وتأبين أمير المؤمنين علي عليه السلام:

نهض الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين وما يترتّب عليهما من إجراءات الدفن من غسل وتكفين، ثم صلّى الإمام الحسن عليه السلام على أبيه ومعه ثلّة من أهل بيته وأصحابه، ثُمّ حملوا الجثمان الطاهر إلى مثواه الأخير، فدفن في النجف قريباً من الكوفة وتمّت كل الإجراءات ليلاً[1].

ثُمّ وقف صعصعة بن صوحان يؤبّن الإمام عليه السلام فقال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمتَ على خالقك فتلقاك الله ببشارته وحفتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك اللهُ بجواره، ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى، وشربتَ بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمنّ علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركتَ ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاد، وقمتَ بدين الله

(١) بحار الأنوار، ٤٢/٢٩٠.

حقّ القيام، حتى أقمت السنن وأبرتَ الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام.

ثُم قال: لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدّهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا أجرك، ولا أذّلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح الخير ومغالق الشرّ، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شرّ ومغلاق كلّ خير، ولو أن الناس قبلوا منك، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة[1].

وخطب الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض خصائصه عليه السلام: حيث قال عليه السلام: إلي لأعرف موضع رجل ما بعثه رسول الله ﷺ في وجه إلاّ فتح الله عليه ومات يوم مات ولم يدع إلاّ سبعمائة درهم فضل من عطائه أراد بها شراء خادم.

وقد انتقل الإمام عليه السلام إلى الرفيق الأعلى شهيداً صابراً محتسباً فائزاً راضياً مرضياً، حيث فاضت روحه الطاهرة إلى أعلى عليّين في جنّة المأوى، في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠هـ) والذي يصادف ليلة نزول القرآن الكريم[2] وهذا هو الصحيح بين المسلمين والمتّفق عليه[3]،

---

(١) بحار الأنوار، ٢٩٥/٤٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢١٣/٢، تاريخ الطبري، ١٥٧/٥، تاريخ دمشق، ٥٨٦/٤٢، والكافي، ٤٥٧/١، ح٨.

(٣) مروج الذهب، ٤٢٦/٢. أسد الغابة، ١١٢/٤، ح٣٧٨٩. تاريخ الطبري، ١٥١/٥ وتاريخ دمشق، ٥٨٤/٤٢.

والمشهور بين المسلمين أنه قتل عليه السلام وعمره (٦٣) سنة[١]. فسلامٌ على الإمام عليه السلام يوم ولد ويوم عاش ويوم استشهد ويوم يُبعثُ حياً..

فهنيئا لأمير المؤمنين عليه السلام فقد ولد في المسجد وبدأ حياته بالمسجد واستشهد في المسجد وختم حياته به، فأنعم بهكذا حياة وأكرم بها، حيث قضاها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي طاعة الله تعالى ورسوله وفي جهاد أعداءِ الله وأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعداء قيم السماء، وقيم الإنسانية الرفيعة.

قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

وهناك اتفاق على موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام بين المسلمين، وقد دلَّ على قبره أبناؤه وهم أعرف بقبر أبيهم فإنّ أهل البيت أدرى بما فيه، واعتماداً على ذلك نشاهد المؤرخين معترفين بأنّ قبره في الموضع المشهور اليوم[٢].

فقد روي: أن عبد الله بن جعفر سُئل: أين دفنتم أمير المؤمنين ؟

قال: خرجنا به حتّى إذا كنّا بظهر النجف دفناه هناك، وقد ثبت أنّ زين العابدين وجعفر الصادق وابنه موسى عليه السلام زاروه في هذا المكان، ولم يزل القبر مستوراً لا يعرفه إلاّ خواص أولاده ومن يثقون به بوصية كانت منه عليه السلام لما علمه من دولة بني أميّة من بعده واعتقاداته وما ينتهون إليه فيه من قبح الفعال والمقال.

---

(١) المستدرك للحاكم، ١٥٦/٣ ح٤٩٦٩، المعجم الكبير، ٩٦/١ ح١٦٥، فضائل الصحابة لابن حنبل، ٥٥٩/٢، ح٩٤٢.

(٢) الكامل لابن الأثير، ١٥٨/٣ والحموي في معجم البلدان، مادة (النجف).

معالم قبر الإمام علي عليه السلام :

وكان الإمام عليه السلام قد أوصى: إذا متُّ فغسّلاني وحنّطاني واحملاني بالليل سرّاً، واحملا يا بنيّ بمؤخّر السرير واتّبعاه، فإذا وضع فضعا، وادفناني في القبر الذي يوضع السرير عليه، وادفناني مع مَن يعنيكما على دفني في الليل وسوياه[1].

قالوا للإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: أين دُفن أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال: دفن بناحية الغريين، ودُفن قبل طلوع الفجر، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنو علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر[2]. في الغري ظهر لكوفة مخافة أن ينبش الخوارج والمنافقون قبره ودُفن مع أبيه نوح في قبره.

وكان المنافقون والخوارج والأمويون لا يتورّعون عن حفر قبور المؤمنين والتمثل بجثث الموتى مثل فعل الجاهلية. لذا أمر أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام أن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواضع في المسجد، وفي الرحبة، وفي الغري، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره عليه السلام.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢١٣/٢، مقتل أمير المؤمنين، ٧٩. بحار الأنوار، ٢١٩/٤٢، ح٢٣. فرحة الغري، ٤٩.

(٢) تهذيب الأحكام، ٣٤/٦، ح٦٨، جامع الأخبار، ٩٣/٧٣، إعلام الورى، ٣٩٣/١. بحار الأنوار، ٢٢٠/٤٢، ح٢٦.

وسار الحسن عليه السلام على وصيّته فلمّا قبض وغسّل وكُفّن اخرج إلى مسجد الكوفة أربعة توابيت فصلّي عليها، ثُمّ أُدخل تابوت إلى البيت والثلاثة الباقية منها ما بعث إلى جهة بيت الله الحرام، ومنها ما حمل إلى مدينة الرسول، ومنها ما نقل إلى البيت المقدّس، وفعل ذلك لاخفائه عليه السلام[١].

أتى الإمام الصادق عليه السلام الغري، فوقف على القبر فساق السلام من آدم على نبيّ نبي عليه السلام حتى وصل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله. ثم خرّ على القبر فسلّم عليه وعلا نحيبه، ثم قام فصلّى أربع ركعات وقال: ((هذا قبر جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام))[٢].

السماء مطرت دماً على شهادة الإمام عليه السلام:

لقد مطرت السماء دماً على شهادة أمير المؤمنين عليه السلام حزناً عليه، حيثُ (ما رفع حجر بإيليا[٣] ليلة قتل علي عليه السلام إلاّ ووجد تحته دم عبيط)[٤].

وقد قال الزهري: قدمت دمشق وأنا أريد الغزو، فأتيت عبد الملك لأسلّم عليه، فوجدته في قبّة على فرش بقرب القائم وتحته سماطان، فسلّمت وثمّ

(١) فرحة الغري، ٣٢، وبحار الأنوار، ٢١٤/٤٢، ح١٥ و ٢٥٠/١٠٠ ح٤٤.

(٢) مَن لا يحضره الفقيه، ٥٨٦/٢ ح٣١٩٥، كامل الزيارات، ٨٣/٨٤، فرحة الغري، ٩٩.

(٣) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس ومعناه: بيت الله (معجم البلدان، ٢٩٣).

(٤) المستدرك، الحاكم، ١٥٥/٣ ح٤٦٩٤، فرائد السمطين، ٣٨٩/١ ح٣٢٦، المناقب لابن شهرآشوب، ٣٤٦/٢.

جلست، فقال لي: يا ابن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل عليّ بن أبي طالب ؟ فقلتُ: نعم.

فقال: هلمّ، فقمتُ من وراء الناس حتى أتيت خلف القبّة، فحوّل إليّ وجهه فأحنا عليّ فقال: ما كان ؟

فقلتُ: لم يرفع حجر من بيت المقدس إلاّ وجد تحته دم، فقال: لم يبقَ أحد يعلم هذا غيري وغيرك، لا يسمعنّ منك أحد، فما حدّثت به حتى توفي[1].

وكيف لا تبكي السماء دماً على أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوج ابنته الوحيدة فاطمة الشهيدة عليها السلام، وأبو ريحانتيه الحسن والحسين؟

وكيف لا تمطر السماء دماً على علي عليه السلام وهو كاشف الكرب عن وجه حبيب الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبسيفه استقام الدين، وعُظِمَ شأن المؤمنين، وتهدّمت عرى الشرك والكفر وأصنام الجاهلين ؟!!

وكيف لا يوجد دم عبيط تحت كلّ حجر في بيت المقدس يوم استشهاد أبي الحسن عليه السلام حزناً عليه ولمصابه الجلل، وإنّ حياته عليه السلام كانت مفاتح كلّ خير ومغالق كلّ شرّ، ولو أنّ الناس اتّبعوه وقبلوا منه عليه السلام لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله تعالى فآثروا الحياة الدنيا على الحياة الآخرة وبذلك ضلّ سعيهم، وأصبحوا من الأخسرين أعمالاً، وفي النار خالدين ؟!!

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٦٧/٤٢، فرائد السمطين، ٣٨٩/١ ح٣٢٥. المناقب للخوارزمي، ٣٨٨ - ٤٠٤ والفصول المهمة، ١٣٨.

ثواب زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لا شك إن لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام والحضور عند قبره الشريف أثراً روحياً كبيراً وأجراً عظيماً، يحصل عليه الزائر الكريم، ومَن أراد أن ينظر اللهُ إليه فليزر الإمام علياً عليه السلام لأنه يزور مَن يزوره الملائكة والنبيّون عليهم السلام، ومَن زارهُ كأنّما زار رسول الله صلى الله عليه وآله فيجازيه بأفضل الجزاء يوم القيامة هو صلى الله عليه وآله وجبرئيل وصالح المؤمنين، ويخلّصه صلى الله عليه وآله من ذنوبه، وهذا هو الفتح الكبير والفوز العظيم.

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال للحسن عليه السلام:

((بُني مَن زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك كان حقاً على الله عزّ وجل أن أزوره يوم القيامة فأخلّصه من ذنوبه))(١).

وقال صلى الله عليه وآله: ((مَن زار علياً عليه السلام فقد زارني، ومن أحبّهُ فقد أحبّني، ومَن أبغضهُ فقد أبغضني، ابلغ قومك هذا عنّي، ومن أتاهُ زائراً فقد أتاني وأنا المجازي له يوم القيامة، وجبرئيل وصالح المؤمنين))(٢).

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

((مَن ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر اللهُ إليه ألا تزورون مَن تزوره الملائكة والنبيّون عليهم السلام ؟ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من كلّ الأئمة، ولهُ مثل ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا))(٣).

---

(١) فرحة الغري، ٧٤، كامل الزيارات، ٩٢/٩١، بشارة المصطفى، ٢٤٥.

(٢) المزار الكبير، ١٣/٣٨ عن إسحاق بن عمّار، بحار الأنوار، ٢٦٢/١٠٠ ح١٧ والكافي ٥٨٠/٤ ح٣ وكامل الزيارات، ٩٠/٨٩.

(٣) المقنعة، ٤٦٢. خصائص الأئمة عليهم السلام. المناقب لابن شهرآشوب ٣١٧/٣.

وقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:

((والله لتقتلنّ بأرض العراق، وتدفن بها)).

قلتُ: يا رسول الله! ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها ؟

فقال لي: يا أبا الحسن! إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عبادة تحنُّ إليكم وتحتمل المذلّة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله مودّةً منهم لرسوله، أولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة.

يا عليّ من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومَن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه، فأبشر وبشّر أوليائك ومحبّيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهنيئاً لأمير المؤمنين عليه السلام وهنيئاً لأبنائه المعصومين عليهم السلام وهنيئاً لزوارهم أجمعين، حيث المغفرة، والخروج من الذنوب، والبشرى بالنعيم، فهل يوجد عند غيرهم خيرٌ كهذا ؟! قطعاً لا وألف لا!!!

فما علينا إلاّ أن نقتدي بهم، ونسير على هديهم، ونسلك طريقهم، ونزورهم، ونتعاهد قبورهم، ونحضر عندهم ما شاء الله، لأن الله سبحانه ورسوله ﷺ قد أمر بزيارتهم، وحبّهم، ومودّتهم، وموالاتهم، والتبرّي من أعدائهم، وغاصبي حقوقهم وإرثهم.

وإنّ الله عزّ وجل قد جعل قبورهم روضة من رياض الجنة وعرصة من عرصاتها، وبقعة من بقاعها، ومَن يحنُّ إليهم فهو من نجباء خلق الله وصفوته من عباده، والمخصوصين بشفاعة رسول الله ﷺ والواردين حوضه، وزواره غداً في دار الخلد وجنّة النعيم، كما يقول رسول الله ﷺ ذلك، ويؤكّده الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين..

الفصل الثاني:
تراث الإمام علي عليه السلام وآثاره العلمية والروحية والإنسانية

لقد خلّف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للبشرية تراثاً ضخماً، أنار العقول، وأجلى القلوب، وأراح النفوس، وحقّق المعجزات، وبيّن النكات في شتى مجالات الدين والمعرفة والحياة، وفتح أقفال العلم والفلسفة والأسرار، والتفسير والألغاز، فهو بحقّ نبراسٌ لكلّ السالكين لطريق العلم والمجد والعزّة والكرامة، والعدل والإنسانية، والتطوّر الهادف البنّاء، ومهما يُكتب عنه فهو قليل بحقّه، لأن معرفته حقيقة المعرفة فهي مستحيلة كاستحالة معرفة صاحبه أمير المؤمنين علي عليه السلام حقيقة المعرفة التي لا يعرفها إلاّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى كل حال، لابد من الإشارة إلى شذرات منه على سبيل الاجمال تحقيقاً للفائدة والبيان لأن ما يُدرك كله لا يُترك كلّه، وإليك - عزيزي القارئ جملةً من هذا التراث الثرّ نشنّف به أسماعنا وعقولنا وأرواحنا، لعلنا - بعون الله تعالى - نكون من المنتفعين والعاملين، والمتأثّرين والمؤثّرين، وما التوفيق إلاّ بالله عليه توكّلنا وإليه نُنيب.

وكما قلنا سابقاً، إن أول عمل اهتم به الإمام عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وقد كان بوصيةٍ منه صلى الله عليه وآله وسلم هو جمعه للقرآن الكريم، وامتاز بترتيبه حسب النزول وتضمّن معلومات فريدة عن شأن النزول والتفسير والتأويل الذي تحتاجه أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرضه على الخليفة الأول فقال: لا حاجة لنا به، فأشار عليه السلام إلى

أنّهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم، وهكذا كان والمعروف أنه يتوارثه الأئمة من أبنائه عليهم السلام.

وأُثر عن الإمام ما سمّي (بالصحيفة) التي تضمّنت أحكام الديات، وقد روى عنها البخاري ومسلم وابن حنبل، كما أُثر عنه ما سمّي (بالجامعة) التي تضمّنت أو جمعت كلّ ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، ووصفها الإمام الصادق عليه السلام بأن طولها سبعون ذراعاً، وليس من قضية إلاّ وهي فيها حتى إرش الخدش.

وتضمّن كتاب (الجفر) ما يرتبط بحوادث المستقبل وصحف الأنبياء السابقين، وقد يشبه (مصحف فاطمة) عليها السلام وهو ما أملته عليه فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها مما كانت تُلهم به من مفاهيم[1].

وكلّ هذه الكتب تعتبر من مواريث الإمامة التي يتناقلها الأئمة عليهم السلام إماماً بعد إمام.

وقد تصدّى جمعٌ من علماء الأمة إلى جمع ما أُثر عن الإمام عليه السلام من خطب ورسائل وكلمات، وسُمّيت بأسماء تتناسب مع أغراض جامعها، وأولّها وأشهرها ما سُمّي بـ (نهج البلاغة) للشريف الرضي المتوفى (٤٠٤هـ) وقد انطوى على روائع فكر الإمام عليه السلام في شتّى المجالات العقائدية والأخلاقية، وأنظمة الحكم والإدارة، والتاريخ والاجتماع، وعلم النفس، والدعاء، والعبادة، وسائر العلوم الطبيعية والإنسانية، وهو ما اختاره الشريف الرضي من

(١) أصول الكافي، ج١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة. وراجع سيرة الأئمة الاثني عشر، ٩٦/١ - ٩٩ و ٢٧٤ - ٢٩٤.

خطبه ورسائله ووصاياه وكلماته البليغة. ومن هنا فقد تصدّى علماء آخرون لجمع ما لم يجمعه الشريف الرضي وسُمّي بـ(مستدركات نهج البلاغة).

وجمع النسائي المتوفى (٣٠٣هـ) ما رواه الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمّاهُ بـ (مسند الإمام علي عليه السلام).

وجمع الآمدي (المتوفى بين ٥٢٠ و ٥٥٠هـ) قصار كلماته الحكمية وسمّاها بـ (غرر الحكم ودرر الكلم).

وجمع أبو إسحاق الوطواط (المتوفى بين ٥٣٣ و ٥٨٣هـ) من كلامه ما سمّاه بـ(مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب) وأُثرت عن الجاحظ المتوفى (٢٥٥هـ) (مائة كلمة) للإمام علي عليه السلام، و (نثر اللئالئ) جمع الطبرسي صاحب مجمع البيان، وكتاب صفّين لنصر بن مزاحم اشتمل على مجموعة من خطبه وكتبه عليه السلام. و (الصحيفة العلوية) وهي مجموعة من الأدعية التي أُثرت عنه عليه السلام.

في رحاب نهج البلاغة:ـ

إذا كان (القرآن الكريم) هو معجزة النبوّة، فإن (نهج البلاغة) معجزة الإمامة فليست هذه العقلية العظيمة المتجلّية بذلك الأسلوب العلوي الواضحة في كل فقرة من فقرات (النهج) وفي كل شذرة من تلك الشذور إلاّ غرس ذلك

النبي العظيم المستمدّ من وحي الله تعالى، فما من موضوع يطرقه الإمام عليه السلام إلاّ وترى نور الله يشعّ أمامه وهدي الرسول يُنير له الطريق[(١)].

وقال الشريف الرضي (قدس سره) كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولّدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أُخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كلُّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلُّ واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وقد تقدّم وأخّروا، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبويّ.

في رحاب العقل والعلم والمعرفة:

١- لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل، والعقل ينبوع الخير وأشرف مزيّة، وأجمل زينة.

٢- العقل رسول الحقّ. العقل أقوى أساس، والإنسان بعقله، وبالعقل صلاح كلّ أمر.

٣- العلم غطاء وساتر والعقل حسام قاطع، فأستر خلل خُلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك. والفكر مرآة صافية.

٤- العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما فأيّهما غلب كانت في حيّزه.

(١) حياة أمير المؤمنين في عهد النبي، ٤٠٢ تأليف: محمد صادق الصدر.

٥- أفضل حظّ الرجل عقله، إنّ ذلّ أعزّه، وإن سقط رفعه، وإن ضلّ أرشده، وإن تكلّم سدّده.

٦- إنّ أفضل الناس عند الله مَنْ أحيا عقله وأمات شهوته وأتعبَ نفسه لإصلاح آخرته.

٧- على قدر العقل يكون الدّين. ما آمن المؤمن حتى عقل. قيمة كل امرئ عقله.

٨- وعرّف العقل بما يلي:

أ - إنما العقل التجنّب من الاثم، والنظر في العواقب، والأخذ بالحزم.

ب - العقل أصل العلم وداعية الفهم.

ج - العقل غريزة تزيد بالعلم وبالتجارب.

د - للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر عنها.

هـ - غريزة العقل تأبى ذميم الفعل.

و - العاقل مَن يعرف خير الشرّين.

في رحاب القرآن الكريم والسُنّة النبوية المباركة:

١- قال عليه السلام: وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء، وعمّر فيكم نبيّه أزماناً حتى أكمل له ولكم - فيما أنزل من كتابه - دينه الذي رضي لنفسه.

٢- ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكنّ أخبركم عنه، ألا أنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن

الله، ولا يَعوَجُّ فيقام ولا يزيغ فيستعتب... ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع... لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلاّ به.

وفيه ربيع القلب... وما للقلب جلاء غيره... فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينفيها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون... جعله الله ريّاً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء... وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى، وشفاءً لا تخشى أسقامه.. ودواءً ليس بعدهُ داء... فاستشفوهُ من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال[1].

وأما سُنّة رسول الله ﷺ فقد دعا الإمام عليه السلام إلى العمل بها، وبيّن موقع الأئمة وموقفهم المشرّف في ايصال السُنّة الصحيحة إلى الأمة وإحياء ما أماته المبطلون من سُنّة رسول الله ﷺ وأسباب انحراف مَنْ انحرف عن مدار السُنّة.

قال عليه السلام: اقتدوا بهدي نبيّكم فإنه أفضل الهدي، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السنن.

وقال عليه السلام: أحبُّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه ﷺ والمقتصّ أثره، وقال عليه السلام: إرضَ بمحمد ﷺ رائداً وإلى النجاة قائداً.

---

(١) راجع الخطبة، ١٧٦ من نهج البلاغة، ط صبحي الصالح.

وقال عليه السلام: إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيباً فقال: مَنْ كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار.

وقال عليه السلام: لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد.. هم عيش العلم وموت الجهل... لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه.. هم دعائم الاسم وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقُّ في نصابه، وإنزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدّين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، هم موضع سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحماة أمره وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، هم مصابيح الظلم، وينابيع الحِكَم، ومعادن العلم، ومواطن الحلم.

وقال عليه السلام: وإنّي لعلى بيّنة من ربّي ومنهاج نبيّي، وإنّي لعلى الطريق الواضح ألفظهُ لفظاً[1].

في رحاب التوحيد والعدل والمعاد:

قال عليه السلام في مجال إثبات وجود الله تعالى: الحمدُ لله الدالّ على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبهَ له.

(١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ٤٢ - ٥٣ و ١٠١ وتصنيف غرر الحكم، ١٠٩ - ١١٧.

وقال عليه السلام: عجبتُ لمن شكّ في الله وهو يرى خلق الله... بل ظهر للعقول بما أوانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم.

وحين سُئل عليه السلام هل رأيتَ ربّك ؟ أجاب: وكيف أعبدُ ربّاً لم أره ؟ ثُمّ قال: لا تدركهُ العيون بمشاهدة العيان ولكنّ تدركه القلوب بحقائق الإيمان... عظم من أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر.

وجاء في دعائه المعروف بدعاء الصباح: يا مَن دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفياته، يا مَن قرب من خطرات الظنون وبَعُد عن لحظات العيون، وعلم بما كان قبل أن يكون...

لقد شحن الإمام عليه السلام خطبه العلوية بآيات القدرة الإلهية السماوية والأرضية وأطنب فيها إطناب الخبير البصير، ففصّل آيات القدرة والعظمة تفصيلاً يُعطي للمطالع إيماناً وخشوعاً لله وخضوعاً لعظمته، بحيث يلمس السامع لخطبه عليه السلام أنّهُ كما قال: (والله لو كُشِف لي الغطاء ما أزددتُ يقيناً).

وقدّم الإمام عليه السلام تصويراً دقيقاً لصفاته تعالى بحيث صار معياراً للبحوث الفلسفية الدقيقة ومفتاحاً للدخول إلى مثل هذه البحوث التي تضلّ فيها الأفكار لولا الهداية الربانية.

قال عليه السلام: وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومَن ثنّاهُ فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومَن جهله فقد أشار إليه، ومَن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه

فقد عدّه... كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة.

وقال عليه السلام: مستدلاً على وحدانيته: وأعلم يا بُني، أنه لو كان لربّك شريك لأتتك رُسُلُه ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، وأعلم يا بُني أنّ أحداً لم ينبيء عن الله سبحانه كما انبأ عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأرضَ به رائداً.

وقال عن عدله تعالى: وارتفعَ عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه وعدل في كل ما قضى. وقال عليه السلام: فإنّه لم يأمركَ إلاّ بحسن ولم ينهك إلاّ عن قبيح وإنّ حكمه في أهل السماء والأرض لواحد. وما كان اللهُ ليدخل الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً.

في رحاب القيادة الإلهية (النبوّة والإمامة):

من لطف الله سبحانه وتعالى بعباده أن زوّدهم بالعقل والعلم، وسلّحهم بسلاح الإرادة والاختيار، وهداهم إلى طاعته والانقياد لأمره عبر قادةٍ مهديين، مهذّبين معصومين من الخطأ والزلل والنسيان والاشتباه، وقد اختارهم سبحانه لهداية عباده، وإصلاح بلاده، وجعل ذلك سُنّة له عزّ وجل، دائمةً لخلقه في كلّ مراحل الحياة وتعاقب العصور والدهور، إكمالاً لحجّته على خلقه وتحقيقاً لعدله في الوجود، ولطفه بالمخلوق..

وتبدأ هذه السُنّة الإلهية لهذه البشرية باختيار آدم عليه السلام خيرةً من خلقه... وفي ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ولِيُقِيمَ

الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاتِهِ قَرْناً فَقَرْناً... فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ... حتى أخرج آخرهم نبينا محمدا ﷺ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ)).

وقد وصف الإمام عليه السلام أحوال الأنبياء عليهم السلام وزهدهم وشجاعتهم وتواضعهم ورعاية الله لهم وتربيته لهم بالاختبار والابتلاء وتعريضهم للأذى في سبيل الله من أجل انقاذ البشر من موارد الهلكة وشباك الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، وقد بيّن عليه السلام وظائف الأنبياء المتمثّلة في التبليغ والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والتبشير والإنذار، وإقامة حكم الله في الأرض، وتنفيذ كلمه في الوجود، وهداية الناس بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من الجهل والضلالة، والتمسّك بشريعة الله ومجاهدة أعدائه، والخارجين على قوانينه سبحانه.

وتستمر مسيرة الهداة الربّانيين على مدى العصور إلى يوم القيامة، فلا تخلو الأرض من قائم بحجّه إما ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مستوراً لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته... وحيث خُتمت النبوّة بمحمد ﷺ انتهى أمر الهداية إلى عترته التي هي خير العتر، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا، وهم شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم، والأعظمون عند الله قدراً... يحفظ الله بهم حججه وبيّناته... بهم عُلم الكتاب وبه عُلموا، فيهم

كرائم القرآن وكنوز الرحمن، فهم الراسخون في العلم... يخبركم حلمهم عن حلمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقُّ إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، فهم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، لهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة.

لقد أكّد الإمام عليه السلام على موقف أهل البيت القيادي الفكري والسياسي وأدان زحزحة القيادة عن موقعها الذي عيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعترض على خطّ الخلفاء جملةً وتفصيلاً، بالرغم من اضطراره للتنازل عن حقّه وجهد في تقدم الأطروحة النبوية للقيادة بعد الرسول بشكل ناصع، وجاهد من أجل إحقاق الحق بشكل حكيم واسلوب كان ينسجم مع حساسية الظروف التي كانت تمرُّ بها الدولة والأمة الإسلامية حينذاك، واستطاع أن يقدّم النظرية كاملة ويعدّ العدّة لتطبيقها حينما تسمح له الظروف[1].

في رحاب الإمام المهدي عليه السلام:

استأثر التبشير بقضية الإمام المنتظر (عج) اهتمام القرآن الكريم والنبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام المرتضى عليه السلام على الرغم من التشتّت الذي كان يعيشه ذلك المجتمع المضطرب بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام:

(١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ٨٧ - ١١٦ و ٣٧٤ - ٤٤٥.

ألا وفي غدٍ - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها، وتُخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميّت الكتاب والسُّنة[1].

أنها رؤية دقيقة محدّدة مضيئة واضحة المعالم، تتمثّل في قيام ثورة عالمية تصحّح وضع العالم الإسلامي بل الإنساني أجمع، قال عليه السلام عن قائدها: يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي[2].

وقد تصدّت مؤسسة نهج البلاغة لجمع الأحاديث التي وردت عن الإمام علي عليه السلام حول الإمام المهدي (عج) وقد اجتمعت في جزء واحد وبلغ مجموعها (٢٩١) حديثاً، أربعة عشر (١٤) منها عن اسم المهدي وصفاته ودعائه و(٧٧) وسبعة وسبعون منها عن نسب الإمام وأنه من قريش وبني هاشم ومن أهل البيت عليهم السلام ومن ولد علي عليه السلام وأنه من ولد فاطمة عليها السلام بل من ولد الحسين عليه السلام واحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و(٤٥) خمسة وأربعون منها ترتبط بالمهدي في القرآن ونهج البلاغة وشعر أمير المؤمنين عليه السلام و (٢٣) ثلاثة وعشرون منها حول أنصار المهدي عليه السلام والرايات السود و (١٢) اثنا عشر منها حول السفياني والدجّال، و(٢٦) ستة وعشرون منها عن غيبة المهدي محن الشيعة عند الغيبة وفضيلة انتظار الفرج و(٧٥) خمسة وسبعون منها حول الفتن قبل المهدي وعلائم الظهور وما بعد الظهور ودابّة الأرض ويأجوج ومأجوج، وتسعة عشر

---

(١) من الخطبة، ١٣٨ من نهج البلاغة.

(٢) من الخطبة ١٣٨ من نهج البلاغة.

(١٩) منها ترتبط بفضل مسجد الكوفة وخروج رجل من أهل بيته عليه السلام بأهل المشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة... ثم يبيّن حكم الأرض عند ظهور القائم عليه السلام وحكومته وكيفية ختم الدين به.

قال عليه السلام: يا كميل، ما من علم إلاّ وأنا افتحه، وما من سرّ إلاّ والقائم عليه السلام يختمه... يا كميل لابدّ لماضيكم من أوبة، ولابدّ لنا فيكم من غلبة...[1].

بنا يُختم الدين كما بنا فُتح، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك، وبنا يؤلّف اللهُ قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما ألّف بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك[2].

ولو قد قام قائمنا، لأنزلت السماء قطرها وأخرجت الأرض نباتها وليذهب الشحناء من قلوب العباد، وأصلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلاّ على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهجيها سبع ولا تخافه[3].

(١) عن بشارة المصطفى، ٢٤ - ٣١.

(٢) عن ملاحم ابن طاووس، ٨٤ - ٨٥.

(٣) عن خصال الصدوق، ٤١٨/٢ وراجع موسوعة أحاديث أمير المؤمنين، ج١، ط روي عنه حول الإمام المهدي عليه السلام مؤسسة نهج البلاغة.

في رحاب الحكم الإسلامي: فلسفته وأصوله:

لقد قدّم الإمام علي عليه السلام أنموذجاً عملياً فريداً في الحكم الإسلامي بعد عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقد قرن ذلك بنظرية كاملة منسجمة الأبعاد والجوانب تمثّلت في كتابه وعهده المعروف لمالك الأشتر حين ولاّه مصر، وقد اهتم الاجتماعيون بهذا العهد شرحاً وتعليقاً وتبييناً ومقارنة بأنظمة الحكم الأخرى، ويعتبر هذا النص دليلاً على أدلة إمامته عليه السلام وبه تتميّز مدرسة أهل البيت عن سائر الاتجاهات التي حملت اسم الإسلام والخلافة الإسلامية، وبالإضافة إلى هذا النصّ المعجز نجد في نهج البلاغة وغيره من النصوص التي وصلتنا عنه عليه السلام ما يُعيننا على كشف نظرية الإمام عليه السلام ونظرية الإسلام الفريدة عن فلسفة الحكم ونظامه أصولاً وفروعاً، ونشير إلى الخطوط العريضة بإيجاز.

لقد أكّد الإمام عليه السلام على أن الحكم ضرورة اجتماعية بقوله: ((لابدّ للناس من أمير برّ أو فاجر والإمامة نظام الأمة)) وبيّن أن الحكم مختبر الحياة قائلاً: ((القدرة تُظهر محمود الخصال ومذمومها)).

وأما الخطوط العريضة لنظام الحكم الإسلامي ومهام الدولة النموذجية: فتتمثّل في:

١- تثقيف الأمة.

٢- إقامة العدل.

٣- حماية الدين.

٤- إقامة الحدود.

٥- تربية المجتمع.

٦- الاجتهاد في النصيحة والإبلاغ في الموعظة.

٧- توفير الفيء وتحسين الوضع المعيشي للناس.

٨- الدفاع عن استقلال وكرامة الأمة.

٩- توفير الأمن الداخلي.

١٠- نصرة المستضعفين.

١١- إغاثة الملهوفين.

١٢- الاهتمام بالعمران.

وأما الحاكم النموذجي له أن يتمتّع بجملة من الصفات والتي تكون من أهم عوامل ثبات حكمه، وهي ملخّصه كما يلي:

١- الانقياد للحق.

٢- تفّهم الأمور

٣- سطوع البيان.

٤- الشجاعة في إقامة الحق.

٥- حسن النيّة.

٦- الإحسان إلى الرعية.

٧- عفّة النفس.

٨- عموم العدل.

٩- التدبير والاقتصاد.

١٠- الإنصاف.

١١- الرفق.

١٢- الحلم.

١٣- الدفاع عن الدين.

١٤- كثرة الورع.

١٥- الشعور بالأمانة والمسؤولية.

١٦- اليقظة.

١٧- التكليف بما يُطيقه الشعب.

١٨- عدم الإغترار بالقدرة.

١٩- التوزيع الصحيح للأعمال وتعيين مسؤولية كل فرد بما يناسبه.

٢٠- البذل والجود من غير إسراف من كلّ ما يملك.

وقد طفحت كلمات الإمام عليه السلام بعوامل سقوط الدول وآفات الحكم محذّراً الحكّام والعمّال والولاة منا، ويمكن إيجازها كما يلي:

١- الجهل.

٢- الاستبداد بالرأي وترك المشورة.

٣- إتباع الهوى.

٤- تعدّد مراكز القرار.

٥- إتّباع الباطل والاستخفاف بالدين.

٦- البغي والظلم.

٧- التكبّر والفخر.

٨- منع الإحسان.

٩- الإسراف والتبذير.

١٠- الغفلة.

١١- الانتقام.

١٢- سوء التدبير.

١٣- قلة الاعتبار وعدم الانتفاع بالتجارب.

١٤- كثرة الاعتذار وتراكم الأخطاء.

١٥- تضييع الأصول.

١٦- تقديم الأراذل وغير الجديرين للمناصب الإدارية على الأفراد والأكفاء، قال عليه السلام: ((تولّي الأراذل والأحداث الدول دليل انحلالها وإدبارها)).

١٧- الخيانة، قال عليه السلام: ((إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات، ومَن خانه وزيره فسد تدبيره)).

١٨- ضعف السياسة، قال عليه السلام: ((آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة القوي استضعاف الخصم، ومَن تأخّر تدبيرُه تقدّم تدميرُه)).

١٩- سوء السيرة، قال عليه السلام: ((آفة الملوك سوء السيرة)).

٢٠- عجز العمال والولاة.

٢١- ضعف الحماية الشعبية للحاكم، قال عليه السلام: ((آفة الملك ضعف الحماية)).

٢٢- سوء الظن بالنصيح من علامات الإدبار.

٢٣- طمع القادة وحرصهم وجشعهم على ملذّات الحياة الدنيا، قال عليه السلام: ((السيد من لا يصانع ولا يخادع ولا تغرّه المطامع، وقال عليه السلام: الطمع يذلّ الأمير)).

٢٤- وفقدان الأمن[1].

في رحاب العبادات والفرائض:

قال عليه السلام: إنّ الله سبحانه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها، ولم يأمركم إلاّ بحسن، ولم ينهكم إلاّ عن قبيح.

وقال عليه السلام: عليك بحفظ كل أمر لا تعذر بإضاعته. وقال عليه السلام: أول ما يجب عليكم لله سبحانه شُكر أياديه وابتغاء مراضيه، وطوبى لمن حافظ على طاعة ربّه، وسارعوا إلى فعل الطاعات وسابقوا إلى فعل الصالحات، فإن قصّرتم فإيّاكم أن تقصّروا عن أداء الفرائض، ولا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض، ولا عبادة كأداء الفرائض.

واهتمّ الإمام عليه السلام ببيان فلسفة جملة من التشريعات قائلاً:

فرض الله سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيامَ ابتلاءً لإخلاص الخلق، والحجّ تقويةً للدين، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً

(١) أعلام الهداية، ج٢، ص٢٣٤ - ص٢٣٦.

للسفهاء، وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفّة، وترك الكذب تشريفاً للصدوق، والإسلام أماناً من المخاوف، والإمامة نظاماً للأمة، والطاعة تعظيماً للإمامة.

وقال عليه السلام أيضاً: زكاة البدن الجهاد والصيام، وزيادة بيت الله أمن من عذاب جهنّم.

وقال عليه السلام: وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين مَنْ فعله بجُهدك، وغاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، والجاد عماد الدين ومنهاج السعداء، ومَن جاهد على إقامة الحق وفِّق، والمجاهدون تُفتّح لهم أبواب السماء، وثواب الجهاد أعظم الثواب(١).

في رحاب الأخلاق والتربية:

اعتنى الإمام المرتضى عليه السلام بتربية المجتمع وحاول أن يعالج الانحراف الأخلاقي في الإنسان من جذوره العميقة، فوصف الداء الأساسي بقوله عليه السلام: ((ألا وإن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة)) ثم بيّن السبب الأعمق في هذا الحبّ حينما أوضح الأسباب العميقة التي كانت تكمن وراء التآمر على الأطروحة النبوية للخلافة والسر في استلاب الحكم منه بالرغم من تواتر

(١) تصنيف غرر الحكم، ١٧٥ - ١٩٠ و ٣٣١ - ٣٣٥ والمعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ١٤٠ - ١٥٠ و ٢١٦ - ٢٣٩.

النصوص النبوية الكثيرة وإتمام الحجّة على المسلمين قائلاً: ((بلى لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها)).

ويترتّب على هذا الحبّ الشديد أنّ الإنسان سوف يستخدم مختلف الوسائل للوصول إلى ما يصبوا إليه فإن حبّ الشيء يُعمي ويُصمّ ولهذا برّر الخلفاء تقمّصهم الخلافة بمختلف التبريرات التي دحضتها حجج الإمام عليه السلام الدامغة ولكنّ استمرّ التصلّب على الموقف الذي أدانه الإمام عليه السلام، وإذا سألنا الإمام عليه السلام عن الدواء الناجع لعلاج هذا السبب الأعمق في الانحراف وجدناه العلاج في وصفه الدقيق للمتقين في الخطبة المعروفة بخطبة همّام، حيث وضّح السرّ الذي أوصلهم إلى هذه المرتبة من الكمال المتمثّلة بالتقوى بقوله عليه السلام: ((لقد عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)) وهكذا تكون المعرفة الحقيقية بالله العظيم سبباً في حقارة الدنيا في أعين عباده المتقين، وإذا صغرت الدنيا في أعينهم، لم تكن الدنيا غاية همّتهم ولم يجدوا في اقتنائها، بل يحرصوا عليها وعلى ملكها كما لم يحرص علي بن أبي طالب عليه السلام عليها فقد تنازل عن الخلافة حينما استبدّت بها قريش قائلاً: ((فإنها كانت إثرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم اللهُ والموعدُ القيامة)).

ومن هنا نشأت في المجتمع الإسلامي أخلاقيتان متميّزتان: أخلاقية علي النموذجية التي تدين السياسة الميكافيلية، وأخلاقية الخلفاء التي كانت ترى

مشروعية الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ممكنة، ومن هنا كان زهد علي عليه السلام في الحكم وحرص غيره عليه[1].

في رحاب الدعاء والمناجاة:

اهتم الإمام علي عليه السلام كما اهتم سائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بحقل الدعاء والمناجاة بعد أن فتح القرآن الكريم هذا الباب قالاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((قل ما يعبأُ بكم ربّي لولا دعاؤكم)) وبيّن أهمية الدعاء بنصوصه وسيرته فقال عليه السلام: ((الدعاء سلاح الأولياء)).

وتضمن نهج البلاغة مجموعة من الأدعية العلوية لشتّى الأغراض والمجالات، وجمعت أعيته عليه السلام فيما يُسمّى (بالصحيفة العلوية) ومن غرر أدعيته عليه السلام الدعاء المعروف بدعاء كميل ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية، ونشير إلى مقطع من مناجاته المنظومة التي أُثرت عنه، قال عليه السلام:

لكَ الحمدُ ياذا الجودِ والمجدِ والعلى ... تباركت تُعطي مَن تشاءُ وتمنعُ
إلهي وخلاّقي وحرزي وموئلي ... إليكَ لدى الإعسار واليُسر أفزعُ
إلهي لئن جلّت وجمّت خطيئتي ... فعفوكَ عن ذنبي أجلُّ وأوسعُ
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي ... وأنتَ مناجاتي الخفيّة تسمعُ
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تُزغ ... فؤادي فلي في سيب جودك مطمعُ

---

(١) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ٢٨٢ – ٣٥٦ و ١٩٤ – ٢١٤ و ١٥٢ – ١٦٩ و ٣٧٦ – ٣٧٩ وتصنيف غرر الحكم: القسم الأخلاقي، ٢٠٥ – ٣٢٣ و ١٢٧ – ١٤٧.

إلهــي لــئن خيّــتني أو طــردتني فمن ذا الـذي أرجـو ومَـن ذا أُشـفعُ؟
إلهــي أجرنــي مــن عــذابك إنــني أســيرٌ ذليــلٌ خــائفٌ لــكَ أخضــعُ
إلهــي لــئن عــذّبتني ألــفَ حجّــة فحبــلُ رجــائي منــكَ لا يتقطّــعُ
إلهـي إذا لم تعـفُ عـن غـير محسـنٍ فمــن لمســيءٍ بــالهوى يتمتّــعُ؟
إلهـي حليـف الحـبّ في الليـل سـاهرٌ ينــاجي ويــدعو والمغفّــلُ يهجــعُ[(١)]

في رحاب أدب الإمام عليه السلام:

لقد تعرّفنا على مجموعة من النصوص المنثورة والمنظومة التي أُثرت عن الإمام عليه السلام في نهج البلاغة أو غيره من الكتب التي اهتمت بتراث الإمام عليه السلام ولاحظنا القمة الشاهقة التألّق التي بلغها الإمام عليه السلام سواء في ميدان الخطابة أو الكتب أو الكلمات الحكيمة والمواعظ أو ميدان الشعر، ولا نبالغ إذا قلنا - كما قال متخصصوا الأدب - إنّ أجود نتاج أدبي عرفه التاريخ فنّاً وعمقاً وفكراً هو نتاج الإمام علي عليه السلام[(٢)].

ونختار نماذج منظومة من أدبه عليه السلام في مختلف المجالات، علماً بأن هناك ديوان شعر منسوباً إليه، وقد اعتمده بعض المؤرّخين واستشهدوا بنماذج أدبية من نصوصه[(٣)].

(١) الصحيفة العلوية ومفاتيح الجنان.
(٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي للدكتور محمود البستاني، أدب الإمام علي عليه السلام.
(٣) راجع في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام للسيد محسن الأمين، ٣٠١/٢ - ٣١٣.

قال عليه السلام في رثاء أبيه أبي طالب رضوان الله تعالى عليه:

أبا طالبٍ عصمةُ المستجيرِ وغيث المحول ونور الظُلَم
لقد هدّ فقدُك أهلَ الحفاظ فصلّى عليكَ وليُّ النِعَم
ولقّاكَ ربُّك رضوانَهُ فقد كنتَ للمصطفى خير عمّ(١)

وجاء عن الجاحظ والبلاذري: إنّ علياً أشعر الصحابة، وأفصحهم، وأخطبهم، وأكتبهم، ومما قاله يوم بدر:

نصرنا رسولَ الله لّما تدابروا وثابَ إليه المسلمون ذوو الحجى
ضربنا غواةَ الناس عنهُ تكرّماً ولّما يروا قصدَ السبيلِ ولا الهدى
ولّما أتانا بالهدى كان كلّنا على طاعةِ الرحمن والحقّ والتّقى

ومما أورده سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قوله عليه السلام:

للناس حرصٌ على الدّنيا بتدبير وصفوها لكَ ممزوجٌ بتكديرِ
لم يرزقوها بعقلٍ حينما رُزقوا لكنّما رزقوها بالمقاديرِ
لو كان عن قوّةٍ أو عن مغالبةٍ طارَ البزاةُ بأرزاق العصافير

وعنه عليه السلام:

داؤكَ فيكَ وما تشعرُ وداؤكَ منكَ وما تُبصرُ
وتحسبُ أنّك جرمٌ صغير وفيكَ انطوى العالَم الأكبرُ(٢)

هذا غيض من فيض أدب أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن الذي سُطّر وذُكر في حقّه عليه السلام وهو قليل جداً كنسبة قطرة من بحر، وإنّه لا يفي بالغرض حتماً،

(١) راجع الغدير، ٣/١٠٦ و ٧/٣٧٨ - ٣٧٩.
(٢) راجع: أعلام الهداية، ج٢، ص٢٤٠ وما قبله.

ولكنّ لا يُترك الميسور بالمعسور، لأن القصد هو جعل القارئ الكريم يُلمّ ولو إلمامةً مجملةً بما اُثِر عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، وكلّ ما ذُكر فهو ممتع وجميل وعظيم لأنه راشحٌ من عظيم، وكما قيل: (الإناء يرشح بما فيه) و (المرء مخبوء تحت طي لسانه)، وهل يوجد بعد رسول الله ﷺ أفضل وأجمل وأكمل وأعلم من علي عليه السلام ؟! وطبعاً إنّ قيمة كل امرئ بما يحسنه وأمير المؤمنين عليه السلام يُحسن كلّ شيء حسن، ولا يصدر منه إلاّ الحسن سواءً في المقال أو الفعال، وقد اعترف بذلك العدوّ قبل الصديق.

لذلك بذل أعداؤه المجرمون وعلى رأسهم المنافقون والأمويون قصارى جهدهم في قتله عليه السلام معنوياً وجسدياً، وقد سعوا سعياً حثيثاً لطمس فضائله ومحو ذكره عليه السلام ، وقد وصل الحال بمعاوية ابن أبي سفيان أن يأمر مناديه أن ينادي:

أن قد برئت الذمة ممن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته، وكان أشدّ الناس بليّةً أهل الكوفة لكثرة مَن بها من الشيعة[1].

وعلى الرغم من كل ذلك قد ظهر من فضائله عليه السلام ما ملأ الخافقين، وتعطّر بشذاهُ العصور والدهور والأجيال، والقاصي والدّاني. والله سبحانه يقول في قرآنه الكريم:

(١) الاحتجاج، ١٦٢/٨٣/٢ وراجع كتاب سليم بن قيس، ٢٦/٧٨١/٢، المناقب لابن شهرآشوب، ٣٥١/٢، بحار الأنوار، ١٢/٣٨/٤٢.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُـورَ اللهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُـتِمَّ نُـورَهُ وَلَـوْ كَـرِهَ الْكَـافِرُونَ﴾[1] نعـم، يـأبى اللهُ إلاّ أن يسطع نـور علـي عليه السلام في الحيـاة والزمـان والأجيال لأنه الحقّ والحقيقة.

فسـلامٌ عليـكَ يـا أبـا الحسـن والحسـين يـا سـيّد البلغـاء والشُعراء والأدباء والعظماء، يوم ولدت ويوم آمنتَ وجاهدت، ويوم صبرتَ وآثرت، ويوم أقمتَ حدودَ اللهِ واستشهدتَ صابراً محتسباً، ويـوم تبعـث حياً تقـود شيعتك ومحّبيك منوّرة وجوهم إلى جنّات النعيم، والحمدُ لله ربّ العـالمين، وصلّى اللهُ على محمـدٍ الرسـول الكـريم وعلـى أهـل بيتـه الغـر الميـامين وعلـى جميـع الأنبيـاء والمرسلين والصالحين.

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

الخاتمة:

لّما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الوصيّ الشرعي، والخليفة الحق بالدليل القاطع والحجّة الدامغة والإمام الحقيقي، والأمير للمؤمنين، والسيد للمسلمين، والقائد للغرّ المحجّلين إلى جنّات النعيم، ويعسوب الدّين، وبسيفه ذي الفقار قام واستقام الدّين، حيثُ أنّه أكبر وأعظم رجل في أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين لا يُقاس بهم من هذه الأمة أحد، لأنّهم عيش العلم وموت الجهل لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه. وبه يعملون ويحكمون.

وهو عليه السلام من دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، وبه عليه السلام عاد الحقُّ في نصابه، وانزاح الباطلُ عن مقامه، وهو عليه السلام قد عقل الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، وهو عليه السلام موضع سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحامي أمره، وعيبة علمه صلى الله عليه وآله وسلم وموئل حكمه، وكهف كتبه، وجبل دينه.

وهو عليه السلام من مصابيح الظلم وينابيع الحِكَم ومعادن العلم، ومواطن الحلم، وهو دوماً وأبداً على بيّنةٍ من ربّه عزّ وجل، ومنهاجٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه عليه السلام لعلى الطريق الواضح يلفظهُ لفظاً، وعلى الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا أمتاً.

وهو عليه السلام ممّن حظى بمنزلةٍ رفيعة، ومكانةٍ سامية، وشخصيةٍ معجزة لا يدانيها أحد ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو عليه السلام صاحب الحوض وقسيم النار والجنّة، وعن ولايته وموالاته يُسأل الخلق يوم القيامة، وبها كمال الدين، ورضا الرب، والدخول إلى جنّات النعيم.

أقول: لما كان الإمام علي عليه السلام هكذا، إذاً أصبح من أوجب الوجوب على كل عاقل أن يسلك الوادي الذي سلكه أمير المؤمنين علي عليه السلام ويؤمن بخلافته وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً، ويقتدي به، ويعمل وفق رأيه، ويتبرّأ من أعدائه، ويحيا ويموت على حبّه عليه السلام ومودّته، والالتزام بمبادئه التي هي مبادئ الدين الإسلامي الحقيقي الواقعي، لينجو بنفسه، ومَن تعلّق به من نارٍ حرُّها شديد، وعذابها أليم، أعاذنا اللهُ وأعاذكم منها بحقّ خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسيّد الوصيين عليه السلام وأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

نعم، إنّ أمير المؤمنين سرٌّ عظيم ومعجزة الدهر، بدا حياته في بيت الله مطهّراً من كل رجس ودنس، وختمها به شهيداً طاهراً، قضى حياته كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتخلّق بأخلاقه، وغذّاه من ريقه الطاهر وعلمه الثرّ، حتى علّمه ألف بابٍ من العلم والمعرفة ينفتح لهُ من كلّ باب ألفُ باب. حتى بلغ عليه السلام من السموّ بمكان أن خاطبه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:

((يا علي، إخوانك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنا شاهدهم وأنت، وعند المساءلة في قبورهم، وعند العرض الأكبر، وعند الصراط إذا سُئِل الخلق عن إيمانهم فلم يجيبوا))(١).

وقال صلى الله عليه وآله لعلي: ((حسبُك، ما لمحبّكَ حسرةٌ عند موته، ولا وحشةٌ في قبره، ولا فزعٌ يوم القيامة))(٢).

---

(١) الأمالي للصدوق، ٨٩١/٦٥٦، بشارة المصطفى، ١٨٠، فضائل الشيعة، ١٧/٥٦ وتفسير فرات ٣٦٠/٢٦٦.

(٢) تاريخ بغداد، ١٧٥٦/١٠٢/٤، ينابيع المودّة، ٨٨٩/٣١٢/٢ والمناقب لابن شهرآشوب، ٢٣٧/٣.

وقال ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس، وهو جبل قد علا على الجنّة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجّر أنهار الجنة وتتفرّق في الجنان، وهو جالس على كرسيّ من نور يجري بين يديه التسنيم[1] لا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة، فيدخل محبّيه الجنة ومبغضيه النار))[2].

وقال ﷺ: ((إنّ الجنّة لتشتاق لأحبّاء علي عليه السلام ويشتدّ ضوؤها لأحبّاء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها))[3].

فهنيئاً لأمير المؤمنين ولشيعته ومحبّيه، رزقنا الله شفاعته وبراءةً من النار بولايته وولاية أهل بيته عليهم السلام.

---

(١) التسنيم: ماء الجنّة يجري فوق الغرق والقصور (تاج العروس، ٣٧٠/١٦).

(٢) المناقب للخوارزمي، ٤٨/٧١، مقتل الحسين للخوارزمي، ٣٩/١، فرائد السمطين، ٢٣٠/٢٩٢/١ وكشف الغمة، ١٠٣/١، المناقب لابن شهرآشوب، ١٥٦/٢ وإرشاد القلوب، ٢٣٥.

(٣) ثواب الأعمال، ٢/٢٤٧.

المصادر

ت	اسم الكتاب	المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	تفسير الدرّ المنثور	السيوطي
٣	تفسير الثعلبي	الثعلبي
٤	تفسير القمي	القمي
٥	تفسير الكشاف	الزمخشري
٦	تفسير البرهان	البحراني
٧	تفسير الطبري	الطبري
٨	تفسير فرات	فرات الكوفي
٩	تفسير القرطبي	القرطبي
١٠	تفسير الفخر الرازي	الفخر الرازي
١١	أعلام الهداية	المجمع العلمي لأهل البيت
١٢	الطبقات	محمد بن سعد الواقدي
١٣	شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد المعتزلي
١٤	نهاية الأرب	النويري
١٥	المحبر	النسّابة البغدادي
١٦	الكامل في التاريخ	ابن الأثير
١٧	صحيح البخاري	البخاري
١٨	صحيح مسلم	مسلم
١٩	تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
٢٠	الروض الآنف	السهيلي
٢١	المعمّرون والوصايا	السجستاني
٢٢	مختصر تاريخ دمشق	ابن عساكر
٢٣	بحار الأنوار	الشيخ المجلسي
٢٤	ينابيع المودّة	القندوزي الحنفي
٢٥	كنز العمّال	الكنجي الشافعي
٢٦	الخصائص الكبرى	السيوطي الشافعي
٢٧	النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير
٢٨	المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري

٢٩	تاريخ الطبري	الطبري
٣٠	قادتنا كيف نعرفهم ؟	السيد الميلاني
٣١	توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل	شهاب الدين أحمد
٣٢	موسوعة الغدير	الشيخ الأميني
٣٣	تاريخ أبي الفداء	أبو الفداء
٣٤	القصيدة العلوية	عبد المسيح الانطاكي
٣٥	دلائل النبوّة	البيهقي
٣٦	مجمع البيان	الطبرسي
٣٧	التبيان	الشيخ الطوسي
٣٨	سيرة ابن إسحاق	ابن إسحاق
٣٩	السيرة الحلبيّة	برهان الحلبي
٤٠	السيرة النبويّة	زيني دحلان
٤١	السنن الكبرى	البيهقي
٤٢	البداية والنهاية	ابن الأثير
٤٣	تاريخ ابن الوردي	ابن الوردي
٤٤	عيون الأثر	ابن سيد الناس
٤٥	سنن الترمذي	الترمذي
٤٦	مجمع الزوائد	الهيثمي
٤٧	نظريات الخليفتين	الطائي
٤٨	تذكرة الخواص	سبط ابن الجوزي
٤٩	إكمال الدين وإتمام النعمة	الشيخ الصدوق
٥٠	الخرائج والجرائح	القطب الراوندي
٥١	الفصول المهمّة	ابن الصبّاغ المالكي
٥٢	المعجم الأوسط	الطبراني
٥٣	حلية الأولياء	أبو نعيم
٥٤	منية الراغب في إيمان أبي طالب	محمد رضا الطبسي النجفي
٥٥	الدرجات الرفيعة	السيد علي خان المدني
٥٦	علي من المهد إلى اللحد	السيد محمد كاظم القزويني
٥٧	أمالي الصدوق	الشيخ الصدوق
٥٨	ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام	ابن عساكر
٥٩	الرياض النضرة في مناقب العترة	محي الدين الطبرسي
٦٠	تاريخ الخلفاء	السيوطي

٦١	فرائد السمطين	الحمويني
٦٢	مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام	ابن المغازلي
٦٣	الصواعق المحرقة	ابن حجر
٦٤	نظم درر السمطين	الزرندي الشافعي
٦٥	مروج الذهب	المسعودي
٦٦	أمالي الشيخ الطوسي	الشيخ الطوسي
٦٧	نور الأبصار	الشبلنجي
٦٨	نزهة المجالس	الآلوسي
٦٩	حياة أمير المؤمنين عليه السلام	السيد محمد صادق الصدر
٧٠	المناقب	محمد صالح الترمذي
٧١	إرشاد القلوب	الديلمي
٧٢	غاية المرام	الحكيم الترمذي
٧٣	كتاب التوحيد	الشيخ الصدوق
٧٤	كشف الغطاء	الشيخ جعفر كاشف الغطاء
٧٥	الثاقب في المناقب	الشيخ الطوسي
٧٦	المناقب	لابن شهر آشوب
٧٧	فضائل الصحابة	لابن حنبل
٧٨	العمدة	لابن بطريق
٧٩	إمتاع الاسماع	المقريزي
٨٠	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
٨١	روضة الواعظين	النيسابوري
٨٢	عبقرية الإمام علي عليه السلام	عباس محمود العقاد
٨٣	الإمام علي صوت العدالة الإنسانية	جورج جرداق
٨٤	العقد الفريد	لابن عبد ربه الأندلسي
٨٥	ذخائر العقبى	الطبري
٨٦	مسند أبي حنيفة	أبو حنيفة
٨٧	منتخب كنز العمال	المتقي الهندي
٨٨	وسيلة المآل	الحضرمي
٨٩	مفتاح النجاء	البدخشي
٩٠	أنساب الأشراف	البلاذري
٩١	سنن ابن ماجة	ابن ماجة
٩٢	النهاية في غريب الحديث	ابن الأثير

٩٣	الإمام علي	الخليلي
٩٤	إحياء علوم الدين	الغزالي
٩٥	شواهد التنزيل	الحسكاني
٩٦	سنى المطالب	الحافظ الجزري
٩٧	مقتل الحسين عليه السلام	الخوارزمي
٩٨	تهذيب تاريخ دمشق	عبد القادر بدران
٩٩	نهج الحق وكشف الصدق	العلامة الحلي
١٠٠	منهاج الكرامة في معرفة الإمامة	العلامة الحلي
١٠١	شرح أصول الكافي	المولى محمد صالح المازندراني
١٠٢	السياسة في المنظور الإسلامي	المؤلف
١٠٣	عبقات الأنوار	السيد حامد حسين
١٠٤	دلائل الصدق	محمد حسن المظفر
١٠٥	خصائص أمير المؤمنين عليه السلام	النسائي
١٠٦	غاية المرام	السيد هاشم البحراني
١٠٧	مسند الطيالسي	أبو داود الطيالسي
١٠٨	كتاب اليقين	ابن طاووس
١٠٩	الإمامة الكبرى والخلافة العظمى	السيد محمد حسن القزويني
١١٠	شواهد التنزيل	الحسكاني
١١١	الصراط المستقيم	البياضي
١١٢	الرياض النضرة	الطبري
١١٣	تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين	محمد بن رستم
١١٤	مدينة المعاجز	السيد هاشم البحراني
١١٥	الخصائص	ابن البطريق
١١٦	معارج العلى في مناقب المرتضى	محمد صدر العالم
١١٧	مصباح المتهجّد	الشيخ الطوسي
١١٨	زين الفتى	محمد بن إسحاق
١١٩	تاريخ الهجرة النبويّة	البيلاوي
١٢٠	سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام	السيد هاشم معروف الحسني
١٢١	الاستغاثة	أبو القاسم الكوفي
١٢٢	الصحيح من السيرة	العاملي
١٢٣	سفينة البحار	الشيخ عباس القمّي
١٢٤	أهل البيت	توفيق أبو علم

١٥٧	سنن الدارمي	الدارمي
١٥٨	الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
١٥٩	المبسوط	السرخسي
١٦٠	السقيفة والخلافة	عبد الفتاح مقصود
١٦١	سيرة عمر	ابن الجوزي
١٦٢	وقعة صفين	نصر بن مزاحم
١٦٣	فدك في التاريخ	السيد الشهيد محمد باقر الصدر
١٦٤	اختيار معرفة الرجال	الطوسي
١٦٥	الفوائد الرجالية	السيد بحر العلوم
١٦٦	الاتقان	السيوطي
١٦٧	سيرة أعلام النبلاء	الذهبي
١٦٨	بلاغات النساء	ابن طيفور
١٦٩	منهاج السنة	ابن تيمية
١٧٠	معجم البلدان	الحموي
١٧١	تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي	د. محمود البستاني
١٧٢	الغارات	الثقفي
١٧٣	وسائل الشيعة	الحر العاملي
١٧٤	زاد المعاد	ابن القيّم

الفهرست

تم بعون الله تعالى والحمدُ لله أولاً وأخيراً